شبهات ومطاعن الاستشراق الديني
في مواجهة
الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ

(الحكاية الوافية والردود الشافية)

الدكتور
راجح إبراهيم السباتين

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٠/٨/٣١٣٠)

٢٤٥

السباتين، راجح إبراهيم محمد
شبهات ومطاعن الاستشراق الديني في مواجهة الإسلام ونبوة محمد ﷺ
/ راجح إبراهيم محمد السباتين ـ عمان: المؤلف، ٢٠١٠

() ص
ر. إ: ٢٠١٠/٨/٣١٣٠
الواصفات: الاستشراق والمستشرقون // الإسلام // الوعظ والارشاد

١. هذا الكتاب مجهود فردي خالص، لا يهدف لتحقيق ربحٍ أو منفعةٍ ماديّةٍ وهو بحاجةٍ إلى جهةٍ أو مؤسّسةٍ علميّةٍ تقوم بدعمه ونشره وترجمته دون اعتبارٍ للربح أو المنفعة الماديّة. للراغبين في ذلك يرجى الاتّصال على رقم الجوّال ٠٠٩٦٢٧٩٥٦٦٩٠٩٣.

الإهداء

ـ لأُمّي وأبي الكريمين الحبيبين، ففي رضاهما كلُّ البركةِ، وفي دعائهما كلُّ التوفيق والبهجة معترفاً ومُبتهجاً ومُقِرّاً بفضلهما وحرصهما وسهرهما وقلقهما الدائم علينا.

ـ لشريكتي ورفيقة دربي ومفتاح النَّجاح في كلِّ ما كتبتُ، زوجتي الغالية التي قهرتْ كلَّ الظروف بصدق توكُّلها على الله، فصَبرت واحتسبَتْ وطوّعت العوائق والصّعوبات، وقبلتْ أن تكون الجنديّ المجهول الذي يصنع وبراعةٍ كلَّ مفاتيح النّصر والنجاح بعيداً عن الأضواء وحُبِّ الظّهور. مستذكراً أيّاماً جميلةً قضيناها في مرحلة الدراسة والبحث ومجهوداً طيّباً مباركاً قد أقضي العمر كلَّه ولا أقدر على ردِّ معشارٍ منه أو يزيد. فكان حالها معي كما قال الشاعر:

قامــــت تظللــــني مــــن الــــشمس   نفــــسٌ أعــــزّ عــــليّ مــــن نفــــسي
قامــــت تظللــــني ومِــــن عجــــبٍ   شمــــسٌ تظللــــني مــــن الــــشمس!!!

ـ لأولادي الأحبّاء عمر وعلاء وعبد الرحمن، شاكراً لهم التزامهم الخُلقَ الحسنَ والمواظبة على الصّلاة في وقتها والجدّية في الدراسة والتحصيل العلمي.

ـ للعزيز الغالي أيمن، الصّابر، القدوة، المثابر، الرّجل الذي أنفقَ سنوات عمره يسعى على عباد الله ينفِّس كرباتهم ويهوِّنُ عليهم، فجزاه اللهُ عنهم وعنّي خير الجزاء وبارك فيه.

ـ للعزيز الغالي أيسر، الذي كان كبيراً بكُلّ ما تحمله الكلمة من مدلولاتٍ، فتشجيعه وعطاؤه كان سبباً لاستمراري في الدراسة والبحث. سائلين المولى تعالى أن يكتب لنا يوماً نرى فيه مالكاً وسارة ومشتقّاتها يطلبون العلم على مقاعد الدراسة الجامعية. وأن يكتب لأيسر أن يأكل من خيرهم وثمرهم، إنّه على ذلك لقدير.

ـ للعزيز الغالي فراس في بداية سيره على درب الحياة الزوجية مع تمنيّاتنا له بكُلِّ الخير والتوفيق واليُمن والبركة.

ـ للشاهدِينَ على هذا العصر، المُحَاصَرين في غزّة وقد أثخنتهم الجراحُ وأعياهم الجوعُ والعطشُ وظلمُ ذوي القُربى، مُستحضرين حصار المسلمين الأوائل في شِعْبِ أبي طالبٍ في سيناريو "التاريخ يعيدُ نفسه". ما وددتُ أن أكونَ إلاّ معهم وبينهم، لأشارك في شرف رفع الحصار يحدوني الأملُ بفرَجٍ قريبٍ يعيدُ البسمة لوجوه أبنائهم وبناتهم ولو بعد حين...

شكر وتقدير

لا يسعني في هذه الصّفحةِ المخصّصة لشكر المساهمين في إنجاح هذا البحث إلا أنْ أتقدّمَ بالشكر الجزيل والامتنان الوافر للسادة الأفاضل:

١. البروفسور عبد المقصود حامد عبد المقصود، جبل العلم الراسخ ونور وجهه الشامخ.

٢. الأستاذ عبد المحسن أبو شخيدم وابنه العزيز المشعل الوضّاء.

٣. الأساتذة والزملاء الأفاضل محمد توفيق البستنجي وناصر الهندي وفارس أسعد الحواري، مصابيح المعرفة في عصرٍ غلبت عليه العقول الظلمة.

٤. الأستاذة إلهام محفوظ صالح خبيرة اللغة العربيّة التي كان خيرَ ناقدٍ ومُمَحِّصٍ للمادة العلميّة التي احتواها هذا الكتاب وأجهدت نفسها كثيراً في سبيل خروجه إلى النور خالياً من المثالب والأخطاء.

فهرس المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات. وبعدُ؛ فقد خُطَّت أولى حروف هذه الدراسة في ساحة المسجد الحرام بمكة المكرمة، في يوم الأربعاء الذي وافق السادس عشر من نيسان لعام ألفين وثمانية للميلاد، وهو العام الذي تراكمت فيه وفي العام الذي سبقه حصيلةٌ كبيرةٌ من الاساءات المدروسة المقصودة لرسول الله ﷺ، واتّخذت شكل الحملات المتوالية والموجات المتتابعة، فلا تكاد إحداها تنتهي إلاّ وتبدأ بعدها الأخرى، مُذكِّرةً إيّانا بالحملات الصليبية التي شهدتها العصور الوسطى...

أطلّت علينا في هذين العامين الكثيرُ من رؤوس الفتنة، فمنها مَن هاجم النبيَّ ﷺ في سلسلةٍ من الرسوم المُسيئة البشعة التي تُظهره، عليه السلام، بمظهر الإرهابّي القبيح، ومنها من هَاجمَ القرآن الكريم واصفاً إياه بـ"مصدر تشريع الإرهاب ومرجعيّة المسلمين الأولى التي تدعو للقتل وسفك الدماء"!!، ومنهم مَن عاود الهجوم على الحبيب المُصطفى واصفاً إياه بـ"الشاذ، مُغتصِب الأطفال"!! ومنهم مَن وصفه بأنه "لم يأتِ إلا بكلِّ ماهو شرير ولا إنساني"!!!

لقد كان هذان العامان، عامي الهجوم على الإسلام ورسوله الكريم، ففيهما شهدنا أسوأ حملاتٍ على الإسلام في واقعنا المعاصر. ولا تزال الحملاتُ الإعلاميّةُ التي تشنُّها آلاتُ الإعلام الغربيّ ضدّ الإسلام العظيم ورسول الله المصطفى الأمين ﷺ مُستمرةً حتى الساعة. تضخُّ الأباطيل وتلفِّقُ الأكاذيب وتطلق الإشاعات آناء الليل وأطراف النّهار، فما أن تنتهي من صناعة كذبةٍ حتى تشرع في صياغة الأُخرى مُستخدمةً كلَّ وسائل التلفزة الأرضيّة والفضائيّة، رافضةً الاعتراف بنبوّة الحبيب المصطفى ﷺ وسماوية هذا الإسلام العظيم .... ومن هنا كان العزم على إصدار هذا الكتاب إيراداً للردود الشافية الكافية على هذه الشبهات والأباطيل وتوضيحاً لأصولها الفكرية وأنها لم تكن حملاتٍ مرتجلةً أو عشوائيةً متخبِّطة لا صلةَ بينها أو أنها كانت وليدةَ اللحظة أو الساعة التي وقعت فيها، فعكس ذلك هو الصحيح، لأنها كانت حملاتٍ مدروسةً مُنظّمةً وبينها من الوشائج والصِّلات ما قد يخفى على الكثير من الناس.

كما جاء هذا الكتاب، إضافةً لما سبق ذكره، إسكاتاً لألسن الباطل التي تروّج لها. وتبياناً لفضل وجهود علماء الأمّة الإسلامية قديماً وحديثاً في النهوض للردّ على الشبهات والأباطيل المتعلّقة بالإسلام ونبوّةِ محمدٍ ﷺ ....

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا إنما هو جزءٌ مختصرٌ ومُعدَّلٌ من رسالة دكتوراه أعدّها المؤلّف وأشرف عليها البروفسور العلاّمة عبد المقصود حامد عبد المقصود، وناقشتها في العَلَنِ مجموعةٌ من العلماء الباحثين والمؤلّفين في موضوع مقارنة الأديان على رأسهم البروفسور بكر زكي عوض والبروفسور محمد أحمد الخطيب، كما أنها نالت استحسان وموافقة الأستاذين العَلَمين بهجت الحباشنة وعامر الحافي، جزاهم الله خيراً أجميعن....

وختاماً، فإننا نسأل الله تعالى الأجر والثواب على هذا العمل المتواضع، وأن يفيد منه طلبة العلم. كما نسأله تعالى البركةَ في الوقت وحُسْنَ الخاتمة.

المؤلّف

الفصل الأول
الاستشراق الدّيني
(نشأته وتطوّره)

المبحث الأول
الاستشراق الدِّيني
جذوره، غايته، دور الكنيسة فيه

كان للرهبان الكاثوليك في العصور الوسطى دورٌ كبيرٌ ومباشرٌ في إعلان سلسلةٍ من الحروب على الإسلام والمسلمين وهي الحروب التي حملت مُسمّى (الحروب الصليبية).

ولمّا أخفقت هذه الحروب في تحقيق أهدافها وآلت إلى ما آلت إليه من فشلٍ ذريعٍ وهزائم نكراء، نهض الرهبان من جديدٍ للإعلان عن مواجهةٍ أخرى مع الإسلام، استهدفت تشويه صورته والتخويف منه وصدّ الناس عن الدخول فيه...

وقد كانت المواجهةُ مواجهةً عقديّةً وفكريّةً بالدّرجة الأولى، كما أنّها كانت نوعاً من المواجهات التي اتَّسمت بالفرديّة حيناً وبالمؤسّسية والرسميّة حيناً آخر ... وهذه المواجهة التي نحن بصدد الحديث عنها هي الاستشراق[1]. والنوع الذي يعنينا هنا هو الاستشراق الدّيني بالذات، دون غيره من أنواع الاستشراق، ونقصدُ على وجه الخصوص المحاولات الاستشراقية التي ظهرت إلى الوجود بدعمٍ رسميٍّ ومباشرٍ من الكنيسة أو من كبار الرهبان ورؤساء الأديرة الشهيرة آنذاك. "وقد اختلف المؤرخون في تحديد البداية الحقيقية للاستشراق زمنياً ومكانياً، فمنهم من يرى أنّها كانت على أيدي طلاب العلم الأوروبيين الذين توافدوا إلى الأندلس العربية ونهلوا من منابع المعرفة فيها ونقلوها إلى أوروبا منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، ومنهم من يرى أنّ البداية جاءت من بيزنطة التي قهرها العرب المسلمون، وانتزعوا منها أراضي واسعةً في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي، والتي توقَّفتْ لاستكناه طبيعة هذا الفاتح العظيم، ومنهم من يرى أنّ بداية الاستشراق كانت وليدة الحروب الصليبية والاحتكاك المباشر بين شعوب غرب أوروبا والعرب. ويرى البعضُ أنّ بداية الاهتمام الفعليّ الغربيّ بالإسلام والمسلمين كانت عند مجابهة الخطر العثماني الذي جاس خلال الأراضي الأوربية وأَسقط ممالك وأزاح عروشاً، وأصبح حقيقةً من حقائق السياسة

---

[1] كلمة الاسْتشرَاق مأخوذة ومشتقَّة من كلمة الشَرْق، والشرق والمشرق بكسر الراء وهو الأكثر، وبالفتح وهو القياس ولكنَّه قليل الاستعمال ـ اسم الموضع، أيّ جهة شروق الشمس، فكلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق)، وهي تعني ناحية شروق الشمس. والسين في الكلمة للطلب، أي طلب ما في الشرق. والاستشراق في الإصطلاح يطلقُ على تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكريّ الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه. فالاستشراق: هو علم يدرس لغات الشرق ودينه وتراثه وحضارته ومجتمعاته وماضيه وحاضره.

الأوروبية"[١]. ولعلّ القاسم المشترك الذي يجمعُ بين الآراء السابقة كلها هو انطلاق هذا النمط من الدراسة لتراث الشرق ودينه الإسلامي وحضارته من بلاد الغرب، والتأكيدُ على أنّ الدِّين الإسلامي وحركة الفتوحات الإسلاميّة آنذاك هي السبب الأبرز والدافع المحرِّك لاتجاه الغربيين نحو دراسة الإسلام، ديناً وحضارةً وتاريخاً ... وممّا لا شكَّ فيه أنّ الدافع الدينيَّ كان أقوى الدوافع لقيام الاستشراق، حيث يربط كثيرٌ من الباحثين المهتّمين بالدراسات الاستشراقية بين نشأة الاستشراق وبداية ظهوره وبين الفشل الذريع الذي مُنيث به أوروبا في الحروب الصليبية؛ ذلك أنَّ الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته، ولم تسعفه بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين. "ولقد تغيَّر أسلوبُ المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب بعد الحروب الصليبية، فاحتلت الكلمة والحوار واستخدام المنهج العلمي المكانةَ الأولى في دراسةٍ نفسيّةٍ للشرق لمعرفة الأسلوب الأمثل للمواجهة، وكان ذلك بديلاً عن المواجهة بالسلاح والقوة العسكرية"[٢]. ولقد فرض هذا الأسلوب الجديد في المواجهة العكوف على دراسة أحوال الشرق؛ لغته ودينه، حضارته وتاريخه، فلسفته وعلومه، عقيدته وأصولها، وأن توضع المناهج الدراسية المناسبة لاستكشاف عوامل هذه القوة الصّلبة التي تكسَّرت عليها تلك الحملات الصليبية المتكررة، ومحاولة فهمها وتحليلها نفسياً لمواجهتها بأسلوبٍ يختلف تماماً عن المواجهة العسكرية. "ولمّا كان القائمون على أمر الحروب الصليبية والمحركون لها هم رجال الكنيسة وسدنتها، فإن ذلك جعل رجال الكنيسة في طليعة المهتّمين بأمر الشرق ودراسة أحواله، ومن هنا، فإنّ طليعة المستشرقين كانوا في معظمهم من القساوسة ورجال الدين المسيحي"[٣].

إذاً فقد كان الاستشراقُ الديني هو الحل الأمثل، والبديل الأنسب للمواجهة مع الإسلام. وهذه حقيقةٌ أكّدها أكثر من مرّةٍ المؤرخ ريتشارد سوذرن؛ "وقد أدرك ألَدُّ أعداء الإسلام بين الأوروبيين أنَّ الصّراع العسكريّ معه لا يكفي لإسقاطه، وأنه لابدَّ من اشتغالٍ أعمقَ بفهم مضامينه ومحاولة نقضها. وكانت حجَّتُهم في إقبالهم على دراسة الإسلام ضرب إرادة المقاومة عند الخصم عن طريق تشكيكه بصحّة عقيدته، ودفع الجنود الأوروبيين لمزيدٍ من الضراوة والانتظام عن طريق التركيز على قوَّة الإسلام العسكرية. ومن نافلة القول هنا

---

(1) انظر:
أ. الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق، الإسلام والغرب، دراسات في نقد الاستشراق، ص ١٤، ط١، ٢٠٠٤، دار المناهج، عمّان، بتصرف.
ب. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٨، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة.
(2) الجليند، محمد السيّد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخيّة موجزة، ص ١٢، ١٣، ط١، ١٩٩١، دار قباء، القاهرة.
(3) المرجع السابق نفسه، ص ١٣.

الاستنتاجُ أنَّ الفريق الذي كان يُعارضُ العمل العسكري ضد الإسلام كان أكثر إقبالاً على التصدي للإسلام فكرياً بعد أن فقد إيمانه بالعمل المسلح"[1].

ومن أجل تحقيق الهدف العقدي من الاستشراق فقد سلك المستشرقون الأوائل من الرهبان الكاثوليك المسالك الأربعة التالية:

المسلك الأول: الحرص الكامل على حجب حقيقة الإسلام وأهدافه النبيلة عن جمهور العوام المسيحيين في أوروبا، وذلك من خلال قلب الحقائق وتشويهها وإبراز ما كانوا يرون أنّه نقاط ضعفٍ وتناقضٍ في الإسلام، وقد تحقّق ذلك من خلال إشاعتهم ونشرهم لمؤلفاتٍ جدليّةٍ باطلةٍ وضعها الرهبان لهذه الغاية، وبالذات الترجمات الزائفة المغلوطة للقرآن الكريم، وتزوير وقائع وأحداث السيرة النبوية الشريفة.

المسلك الثاني: حرصُ الكنيسة ورهبانها الدائم على تشويه صورة المسلمين، وذلك من خلال التأكيد على وصفهم بالعديد من الأوصاف المنفِّرة القبيحة المُخيفة، كوصفهم بالمقاتلين المحمّديين الأشدّاء الذين لا يعرفون الرحمة، والسراسنة المتخلّفين الذين لا يفقهون سوى القتال وحمل السيف وقتل الآخرين، وكذلك وصفهم بأنهم غيرُ متحضّرين يسكنون الصحراء ويقتتلون فيما بينهم.

المسلك الثالث: أفنى هؤلاء المستشرقون الرهبان أعمارهم، وضيّعوا أوقاتهم في دراسة الإسلام للبحث عمّا يطعنون في الإسلام من خلاله؛ ومثال ذلك، إجهاد أنفسهم في البحث عن تناقضاته، أو البحث في إثبات كون الإسلام ديناً منحولاً من اليهودية والمسيحيّة والمصادر الأُخرى المليئة بالهرطقات والبدع.

المسلك الرابع: التخطيط لبدء حملاتٍ خبيثةٍ تستهدف تبشير المسلمين (أو بالأصح تنصيرهم)، وهو الأمر الذي تقررّ بشكلٍ رسميٍّ وواضحٍ من خلال مؤتمراتٍ ومجامع كنسيّةٍ خُصِّصت لهذا الأمر.

---

[1] سوذرن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيّد، ص ٨٦، ط١، ١٩٨٤، منشورات معهد الإنماء العربي، لبنان.

وما من شكٍّ في أنّ هذه المسالك السابقة كلّها كانت تتحرّك بدافع الكراهية للإسلام، وبدافع الخوف من انتشاره السريع في كلِّ أرضٍ كان يطؤها المسلمون، وكان من أبرز أهداف هؤلاء المستشرقين الرهبان "منع انتشار الإسلام في أوروبّا وغيرها، حفاظاً على سلطة الكنيسة ومفاهيمها ... فَقَد كَانَ أعداء الإسلام يروون غليلهم بمنع النَّاس وصدِّهم عنه، حَيْث كَانَ الإسلام، مِن غَيْر شَكٍّ، يشكل استفزازاً مقلقاً بطرقٍ عديدةٍ، فَقَد كَانَ قريباً مِن المسيحيَّة قُرباً مقلقاً جغرافياً وثقافياً، فمنذ نهاية القرن السَّابع عَشَر كَانَ الإسلام في شكله العربيّ العثماني، أَو في الشمال الإفريقي الإسباني، قَد هَدَّدَ المسيحيَّة الأوروبيَّة تهديداً فعّالاً، ولم يَكُن ممكناً أَن يغيب عَن ذهن أَيِّ أوروبيٍّ ماضياً أو حاضراً كون الإسلام قَد فاق روما إشعاعاً وسما عليها"[1].

تبيَّن لنا ممّا سبق أنّ نشأة الاستشراق كانت دينيّةَ الدافع، وكانت الكنيسةُ الكاثوليكيّة ورهبانها المحرِّكَ والدّاعم له، وذلك في واحدٍ من فصول حربها المُعلَنة ضدَّ الإسلام والمُسلمين؛ تلكُمُ هي الحربُ الإعلاميّة التضليليّة التي اختارتها الكنيسة ولجأ إليها رجالاتها بعد العجز المُبين لهم ولجيوشهم الصليبيّة أمام الآلة العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى.

إنّ القول بدينيّة الدّافع وصليبيّة المحرِّك للاستشراق ليس إلقاءً للكلام على عواهله، ولا هو من باب الجُزاف، إنما هو قولٌ يتبعُه الدليلُ الذي يدعمهُ ويشهد لصحّته؛ والذي يشهدُ لصحّة هذا الكلام جغرافيّةُ المكان الذي انطلقت منه الدعوة الاستشراقية، وتشهدُ له الحقائق التاريخية التالية:

أولاً: إنّ البداية الحقيقيّة للاستشراق على المستوى الفرديّ كانت على يد الراهب الكاثوليكي الفرنسي جربر دي أولياك[2] الذي انتُخِبَ لاحقاً حبراً أعظم لكنيسة روما، وحمل لقب سلفستر الثاني في العام ٩٩٩م. كان هذا الراهب أولَ المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق؛ حيث رحل من فرنسا إلى

---

[1] سعيد، إدوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ص ١٠١، ط١، ١٩٨١م، من منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

[2] انظر:

أ. عربي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص ١٣٧، ط١، ١٩٩١م، من منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.

ب. الجليند، [م. س]، ص ١١.

ج. زقزوق، [م. س]، ص ٢٠.

د. العقيقي، نجيب، المستشرقون، الجزء ١٢ الصفحة ١ فما بعدها، ط٣، ١٩٦٤م، دار المعارف، القاهرة.

إسبانيا، مهد الحضارة الإسلامية في حينه، فتَعلَّمَ اللغة العربيَّة، ووقف على علوم المسلمين في الرياضيّات والطبّ والفلك والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية، حتَّى قِيلَ عنه إنَّه كانَ أوسع علماء عصره معرفةً بعلوم المسلمين، وبخاصّةٍ في الرياضيات والفلك. ثم ارتحل إلى روما مقرّ البابويّة، حيث اشتُهِرَ هناك بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربيّة وعلوم المسلمين، فانتُخِبَ حبراً أعظم تحت لقب سلفستر الثاني (٩٩٩م – ١٠٠٣م) فكان بذلك أول بابا فرنسيٍ يعتلي كرسي البابوية.

واستطاع من خلال منصبه الجديد أن يُنشئ مدرستين لتدريس اللغة العربيَّة وعلومها، وكانت الأولى منها في روما مقرّ البابوية، والثانية في موطنه الأصلي (دايمس)، ثم أنشأ مدرسةً ثالثةً باسم (شارتر). وقد قام هذا الراهب بترجمة بعض الكتب العربيّة في الرياضيات والفلك، وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربيّة في أوروبا التي كان ينقصها الرقم صفر، ولم تكن أوروبا تعرفه حتى نقله إليها (جربر) من العربية إلى اللاتينية، هذا الرقم الذي تمَّ به حلُّ كثيرٍ من المشاكل الحسابية هناك بعد نقله.

ثانياً: انتقل الاستشراق من الفرديّة إلى العمل الجماعيّ والمؤسّسي على يد الراهب الفرنسي بطرس المبجّل الذي كان رئيساً لدير كلوني الشهير في جنوب فرنسا، حيث أمرَ هذا الراهبُ بتنفيذ أوَّلِ ترجمةٍ لاتينيّةٍ للقرآن الكريم، وأشرف على العاملين عليها بنفسه وكان يدفع لهم أجورهم منه، وكان هدفه من هذه الترجمة دراسة القرآن للطعن فيه، وبيان نقاط ضعفه وتناقضاته!!. وكان يؤُمن بحتميّة الصراع والصدام مع الإسلام، ولكن ليس بالسيف، وإنّما بالكلمة والإقناع والحجّة "وفي نظرته للمسلمين كهراطقةٍ، اعتقد بطرس المبجل بإمكان إعادتهم إلى فلك الكنيسة، وذلك إذا تمكَّن اللاهوتيون والمبشّرون المسيحيون من أن يُظهِروا لهم بشكلٍ مقنعٍ، أين تكمن انحرافاتهم وضلالاتهم. وحول نوايا بطرس المبجل هذا تشهد رسالته التي وجهها إلى العرب، ويقول فيها: "من بطرس الفرنسي الجنسية، المسيحي العقيدة، الآباتي في الخدمة الكنسية، من أولئك الناس الذين يُطلق عليهم الرهبان ... إلى العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل، الذي يدعى محمداً ..."[1].

---

[1] جورافسكي، إليكسي، الإسلام والمسيحيّة من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، ص ٧٩، ط١، ٢٠٠٥، دار الفكر، بيروت.

ويصف "جورافسكي" بطرسَ المبجلَ هذا بقوله: "فيمكنُ من دونِ أيٍّ مُبالغةٍ تسميته مؤسِّس الدراسات الإسلامية لدى مسيحيي القرون الوسطى"[١].

ثالثاً: انتقل الاستشراق إلى المرحلة الرسميّة بعد صدور قرار مجمع فينّا الكنسي عام ١٣١٢م.

"وُلِدَ الاستشراق بقرارٍ كنسيٍّ، ونشأ وترعرع في أحضان الكنائس الأوروبية، واستمدَّ منها قوّته ومقوّمات بقائه. وفي الغرب المسيحي يُؤَرَّخُ لبدء وجود الاستشراق الرسميّ بصدور قرار مجمع فينّا الكنسي عام ١٣١٢م، بتأسيس عددٍ من كراسي الأستاذية في (اللغات) العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونا وأفينيون وسلامانكا، وتأسَّس كرسيُّ اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان،وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكُسفورد على نفقة ملك إنجلترا، ويعتبرُ كثيرٌ من المؤرخين لحركة الاستشراق أنَّ هذا المؤتمر هو البداية المنظَّمةَ وشبهَ الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتَبِعَ ذلك انتشارُ المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنيّة بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفةٍ خاصةٍ"[٢].

ولم تتردّد الكنيسةُ الكاثوليكية يوماً في الإفصاح عن أهدافها من إنشاء المؤسَّسة الاستشراقية وكونها تمهيداً لارتداد العرب إلى المسيحية؛ ولذلك فقد نصَّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربيّة في جامعة كامبردج عام ١٦٣٦م على أنّ الكرسيَّ أُنشئ بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات. ولم تقتصر جوانب التنصير في المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدَّتها إلى الممارسة والتنظيم، فقد كان الرهبان في طليعة المستشرقين"[٣].

وممّا سبق يتوضّح لدينا مدى التداخل الكبير في مهمّة كلٍّ من المُستشرِق والمُبَشِّر، ولعلَّ هذا التداخل يدعم صحّة ما ذهبنا إليه من القول بالطبيعة الدينيّة والدّافع

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٧٩.

(2) انظر:

أ. سعيد، [م. س]، ص ٨٠.

ب. زقزوق، [م. س]، ص ١٨.

ج. عبد المحسن، عبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، ص ٤١، بحث منشور في موقع المفكرة الدعوية الإلكترونية.

(3) عبد المحسن، [م. س]، ص ٤١.

العقدي للاستشراق. ولعلّ هذا التداخل في الوقت ذاته أكبر دليلٍ على عدم موضوعيّة وحيادية الاستشراق الديني، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ البابوات كانوا يرصدون انتشار العقيدة والفكر الإسلاميّ في أوروبا، وينظرون إليهما بكلِّ الخوف والقلق والترقُّب، ولعلَّ هذه الأسباب ذاتها هي التي كانت على الدوام تدفع المستشرقين للتحيُّزِ والغضب والتعصّب عندما يتعلقُ الأمرُ بالإسلام والمسلمين!! وإلا فبماذا نعللُ عدم غضب المستشرقين وتعصّبهم عندما تتعلق الدراسة بموضوعِ دينٍ آخر غير الإسلام كالبوذية أو الشّنتوية أو الهندوسية مثلاً؟؟ نعم، لقد أنشأت الكنيسةُ المؤسساتِ الاستشراقية وقدّمت لها الدّعم الكامل، وما ذلك إلاّ لتحارب الإسلام من خلالها وتطعن فيه على لسانها. "إنَّ الدِّراسات الاستشراقيَّة الإسلاميّة مَا قامت أوّلَ ما قامت إلا بوحيٍ من الكنيسة الكاثوليكية خاصّةً للانتقاص من تعاليم الإسلام، وإهدار قيمه حرصاً على مذهب (الكثلكة) من جانبٍ، وتعويضاً عن الهزائم الصليبية المتلاحقة في تحرير بيت المقدس من جانبٍ آخر، ثم تبنَّى الاستعمارُ الغربيُ هذه الدراسات في الجامعات الغربية نفسها"[1].

ولعلَّ هذا الكلام لا يقعُ بعيداً عن رأي "بنت الشاطئ" التي أجابت عن الأسئلة حول نشأة الاستشراق بقولها: "فحِينَ نسْألُ التاريخ عن حركة الاستشراق وكيف نشأت؟ يلقانا جوابُه الصّريح بأنّها أوّلَ ما قامت في رعاية الكنيسة الكاثوليكيّة، وخضعتْ لإشرافٍ مُباشرٍ من كبار أحبارها"[2].

والسؤال الذي يطرحُ نفسه الآن هو إن كان المستشرقون من الرهبان الكاثوليك الأوائل قد تعمَّدوا مهاجمة الإسلام والطّعن فيه والبحث عن (عيوبه) و(نقائصه) و(تناقضاته)، فعلى أيِّ شيءٍ في أُسس الإسلام وأركانه تمَّ الهجوم؟؟؟ والجواب على هذا السؤال طويلٌ ومعقّدٌ، وهذا يتناسب تماماً مع طول وكثرة التفريعات والتعقيدات التي تفرّعت عنه، ولكنها في العموم تنضوي تحت الكلمات التالية: لقد تركَّز هجوم الاستشراق الديني الكاثوليكي في الإسلام على مصدريّته المتمثّلة في القرآن الكريم وسنّة رسول الله ﷺ وشخصه الكريم. ولم يكن تركيزُ الهجوم على هذه النواحي عبثاً بل لقد جاء عن دراسةٍ وعنايةٍ ودقّةِ اختيارٍ:

---

[1] البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٩، ١٠، ط٣، مكتبة وهبة.

[2] انظر: تراثنا بين ماضٍ وحاضر ص ٥٢، طبعة عام ١٩٦٨، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربيّة.

١. فالهجوم على رسول الله ﷺ كان بهدف هدم الصورة المثالية لشخصه وأفعاله في نفس وقلب كلِّ مُسلمٍ وزعزعة الثقة به، كيف لا وهو القدوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر؟؟ وسنأتي على بعض الشّبهات المتعلّقة بهذا الصدد عند الحديث عن المقارنة بين محمدٍ وعيسى، عليهما الصلاة والسلام.

٢. أمّا الهجومُ على القرآن الكريم، فقد كان بهدف نزع مصدريّته الإلهية وذلك من خلال الزّعم (السّخيف) بأنّه ذو مصادرَ بشريّةٍ متنوّعةٍ ومتضاربةٍ، وأنّ عقائده وتشريعاته كلّها إنما هي مَنْحُولةٌ من الأديان والمذاهب والملل التي كانت متواجدةً في شبه جزيرة العرب وبالذات المذاهب المسيحية المندثرة كالأبيونيّة[١] المُهَرطِقة التي كانت تنكرُ ألوهية المسيح ولا تعترفُ بها. ويصرُّ هؤلاء المستشرقون الرهبان على أنّ واسطة الاتصال بين محمدٍ والأبيونيين كان الراهب الأبيونيّ المعتَقَدِ ورقة بن نوفل!! كما يذهب هؤلاء المستشرقون الرهبانّ إلى القول بأنّ إنكار محمدٍ لصلب المسيح إنما أخذه محمدٌ عن بعض أتباع الفرق الدوسيتيّة الغنوصيّة[٢] الذين كانوا يتواجدون في بعض بقاع شبه الجزيرة العربية.

ومن الجدير ذكره في نهاية الحديث عن استهداف المستشرقين الرهبان للقرآن الكريم العبارة الشهيرة للمشترق المبشِّر (جون تاكلي)، وهي: "يجب أن نستخدمَ كتابهم وهو أمضى سلاحٍ في الإسلام ضدَّ الإسلام نفسه، لنقضيَ عليه تماماً. يجبُ أن ترى الناسُ أنَّ الصحيح في القرآن ليس جديداً وأنَّ الجديدَ فيه ليس صحيحا"[٣].

---

(1) الأبيونيون: طائفة مسيحية قريبة الشبه باليهودية من حيث استمساكها بدرجات متفاوتة بالتعاليم الموسوية، تميز عقيدتهم بتمسكهم بالتوحيد المجرّد، وإنكارهم دعوى تأليه المسيح، واعتباره مجرد إنسانٍ، والتزامهم بكتب موسى والأنبياء وما تقضي به من شعائر وفروض. يتحدثون الآرامية وبالرغم من أن معظم أتباعها من اليهود اتخذوا لهم لقب الناصريين فقد اتبعها عدد من الأمم (أي من غير اليهود). ظهرت الأبيونية في أيام المسيحية الأولى، لكنها لم تصبح مذهباً له اتباعه ومريدوه إلا في أيام الإمبراطور تراجان (٥٢ – ١١٧م). انكروا أن يكون بولس رسولاً وكان لهم إنجيلهم الخاص وهو إنجيل متى (بصورة مختلفة عما هو معروف الآن). وكان رأيهم أن المسيح رجل عادي حُبِلَ به بالشكل العادي ولم يتميز سوى ببره وعطية الروح القدس السامية.

(2) الدوسيتية Docetism: مشتقّةٌ من فعل يوناني يعني (يظهر أو يبدو)، فهي تعني "الظاهرية" أي المذهب القائل أن يسوع كان له جسد ظاهري (وهمي) وليس جسداً حقيقياً، وأن الذين قتلوه وصلبوه لم يقتلوه ولم يصلبوه لأنهم كانوا واهمين (شبه لهم) وأنهم لم يقتلوه حقيقةً. والدوسيتيون الغنوصيون هم أول من قالوا أن المسيح لم يقتل أو يصلب، وإنما شُبِّه لأعدائه من اليهود والرومان أنهم صلبوه= =وقتلوه،وذلك لأنهم أنكروا مجيء الله في الجسد، أي أنكروا أن يكون يسوع هو الله أو ابن الله. وهذه الفكرة ترجع إلى القرن الأول المسيحي، وبالرغم من أن العهد الجديد قد أشار إلى فرقة الدوسيتية، فإن عقائدهم لم تتبلور وتكتمل حتى القرنين الثاني والثالث. ولقد واجهت معارضة قوية من الكتّاب المسيحيين الأوائل بدءاً من أغناطيوس الإنطاكي وإيرانيوس في القرن الثاني. ولقد أدينت الدوسيتية رسمياً في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م.

(3) عبد المحسن، [م. س]، ص ١٨

ويمكننا في ختام الحديث عن هجوم المستشرقين الرهبان على مصدريّة الإسلام أن نستنتج أنّ المستشرقين إنما كانوا يستهدفون فكَّ التلازم الضروري في الإسلام بين القرآن والرسول الكريم والوحي في محاولةٍ منهم "للإضعاف التدريجي للاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الإضعاف من الانتقاص والاضمحلال الملازِم له، وأنّه سوف يُفضي بعد انتشاره في كلّ الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها"[١].

كانت تلك الجذور الأولى للاستشراق. وقد رأينا كم لعبَ الدينُ دوراً محوريّاً فيها، بدأ الاستشراق بمحاولة صدّ المسيحيين عن الدخول في الإسلام والحدّ من انتشاره في القارّة الأوروبية، ثم تطوَّر ودخل مرحلة تشكيك المسلمين بدينهم ومصدريّة قرآنهم الكريم والسنّة الشريفة ورسمِ علامات الاستفهام حول شخصيّة وأخلاق وأعمال الحبيب المُصطفى، وتشويه صورته في عيون العالمين.

ثمَّ تولّدت عن الاستشراق الدعوة إلى تبشير (أو تنصير) المسلمين وتلازمت الدعوتان (الاستشراقية والتبشيرية) حتى غدا الفصلُ بينهما صعباً جداً في كثيرٍ من الأحيان؛ إذ أنّ هدفهما واحدٌ وسياساتهما متشابهةٌ ...

ويمكننا في نهاية هذا المبحث تلخيص موقف المستشرقين الرهبان من رسالةِ محمدٍ ﷺ فيما يلي: إنَّ الصورة المتولّدة في التصوّر الغربي عن الإسلام والمسلمين وكتابهم ونبيِّهم هي نفسها الصورة التي لم تزدها الدِّراسَاتُ المقبِلَةُ إلا رسوخاً وتأكيداً، والتي جَهد المُستشرقون من المبشِّرين في تعميقها، وذلك عن طريق إعادة الأباطيل في صِيَغٍ تبدو عليها مسحةٌ كاذبةٌ من ادّعاء العلم والموضوعية، كما تشهد بذلك دراسات أكابر المُستشرقين من المبشّرين الذين حصروا همهم في ما يأتي:

١. إثبات القول ببشرية القرآن، وأنه من صُنع محمدٍ ﷺ، وامتلاء القرآن بالتناقض والاختلاف.
٢. إنّ القرآن كتابٌ مُلَفَّقٌ، جُمِعَ ورُكِّبَ من موادَّ مستقاةٍ من اليهودية والمسيحية، وقد وقعت فيه الزيادة والنقصان والتحريف والتشويه.

---

[١] المرجع السابق، ص ١٨

أماّ عن محمدٍ ﷺ، فهو عند بعضهم أحدُ العباقرة وعند بعضٍ آخر أحدُ الأبطال العظام، وعند آخرين منهم أنه ناقلٌ ذكيٌّ من الكتب القديمة، أو متعلِّمٌ من رهبان النصارى، وقد أجاد في تعلُّمِه منهم.

خلاصة شبهات الاستشراق الدّيني

إنّ من المفيد حصر وتلخيص أبرز النقاط المشتركة والشبهات التي خرج بها الرهبان المستشرقون في العصور الوسطى، لأنها في مجموعها وتراكمها ساهمت في ترسيخ صورةٍ سلبيّةٍ مرعبةٍ عن الإسلام، وقد استمّرت هذه الصّورة حتى يومنا هذا ولكن مع تعديلٍ طفيفٍ وتغيُّراتٍ شكليّةٍ لم تمس جوهرها.

ولعلَّ أبرز ما استقرّ لديهم عن الإسلام ونبوّةِ محمدٍ ﷺ ما يلي:

أولاً: الإسلام هرطقةٌ مسيحيّةٌ شديدة الخطورة يجب التصدّي لها ومواجهتها بكُلِّ ما هو ممكنٌ ومتاح.

ثانياً: المسلمون هراطقةٌ تجب محاربتهم، أو على الأقلّ إعادتهم إلى المسيحيّة الصحيحة.

ثالثاً: تاريخ المسلمين مُضحِكٌ، وهو مليءٌ بالأكاذيب والقصص المعيبة.

رابعاً: يعبدُ المسلمون إلهاً غيرَ حقيقيٍّ، وهو الإله الذي دعاهم محمدٌ إلى عبادته.

خامساً: المسلمون جبريّون، يقولون بعدم حريّة الإرادة البشريّة.

سادساً: محمدٌ شريرٌ وقذرٌ، وقد قام بتعليم أتباعه إنكار الدّين المسيحي.

سابعاً: مارس محمدٌ السّلب والنّهب، وكان دائم الاعتداء على جيرانه من القبائل العربيّة واليهوديّة تحت مُسمّى الغزو والجهاد.

ثامناً: اتّسع مُلكُ محمدٍ وتوسّعت رقعة إمبراطوريّته وانتشر دينُه عن طريق السّيف وقوّة السّلاح والإكراه والإجبار.

تاسعاً: أخذ محمدٌ تعليات الإسلام عن طريق بعض الرهبان المهرطقين، مثل بحيرا النُّسطوري وورقة بن نوفل.

عاشراً: ادّعى محمدٌ النبوّة وسط مجموعاتٍ من البدو الذين لم يفهموا شروط النبوّة ولم يعرفوا علاماتها، فلمّا عرفوا كذبَهُ طردوه من مكّة.

حادي عشر: عرف محمدٌ اسم (جبريل) من الكتاب المقدّس.

ثاني عشر: قدّم محمدٌ الجنّة في القرآن الذي جاء به لأتباعه في صورةٍ حسّيّةٍ مليئةٍ بالشهوات.

ثالث عشر: اتخّذ محمدٌ لنفسه العديد من الزوجات الصغيرات السنّ والكبيرات، وكان مُفرِطاً في الزِّنى.

رابع عشر: مارس محمدٌ عمليات القتل الجماعيّ وخطّط للعديد من الاغتيالات لأبرز أعدائه وخصُومه.

خامس عشر: ضيَّق محمدٌ على القبائل اليهوديّة وسلبَ أموالها وقسّمها بين أصحابه بعد أن أخذ الخُمسَ منها.

سادس عشر: تميَّز محمدٌ بشهوانيةٍ مفرطةٍ منافيةٍ للأخلاق، ورغبةٍ شديدةٍ في النّساء حتّى أنّه لم يتردد في أمرِ خادمه زيد بن حارثة بأن يُطلّق زوجته الجميلة ليقوم هو بالزواج منها بعد ذلك.

سابع عشر: كانت صنعةُ محمدٍ التي أبدع فيها تدبير الحروب وتوجيه الطّلائع لشنّ الغارات.

ثامن عشر: سَرقَ محمدٌ قصص الأنبياء من التوراة والإنجيل بعد اطّلاعه عليها، فحكاها لأصحابه وأتباعه زاعماً أنّ وحيّاً من السّماء نزل بها عليه.

تاسع عشر: حرصاً منه على إيجاد أتباعٍ يتّسمون بضيقِ الأفق ولا يسعون لاكتشاف زيف شريعته، منع محمدٌ أتباعه من قراءة التوراة والإنجيل.

عشرون: لو كان محمدٌ رسولاً لما مات بسبب الأكل من شاةٍ مسمومةٍ.

الحادي والعشرون: لم يأتِ محمدٌ بالمعجزات، وكلُّ ما جاء به إنما هو كتابٌ مليءٌ بالمتناقضات المنافية للعقل سمّاه القرآن.

الثاني والعشرون: كلُّ ما وافق الكتابَ المقدّسَ من كتاب محمدٍ (القرآن) إنما هو صحيحٌ، سرقه محمدٌ ونحلَهُ من الكتاب المقدّس، وكلُّ ما خالف الكتاب المقدّس والعقائد المسيحيّة من آيات كتاب محمّدٍ فهو مكذوبٌ وباطلٌ من افتراءات محمدٍ واختلاقه.

الثالث والعشرون: محمدٌ رجلٌ فاقت سيئاته كلَّ حدٍّ معقول، عاش حياةً غير حميدةٍ وكان غارقاً في حمأة الدنيا وشهواتها.

الرابع والعشرون: كان محمدٌ واسع الحيلة، وكان يمارس السّحر، وعن طريق ذلك ثبّت دينه وأغرى الناس باتّباعه.

الخامس والعشرون: يُنكِرُ المسلمون ألوهيّة المسيح ويُنكرون واقعة صلبه ويرون أنّه رسولٌ فقط.

السادس والعشرون: محمد مهرطقٌ مسيحيٌّ تزوّج أرملةً ثريّةً استغلَّ أموالها، وكان مصاباً بنوباتٍ متتاليّةٍ من الصَّرع.

نعم، هذه هي خلاصةُ ما ترسّخ في عقول هؤلاء عن الإسلام وعن الرسول الكريم ﷺ، وهذا لم يكن ناتجاً عن قلّة المصادر المُنصفة المُعَرِّفة بالإسلام بين أيديهم،لا ولكنّه كان ناتجاً وبالدرجة الأولى عن كراهيتهم لهذا الدين وأهله ورفضهم له، بغضّ النظر عن كلِّ الذي فيه من سعادةٍ للبشريّة وخيرٍ للخلق أجمعين. **﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا**

﴿تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾[1]. ولئن كانت الكراهية الناجمة عن الجهل بالشيء مؤلمةً فإنّ الكراهية الناجمة عن العلم بالشيء لهي أشدُّ إيلاماً وأَمَرُّ وأدهى. يقول الأب الكاثوليكي "روبير كاسبلر": "إنّ الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً، ولم يحاول ذلك مُطَلقاً. وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربةٍ من الإسلام ... لم يتمكّنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، وهي: التصعيد إلى الله الواحد الأحد. ولعلَّ ذلك يرجع أساساً إلى أنّ الغرب المسيحي اكتفى قروناً طويلةً بتلطيخ الإسلام ونبيّه بأسخف الأقوال، من دون أن يُكلِّفَ نفسه عناء دراسة هذه العقيدة"[2].

وممّا يُلاحظُ في ختام إيرادنا لأبرز شبهات الرهبان المستشرقين في العصور الوسطى، أنّ معظم الذين عملوا في الاستشراق الدّيني من الرهبان الكاثوليك قديماً وحديثاً قد عملوا على ترجمة القرآن الكريم أو بالأصحّ قاموا بمحاولاتٍ خبيثةٍ فاشلةٍ لترجمة القرآن الكريم، وأنّهم قد استندوا في مؤلفاتهم ضدّ الإسلام على ترجمات أسلافهم مثل: بطرس المبجل وروبرت ألكيتوني وهيرمان دلماتا ويوحنا السيغوفي ونيكولاس الكويسي لكتاب الله العزيز، وقد تقدّم ذكر أبرز سلبيّات هذه الترجمات ومدى انحرافها عن جادّة الحقّ والصواب. والغريب في الأمر أنّ المستشرقين المتأخرين في القرنين الماضيين إنما تأثروا بهذه الترجمات المغلوطة المشوّهة السّابقة، واتخذوها قواعد ينطلقون منها في فهمهم للإسلام والتعريف به. ومسألة تشويه هؤلاء لتفسير القرآن الكريم وترجماته مسألة ينبغي التوقّفُ عندها مطوّلاً؛ ذلك أنّها لم تكن مسألةً عشوائيةً أو محض صُدفةٍ، لا، وإنما كانت تلك مسالةً ناتجةً عن دراساتٍ مُعَمَّقةٍ وتخطيطٍ مسبقٍ يستهدف ضرب القرآن الكريم بوصفه أبرز مصادر التشريع الإسلامي، ولقد قامت هذه المسألة على منهجيةٍ محسوبةٍ، وتمّ تنفيذها وفق آلياتٍ نستطيعُ أن نلتمسَ أبرز معالمها فيما يلي[3]:

- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم.
- التحكُّمُ فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص.

---

(1) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(2) عبد العزيز زينب، محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام، ص ٤٠، ط ١، ١٩٩٣، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

(3) التمسماني، محمد حمادي الفقير، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها، ص ١٤ – ١٨ بتصرف واختصار. دراسة مطوّلة منشورة على شبكة الانترنت، في موقع شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.org.

- تحريف النصّ تحريفاً مقصوداً.
- حرصهم على تجاوز كل ما من شأنه أن يُثبتَ أنَّ القرآن كلام الله.
- تصيُّدُ النّصوص الملائمة والموافقة لهواهم.
- الخلط بين شيءٍ قليلٍ مما هو مبثوث في المصادر وبين ما كانت تمليه تخيُّلاتُ وتكهّناتُ المستشرقين.
- اندفاعهم نحو الترجمة الكيفيّة لا الصحيحة والعلمية، أو حتى النسبية إلى حدٍّ ما، إمعاناً منهم في التحريف والتضليل.
- اهتمامهم بنشر الترجمات التي تنطوي على الأضاليل والأخطاء الفنيّة والشّطحات بدافع الحقد والتعصب.

وعلاوةً على ما سبق فقد اتَّسموا جميعاً، ولكن بتفاوتٍ، في الجهل بأسرار اللغة العربية، والفهم المقتصر على جانبٍ واحدٍ من المعنى، والخلط بين معاني الكلمات العربية المختلفة، والجهل بالتورية القرآنية، والانحراف بالنّص عن قصده الحقيقي، والجهل بالمعاني الدقيقة للكلمات العربية. "كما أنهم كانوا يُمَهِّدُونَ لعملهم هذا بكتابة دراساتٍ ومقّدماتٍ لا تَّحصى عن القرآن [توضَعُ في بداية الترجمة]، وهي غالباً ما تتضمن التشهير بالإسلام والنبيّ ﷺ، لكي يترسَّخَ في ذهن القارئ الغربي بالدرجة الأولى زيف الإسلام وكراهيته"[1].

[1] المرجع السابق، نقلاً عن محمد صالح البنداق في كتابه "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" ص ١٠٨، ط٢، ١٩٨٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

المبحث الثاني
نماذج من الرهبان المستشرقين في العصور الوسطى
أولاً: بطرس المبجَّل ... وأولُ ترجمةٍ للقرآن الكريم

تقدَّم فيما سبق الحديثُ عن نشأة الاستشراق، وعن الطبيعة الدينيّة التي اتَّصفَ بها. كما تقدّم الحديثُ على أنّ الكنيسة إنما أنشأت المؤسّسة الاستشراقية، وقامت بتقديم الدّعم الكامل لها، لتكونّ واحدةً من أدواتها في محاربة الإسلام عقديّاً وفكريّاً، بهدف الصدِّ عنه والحدِّ من انتشاره في القارّة الأوروبيّة. وقد تسنّى للكنيسة تحقيقُ هذا الهدف، من خلال رجالاتها ورهبانها الذين عكفوا على دراسة الإسلام ومصادره، وعلى رأسها القرآن الكريم وذلك في محاولةٍ منهم للبحث عن تناقضاتٍ وعيوبٍ ونقائصَ تُثبتُ بشريّة وضعه وتُبطلُ القول بإلهيّة مصدره. وقد كان أبرز مَنْ تصدّى لذلك الراهب بييرموريس دي مونتبوسيير، الذي اشتُهِرَ في التاريخ باسم بطرس المبُجَّل (أو المحترم / المكرّم)؛ حيث قدَّم للعالم المسيحي الغربي آنذاك مشروعين هامّين جدّاً، كان لهما كبير الأثر في خلق الجدل العدواني العنيف ضد الإسلام، وتشويه صورة القرآن الكريم والمعتقدات الإسلامية في عيون الدارسين لها من الأجيال اللاحقة. وهذان المشروعان هما:

١. الترجمة الأولى للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينيّة.
٢. ترجمة الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها.

وقد شرع بطرس المبجّل في تنفيذ هذين المشروعين (أو بالأصحّ الإشراف عليهما بنفسه) بعد تولّيه رئاسة دير كلوني[1] الذي كان واحداً من أشهر الأديرة وأكثرها نفوذاً على الإطلاق ....

---

[1] كلوني: أطلق الدير البندكتي في كلوني، من مقاطعة بورغونديا في جنوب فرنسا، حركةً إصلاحيةً هدفت إلى "تنصير" أوروبا، وتلقين الناس فيها القيم المسيحية الحقيقية. وفي نهاية القرن العاشر، وعلى امتداد القرن الحادي عشر، شكّلت كلوني والأديرة البندكتية الأخرى، التي انضوت تحت لواء تلك الحركة الإصلاحية، أقوى مؤسسة وأوسعها نفوذاً في طول أوروبا وعرضها. وقد نال ديركلوني منزلة الحصانة تحت الحماية المباشرة للبابا في روما، والحقَّ المُطلقَ في أن ينشئ أديرةً أخرى تابعةً لهُ، وخلال القرنين التاليين من تأسيسه، نال ديركلوني تأثيراً كبيراً وثروةً ضخمةً، وأصبح في الواقع عاصمةً للإمبراطورية الدِّيرية حيث كان يتبعه أكثر من ستمائة دير، والألوف من الرُّهبان في أوروبا. وأصبح رهبان ديركلوني بابوات وكرادلةً، وكثيرٌ من رؤسائه كانوا مستشارين للأباطرة والملوك. ومن أشهر رهبان ديركلوني الذين وصلوا إلى منصب البابوية، البابا جريجوري السابع، وتلميذه البابا أوربان الثاني الذي أطلق الحروب الصليبيّة ضد المسلمين.

كانت فكرة عقد مناقشةٍ فكرّيةٍ مع الإسلام تتردّد في عقل بطرس المبجّل بين الفينة والأُخرى، ولكنّها اختمرت واكتملت عندما كان في إحدى جولاته التفقديّة للأديرة البندكتية التابعة لديركلوني في إسبانيا عام ١١٤٢م. والذي شجّعه على المضيّ قدماً في هذه الفكرة أنّه التقى ببعض الرهبان الكاثوليك الذي يعرفون اللغة العربية (لغة القرآن ومحمد ﷺ)" ممّا يُسَهِّلُ عمليّة محاججة الإسلام والمسلمين في حال تمّت ترجمة قرآنهم وتشريعاتهم إلى اللغة التي يجيدها الرهبان ويتكلّمون بها.

إنّ الرسالة التي بعث بها هذا البطرس المبجّل للمسلمين، والتي سبق إيرادها في الفصل الأول من هذه الدراسة، تدلُّ وبشكلٍ واضحٍ على مدى الكراهية التي كان يحملها هذا البطرس للإسلام والمسلمين، وما كانت رغبته في ترجمة القرآن مُندرجةً إلاّ تحت هذه المشاعر التي تعتملُ في قلبه تجاه المسلمين. ولكنّه، وعلى خلاف الكثيرين من الرهبان آنذاك، كان يدعو للمواجهة الفكرية العقديّة السلميّة القائمة على الحوار في مواجهة الإسلام وبعيداً عن المواجهات العسكرية الحربية المُسلّحة (بعد أن أثبتت التجربةُ فشَلها طبعاً)، وقد كان يدعو على الدوام لمواجهة الإسلام بوصفه هرطقةً يجبُ دحضُها، ولكنّ الذي يختلفُ عنده عن غيره هو الشكل الذي اختاره لهذه المواجهة؛ فقد نادى بأن تكون غيرَ عسكريةٍ. ولكنّ هذه الفكرة (ترجمة القرآن لبيان كذبه وتناقضاته) لم ترُقْ للكنيسة الكاثوليكية، ولم ترُق للرهبان الفرنسيين والإسبان آنذاك، ممّا اضطرَّ بطرس المبجّل لتقديم المبرّرات والدوافع التي أدّت به إلى الإقدام على مثل هذا النوع من الأعمال فقال: "إذا بدا أنَّ العمل الذي أدعو له غيرُ ضروري الآن، لأنَّ العدو لن يتأثر بهذا السلاح، أجيبُ أنَّ بعض الأعمال التي تجري في مجال سُلطة الملك الأفخم إنما تتمُّ من أجل ضرورات الدفاع، أمَّا بعضُها الآخر فليس له غيرُ مهمةٍ تزيينيةٍ، والباقي يجري للمستقبل لا للحاضر. فسُليمانُ المحبُّ للسلام كان يصنع سلاحاً لم يُستغَلْ في أيامه، وداودُ أمرَ بصنع زخارف للهيكل رغم عدم تَبَيُّن مِعاصريه فائدةَ مثل هذا العمل. وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يمكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقلَّ مِن أن يستفيد العلماءُ المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السُّذّجِ الذين يمكن أن تضيرَ هذه الصغائرُ عقيدتهم"[1].

---

[1] سوذرن، [م. س]، ص ٨١، ٨٢.

لقد كان بطرس يرى في الإسلام "هرطقةً مسيحيةً" هي آخر الهرطقات وأشدُّها ضرراً. ويعتقد أنَّ التحدّي الإسلامي لم يجد إجابةً مسيحيةً مناسبةً حتى أيامه، ولهذا رأى أنه من الضروري مواجهة هذه الهرطقة التي شكّلت، بزعمه، الأصلَ والمنبعَ لكل الهرطقات التي كانت تغزو المسيحية الأوروبية التقليدية آنذاك، فإذا كان الإسلام لا يشكِّلُ خطراً عسكرياً مباشراً، فلا شك أنه شديد الخطورة فكرياً، لذا لا بد من التعرّف عليه لِتُمْكِنَ مكافحته. وواضحٌ من كلامه السابق أنّه إنما كان يطمعُ في إعادة المسلمين (الهراطقة) إلى المسيحيّة الصحيحة، كما كان يرى في هذه الترجمة دفاعاً عن المسيحية ضدّ العقائد الإسلامية المُضِرَّة التي لربّما تؤثِّرُ على معتقدات بعض المسيحيين السُّذَّج غير المتمكّنين من دينهم كما ينبغي. وعلى كلٍّ فقد مضى هذا الراهب بطرس في تنفيذ فكرته وإخراجها إلى حيِّز الوجود، متجاهلاً كلَّ اعتراضات الرهبان على وجود مثل هذا النوع من الترجمة، فالتقى في إسبانيا "براهبين زائرين هما: روبرت ألكتوني الإنكليزي، وهرمان دلماتا. وكان الراهبان المذكوران ينقّبان عن نصوص في الرياضيات وعلم الفلك، لكنَّ بطرس أقنعهما بالتعاون معه في مشروعٍ لترجمة أهمّ المخطوطات الإسلامية. وهكذا عمل روبرت وهرمان سويةً مع مسيحيٍّ إسبانيٍّ يُدعى بطرس الطليطلي، وشخص مسلمٍ يُدعى محمد السراساني، وأنتج هؤلاء مجتمعين سلسلةً من الوثائق التي ظلّت على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية على صعيد فهم الغرب للإسلام حتى القرن السادس عشر. فكانت هناك ترجمةٌ للقرآن، وتاريخٌ للعالم من وجهة النظر الإسلامية، وعرضٌ لتعاليم محمد، ومجموعةٌ من الحكايا الشعبية والخرافية الإسلامية، وعملٌ مبكرٌ من أعمال اللاهوت الجدلي ضد الإسلام بعنوان "اعتذار الكندي"[1]. والذي يهمّنا ويعنينا في هذه الأعمال هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينيّة، وترجمة الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها والتي سمَّتها آرمسترونج (اعتذار الكندي) في النّصِّ السّابق. "وقد عَلِمَ روبرت ألكيتوني من بطرس المبجّل أنّ هدفه تعريف الغرب النصرانيّ بالإسلام الذي يعتبرهُ هرطقةً من الهرطقات الكبرى التي هدّدت النصرانية، وأنَّ بطرس ينوي الردَّ على الإسلام، لذلك قام روبرت ألكيتوني

---

[1] انظر:

أ. آرمسترونج، كارين، الحرب المقدّسة، الحملات الصليبيّة وأثرها على العالم اليوم، ترجمة سامي الكعكي، ص ٢٨٣، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي، القاهرة.

ب. فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ص ١٥، ١٦، ط١، ١٩٩٦، دار قتيبة، دمشق.

ج. جورافسكي، [م. س]، ص ٨٠، ٨١.

د. عربيي، [م. س]، ص ١٤٤، ١٤٥.

بترجمةٍ خاطئةٍ مُغرضةٍ لمعاني القرآن الكريم، كان لها تأثيرٌ سيءٌ في صياغة تلك العقيدة الغربية الحاقدة تجاه الإسلام ونبيّه محمّد"[1].

ومن الأمانة القول: لقد أثارت ترجمة روبرت ألكيتوني للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينيّة بأمرٍ من بطرس المبجّل استياء معظم المؤرّخين المسيحيين المعاصرين الذين كتبوا عن أوروبا وتاريخها في العصور الوسطى، فأفردوا صفحاتٍ من كتبهم للحديث عنها وعن مساوئها والمآخذ عليها، وتكاد المعلومات والملاحظات التي ذكروها تتطابقُ، بالرغم من تعدُّد المصادر القديمة التي أخذوا منها ونقلوا عنها، ممّا يؤكّدُ صحّة القول بتعمُّد بطرس المبجّل وروبرت ألكتوني إخراج ترجمةٍ مشوّهةٍ مقصودةٍ للقرآن الكريم. وممّا يؤكدُ كذلك على أنّ هؤلاء المتأخرين كانوا مُحقّين في توجيههم الانتقادات لتلك الترجمة ولتشويهات روبرت ألكيتوني فيها، ومن ذلك[2]:

١. أنّ المترجِمَ روبرت الكيتوني قد غيَّر ترتيب السور القرآنية، وجاء بترتيبٍ جديدٍ لها، وقام بتقسيم بعض السِّور القرآنية الطويلة إلى مجموعةٍ من السِّور القصيرة، وبذلك وَصَلَ عدد السور القرآنية في ترجمته إلى مائةٍ وثلاثٍ عشرين سورةً بدلاً من مائةٍ وأربع عشرة سورة؟!!.
٢. لم يُدخل سورةَ الفاتحة في إحصائه للسِّور القرآنية، حيث اعتبرها مجرَّدَ دعاءٍ تمهيديٍّ يُتلى قبل الشروع في تلاوة القرآن، وهو بذلك قد قاسها على الدُّعاء المسيحي (أبانا الذي في السموات...).
٣. الترجمة الخاطئة لكلمة (وجيهاً) التي وردت في الآية ٤٥ من سورة آل عمران (إذا قالت الملائكةُ يا مريمُ إنّ الله يبشّركِ بكلمةٍ منه آسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في

---

[1] عودة، علي بن محمد، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد، ص ٦، بحث منشور في موقع نصرة رسول الله، النسخة الإلكترونية.

[2] انظر:

أ. هاغمان، لودفيغ، المسيحيّة ضد الإسلام حوار انتهى إلى الإخفاق، ترجمة محمد جديد، ، ص ٦٤ – ٦٩ بتصرف، ط٢، ٢٠٠٥، دار قدمس، سوريا.
ب. آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٨٥ – ٢٨٦.
ج. عودة، [م. س]، ص ٦، ٧.
د. جورافسكي، [م. س]، ص ٨١، ٨٢.
هـ. عبد المحسن، [م. س]، ص ٤٨ – ٥٠.
و. فوك، [م. س]، ص ١٧، ١٨.

الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين) فقد قرأ الكيتوني كلمة وجيهاً على أنها وجهٌ، وبناءً على ذلك عبَّر عنها بكلمة **(Facies)**.

٤. في ترجمته لبعض الآيات تعبيرٌ عن مدى الانحطاط والدّونية، وغيابٌ لأدنى درجات الأمانة العلمية؛ ويشهدُ على ذلك ترجمته للآية ١٤ من سورة آل عمرآن (زُيِّنَ للناسِ حُبُّ الشهوات من النِّساءِ والبنين ... الآية) فقد ترجمها بمعنى مجامعة الأبناء ومعانقتهم!!!.

٥. في ترجمته لسورة الهُمَزة، ترجم قوله تعالى (يحسَبُ أنّ ماله أخلده) بمعنى إنّ الذي يُخلِّدُه هو ماله!!! والسبب في ذلك أنّه في ترجمته قد حذفَ كلمة (يحسبُ) فأعطتِ الترجمةُ عكسَ المعنى المراد من الآية الكريمة!!!.

٦. حين ترجم روبرت ألكتوني كلمات سورة الغاشية: "فذكِّر إنما أنت مُذكِّر. لستَ عليهم بمسيطر)، انتقل الشارح هنا على حين غرّةٍ إلى الهجوم على النبيّ محمدٍ على نحوٍ يدعو للاستغراب، فقال: فلم تُعلّمُ إذن أنّ هدي الناس إلى دينك يجب أن يتم بحدِّ السيف؟ إذا كُنتَ مذكِّراً ولست بمسيطرٍ، فلِمَ تُخضِعُ الناس بالقوة لكأنها الحيوانات أو الوحوش الضارية، وليس بالحجَّة مثل الآدميين؟ إنك مثل الكذّاب، تناقضُ الحقيقةَ بنفسك في كل شي!!.

٧. أعطى معنى غامضاً لخطاب (يا أهل الكتاب)، وجعله يبدو في معظم الأحيان وكأنه موجّهٌ إلى المسلمين.

٨. أضفى على كل الآيات المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق معاني جنسيةً داعرةً بحيث تبدو للقارى الغربيّ، لا سيما الرهبان، مثيرةً للاشمئزاز والنفور، مثل:

أ. الآية ٢٣٠ من سورة البقرة (فإن طلَّقها فلا تحلُّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) ترجمها "فلا تحلُّ له حتى يطأها رجلٌ غيرُه"!!.

ب. الآية ٢٢٠ من سورة البقرة (.... ويسألونك عن اليتامى قل إصلاحٌ لهم خيرٌ، وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين) ترجم تخالطوهم بمعنى تمارسوا معهم اللواط!!.

ج. الآية ٢٢٣ من سورة البقرة (نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) ترجمها بمعنى "فأتوهن في أدبارهن"!!.

د. الآية ٥٠ من سورة الأحزاب (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ... الآية) ترجمها هكذا "نحن نجيزُ لك أزواجك اللائي آتيتهنَّ مهورهنَّ، وجميع إمائك اللائي أعطاكهنّ اللهُ، وبنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك، اللائي اتبعنك، وكل امرأةٍ

مؤمنةٍ إذا هي ترغب أن تقدّم جسدها أو نفسها للرسول، وإذا الرسول يرغب أن يضطجع معها فليفعل، وهذا خاصٌ لك وليس للمؤمنين الآخرين"!!.

إذاً، لم يكن روبرت الكيتوني يتمتّع ولو بأدنى درجات الإحساس أو الأمانة العلميّين؛ حيث أغفل ترجمة العديد من المفردات ولم يتقيّد بأصل السياق ولم يُقم وزناً لخصوصيات الأسلوب القرآني، بل بذل مجهوده (المنثور هباءً) على استشفاف مضمون مقصود أو فكرة كلِّ آيةٍ من كلِّ سورةٍ ثم ترجمها حسبما يلائمُ فهمه وهواه!!! وقد كان قدوته في ذلك الراهب بطرس المبجّل، الذي دفع له أجراً مجزياً ليقوم بمثل هذا النوع من الترجمة، فقد كان بطرس المبجل عندَ مهاجمته للقرآن الكريم أمام الرهبان والعوام من المسيحيين يقوم بانتزاع آياتٍ من بعض السِّور القرآنية ويعزلها عن سياقها ويفسِّرها على هواه؛ ومن ذلك تعليقهُ على قوله تعالى في الآية العشرين من سورة آل عمران (فإن حاجّوك فقُلْ أسلمتُ وجهيَ لله ومَن اتّبعنِ) بقوله: "ثمَّ ما هذا؟ إذا شاء أحدُهم أن يُحاججك، تقولُ إنك تسلّم وجهك ووجوه التابعين لك إلى ربّ العالمين. أيا محمد ... إذا أبيتَ الردَّ فيما خلا أنك توجِّه وجهَك ووجوه أتباعك لله، فهل أصدِّق أنَّ ما تقولهُ صحيح؟ هل أصدّق أنك نبيُ الله حقاً؟ وهل أصدّق أنَّ الدين الذي نقلتَهُ إلى قومك سُلِّمَ إليك من ربّ السماء؟ سأكون بالحقيقة أكثرَ من حمارٍ لو وافقتُكَ؛ وسأكون حتماً أكثر من سائمةٍ لو سلّمتُ معك"[1].

ولعلَّ ما نراه فاجعةً وطامّةً كبرى فيما يتعلقُ بهذه الترجمة، إضافةً لمضمونها وأهدافها، هو أنّها ظلّت طوال خمسة قرونٍ الأكثر استعمالاً، وعليها تقومُ أقدم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولنديّة. "ولم تجرِ إزاحة ترجمة القرآن اللاتينيّة لروبرت ألكيتوني بسبب ترجمة الإيطالي لودفيكو مرّاتشي إزاحةً نهائيّةً إلاّ في عام ١٦٩٨م، إذ كانت هذه أفضلَ وأكثرَ دقّةً بما لا يُقاس"[2] والعجيبُ المضحكُ في موضوع هذه الترجمة المشوّهة المليئة بالأغلاط، أنّ الكنيسة الكاثوليكية رأتْ أنّ هذا النوع من الترجمات "قد أدّى إلى التعرُّف على بعض حقائق الإسلام، ممّا دفع البابا الإسكندر السابع لأن يُصدر قراراً بتحريم ترجمة القرآن ونشره بل وإحراق نُسخه"[3]. وبناءً على تحريمات الكنيسة السابقة

---

[1] آرمسترونغ، [م. س]، ص ٢٨٧.
[2] هاغمان، [م. س]، ص ٦٩.
[3] عريبي، [م. س]، ص ١٤٥.

"بقيت ترجمة بطرس المبجل حبيسةَ محفوظات دير كلوني ولم يُفرج عنها إلاّ بعد أربعة قرون"[1].

وبالعودة للحديث عن هذه الترجمة المشوّهة التي خرجت بأمرٍ ودعمٍ من بطرس المبجّل نقول: إنّ دور المترجم الآخر المساعد لروبرت ألكيتوني وهو الراهب هرمان دلماتا اقتصر على ترجمة بعض المقالات المناهضة للإسلام وضمّها إلى كتاب الترجمة ألكيتوني، هذا إضافةً لقيام دلماتا بكتابة ما يزيدُ عن خمسٍ وأربعين صفحةً "تطعنُ كلُّها في مبادئ الإسلام وحياة النبي محمدٍ ﷺ وتاريخ الإسلام، وتصفه بِ "التاريخ المُضحك". وكان مرجعه في ذلك كلّه القصص والمحاورات المدسوسة الملفّقة المزعومة بين أحبار اليهود والنبي ﷺ، والمنشورة في الغرب تحت عنوان **(Doctrina Mahumet)**. وهي ذاتها الإسرائيليات المشهورة عند المسلمين باسم "مسائل عبد الله بن سلام". وكانت خلاصة ما كتبه هذا الراهب هرمان دلماتا عن الإسلام ما يلي:

١. مبادئ محمد (أو "تعاليم محمد" حسب بعض الترجمات).
٢. التاريخ الوهمي والمضحك للمسلمين.
٣.أمّةُ محمدٍ ونشوزها"[2].

وعلى أساس هذه الأعمال والترجمات، إضافةً للرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها، والتي سيأتي ذكرها تفصيلاً فيما سيأتي، صنَّف بطرس المبجّل الأعمال الجدليّة التي هاجم فيها الإسلام، وأبرزها كتاب دحض العقيدة الإسلامية **(Liber Contra Sectam Sive Haeresim Saracenorum)**. وقد انبرى الأستاذ علي بن محمد عودة لتحليل هذا الكتاب، ولعرض أبرز ما ورد في فصوله، وعرضَ مقتطفاتٍ مختصرةً منه، وقبل عرض هذه المقتطفات نذكّرُ بأنّ الكتاب المذكور كان يتكون من ستةِ فصولٍ هي:

---

[1] فوك، [م. س]، ص ٩٨.
[2] انظر:
أ. جورافسكي، [م. س]، ص ٨١.
ب. عربي، [م. س]، ص ١٤٥.
ج. عبد المحسن، [م. س]، ص ٥٢.

أ. الرب، المسيح، ويوم الحساب.	ب. النبي محمد.
ج. القرآن ومصادره.	د. الجنة والنار، والتعاليم الأخلاقية.
هـ. انتشار الإسلام.	و. الإسلام بوصفه هرطقةً مسيحيةً.

وكان مِمّا جاء في عرض الأستاذ عودة للكتاب ما يلي: "بعد أن عرض بتهكُّمٍ مشاهدَ يوم القيامة التي انفردَ بها القرآنُ ولا توجدُ عندهم في كتبهم المقدسة قال [بطرس المبجل]: "إلى هذا الحدّ الفعليّ **Mahumet** (محمد) القذر الشرير علَّمَ أتباعه إنكار جميع أسرار الدين المسيحي، وحَكَمَ تقريباً على ثلث الجنس البشري بعدم معرفة يوم الدينونة للرب، بواسطة حكاياتٍ مجنونةٍ يهذي بما لم يُسمع بمثلها استجابةً لإبليس والهلاك السرمدي"[1].

ثم يقدِّمُ في مجمله مختصراً مشوَّهاً لسيرة النبي (ﷺ) إلى أن يقول [بطرس المبجّل]: "هكذا كان **Mahumet** (محمد) ناشطاً جداً في الشؤون العالمية، وذكياً إلى أبعد حدٍّ، هو انبثقَ من الأصل الوضيع، والفقر إلى الغِنى والشّهرة، ونهض بنفسه إلى أعلى شيئاً فشيئاً، وتكراراً هاجم كلَّ أولئك الذين كانوا بجواره، وكان بشكلٍ بارزٍ يضمُّ إليه الأقرباء بالخداع والسلب، والغزوات، قاتلاً أيَّ شخصٍ غيلةً إن استطاع. هو ازداد رعباً بواسطة اسمه، وفي الوقت المناسب وصل إلى القمة بالنزاعات. ثم بدأ يطمح إلى منصب الملك على شعبه، ولمّا كان يدركُ أنه لا يستطيع أن يحقِّق هذا الرغبة بسبب أصله الوضيع. قرَّرَ أن يصبح ملكاً عن طريق السيف، وتحت قناع الدين وبواسطة الاسم [رسول الله]"[2]. ثم يتناول في مجمله القرآن ويرفض بشدّةٍ نبوَّةَ محمدٍ (ﷺ) ويزعم أنَّ القرآن له مصادر هي: إبليس، وسرجيوس (نسطوريوس) وبحيرا ... إلى أن يقول [بطرس المبجّل] ما نصه: "هكذا عُلِّمَ محمّدٌ من جانب أحسن علماء اللاهوت البارزين، والمتهرطقين، فأنتجوا قرآنه، ونسجوا معاً، في ذلك الشكل غير الفصيح، له كتاباً مقدَّساً شيطانياً، صُنِّف على حدٍّ سواءٍ من الخرافات اليهودية والأغاني العابثة للهراطقة، [مدّعياً] كاذباً أن هذه المجموعة جُلبت إليه سورةً وراء سورةٍ بواسطة جبريل، الذي عرَفَ اسمه من الكتاب المقدس في ذلك الوقت، هو [محمد ﷺ] أَفسدَ بِسُمٍّ

---

[1] انظر: عودة، [م. س]، ص ١٠ فما فوق.

[2] المرجع السابق نفسه ص ١٠ فما فوق

مُهلكٍ ذلك الشعب الذي لم يعرف الرب. وفي سلوك هذا المُفسدِ أن جعل في حوافِّ القدح المملوء بالعسل السمَّ المهلكَ الذي يتسرب معه، هو (محمد) حطَّم، واحسرتاه، الأرواحَ والأجساد لذلك الشعب البائس، ذلك الرجل، أثنى على الشريعة المسيحية واليهودية، والشرير مع ذلك يقتبس منها ويرفضها في الوقت نفسه"(١).

وبعد ذلك يتناول بطرس المكرَّم، الجنة والنار، والتعاليم الأخلاقية، ويهاجم التصوير القرآنيَّ للجنة والنار فيقول: "محمدٌ يصفُ عذاب جهنم كأنها تَسرُّهُ حتى يصفها، وكأنه كان ملائماً لرسولٍ زائفٍ كبيرٍ أن يخترع تلك الأوصاف. وهو يصور جنّةً ليست من مجتمعٍ ملائكيٍّ، ولا من تَجَلّي الرب، ولا من ذلك الخير الأعلى، الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ...، بل في هذه الطريقة هو وَصَفَهَا مثلما هو رغبَها أن تكون مُعدَّةً لنفسه، هو يَعِدُ أتباعه هناك بالأكل من اللحم، وكل أنواع الثمرات، هناك أنهار من اللبن والعسل والمياه المتدفقة. هناك العناق والإشباع الشهواني من النساء العذارى الأجمل، فيها أشياء كثيرة، جنّتُهُ كلها حسّيةٌ. ثم يتناول بطرس المكرم تعددَ الزوجات في الإسلام باعتباره عملاً من أعمال الزنى وفق المنظور الرهباني"(٢).

ثم يعود بطرس المبجل للهجوم البذيء على النبيّ (ﷺ) فيقول: "وبالإضافة إلى كل هذه الأشياء، هو استطاعَ أن يجتذب إليه الرغبات الشهوانية للرجال، حيث أطلقَ لهم الأعنّة للنهم والتلوث. هو نفسه كان له في ذات الوقت ستةَ عشرَ زوجةً ... مقترفاً الزنى كأنه شرطٌ بواسطة الأمر الإلهي، وبذلك أضاف إلى نفسه عدداً ضخماً من الناس المحكوم عليهم بالهلاك السرمدي"(٣).

ونرى في نهاية ذكرنا لكلمات هذا الراهب الحاقد بطرس المبجّل أنّ هذا البطرس لم يكن مُبجَّلاً البتّة، بل على العكس من ذلك، فمن الواضح أنّ مجموعته من الرهبان المترجمين كانوا يعانون من أزماتٍ أخلاقيةٍ ونفسيّةٍ نجمت عن الضّغط والقلق والرعب الذي كان الإسلام يسبِّبهُ لهم وللكنيسة الكاثوليكية التي كانت ترعاهم، فما كان منهم إلاّ أن قاموا بتجميع تلفيقاتهم وتزويراتهم وترجماتهم المغلوطة المشوّهة المكذوبة فيما سُمّيَ بـ (المجموعة الطليطليّة) أو

(1) عودة، [م. س] ص ١٢.
(2) المرجع السابق نفسه، ص ١٣.
(3) المرجع السابق نفسه، ص ١٤.

(فيلق كلوني) وهي المجموعة، لعظيم الأسف التي صارت المصدر الرئيسي للأوروبيين في استقائهم المعلومات والمعطيات عن الدين الإسلامي على مدى خمسمئة عامٍ تقريباً!!!.

وحتى تكتمل الصورة عن العمل الجماعي المنظَّم في تشويه هذه المجموعة الاستشراقية الرهبانية لصورة الإسلام وعقيدته وتشريعاته، فلا بدَّ لنا من الوقوف عند عملٍ خطيرٍ آخر من الأعمال التي قاموا بترجمتها ألا وهي الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها.

ثانياً: القدِّيس توما الأكويني[1]

انتهت حقبةُ بطرس المبجّل ومجموعته الطليطليّة وفيلق كولوني وما رافقها من مؤلفاتٍ جدليّةٍ كبرى ضدّ الإسلام والرسول محمدٍ ﷺ، وبزغ بعدها نجمُ راهبٍ جديدٍ حمل رسالة سابقيه، وتصدّى بكلِّ عزمه لمحاربة الإسلام وللدِّفاع عن العقائد المسيحيّة في وجه كلِّ المخالفين لها، وبالذات المسلمين الذين كان الأكويني يعتبرهم وثنيين وليس مجرد هراطقةٍ مُجدِّفين.

كان هذا الراهب كثير القراءة والتأليف وقد اشتُهر بموسوعته اللاهوتية الكبيرة التي قسَّم فيها أبحاثه إلى أقسامٍ ثلاثةٍ، خصَّصَ قسمها الأول للإلهيات، وقسمها الثاني للبحث حول الإنسان، أمّا القسم الثالثُ فكان موضوعه شخص السيد المسيح كإنسانٍ وإلهٍ معاً.

ففي الجزء الأول فصّلَ القول في وجود الله فالله عنده هو المحرِّكُ الأعظمُ أو العلةُ الأولى لجميع الأشياء، فهو البداية والنهاية والمنتهى لكلِّ شيءٍ في الوجود.

وفي الجزء الثاني، تحدَّث عن الإنسان كمخلوقٍ ساقطٍ (حسب تعبيره)، لكنَّه رغم ذلك في وسعه أنْ يتمتَّع بالفداء[2]، ثمَّ تطرق لبحث السلوك الإنساني بفضائله ورذائله، ثم توسّع في موضوع الناموس والنعمة.

---

[1] ولد توما الأكويني في حوالي العام ١٢٢٥م قرب قلعة الكونت لاندولف من روكاسكا في مملكة صقلية (لاتسيو اليوم). ويرتبط بسلالة هوهنستوفن إحدى سلالات إمبراطور روما المقدس عن طريق والدته ثيودورا كونتيسة تيات. كان سينيبالد شقيق لاندولف رئيس دير الرهبان البندكتيين الأصلي في مونت كاسينو، وبينما كان جميع إخوة توما في مهنٍ عسكريةٍ، قررت العائلة أن يسلك توما طريق عمّه في الرهبانية، بدأ توما الأكويني تعليمه المبكر في سن الخامسة في دير مونت كاسينو، غير أنه بعد اندلاع الصراع العسكري بين الإمبراطور فريدريك الثاني والبابا غريغوري التاسع ووصوله إلى الدير في بداية ١٢٣٩م، قرر لاندولف وثيودورا إرسال ابنهما إلى الجامعة التي أنشاها فريدريك حديثاً في نابولي. وعلى الأرجح، فإن توما قد تعرف هناك على أعمال أرسطو وابن رشد وموسى بن ميمون، وأثر هؤلاء الفلاسفة على فلسفته اللاهوتية. وخلال سني دراسته في نابولي تأثر توما بالمبشر الدومينيكاني يوحنا من سانت جوليان الذي كان جزءاً من المجهودات المستمرة للرهبانية الدومينيكانية من أجل تجنيد أتباعٍ مخلصين. يُعدُّ من الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، وهو أبو المدارس التوماوية في الفلسفة واللاهوت، تأثيره واسع على الفلسفة الغربية، وكثيرٌ من أفكار الفلسفة الغربية الحديثة إما ثورة ضد أفكاره أو اتفاق معها، خصوصاً في مسائل الأخلاق والقانون الطبيعي ونظرية السياسة. ويعتبر الأكويني المدرس المثالي لمن يدرِّسون ليكونوا قسيسين في الكنيسة الكاثوليكية، ويُعرف بعملية خلاصة اللاهوت والخلق والخالق، يعتبره العديد من المسيحيين فيلسوف الكنيسة الأعظم لذلك تُسمى باسمه العديد من المؤسسات التعليمية.

[2] سبق التعريف به.

بينما تحدّث في الجزء الثالث عن المسيح الفادي الذي فتح للإنسان طريق العودة إلى الله. وقد استخدم الأكويني اتّساعَ معرفته بالكتب المقدّسة في إثبات صحّة العقائد الكنسية، كما كتب شرحاً لبشائر الإنجيل ورسائل بولس الرسول استندَ فيه إلى أقوال آباء الكنيسة.

والذي يعنينا الوقوف عنده من مؤلفات هذا الراهب هو كتاب (منطق الإيمان) الذي خصّصه للإجابة على اعتراضات المسلمين الواردة على العقائد المسيحيّة، وكان الشعار الذي يرفعه دوماً في عرض العقائد المسيحية والدّفاع عنها قول بطرس (وكونوا أبداً مستعدّين لأن تردّوا على مَن يطلب منكم دليل ما أنتم عليه من الرّجاء)[1]. وواضحٌ من خلال هذا الشعار الخلفية العَقَديّة التي كان هذا الراهب ينطلقُ منها في محاججته ودفاعه عن المسيحية. وتجدر الإشارة قبل البدء في الحديث عن مضمون كتاب (منطق الإيمان) إلى أنّ هذا الكتاب جاء بعد فروغ الأكويني من تأليف كتاب (الخلاصة ضدّ الأُميّين) أو (خلاصة الردّ على الأمم الخارجة عن المسيحيّة).

"وما من شك في أن توما الأكويني أَلَّفَ كتاب (الخلاصة ضد الأميين) بإيعازٍ من رِمُند دي بينافور، وهو من كبار الشخصيات في نظام رهبانية الدُمِنيكان الذي كان يعمل في تبشير المسلمين في إسبانيا، وإلى مبادرته أيضاً ندين بإدخال دراسة اللغة العربية في إسبانيا. وتشير كل المظاهر إلى أنَّ كتاب (الخلاصة ضد الأميين) كان يُقْصَدُ به أن يكون كتاباً تعليمياً للكليات التي أنشأها نظام رهبانية الدُمِنيكان لتدريب مبشّري المستقبل"[2].

وقد جاء كتاب (منطق الإيمان) بمثابة رسالةٍ جوابيةٍ عن العديد من تساؤلات واعتراضات المسلمين أوردها شخصٌ يُسمّى كَنْتُر الإيطالي، وتوجّه بها إلى توماس الأكويني راجياً منه الإجابة عليها، فما كان من الأكويني إلاّ أن قام بوضع هذا المؤلَّف، وذلك في شعورٍ منه بوجوب تلبية نداء الواجب الذي ينصُّ على وجوب أن يكون على استعدادٍ دائمٍ لتحمُّل المسؤولية الدينية العقدية "تجاه الاعتراضات والصعوبات والمشكلات الموجودة في المواقف التاريخية الاجتماعية المحسوسة"[3].

---

[1] رسالة القدّيس بطرس الأولى: ٣: ١٥

[2] هاغمان، [م. س]، ص ٧٨.

[3] هاغمان، [م. س]، ص ٨٠.

وفي بداية الفصل الثاني من هذا الكتاب يوجّه الأكويني السائلَ كنتر الإيطالي إلى مسألةٍ هامّةٍ في محاججة غير المسيحيين، وهي تتمثّل في أنّه لا يجوز للمُدافع عن العقيدة المسيحية أن يتوجّه للبرهنة على صحّة هذه العقيدة، بل يجب عليه التوجّه للدفاع عنها فقط، وحجّته في ذلك أن هذه العقيدة المسيحية إنما هي مكفولةٌ بكفالةٍ إلهيةٍ، ولا يمكن بحالٍ أن تتناقض مع الحقائق العقليّة؛ لأنّ ما ليس بخاطىءٍ لا يمكن أن يكون خاطئاً!!.

"أريد بادئ ذي بدء أن أذكر أنه لا يجوز لك أن تهدف في الخلافات مع الكفار حول أركان الإيمان إلى البرهنة على صحة العقيدة عن طريق الأسباب القاهرة، إذ أنّ هذا خليقٌ أن يُنال من جلال العقيدة وتساميها، وهي التي لا تتجاوز صِحَّتُها مجالَ الفكر البشري فقط، بل تتجاوز حتى مجال فكر الملائكة؛ بل نحن نَعُدُّ (مضامين العقيدة) كأنما هي أمورٌ موحىً بها من الرب نفسه. ولكن لمّا كان ما يصدر عن الحقيقة العليا لا يمكن أن يكون خاطئاً، ولا يمكن البرهنة عليها بالأسباب القاهرة أيضاً، مثل تلك المضامين (المذكورة آنفاً) لأنها تتجاوز مجال العقل البشري. غير أنها لا يمكن دحضها أيضاً بالأسباب القاهرة بسبب صحتها"[1].

وقد نبّه الأكويني إلى أنّه عند مواجهة ومحاججة المسلمين، فليس من الصّواب اللجوء إلى الكتاب المقدّس أو الاستشهاد بآياته وكلماته، والسبب في ذلك أنّ المسلمين لا يعترفون بالكتاب المقدّس ولا يؤمنون به، حسبَ قوله، ولا يرون أنّهُ كلمةٌ لها حجيّتُها، وبالتالي، فإنّ العقل وحده هو السبيل والأساس المشترك للنقاش مع المسلمين.

ويلفتُ هاغمان[2] النظر إلى معلومةٍ هامّةٍ تتعلقُ بمقدار كفاية معرفة الأكويني بالإسلام وبمصدر هذه المعرفة فيقول: "وذلك أن توماس نفسه يعترف صراحةً بعدم كفاية معرفته [عن الإسلام]، وليس ثمة سبب يَحملُ على افتراض أنه قرأ القرآن في أيِّ يومٍ من الأيام مع توافر ترجماتٍ لاتينيةٍ له بلا ريب. ومن المعروف أنّ الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن ترجع إلى مبادرة بطرس المبجل، أمَّا ما يوجدُ حول محمدٍ وتعاليمه لدى توما، فهو الراويات

(1) المرجع السابق، ص ٨٠.
(2) انظر المرجع السابق، ص ٨٢، ٨٣.

المعروفة في تلك الأيام في الأوساط الفكرية في كل مكانٍ من الغرب. ولا تتجاوز معلومات توما عن الإسلام مقدار معرفةٍ مَتَخَلِّفةٍ، كما يثبتُ ذلك كتاب (منطق الإيمان)[١].

إذاً فقد كانت معرفة الأكويني بالإسلام معرفةً محدودةً وفقيرةً. وكلُّ ما كتبه عن نبوّةِ محمدٍ ﷺ كان مصدره الترجمات المشوّهة المغلوطة التي تقدّم الحديث عنها في المبحث السابق!!.

وبالرغم من هذا الفقر المعرفي المتعلّق بالإسلام، والذي كان يعاني منه الأكويني، نراه في كتابه (منطق الإيمان) يتصّدى للفهم الإسلامي لموضوع التوحيد، فيثبتُ بطلانه، كما رأى، وصحّة الاعتقاد المسيحي بِـ (الله الواحد مثلّث الأقانيم)، كما يتَّهِمُ المسلمين بالتهكُّم على المسيحيين في موضوع صلب المسيح عليه السلام، "وهم يتهكمون على أننا ندعي أن المسيح ابن الله، قد صُلب من أجل تخليص الجنس البشري، لأنه إذا كان الله قادراً على كل شيء فهو يستطيع أن يخلص الجنس البشري من دون أن يعاني ولده الآلام، وقد كان في وسعه أيضاً أن يخلق البشر في الأصل حيث لا يمكن أن يرتكبوا الخطيئة"[٢]. ويقوم بالردّ على هذا التهكّم الإسلامي!!.

كما يخلصُ في النهاية إلى اتِّهام المسلمين بالجبرية والاعتقاد بعدم حريّة الإرادة البشرية!!! "ثم تروي لي بعد ذلك أنه فيما يتعلّق بالثواب الذي يتوقف على حرية الإرادة، يفرض المسلمون، مثلما تفعل شعوبٌ أخرى، قسراً على التصرفات البشرية بسبب المعرفة الإلهية المسبقة، وبسبب النظام الإلهي، إذ يقولون: إنَّ الإنسان لا يمكن أن يموت ولا أن يخطئ أيضاً إذا لم يكن ذلك قد رسمه الله للإنسان فيما يشبه التدبير: ولكل أمرئ قدره المكتوب على جبينه"[٣].

ثمَّ يُعقّبُ على مسألة الجبر والاختيار بترجيحه للقول بأنّها لم تُحسَمْ في الإسلام، لا على لسانِ محمدٍ ﷺ، ولا في نصوص القرآن الكريم نفسه، "بل يبدو أنَّ محمداً نفسه كان غير حاسمٍ في الإجابة عن سؤال هل يُعدُّ الإنسان حراً في تصرفه أم مجبراً، وعلى كل حالٍ فهذا هو

---

(1) المرجع السابق، ص ٨٢، ٨٣.
(2) المرجع السابق، ص ٨٤.
(3) المرجع السابق، ص ٨٦.

حال القرآن، فثمة سلسلة من آيات القرآن تتحدث عن الجبر. وفي مقابل ذلك يرد الحديث في آياتٍ أخرى عن حرية إرادة البشر، وحتى علماء اللاهوت المسلمون لا يتّفقون على هذا الرأي، فتفسيرهم يراوح بين الجبر من ناحيةٍ، ونظرية حرية الإرادة البشرية من ناحيةٍ أخرى"[1].

وواضحٌ من هذه الكلمات ضحالة معرفة هذا الأكويني بالقرآن الكريم والسُّنّة النبوية الشريفة، ومع ذلك فقد سمح لنفسه بكتابة المؤلفات التي يتحدّث فيها عن الإسلام ويهاجمه، نعم، لقد كان القديس توما الأكويني من أهمّ الشّخصيّات المسيحيّة الكاثوليكية التي هاجمت الإسلام في العصور الوسطى، وعلى الرّغم من اطّلاعه على أعمال الفلاسفة المسلمين، وبخاصّةٍ كتابات ابن سينا والغزالي وابن رشد، إلاّ أنّه عدَّ المسلمين وثنيين، "ولهذا قرر الأكويني حتمية عقد المناظرات والمحاورات الجدلية مع الوثنيين بناءً على البراهين العقلية، وليس وفق مفاهيم الكتاب المقدس وشهرته فقط. إضافةً إلى ذلك، فإن توما الأكويني يرى أنه لا يجوز تحويل الوثنيين هؤلاء إلى المسيحية بالقوة نظراً إلى أن الإنسان لا يمكن إجباره على الاعتراف بوجود شيءٍ أسمى من الخير والسعادة، ولهذا، فإنه يتوجب على الحكام المسيحيين ـ كما يقول الأكويني ـ الذين يقع المسلمون تحت سلطتهم أن يتصرفوا بصبرٍ إزاء مفهومهم لعبادة الرب"[2].

لم يستطع الأكويني، على أَلْمَعِيَّتِهِ وطاقته الذهنية الفذّة الكبيرة، أن يُحرِّر نفسه من القوالب الذهنية السلبية والصّور المُشَّوهة السيّئة التي رسمها سابقوه للإسلام، فبقي أسيراً لمضامين الرسالة الإسلامية والردّ المسيحي عليها، ولترجمات بطرس المبجل المشوّهة للقرآن الكريم وما شابهها من الكتابات المُغرضة اللاموضوعيّة؛ ومن ذلك أنّه وضع الانتشار السلمّي للمسيحية في مقابل ما أسماه (بالانتشار الإكراهي) للإسلام. وقام تفسيره لظاهرة انتشار الإسلام على نظريّةٍ تنصُّ على أنّ محمداً آمن بدعوته في بادئ الأمر الناسُ الجهلةُ البدائيون فقط، أولئك الذين يعيشون في الصحراء، ولم يسبق لهم أن عرفوا أيَّ تعليمٍ أو عقيدةٍ إلهيّةٍ. وعن طريق هؤلاء [البدو الصعاليك كما يصفهم]، أجبر محمدٌ بقوة السيفِ بقيّةَ الناس في المنطقة على الامتثال إلى شريعته. "ويؤكد توما الأكويني المزاعم القائلة: إنَّ محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته، من خلال تشجيعه إياها على الحصول على الملذّات والشهوات

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص ٨٧.
[2] جورافسكي، [م. س]، ص ٨٣، بتصرّف.

الحسّية، وعن طريق الوعود التي قطعها لها ضمن هذا التوجيه الغريزي. ويتابع الأكويني السير في هذا المنحى المتحيّز مؤكداً أن محمداً أسس ((قواعده)) و((أحكامه)) التشريعيّة، التي تتناسب مع قدرات وإمكانات العقل المتوسط وحسب. ثمَّ يصل من كل هذه الأطروحات المتسرعة إلى القول: إنه لكي لا يكتشف أتباعهُ زيفَ شريعته، فإنّ محمداً منعهم من قراءة كتب العهدين القديم والجديد"[١].

ونشيرُ هنا إلى أن توما الأكويني لا يستخدم كلمة (القرآن)، وإنما يُحِلُّ محلَّها عبارة (قوانين محمد). وفي مؤلَّفه الصَّغير: "براهين الإيمان ضدّ المسلمين (الساراتيين كما يُسمِّيهم)، والإغريق والأرمن، يقدم توما الأكويني النصائح اللازمة لأخيه في الرهبانيات الدومينيكانية، وللهيئة الكنسية في أنطاكية، حول كيفية الرّد على أسئلة المسلمين وتفنيد حججهم"[٢].

---

[1] جورافسكي، [م. س]، ص ٨٣، ٨٤ بتصرّف.

[2] المرجع السابق ، ص ٨٤.

ثالثاً: ركلدس دي مونتي كروتشي

في استمراريةٍ لاستعراضنا للرهبان الكاثوليك الذين مارسوا الاستشراق الدّيني وكتبوا ضدَّ الإسلام وشرائعه، وفي امتدادٍ للعقلية المسيحية المضادّة للإسلام في العصور الوسطى، نتحدّث في هذا المبحث عن راهبٍ وافقَ توما الأكويني في الكثير من كتاباته وتصورّاته عن الإسلام؛ ألا وهو الراهب الدومينيكاني ركلدس دي مونتي كروتشي أو (ريكالدو أوف مونت كروس) الذي عاش في الفترة ما بين (١٢٤٣ – ١٣٢٠) للميلاد، وترجعُ أصوله إلى مدينة فلورنسا الإيطالية. ومن خلال نظرةٍ سريعةٍ على ميلاده ومماته، ندركُ أنّه عاصر القديس توما الأكويني. وإن كان الأكويني قد هاجم الإسلام ونبوّة محمدٍ دون أن يدرس اللغة العربية أو يلتقي ولو بمسلمٍ واحدٍ، فإنّ ركلدس كروتشي هذا قد سافر إلى بلاد العرب والمسلمين، وقضى فيها فترةً من الزمان تعلّم فيها اللغة العربية ودرس الإسلام في ديار الإسلام، "وفي مقدّمة كتابه المُسمّى "كتاب الغرباء" نجدُ ملاحظةً تفيدُ أنّه قام برحلاتٍ طويلةٍ شاقّةٍ، ليكوّن لنفسه ثقافةً شاملةً. فطاف في أرجاء إسبانيا وفلسطين وأرمينيا وبلاد الرافدين، وعاش زمناً طويلاً في بغداد، وهناك درس الإسلام واطّلع على تاريخه. ويتحدث ركُلدُس مراراً في كتبه عن أنشطته التبشيرية، وفي كتابه "يوميات عن الأمم الشرقية" وضع الخطوات التوجيهيّة لسلوك المبشّرين تجاه المسلمين والمسيحيين الهراطقة"[١].

والغريب في أمر هذا الراهب ركلدس، أنّه لمّا أقام بين المسلمين وسكن في بلادهم، أعرب عن انبهاره بمستوى التقوى والورع الذي صادفه، فكتب يقول: "إنّ على المسيحيين أن يخجلوا من ورع المسلمين"[٢]. ولكنّه عندما عاد إلى وطنه كتب عن "إقامة الحجّة على المسلمين والقرآن"! فكان أول ما وضعه من مؤلفاته المتعلّقة بالإسلام كتابه المُسمّى "جدلٌ ضدَّ السراسنة والقرآن"!! كرر فيه كلَّ الخرافات والسّخافات القديمة المنتشرة في الغرب، والتي ما وُضِعَت إلاّ لتشويه صورة الإسلام في عيون أهل الغرب المسيحي، ويبدو أنّ هذه الصورة كانت قويّةً ومترسّخة الجذور بحيث "كانت تتغلّب بسهولةٍ على أيِّ اتّصالٍ موضوعيٍّ بالمسلمين الحقيقيين، ورواية ريكولدو هذه، المتحاملة، على نحوٍ سخيفٍ، وغير الدقيقة عن الإسلام، بقيتْ تُستخدَمُ وتُعتنقُ ضمنياً مِن قِبل الدارسين والبحّاثة الغربيين حتى أواخر القرن

(١) هاغمان، [م. س]، ص ٩٨.
(٢) آرمسترونغ، [م. س]، ص ٥١٠.

السابع عشر"[١]. ولعلَّ ما خَطَّه هذا الراهب شاهدٌ آخر من شواهد انحباس الرهبان والمستشرقين داخل سجن الصّورة النمطيّة السّلبيّة السائدة عن الإسلام، بالرغم من أنّه عاش بين المسلمين وتعامل معهم مباشرةً، وذلك في تجربةٍ فريدةٍ يَنْدُرُ أن تتوفّر لمثله من الرهبان الذين كانوا يتحدّثون عن الإسلام والمسلمين وهم لم يدرسوا كتبهم ولم يخالطوهم البتّة!!

ولكنّه، وكما هو مُستنتَجٌ من مؤلفاته بعد العودة لدياره، ما عاش تلك التجربة بتجرّدٍ وحياديّةٍ ليحكم على الإسلام بعدها، لا ولكنّه عاشها وفي ذهنه قراراتٌ وقناعاتٌ خاطئةٌ مُسَبَّقةٌ عن الإسلام عزَّ عليه فراقها أو التنازل عنها!! "ومن هُنا فلا يُستبعدُ بالتأكيد أنّه كان يمتحُ من مصادرَ ترجعُ إلى التراث الغربيّ المعادي للإسلام إلى درجةٍ بعيدةٍ"[٢]. وقد صاغ ركلدس كلَّ ما كان يعتملُ في صدره وعقله عن الإسلام والقرآن ونبوّة محمدٍ ﷺ في كتابه السابق ذكْره "جدلٌ ضّد السراسنة والقرآن" والذي اشْتُهِرَ بأسماءٍ متعدِّدةٍ، كان أبرزها "ضدّ شريعة المسلمين". ويتكوّنُ هذا الكتاب من ستة عشر فصلاً، وكان الهدف الأول والرئيس من كتابته، حسبما جاء في مقدّمته، دحض الأخطاء الرئيسيّة للإسلام، وذلك بهدف إتاحة الفرصة أمام الرهبان والمبشّرين ليحملوا المُسلمين على التحُّول إلى الدّين المسيحي، وذلك من خلال الإيمان بالربّ الحقيقي. ومن المفيد هنا تسجيل الملاحظات التالية:

١. إنّ ركلدس كان يرى أنَّ المسلمين يعبدون إلهاً غير حقيقيٍّ، وهو الإله الذي دعاهم محمدٌ إلى عبادته.
٢. لم يكن الكتابُ موجّهاً إلى المسلمين، بل إلى الرهبان المسيحيين المشتغلين في التبشير (التنصير) ومحاجة المسلمين من خلال الكتب والمؤلّفات.
٣. اتفقت آراءُ ركلدس كثيراً مع آراء توما الأكويني فيما يتعلّق بالدّعوة إلى مناظرة المسلمين، واتفقت كذلك في أنّ موضوع المناظرات يجب أن يتعلق بالدفاع عن العقائد المسيحية وليس بإثبات صحّتها، ويشهدُ على ذلك قولُه عندما تحدَّث عن التثليث والتجسُّد: "ولمَّا كان كلا السّرّين يتعاليان على العقل البشري، ولا نستطيع أن نسوق أسباباً عقلانيةً للبرهنة عليهما، بل نسوق مجردَ أسبابٍ إيمانيةٍ، فإنه لا يبقى لنا سوى اللجوء إلى مرجعية

---

[١] المرجع السابق نفسه، ص ٥١٠.
[٢] هاغمان، [م. س]، ص ٩٢، بتصرّف.

رسالة الإنجيل التي يأتي القرآن على ذكرها أيضاً، وإلى معجزاتٍ مشهودٍ لها في الكتاب المقدَّس"[١].

وقبل الشروع في ذكر أبرز اعتراضات هذا الراهب ركلدس على القرآن الكريم، فمن المفيد الإشارةُ إلى أنّ العنوان الأبرز والأكثر وروداً في هذا الكتاب إنما كان يتعلّق بِمَنْ هو الصواب والصحيح والحقُّ؟ أهو الكتاب المقدّس أم القرآن؟؟؟ ومن الواضح أنَّ ركلدس لم ينتظر الوصول إلى الفصل السادس عشر ليقرِّرَ النتيجة بناءً على المقدّمات والأسباب؛ فقد قرّر هذه النتيجة مُسبقاً في الفصل الأول عندما اجتهد فيه على إثبات أنَّ القرآن خليطٌ متنافرٌ مِن الهرطقات المسيحيّة القديمة المدحوضة منذ عهدٍ بعيدٍ، وأنّه مزيجٌ من آراء تعليميةٍ ذات أصولٍ هي في منتهى التباين والاختلاف!!. وهذا الكلام لا يقعُ بعيداً عن خلاصة رأي هذا الراهب في الإسلام؛ حيث كان يرى "أنّ الإسلام مجرّدُ خدعةٍ شيطانيةٍ ابتدعها الشيطانُ كي يمهِّدَ الطريق لمجيء المسيح الدجّال، وذلك حين شعرَ الشيطانُ بعدم قدرته على إيقاف انتشار المسيحية، وأنّ الوثنيّات بدأت تتهاوى أمام المسيحية، وأنه ليس في مقدوره دحضُ شريعة موسى وإنجيل عيسى، فابتدع الشيطانُ ذلك الدينَ ليكون وسطاً بين المسيحية واليهودية ... والقرآن ليس قانون الله، نظراً لأنَّ أسلوبه لا يطابق الأسلوبَ الإلهي، الذي لا يوجد فيه سجعٌ ولا عباراتٌ موزونةٌ كتلك التي جاءت في الكتب المقدّسة"[٢].

ويمكننا تلخيصُ وحصرُ مآخذ ركلدس دي مونتي كروتشي على القرآن الكريم فيما يلي:

١. خلوّ القرآن من ذِكرِ المعجزات المعقولة؛ حيث كان ركلدس يعتقدُ أنّ محمّداً لم يأتِ بمعجزاتٍ، وذلك خلافاً للمسيح الذي جاء بالعديد منها.
٢. إمتلاء القرآن بالمتناقضات الكثيرة، إضافةً لتناقض القرآن نفسه مع العقل. وقد ذكر ركلدس أنّ هذه التناقضات القرآنية تتوضّح في النقاط الأربع التالية[٣]:

---

(١) هاغمان، [م. س]، ص ٩٩.
(٢) عودة [م. س]، ص ١٣.
(٣) هاغمان، [م. س]، ص ١٠٠، ١٠١.

أ. في مؤلِّفه محمدٍ، وذلك في الحقيقة على أساس أطوار حياته المنافية للأخلاق. وهذا مأخذٌ يظلُّ يرد المرّةَ بعد الأخرى في الجدل المذهبيّ المعادي للإسلام.
ب. في القرآن ذاته، على قدر ما يتضمن من أقوالٍ لا تفيد شيئاً، لأنها أقوالٌ مُسهبةٌ مكررةٌ، وليس هذا فقط، بل توجد فيه أيضاً صياغاتٌ بذيئةٌ فاحشةٌ.
ج. في الممارسة العقديّة للمسلمين، كما في عمليات الوضوء الطقسيّة قبل الصلاة اليومية، وكذلك في فهمهم الزواج وممارستهم الطلاق.
د. في التصوّرات القرآنية الخاصّة بالجنّة، وهي التصورات التي كانت تمِّثلُ منذ العصور الأولى مساحةَ هجومِ الكُتَّاب المسيحيين على الإسلام.

٣. أمّا ثالث مآخذ ركلدس على القرآن فيتجلّى في مقارنته برسالة الإنجيل؛ حيث يرى ركلدس أنَّ القرآن المقدّس لدى المسلمين إنما هو تجسيدٌ لشريعة الموت، بعكس رسالة الإنجيل الرحيمة الموافقة للعقل والتقاليد الفلسفيّة، كما أنها مُكمِّلةٌ للكتب السماويّة السابقة ومحقّقةٌ لرسالتها، ومؤدّى ذلك كلّه هو أنّ الإنجيل وحده هو شرع الله الحقّ.

ولَئِنْ كان هذا الراهب قد سجّل العديد من المآخذ على القرآن الكريم، وهي كلّها مآخذ متهافتةٌ مثله تماماً، فإن من المفيد بالمقابل أن نسجّل بعض المآخذ عليه هو الآخر، ومن ذلك:

١. لمَّا سُئل هذا الراهبُ عن سرِّ الإقبال المُدهش والسّريع للمغول على الإسلام قال: إنّ السَّبب في ذلك هو "أنّ الإسلام أسهلُ في التّصديق والتطبيق"[1]. فكيف يصحُّ أن تُفهمُ إجابته هذه مع ما سبق مِن مآخذه على القرآن الكريم؟؟ إنها تُفهمُ على وجهٍ واحدٍ ألا وهو تناقضُ هذا الراهب في فهمه لطبيعة القرآن والإسلام.
٢. إنّ المقياس الوحيد للعثور على الحقيقة عند ركلدس كان اعتقاده الخاص وقناعته الخاصّة ولاهوته الخاص!! ولذلك لم يكن من المُستغرَبِ أن يصرّح بامتلاء القرآن بالمتناقضات ومواطن الضعف وبالأخطاء الجليّة الظاهرة للعيان بحيث يدركها كلُ إنسانٍ، ومن هذه الأخطاء، حسب زعمه، ادّعاءُ محمدٍ بأنّه خاتم الأنبياء، ونفي كون عيسى ابناً لله، ونفي موته على الصّليب واتهامه لليهود والمسيحيين بأنّهم يجعلون لله أنداداً!!!.

---

[1] سوذرن، [م. س]، ص ١١٧.

رابعاً: ريموند لول

ذكرنا فيما سبق أنّ الاستشراق الدّيني امتزج في بعض مراحله بالتبشير لدرجةٍ أصبح الفصل بينهما من الصعوبة بمكان. ولئن كان هذا الكلام ينطبق على مَن سبق ذكرهم من المستشرقين الرهبان (كبطرس المبجل وتوما الأكويني وركلدس دي مونتي كروتشي)، فإنّه يَتَّضِحُ في أبرز صوره في الراهب المستشرق المبشر "ريموند لول (ريمون لولوس)"[1]؛ ففي هذا الراهب كانت تتوفر كلُّ مقوّمات الاستشراق الدّيني؛ فهو قد درس اللغة العربية وتمكّن منها، ودرس القرآن الكريم وترجمته ودرسَ أبرزَ أعمال الفيلسوفين ابن رشد وابن سينا، وسخّر كلَّ إمكانياته واتصالاته وعلاقاته مع الشّخصيّات الهامّة في محيطه، حتّى أنشأ مدرسةً لتعليم اللغة العربية من أجل التدريب على التبشير باللغة العربية بين المسلمين، إضافةً لتمكين الدارسين فيها من الاطلاع على أساليب الحوار و المناظرة والنقاش، كلُّ ذلك جنباً إلى جنبٍ مع دراسة اللاهوت المسيحي. "وقد كان هذا الراهب أعظم المبشّرين بين المسلمين في القرون الوسطى، سواءٌ من الوجهة العمليّة، أم من الوجهة النظرية، وممّا يشهدُ على جهوده التبشيريّة المتعدّدة الجوانب أيضاً كتاباته الهائلة"[2]. كان ريموند من كبار الدّاعين إلى دراسة الإسلام واللغة العربية، وذلك لمناظرة المسلمين وتبيين الأخطاء في دينهم ودعوتهم بالتالي لاعتناق العقيدة المسيحيّة. وكان على الدوام يدعو إلى وحدةٍ بين البشر، ولكن في ظل العقيدة المسيحية، وقد كان هذا منطلقهُ في دعوة المسلمين. "لمّا كنا نحن جميعاً، مهما يبلغ من كثرتنا، لا نؤمن إلا بربٍّ وإلهٍ واحدٍ ... فمن الواجب أن يكون لنا نحن جميعاً أيضاً، معتقَدٌ واحدٌ فقط، وديانةٌ واحدةٌ هي العقيدة المسيحية المقدسة"[3].

كسابقيه من الرهبان المستشرقين الأكويني وركلدس كروتشي، كان هذا الراهب يدعو إلى مناقشة المسلمين ومناظرتهم استناداً إلى أساسٍ واحدٍ فقط هو العقل؛ لأنّه كان يرى أنَّ العقل وحده هو المبدأ المقبول لدى كلٍّ من الجانبين الإسلامي والمسيحي للحوار. ومن هنا يمكننا أن نفهمَ سبب تخلّيه عن الإحالات للكتاب المقدس أو القرآن، وعدم الاعتماد على الاستشهاد بهما (بشكلٍ عام). وفي تعليله لعدم الاعتماد على شواهد وأدلّة الكتاب

---

[1] ريموند لول: ولد في جزيرة مالاقا سنة ١٢٣٢م قبل أن يحكمها الموحّدون بستّ سنين، كان والده نبيلاً شارك مع يعقوب الأول الأراجوني في حربه ضد المسلمين المغاربة، وكوفئ بإقطاعية في مالاقا بعد احتلال الباليار، وهكذا فقد نشأ الصبي في محيط كانت فيه روح القتال الإسبانية ضد المسلمين على أشدها، توفي في ١٣١٦/١/٢٩م.

[2] هاغمان، [م. س]،ص ١٠٢.

[3] المرجع السابق، ص ١٠٣.

المقدّس في مناظرة المسلمين نراه يقول: "الكفار [المسلمون طبعاً] لا يحفلون بأقوال المؤمنين، بل يهتّمون، على سبيل الحصر، بالأسباب العقلانيّة"[١]. وكان ريموند يعتقدُ أنّه وبالعقل وحده يمكنه أن يُحصِّلَ الحجج الأفضل الدالّة على صحّة العقيدة المسيحية وبطلان غيرها من العقائد، ويرى "أنّ هذه الأدلّة والحجج العقلية، والتي كان يسميّها (العقلانيات الضروريّة القاهرة)، يجب أن تلقى الاعتراف والاحترام من قبل شركاء حواره المسلمين"[٢]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الريموند كان من المطّلعين على القرآن الكريم الدارسين له، وذلك بعد أن تعلّم اللغة العربية على يد أحد الرقيق من المسلمين المغاربة الذين كانوا يعيشون في إسبانيا آنذاك، وقد استمرَّ ذلك ما يقارب التسع سنوات.

كان ريموند لول يعرف من تجربته الشخصية بشكل خاصٍّ، أن المُسلمين لن يقدّموا له أيَّ تنازلٍ يتناول معتقداتهم، فقد كان لزاماً على مَن يريد إقناعهم بصواب العقيدة المسيحية أن يدخل معهم في حوارٍ ومناقشاتٍ حاميةٍ. ومن أجل ذلك كان لابدَّ من إتقان لغتهم إتقاناً كاملاً. إنَّ مثل هذه الموازنات حَمَلَتْ لول على تعلُّمِ اللغة العربية. "وقد قضى تسع سنوات وهو عاكف على الدّرس والتلقّي، فكانت محصلةُ ذلك كتابه **(Ars major)** (الفنّ الكبير)، الذي احتوى على أسس فنّ الحوار وسَوق الأدلة في صورة تصنيفٍ لأضراب المعاني وطرق الاستدلال المنطقي. ثم أقنع يعقوب الأول بإنشاء مؤسّسةٍ لتثيقف مبشِّرين للعمل في مجال التبشير ضد الإسلام [كليّة الثالوث المقدَّس] وافتتحها لول بوصفه عضواً من الدرجة الثالثة، وبثلاثة عشر تلميذاً من طائفة الفرنسيسكان في سنة ١٢٧٦ في بلدة ميرمار. فإلى جانب الثقافة اللاهوتية، كان نزلاء الدير يتلقُّون بشكلٍ خاصٍ دروساً في العربية بكل مستلزماتها"[٣]. وكان من الوسائل المُتَّبَعَةِ في هذه المدرسة وما شابهها من المدارس التبشيرية ـ بإشراف ريموند لول ـ التدريب على الخطابة وأساليب الإقناع في الحوار والسّيطرة على الخصم في المناظرة، "وقام في هذا الإتجاه بمحاولاتٍ متعددةٍ لإقناع البابا نيكولاس الثالث بروما (سنة ١٢٧٧م) بتعليم اللغات الشرقية وخاصة العربية من أجل إنجاح حركة التبشير

---

[1] المرجع السابق، ص ١٠٤.

[2] المرجع السابق، ص ١٠٤.

[3] انظر:

أ. فوك، [م. س]، ص ٢٧، بتصرف.

ب. عريبي، [م. س]، ص ١٥٢.

ج. جورافسكي، [م. س]، ص ٨٧.

بين المسلمين. وكان في كل لقاءاته مع السلطات الكنسية والرسمية العليا يشدد على تعليم اللغة العربية، مع ضرورة الاستفادة من مسيحيي الشرق وخاصة الموارنة في هذا الميدان"[١].

كان طموح هذا الراهب لا يعرف الحدود فيما يتعلّق بضرورة تعلُّم وتعليم اللغة العربية، لغة القرآن، لتوظيفها في مجادلة المسلمين ومحاججتهم، للبرهنة على الحقائق المسيحّية، ودحض ما جاء به القرآن، وكان يرى في الإسلام العدو اللدود والأكبر للكنيسة الكاثوليكيّة.

ما من شكٍّ أن سنة (١٣١١م) كانت أسعدَ سنةٍ في حياة هذا الراهب ريموند، "ففيها استطاع أن يُقنع المَجمَع الكَنَسي العامّ بإصدار القانون رقم (١١)، والذي يقضي بتدريس اللغات الشرقية في خمس جامعات أوروبية هي: جامعات باريس بفرنسا وأكسفورد بإنجلترا وبولونيا بإيطاليا وسلمنكا بإسبانيا وجامعة كوريا، وقد صدر هذا القانون المشهور متضمِّناً بتخصيص مدرسَين كاثوليكيَين لكلِّ جامعةٍ من هذه الجامعات الخمس يقومان بتدريس اللغة العربية والكلدانية والعبرية واليونانية، وبسبب هذا المنطلق ظهرت مدارس الاستشراق المتعددة، واستمرَّت إلى يومنا هذا تغذي الحضارة الغربية بمظاهرها الفكرية والاستعمارية والتبشيرية"[٢].

وبالعودة للحديث عن رغبة ريموند لول في محاججة المسلمين ومناقشتهم ومناظرتهم بهدف إثبات زيف دينهم وبطلانه وإثبات صحَّة العقيدة المسيحية ودعوتهم لاعتناقها، فإنَّ أحاديثه ونظرياته عن محاورة المسلمين قد مرّت بمرحلتين هامّتين:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة المحاورات، والدّعوة لها على أساس العقل، واستخدام أساليب المنطق في الجدل والحوار. وقد عاش ريموند هذه المرحلة بتجاربها وزار فيها بعض البلاد العربية مثل تونس والمغرب والجزائر، وخلال هذه المرحلة كان يؤمنُ بفشل أيّةِ محاولةٍ لإكراه الإنسان على ترك دينه وتغييره بالقوّة.

---

[1] جورافسكي، [م. س]، ص ٨٧.

[2] انظر:

أ. جورافسكي [م. س]، ص ، ٨٨، بتصرّف.

ب. عريبي [م. س]، ص ١٥٤.

ج. عبد المحسن، [م. س]، ص ٣٦.

د. فوك، [م. س]، ص ٣١.

هـ. هاغمان، [م. س]، ص ١٠٦.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي أعاد فيها ريموندُ التفكيرَ، وراجع أفكاره حول الكيفيّة التي تجب مواجهة الإسلام والمسلمين بها، حيث انتقل فيها إلى المناداة بالمواجهة المسلّحة والعمل العسكري ضدّ المسلمين. وقد كان سقوط مدينة عكا بوصفها آخر نقطةٍ لارتكاز المسيحيّة في ساحل فلسطين عام ١٢٩١م سبباً مباشراً في تحّول آراء ريموند حول كيفيّة التعامل مع الإسلام والمسلمين؛ فأخذ ينادي بالحرب والقتال، وبحملةٍ صليبيّةٍ جديدةٍ لاستعادة الأرض المقدّسة. ولعلّه بذلك كان قد وقع أسير روح العصر الصليبيّة التي سادت أوروبا آنذاك، "وبدءاً من عام (١٢٩٢م) تمحور تفكيره على نحوٍ مُطَّرِدِ الزيادة حول فكرة الحملة الصليبية، فيبدو رِيمُوند وقد استحوذت عليه فكرة استعادة الأرض المقدسة، وفي سبيل ذلك يكتب على نحوٍ لا ينقطع، مُذكِّراتٍ والتماساتٍ وخططاً لحملةٍ صليبيةٍ، في محاولةٍ يائسةٍ لتعبئة المسيحية من أجل الرسالة الكبيرة، ولئن كان نذر نفسه مِن قبل، بكل طاقته، لفكرة التبشير، وحاول أن يحقِّق الشروط الأوليّة لانتشارها في أوربا"[١].

إذاً فقد استجّدت في ذهنه فكرة الحرب والحملة الصليبيّة كوسيلةٍ جديدةٍ لنشر المسيحية بين المسلمين، إضافةً لفكرة التبشير عن طريق الدعوة وإقامة الحجج والأدلّة والبراهين العقليّة، تلك الدّعوة العقيمة التي كانت سبباً في مقتله في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني عام ١٣١٦ للميلاد، حيث عاد بالرغم من كبر سنّه لتونس، وراح ينادي علناً بدعوة الناس المسلمين لاعتناق المسيحّية، فهاجمه جمهورٌ مِن الذين أصابهم الذهول والغضب من وقاحته، وضربوه ضرباً مبرحاً، فمات متأثراً بجراحه إثر تلك الحادثة؛ أي أنّه دفع حياته ثمناً لحماقته وسوء تقديره للأمور ... كان ريموند قد كتب في عام ١٣١١م كلاماً يصفُ فيه مآلَ حاله وما انتهى إليه أمره: "لقد كنتُ متزوجاً، ولي أطفال، وكنتُ موسراً، ولقد استمتعتُ بالحياة، وتخلّيتُ عن كل شيءٍ لكي أعمل في سبيل مجد الرب والصّالح العام، وأزيد في انتشار العقيدة المقدسة. تعلمتُ العربية، وانفتحتُ من وجوهٍ عديدةٍ على المسلمين لكي أعظهم بالإنجيل. وبسبب عقيدتي أُسِرتُ وزُجَّ بي في السجن وجُرحتُ، ولبثتُ أعمل خمسةً وأربعين عاماً لكي أحثّ الكنيسة المسيحية والحكام المسيحيين على خدمة الصالح العام، وقد صِرتُ الآن طاعناً في السن، وفوق ذلك أيضاً فقيراً، وبقي لدي اهتمامي ودأبي، وسأظل على هذا إلى أن أقضي نحبي، هذه مشيئة الرب"[٢].

---

[1] هاغمان، [م. س]، ص ١٠٦.

[2] هاغمان، [م. س]، ص ١٠٧.

لقد طُويَتْ صفحة ريموند هذا، وتحققت رؤياه وصدقت توقّعاته فيما كان يتعلّقُ بنهايته؛ حيث ظلّ على دأبه ذاك حتّى قضى نحبه. ولكنّه ما كان ليحلم بنهايةٍ على هذه الدرجة من المأساويّة؛ نهايةٍ على يد جموع الذين حاول تسفيه دينهم وإبدالهم إياه بدينه، كانت نهايتهُ على يد جموعٍ من البُسطاء الذين وصفَ لغتهم يوماً بأنها تُشبه أصوات ولغات الحيوانات ... "لقد كان ريموند لول الصورة الثابتة للاستشراق قديماً وحديثاً، على الرغم من وجود أفرادٍ متباعدين زماناً ومكاناً أمكن لهم النجاة من هذه الجمالية المرعبة المُسَخّرة لخدمة الحقد والكراهية والاستغلال والاحتلال وكلّ ما يتعلّق بذلك من موبقات"[١].

(1) العجلوني، إبراهيم، صورة ثابتة ووسائل متجدّدة، مقالة منشورة في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٢م.

خامساً: يوحنّا السِّيغوفي

تحدّثنا سابقاً عن الراهب يوحنّا السيغوفي ودعوته الشهيرة لعقدِ مؤتمرٍ عامٍ لمحاورة المسلمين ومواجهتهم فكرياً وعقدياً، واستبداله لفكرة المواجهة المسلّحة مع المسلمين بالمواجهة الفكريّة العقليّة، وذلك كمساهمةٍ منه في حلٍّ (المشكلة الإسلامية) التي كانت تؤرّقُ الغرب المسيحيّ كلَّه آنذاك. وقد راودته هذه الفكرة "بعد اعتزاله لمنصب الكاردينال الذي ناله في عام ١٤٤٠ للميلاد، واعتزاله في دير أيتون في سافويا بفرنسا، حيث ثبت له بالدليل العمليّ عدم قدرة أوروبا على مقاومة الإسلام بالسلاح، لأنّ الدولة العثمانية كانت في أوجِ قوّتها وتهدّد أوروبا كلَّها"[(١)].

وقد شرع السّيغوفي في التنفيذ العمليّ الواقعي لفكرته تلك بأنْ دعا إلى ترجمةٍ جديدةٍ للقرآن الكريم أملاً منه في إثبات تضمُّنِ القرآن لتناقضاتٍ وأخطاءٍ وآثار مؤلِّفين مختلفين، ليُثبتَ بالتالي أنّه ليسَ كتاباً موحىً به من عند الله.

ونستطيعُ أن نرصدَ عدّة اتفاقاتٍ واختلافاتٍ بين الترجمة السيغوفية للقرآن الكريم إلى اللاتينيّة وبين الترجمة الأولى التي كانت بإشراف بطرس المبجّل من حيث الظروف والأهداف، ومن ذلك:

١. كان المطلوب من هذه الترجمة أن تتَّصف بالأمانة والدقّة، بعكس الترجمة الأولى التي أخبر فيها بطرسُ المبجل المترجمَ روبرت الكيتوني برغبته في تشويه صورة الإسلام والقرآن من خلالها، فكان ذلك برنامج عمله ومنطلقه فيه!!!.
٢. كان هدفه من الترجمة واضحاً منذ البداية وهو منحصرٌ في الإجابة على سؤال واحدٍ هو "هل القرآن كلمة الله أم لا؟ بعكس الترجمة السّابقة التي تشتّت للإجابة عن أسئلةٍ كان السيغوفي يراها جانبيّةً مثل، أخلاقيات محمدٍ، والردّ المنطقي على دعوته..."[(٢)].
٣. تصميه على إيصال نسخةٍ من هذه الترجمة بعد الانتهاء منها إلى المُسلمين لأنَّه كان يرى أنّ هذه الترجمة ستبقى بلا فائدةٍ إن لم تصل للطرف الآخر المعنيِّ بها وهو أهل الإسلام، بعكس الترجمة الأولى التي هدف بطرس المبجّل من خلالها إلى تشويه الإسلام والقرآن

---

(1) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص ٢٦، ط١، ١٩٨٤، دار العلم للملايين، بيروت.
(2) سوذرن، [م. س]، ص ١٣٤.

عن قصدٍ وعمدٍ، وكذلك سعى إلى نشر هذه الترجمة في الوسط المسيحي لا الإسلامي وذلك، كما أسلفنا، بهدف تنفير الناس منه وصدِّهم عنه.

٤. كانت إمكانيات السيغوفي الماديّة محدودةً، وقد كتب إلى رفاقه وبعض ذوي النفوذ محاولاً إقناعهم والحصول على دعمهم في التنفيذ، بعكس بطرس المبجّل الذي كان رئيساً لأقوى ديرٍ مسيحيٍّ وأكثرها نفوذاً وغنىً في أوروبا كُلِّها.

٥. عاش السيغوفي في دير أيتون البعيد المعزول، بعكس بطرس المبجل الذي كان يتجوّل في أوروبا ويتفقّد أديرتها البنديكتية على الدوام، وكان مشروعه بعد انتهائه بمثابة الأساس لكل الترجمات الأوروبية للقرآن الكريم حتى بعد مرور خمسمائةِ سنةٍ على إنجازه.

٦. التقت الترجمتان على عدم الإيمان بسماويّة القرآن الكريم وعدم صدق نبوّةِ محمدٍ، ولكنهما اختلفتا في كيفيّة التعبير عن ذلك.

٧. لئن كان الشخصان اللذان قاما بتنفيذ ترجمة بطرس المبجل معروفين؛ وهما الراهبان روبرت ألكيتوني وهيرمان دلماتا اللذان كان مُتقِنَيْنِ للغة العربية، فإنّ هنالك العديد من علامات الاستفهام حول هويّة المترجم الحقيقي، الذي استعان به يوحنا السيغوفي لإنجاز هذه الترجمة الثانية للقرآن الكريم، ويدعمُ صحّة هذا الكلام خلوُّ المصادر التاريخية التي تحدّثت عن تاريخ أوروبا في تلك الفترة من ذكر اسم هذا المترجم؛ حيثُ اكتفتْ بوصفه بأنّه "فقيهٌ مُسلمٌ وعالِمٌ عربيٌّ من سلمنكا الإسبانيّة"[1]. ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أنّ هذا الشخص قد وُصِفَ زعماً بأنّه فقيهٌ مُسلمٌ يعرفُ اللغة العربية والإسبانيّة؛ "لذلك رأى ترجمة القرآن إلى اللاتينية؛ ولمّا كانَ لا يعرف العربية فقد استقدمَ من إسبانيا "فقيهاً" مسلماً يعرف الإسبانيةَ والعربية طبعاً، وكان هذا "الفقيهُ" المسلم - المزعوم في رأينا - يتولى ترجمة الآيات القرآنية فيصوغها يوحنا الأشقوبي باللغة اللاتينية!"[2].

وعلاوةً على ما سبق مِنْ جهالة اسم وحال هذا المترجم العربيّ، فقد ذكر سوذرن أنّه قرّر العودة إلى زوجته الشابّة التي خلّفها وراءه بعد أن عمل مع يوحنا السيغوفي عدّة أشهرٍ طويلةٍ وقاسيةٍ في إنجاز الترجمة، وحينها "كان العمل الأساسيُّ قد أُنجزَ؛ لكنّ يوحنا أَمِلَ أن يجد مَنْ يُعينُهُ في تدقيق بعض المواطن، والقيام بمراجعةٍ شاملةٍ وأخيرةٍ. لهذا طلبَ من

---

(1) انظر:

أ. آرمسترونج، سيرة النبي محمد، [م. س]، ص ٥٤.

ب. سوذرن، [م. س]، ص ١٣٤.

(2) بدوي، [م. س]، ص ٢٦.

رئيسه مقدَّم الآباء الفرنسيسكان أن يساعده في العثور على عالِمٍ عربيٍّ أو أوروبيٍّ يُحْسِنُ العربية. وبحثَ هو بنفسه في أوروبا طولاً وعرضاً؛ لكنه لم يعثر على أحدٍ يعرف لغة القرآن وهكذا بقيت الترجمة دون مراجعةٍ أخيرةٍ"(١).

إذاً فقدْ بقيت الترجمةُ دون تدقيقٍ ودون مراجعةٍ شاملةٍ أخيرةٍ، وهذا مأخُذٌ عليها يُضافُ إلى مأخذ جهالة شخص وحال المترجِم. وممّا يزيدُ في عدد علامات الاستفهام المضروبة حولها هو ضياع هذه الترجمة وعدم استشهاد المصادر التاريخية بها!!.

كان الإسلام، في رأي يوحنّا السِّيغوفي يتضمّنُ روحاً مقاتلةً فاتحةً، بعكس المسيحيّة التي لا تقرُّ ذلك، وكان يرى أنّ المسيحيّة إن أرادت الحفاظ على جوهرها فإنّها ستجدُ نفسها دائماً في الجانب الخاسر إنْ هي لجأت للحرب، كما كان يرى "أنّ المسيحيّة الغربيّة لن تكسبَ في الصراع [ضد الإسلام طبعاً] إلاّ إذا لجأت للوسائل السلميّة؛ لأنّها بالسّلم تكونُ قد بقيتْ أمينةً لروحها هي"(٢). وكان يرى خطأ القول بإمكان هداية المسلمين بالقوّة، وبإمكان فرض الحجج المسيحيّة عليهم، ولعلَّ رؤيته هذه هي التي دفعت بسوذرن لأن يصفه بأنّه "داعية السلام الأوروبي الأوّل مع الإسلام الذي اقتنع بأنّ المسيحّية لن تنتصرَ عن طريق التبشير، وقد كانت القضيّة الملحّةُ بالنسبة له التفكير بطرائق جديدةٍ للاتّصال بالمسلمين"(٣).

ولكننا لا نوافقُ سوذرن على ما ذهبَ إليه من وصف هذا الراهب السيغوفي بأنّه داعية سلام؛ وذلك لأنّ هذا السيغوفي بعد ترجمته للقرآن "قد شرع في تأليف كتاب "طعن المسلمين بروح السّيف"، وهو بمثابة أبرز ما كتبه في الردِّ على الإسلام"(٤). لقد علّمتنا المواقفُ السّابقة لهؤلاء الرهبان المستشرقين أنهم، في موقفهم من الإسلام ونبوّة محمدٍ، دائماً يكونون خلف آلةٍ من اثنتين؛ أمّا الأولى فهي آلةُ الحرب الفكريّة والعقدية وأمّا الثانية فهي الآلة العسكرية الحربيّة، وقد دأبوا على جعل الأولى مقدّمةً للثانية ومفتاحاً لها، فإن فشلت هذه وانهزمتْ عادوا إلى آلة الحرب الفكريّة، وتمترسوا خلفها يشنّون على الإسلام ونبيّه المصطفى حرب اللسان والكلام، ويُديرون عليه دوائر الطّعن والشّبهات والتشكيك والهمز

(1) سوذرن، [م. س]، ص ١٣٤.
(2) سوذرن، [م. س]، ص ١٣٦.
(3) المرجع السابق، ص ١٣٦، ١٣٧.
(4) بدوي، [م. س]، ص ٢٦.

واللمز .. ولذلك، نرى أنّ كلّ دعوات الرهبان المستشرقين للجدل ضد الإسلام إنّما جاءت في عهدٍ وزمنٍ ومناسباتٍ كانت القوّة العسكريةُ للإسلام تتمتّعُ فيها بتمام الصحّة والعافية، ومن هنا جاءت دعوة يوحنا السيغوفي لحماية المسيحيّة وعدم احتكاكها عسكرياً مع الإسلام بعد أن سقطت قلاع القسطنطينيّة تحت رايات الإسلام ووطئتْ أقدامُ الفاتحين ترابها في عام ١٤٥٣ للميلاد، فهي مهادنةُ الضّعيف الذي يخشى على تراثه ودينه، للقوي الفاتح المنتصِرِ، ولا نرى دعوة السيغوفي وغيره من الرهبان المستشرقين إلا ضمن هذا الإطار.

سادساً: نيكولاس الكويسي

يُعتبرُ الكاردينال الألماني نيكولاس الكويسي (أو نيقولاس فون كيس) الصّديق الأفضل ليوحنّا السيغوفي بالرغم من تباعد المسافات بينهما، وهو الوحيد مِن بين الذين كان السيغوفي يراسلهم، للدعوة لمؤتمرٍ لمحاورة المسلمين الذي ردّ عليه ردّاً إيجابيّاً، وشجّعه على المضيّ قُدُماً في فكرة المؤتمر وكتابة المؤلفات الجدلية التي تناقش الإسلام والقرآن. وكان ممّا جاء في رسالته الجوابية التي بعثها للسيغوفي في شهر كانون الأول من عام ١٤٥٤ للميلاد: "يجبُ علينا أن نحاول دائماً أن نجعل ذلك الكتاب الذي يتمتّع بالمرجعيّة عندهم [يقصد القرآن الكريم]. معتَمَداً عندنا، ذلك لأننا نجدُ فيه مواضع تُعَدُّ مُفيدةً، والمواضع الأُخرى التي تناقضنا نستطيعُ تأويلها عن طريق تلك المواضع"[١]. ويُعتبرُ كتابه "نظرة في القرآن" أشهر الكتب التي ألّفها على الإطلاق. ثم يليه في الشهرة كتابه "نقد الإسلام وتفنيده" وهو الكتاب الذي "قام بتأليفه بتوجيهٍ من البابا بيوس الثاني"[٢].

وكسابقيه من الرهبان المستشرقين، لم يكتب الكويسي كتاب "نظرة في القرآن" ليصلَ في النهاية إلى نتيجةٍ مبنيّةٍ على مقدّماتٍ سبق ذكرُها في بداية الكتاب، بل إنّه كان على قناعاتٍ مسّبقةٍ فيما يتعلّق بالقرآن، ثمّ خطَّ هذا الكتابَ ليدافع عن قناعاته تلك ويثبّتها. وتتلخَّص أبرز قناعاته تلك في أنَّ القرآن إنما هو خليطٌ من عناصر شديدة التباين ذاتِ أصولٍ يهوديّةٍ ومسيحيّةٍ هرطقيّةٍ!!!. لقد وضع الكويسي مؤلَّفه هذا بين عامي ١٤٦٠ و١٤٦١ للميلاد، وجاء في ثلاثة أقسام، وقام بحشوه بالمناقشات اللاهوتيّة الجدلية مع الإسلام، ويُعتبرُ الكتاب بحدٍّ ذاته تأويلاً للقرآن من وجهةِ نظرٍ إنجيليّةٍ، ودفاعاً مُستميتاً عن العقيدة المسيحيّة في وجه الإسلام. ولعلَّ عنوان هذا الكتاب واضحٌ تماماً في الدلالة على مقصوده والمراد منه؛ فهو يريدُ أن ينظر في القرآن ويغربله! فيأخذ الثمينَ الذي فيه وهو، برأيه، كلّ ما يوافق مضمون الكتاب المقدس، ويطرح الغثّ الزائد وهو، برأيه، الذي لا يوافق مضمون الكتاب المقدّس! فتكون النتيجة أنّ القرآن منحولٌ عن الكتاب المقدّس، بدلالة هذه الموافقات التي فيه للكتاب المقدّس!!! وفي تحليله لمضمون هذا الكتاب، يذكر هاغمان أنّ هنالك ثلاثة شواهد فيه تدلُّ بوضوح على ما سَمّاهُ (اللاهوت الكويسي)، وهي التأويل الصحيح للقرآن، ومن ثمّ توجيه المسلمين، وأخيراً إثبات عقلانية ما ورد في العقيدة المسيحيّة.

---

[١] هاغمان، [م. س]، ص ١١٠، بتصرّف.

[٢] عبد المحسن، [م. س]، ص ٣٧.

أمّا عن التأويل الصحيح للقرآن، فلم يُرِدْ به الكويسي التفسيرَ الصحيحَ المبني على الضمير والوجدان، بل يَقصدُ به تأويل القرآن من زاوية النظر المسيحيّة تأويلاً حسنَ المقاصد طيّب السريرة، واسع الصدر!! كما أنّه يقصدُ بالتوجيه الأخذ بيد المسلمين ليقودهم إلى فهم العقيدة المسيحيّة، ويوجّههم نحو فهم التثليث المسيحي!! أمّا العقلانية، فأراد بها أن يُثبتَ للذين يستخدمون عقولهم أنّ الإيمان بالتثليث إنما كان لدوافع عقلانية!!!.

ولعلَّ المحاولة السابقة التي قام بها الكويسي هذا لغربلة القرآن وتمحيص النظر فيه لأخذ الثمين وطرح الغثّ إنما كانت نابعةً، وبالدرجة الأولى، من اعتقاده بأنّ الإسلام في أصله إنما هو هرطقةٌ مسيحيّةٌ مُشتقّةٌ من الهرطقة النسّطوريّة. وهو في قوله هذا لم يأتِ بجديدٍ وإنما يكرّرُ ما كان سائداً في محيطه العام، ويردد هذه الفرية التي سبقه إليها عشرات الرهبان الذين كانوا يبحثون عن أكاذيب يلصقونها بالإسلام لصدِّ الناس عنه؛ حتى إنّه في محاولته لإثبات صحّة قوله هذا (الإسلام هرطقة نسطورية)، إنما كان يردّد وبالحرف مزاعم أسلافه وسابقيه من الرهبان في هذا الصّدد، فنراه يجترُّ حكاية تتلمُذِ محمد ﷺ على يد بحيرا الراهب النسطوري، "ولا يستبعدُ إمكانية التأثير النّسطوري على محمدٍ ومحيطه الفكريّ ما دامت النسطوريّةُ في ذلك الوقت واسعة الانتشار في مجال الشرق الأدنى"[(١)].

والذي نسجّله موقفاً في صالح نيكولاس الكويسي هذا، صراحته وصدقه في الإخبار عن المصادر التي أخذ منها معلوماته عن الإسلام ورسول الله محمد ﷺ، وتوثيقه لها في بداية كتابه "نظرة في القرآن"، وهي كتبٌ كنا قد عرضنا لمعظمها ووقفنا عليها بالنقد والتحليل وهي[(٢)]:

١. ترجمة القرآن إلى اللاتينية بتكليف من بطرس المبجَّل، التي أنجزها روبرت ألكيتوني.
٢. الرسالة التي يشار إليها بالعربية باسم "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن اسحق الكندي، ورسالة الكندي إلى الهاشمي"، وهي من أشهر الدفاعات المسيحية باللغة العربية.

---

(1) هاغمان، [م. س]، ص ١١٣.
(2) المرجع السابق نفسه، ص ١١٤، ١١٥ بتصرف.

٣. "كتاب السيرة المحمدية **Liber generationis Mahumet**"، الذي يتضمَّنُ عدداً من حكايات الخلق اليهودية الإسلامية، وكذلك عرضاً لنسب محمدٍﷺ، وقد يكون الأصل العربي كتاب "نسب رسول الله" لسعيد بن عمر.
٤. "الحكايات الإسلامية / **Fabulae Saracenorum**"، وهو أحاديثُ إسلاميةٌ ذات تلاوين دينيةٍ، وفيه تاريخ محمّدٍ، ولمحاتٌ من سير الخلفاء السبعة الأوائل.
٥. "مذهب محمّد / **Doctrina Mahumet**" باللاتينية، وهو خليطٌ من الحكايات الإسلامية واليهودية في صورة تمثيليةٍ من سؤالٍ وجوابٍ بأسلوب تعليم أصول الدين، أما الأصل العربي فهو: "مسائل عبد الله بن سلام".
٦. "الخلاصة الجامعة لهرطقات المسلمين / **Summa totius haeresis Saracenorum**" بقلم بطرس المبجَّل.
٧. رسالة بطرس المبجّل إلى برنارد فون كليرفو.

وإضافةً لهذه المراجع السبعة الهامة يخصُّ نيكولاس الكويسي أربعةً من الكتب بالذّكر، مشيراً إلى مدى أهميّتها وخصوصّيتها بالنسبة له، وهي:

أ. كتاب ركُلدُس دي مونتي كروتشي "ضد شريعة المسلمين".
ب. الرسالة المستفيضة، ورسالة "ضد إلحاد محمد"، وهما من تأليف ديونيسيوس كارتو سيانوس.
ج. "المقالة الوجيزة حول عقلانية الإيمان العائدة لكنتر الإيطالي"، وهي من تأليف توما الأكويني.
د. رسالة "ضد المبادئ الخاطئة في عقيدة محمد"، وهي من تأليف خوان دي توركمادا.

لم يكن مُستغرباً إذاً أن يتشابه موقف نيكولاس الكويسي من الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ مع مواقف سابقيه من الرهبان المستشرقين، ولم يكن مُستغَرباً كذلك أن تتطابق مواقف هؤلاء الرهبان مع بعضها البعض فيما يتعلّقُ بالإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ؛ وذلك لأنّهم كانوا ينهلون من معينٍ واحدٍ، ويستقون من المصادر الملوّثة ذاتها؛ وهي المصادر التي سبق وأن وضعنا على مصداقيّتها عشراتٍ من علامات الاستفهام والتعّجب. والمؤلمُ في الأمر أنّ كُتُبَ ومصادر

التراث الإسلامي ومخطوطاته كانت في متناولهم ومتوافرةً بكثرةٍ، بالذات في الأندلس، لكنّهم أبوا إلاّ أن ينهلوا من المصادر التي توافق رأيهم وتدعم موقفهم، يجمعهم في ذلك همٌّ واحدٌ هو الدّفاع عن العقائد المسيحيّة في وجه الإسلام، حتّى ولو أدّى بهم الأمر إلى تشويه حقائق الإسلام وقلبها وتزويرها، فالغاية عندهم تبرِّرُ الوسيلة!!.

المبحث الثالث
هل انتهى الاستشراق الدّيني؟

ها نحن نحيا في صدر القرن الحادي والعشرين للميلاد. وقد مرّت أزمانٌ بعيدةٌ وسنون طويلةٌ، على ما سبق ذكره من الاستشراق الدّيني ومؤلَّفات رهبان العصور الوسطى التي كرّسوها لمحاربة الإسلام وتشويه صورة رسول الله ﷺ. وقد زاد التقارب ما بين الشرق والغرب بشكلٍ ملحوظٍ في السنوات القريبة السابقة، وظهرت مجموعاتٌ سكانيةٌ ودينيّةٌ مُسلمةٌ كثيرةٌ في الغرب في القرن الماضي، فهل انتهى الاستشراق الدّيني وطويت صفحاته السوداء المؤلمةُ بكلّ ما احتملتهُ واجترحتهُ من سوءٍ وحروبٍ ثقافيةٍ وعقديّةٍ ضدّ الإسلام؟؟ وهل بقيت المؤلفاتُ الجدليةُ اللاهوتيّةُ السابقة حبيسة رفوف المكتبات القديمة في أوروبا ولم ترَ النّور في عصرنا هذا، عصر الحوار والتقارب مع الآخر والدّعوات المتكررة للتعايش معه وفهمه واحتوائه دون مزيدٍ من الحروب؟ وبعبارةٍ أخرى، هل بات الاستشراق الدّيني مسألةً تاريخيةً من تراث العصور السالفات، وفقدت مضامينهُ تأثيرها في عقول وأنفس الغرب المسيحي؟؟

لقد أجاب بعضُ دعاة التقارب مع الغرب والمستميتين في سبيل التودّد إليه ومحاكاته ومحاورته، دون أدنى قيدٍ أو شرطٍ أو حتّى مطلبٍ عادلٍ، أجابوا عن هذا السؤال بقولهم: إنّ الاستشراق (وبالذات الديني منه) قد انتهى وولّى إلى غير رجعةٍ. وإنّ كلمة الاستشراق آخذةٌ في الاندثار بعد أن خبا بريقها وفقدت تأثيرها وحساسيّتها. ويستشهد هؤلاء بقول المستشرق الشهير برنارد لويس "لقد أصبحت كلمة "مستشرق" منذ الآن فصاعداً ملوَّثةً هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أملٌ في الخلاص، ولكنّ الضّرر هنا أقلُّ لأنّ الكلمات قد فقدت قيمتها، وحتّى أولئك الذين تدلُّ عليهم [يقصد المستشرقين] تخلّوا عنها"[1]. كما يستشهدُ هؤلاء القائلون بانتهاء الاستشراق بالدعوات التي صدرت في مؤتمر المستشرقين العالمي، الذي عُقد في العاصمة الفرنسية باريس عام ١٩٧٣م، حيث كان هناك إلحاحٌ عامٌ، من المستشرقين المشاركين في المؤتمر على إعادة النظر في طبيعة هذا المؤتمر ووظائفه وضرورة التخلّي عن

[1] مطبقاني مازن، حقيقة نهاية الاستشراق، ص١، دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنوّرة لدراسات وبحوث الاستشراق. وقد أورد المطبقاني عبارة برنارد لويس السابقة نقلاً عن كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه لمؤلفه هاشم صالح، والذي أخذ هذه العبارة من مقالة لويس المنشورة في New york Review of Books.

تسمية الاستشراق[١]. وما من شكّ في أنّ الراحل إدوارد سعيد[٢]، كان له فضلٌ عظيمٌ وأسبقيّةٌ واضحةٌ في الكشف عن مساوئ الاستشراق والنوايا والأهداف الخبيثة للعاملين في حقله، وكان كتابه "الاستشراق" بمثابة كشفٍ لزيوف الدراسات الاستشراقية ومواجهةٍ صريحةٍ معها، لا بل كان بمثابة إعلانٍ لإطلاق النار على التراث الاستشراقي الحاقد، الذي كان يستهدف أكثر ما يستهدف عقيدة المسلمين وتراثهم وبلدانهم. مع أنّ الرجل كان مسيحياً ومات على مسيحيّته. لقد عاش إدوارد سعيد في بلادهم وحمل جنسيّتهم وكان يتحدّث بلُغتهم ويعلم كيف يفكّرون تماماً، فأجبرهم على مراجعة حساباتهم والوقوف مطولاً لمراجعة أنفسهم ولمراجعة الطريقة والأسلوب الذي كانوا يُعاملون به تراثنا وديننا وحضارتنا وقيمنا، ويكفي لإثبات صدقيّة ذلك أن نقول: إنَّ عبارات المستشرق الشهير برنارد لويس في كتابه الشهير "مسألة الاستشراق"[٣] إنما جاءت بعد إصدار الراحل إدوارد سعيد لكتابه السابق بأربعة أعوامٍ فقط. والذي نراه ونميلُ إليه أنّ وصفه لكلمة "مُستشرِق" بأنها (ملوّثة) إنما جاء نتيجةً لتأثره بما خطّهُ إدوارد سعيد في كتابه السابق. لم يأتِ وصف برنارد لويس واستعماله لكلمة (ملوّثة) من فَراغٍ لا، وإنما جاء لِيُشَخِّصَ الحالة الحقيقية التي عاشها الاستشراق منذ ولادته في حضن الكنيسة والأديرة الغربية حتى يومنا هذا. كان الاستشراق وبكل مدلولاته ومضامينه مهنةً ملوّثةً، لأنها قامت من بدايتها على قلب الحقائق وتشويه الوقائع واستخدام كلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ لمحاربة القرآن الكريم والحبيب المصطفى ﷺ وللقضاء على كلِّ ما جاء به هذا الإسلام العظيم. كان الاستشراق صنعةً ملوّثةً وصفها بذلك كبير الملوّثين الطاعنين في الإسلام برنارد لويس.

---

(1) تعود قضية نهاية الاستشراق إلى آخر مؤتمرٍ للمستشرقين عقد تحت رعاية المنظمة الدولية للمستشرقين في مدينة باريس بفرنسا عام ١٩٧٣م، وكان هذا المؤتمر الاستشراقي بمناسبة مرور مائة عام على بداية عقد المستشرقين. وفي هذا المؤتمر دار نقاش وتصويت بين المستشرقين على تغيير الاسم وتسمية الجمعية باسم جديد هو "المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا" وعقد تحت هذا الاسم مؤتمران ثم تغير الاسم إلى "المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية" وقد عقد المؤتمر مؤخراً في مدينة بودابست بالمجر، وحضره أكثر من ألف باحث معظمهم من أوروبا وأمريكا وروسيا في ١٧ – ١٢ تموز ١٩٩٨م وحدد موعد المؤتمر القادم في مونتريال بكندا عام ٢٠٠٠م.

(2) ولد ادوارد سعيد في القدس ١٩٣٥/١١/١ لعائلة مسيحية. بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الاسكندرية في مصر، ثم سافر سعيد إلى الولايات المتحدة كطالبٍ، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام ١٩٥٧م ثم الماجستير عام ١٩٦٠ والدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٤م. قضى سعيد معظم حياته الاكاديمية في جامعة كولومبيا في نيويورك، لكنه كان يتجول كأستاذٍ زائرٍ في عدد من كبريات المؤسسات الاكاديمية مثل جامعة يايل وهارفرد وجون هوبنز. تحدّث سعيد العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وألم بالإسبانية والألمانية والايطالية واللاتينية. إدوارد سعيد هو من اتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية. توفي في احدى مستشفيات نيويورك ٢٠٠٣/٩/٢٥ عن ٦٧ عاماً نتيجة إصابته بمرض اللوكيميا (سرطان الدم).

(3) انظر:

أ. لويس، برنارد، مسألة الاستشراق، ص ١٥٩ – ١٨٢ بتصرّف واختصار.

ب. لويس، برنارد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح، ص ٢٦١، ط٢، ٢٠٠٠، دار السّاقي، بيروت.

والذي نَميلُ إليه بوصفه إجابةً مُعتمدةً ثابتةً على عنوان هذا المبحث أنّ الاستشراق لم ينته، وأنّ شمسه لم تغرب بعد؛ والسببُ في ذلك راجعٌ لكون الاستشراق صنعة ونتاج الحاقدين على الإسلام الكارهين لرسوله، ولكون الاستشراق المُتنفَّس الذي يُعبِّرُ هؤلاء من خلاله عَمَّا يعتملُ في صدورهم تجاه الإسلام ورسوله الكريم محمد ﷺ، ولطالما بقي هؤلاء فإنّ الاستشراق باقٍ لا يغيب حتّى يأذن اللهُ أن تُغلَقَ نوافذ الباطل التي يُطلّون منها برؤوسهم، رؤوس الفتنة ليُساهموا في المزيد من تأجيج الفتن والشّحن ضد الإسلام وأهله. "وقد يقول بنهاية الاستشراق مَنْ ليس له إطّلاعٌ على أقسام الدراسات العربية، وأقسام دراسات الشرق الأدنى، والشرق الأوسط أو مراكز البحوث والمعاهد المتخصِّصة، أو معاهد البحوث الاستراتيجية أو معاهد البحوث حول الشؤون الدولية. ذلك أنّ النشاط الاستشراقي في هذه المراكز والأقسام مستمرٌ ومتواصلٌ. وأنّ القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية بل هناك من الدلائل على أنهم ينطلقون في دراساتهم للعالم الإسلامي عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً واجتماعاً وغير ذلك من المجالات، مستندين إلى الجهود الاستشراقية لسابقيهم"[1].

فحاصلُ القول إذاً، إنَّ الاستشراق الدّيني لم ينته البتّة، ولكنّه اتخذ لنفسه ثياباً جديدةً وقوالبَ أخرى، اضطرته إليها العلاقاتُ الجديدة التي فرضت نفسها في موضوع علاقة الإسلام بالغرب أحياناً، وضغوطُ الواقع المعاصر وزيوفُ حوار الحضارات أحياناً أخرى ... فأخذ ينتشر انتشار السرطان الخبيث القاتل الذي يزحف ويعمل بصمتٍ مطبقٍ حتى يودي بجسد الأمّة إلى مصيرٍ هو بئس المصير، واتّخذَ لنفسه قنواتٍ جديدةً أوسع من أروقة الكنيسة الغربيّة ودهاليز أديرتها ورهبانها؛ حيث دخل القنوات الأكاديمية الجامعية وقنوات الاتصال والإعلام بشتى أدواته ووسائله. "فما زال الباحثون الغربيون ينهلون من الكتابات الاستشراقية وما زالت بعض كتاباتهم تحتوي على التشوّهات نفسها التي ظهرت حتّى في كتاباتهم في القرون الوسطى الأوروبية. وقد أصبحت كتابات المستشرقين مصادر لكثيرٍ من الإعلاميين فانتقلت التشوهات والأخطاء والمفتريات الاستشراقية من المجال الأكاديمي إلى المجال الإعلامي فازدادت انتشاراً، وذلك لسيطرة وسائل الإعلام في مجال نشر الفكر والثقافة في العصر الحاضر. ويُؤخذ على الإعلاميين أنهم يأخذون أبحاث المستشرقين الغربيين على أنها مُسلَّماتٌ ثابتةٌ وليست أفكاراً قابلةً للخطأ والصواب، وقابلةً للتحيز والإنصاف"[2]. ويدعمُ صحّة هذا الكلام ما ذكرهُ الباحث برايان تيرنر صاحب كتاب الإسلام والاستشراق "إن الاستشراق

---

[1] مطبقاني [م. س]، ص ١.

[2] مطبقاني [م. س]، ص ٢، بتصرّف.

ما زال يحتفظ بدعمٍ فكريٍّ ومؤسّساتي؛ فالاستشراق يملك مقوماتٍ ذاتيةً تدعم وجوده"[1].

وعبارة تبرز هذه واضحةٌ وصريحةٌ في الدلالة على استمرار الوجود الاستشراقي، ولكنّها لم تكن واضحةً ولا صريحةً في الدلالة (أو حتى الإشارة) على طبيعة أو أوصاف أو مُسمّيات هذه المؤسّسات التي تقدم الدّعم الفكري (والمالي طبعاً) للاستشراق، والتي كان على رأسها الكنيسةُ الغربيّة وكل ما يتبعُ لها من جامعاتٍ كاثوليكيّة وكليّاتٍ لاهوتيّةٍ ومؤسّساتٍ دينيّةٍ وجمعياتٍ حملت مُسمّى "خيريّة"!!.

---

[1] المرجع السابق نقلاً عن كتاب Islam and orientalism لمؤلفه الباحث Bryan S. Turner.

المبحث الرابع
مُسَمَّيات الاستشراق الدّيني الجديدة وقنواته الأكاديمية والإعلاميّة

تقدّم القولُ في استمرارية الاستشراق وبقائه، كما تقدّمت الإشارةُ إلى أنّ الاستشراق الديّني اتّخذ لنفسه ثياباً وقنواتٍ جديدةً يصل من خلالها إلى العقليّة الغربيّة ليكرِّسَ مِنْ خلالها الصورة المؤلمة السابقة التي رسمها عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ. وقد تطلب الواقع المعاصر وجود هذه القنوات الجديدة بعد أن ضَعُفَ سلطانُ الكنيسة في النفوس، وبعد أن تحرّرَ الغربُ من مركزيّتها وسلطتها واتخذ العلمانية درباً وحيداً للنهضة والتقّدم. وهذه القنوات كثيرةٌ متعّددةٌ أبرزها قناتان؛ أولاهما القناة الأكاديميّة الجامعيّة وثانيهما قناة وسائل الاتصال والإعلام.

أمّا عن القناة الأكاديمية الجامعيّة فقد توضّحت معالمها في المجمع الكنسي المنعقد بين عامي ١٣١١ و١٣١٢ للميلاد والذي نصَّ قانونُه رقم (١١) على تدريس اللغات الشرقية في أكبر خمس جامعاتٍ أوروبيةٍ آنذاك، كما نصَّ على تخصيص مدرِّسَين كاثوليكيين لكلِّ واحدةٍ من هذه الجامعات الكبرى ليقوما بتدريس اللغة العربية[١]. ونشيرُ هنا إلى أنّ الكنيسة الغربيّة حرصتْ تمام الحرص على وجود بعض المستشرقين، أو على الأقل حَمَلةِ الفكر الاستشراقي الدّيني كمدرّسين في كبريات الجامعات في القارّتين الأوروبية والأمريكية الشمالية. كما حرصت على بقاء روابط وعلاقاتٍ طيّبةٍ تربطها بهؤلاء، حتّى ولو كانوا يهوداً أو مسيحيين غير كاثوليك. كيف لا، وقد كانت معاداتهم للإسلام ومحاربتهم لرسوله والتحريض عليه أكبر الروابط التي تجمعُ بينها وبينهم؟؟ ومن الأمثلة المشهورة لهؤلاء في القرن الماضي والحاضر برنارد لويس، وصموئيل هنتنغتون ودانيال بايبس؛ فمنهم من كان يعمل مدرّساً في الجامعة ومنهم من يمتلك بعض مراكز الدراسات ومعاهد البحث والكليّات العليا، ومنهم من يعمل في الإعلام الجامعي والأكاديمي[٢].

لقد حمل الكثيرون من الأكاديميين الغربيين على الإسلام ورسوله الكريم، وحاربوا قيمه وتشريعاته وعقيدته، ولكنّهم لم يبلغوا الحدَّ الذي بلغه هؤلاء الثلاثة، ولم ينالوا الشهرة التي

---

(1) سبق ذكر تفاصيله في الفصل السابق.
(2) سيأتي تفصيل القول في كلٍّ منهم في مباحث لاحقة.

نالها هؤلاء الثلاثة؛ ولعلّ شهرتهم هذه راجعةٌ إلى ما دوّنوه من كتاباتٍ وما قدّموه من مساهماتٍ فكريّةٍ في صناعة الكراهية بين ثقافة الإسلام والثقافات الغربيّة، وتركيزهم على أنّ صداماً حتميّاً ووشيكاً لا بدَّ أن يتمَّ بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، وأنّ الإسلام، بعد انهيار الشيوعية، هو الخصمُ الألدُّ والأوحد للغرب، وهو الخطر الأكبر الذي يهدّدُ منظومة القيم الغربيّة ودينها المسيحي. وفوق كلِّ ما سبق، فقد ساهم هؤلاء في صناعة ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلام فوبيا) كما ساهموا في خلق ظاهرة الاستشراق الإعلاميّ المعاصر والاستشراق المعولمِ، الذي حمل رسالة الكنيسة قديماً وحديثاً في حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام ورسول الله ﷺ.

وبالعودة للحديث عن القنوات الجديدة التي سلكتها الكنيسة الغربية لنشر الاستشراق فقد كانت قناة وسائل الاتصال والإعلام ثاني أبرز هذه القنوات. ولوسائل الاتصال والإعلام دور هامٌ وخطيرٌ في حياة الإنسان. وهي خيرُ وسيلةٍ يستعملها من يريدُ أن يجمّل أو يشوّه صورة دينٍ أو حضارةٍ أو ثقافةٍ أو شخصٍ ونقصدُ هنا شخصاً بمكانة الأنبياء أو الرسل أو مَن دونهم من الزعماء أو القادة أو دعاة الإصلاح ...

لقد ركَّزت الكنيسةُ الغربية اهتمامها على وسائل الإعلام، واتخذت منها وسيلةً لنشر معتقداتها وثقافتها ولَبثّ الصورة المشوَّهِة المرعبة للإسلام التي رسمها رهبانها المستشرقون عبر العصور، إدراكاً منها لأهمية وخطورة هذه الوسائل الإعلامية في تكوين صورةٍ سلبيّةٍ عن الإسلام والمسلمين، وأخرى إيجابيّةٍ عن المسيحيّة وأتباعها في العالم كلِّه.

ولوسائل الإعلام أهميّةٌ كبرى في تكوين الصّور الذهنيّة تتوضّح في نقاطٍ كثيرةٍ من أبرزها ما يلي[1]:

أولاً: إنَّ نطاق تجربة معظم الناس محدودٌ بطبيعته، ولذلك فإن الإنسان يستقي معلوماته مما تنشره وتذيعه وتعرضه وسائل الإعلام واسعةُ الانتشار. واتضح أنَّ (٧٠%) من الصور التي يبنيها الفرد لعالمه مستمدةٌ من وسائل الإعلام المختلفة. وتختلف هذه

[1] الزعبي، سلافة فاروق، صورة العرب في الإعلام الأمريكي، ص ٥٤، ٥٥، بتصرف، ط١، ٢٠٠٦، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن.

النسبة باختلاف تَقَدُّمِ الدول تكنولوجياً، فإن ما يقرب من (٩٥%) من الأمريكيين مثلاً يحصلون على معلوماتهم من وسائل الاعلام.

ثانياً: الانتشار الواسع لوسائل الإعلام، وامتداده الأفقي والعمودي، فهي تحاصر الإنسان في كلّ مكانٍ، وبسبب هذا الانتشار الكبير لا يمكن للفرد الهرب من رسائلها.

ثالثاً: قدرة وسائل الإعلام على تفسير الأحداث والحقائق التي تجري في العالم يومياً، وبلورتها في صورةٍ مُعَيّنةٍ، وهذا ما يوفر على الفرد جهداً في التحليل والتفكير، فيلجأ إلى الاعتماد على هذه الوسائل في معرفته للعالم المحيط به. لا سيّما ما يخصّ أولئك الذين ليس لديهم المقدرة على اختبارٍ تحليليٍّ واضحٍ لكل الأمور.

نعم، لقد أدركت الكنيسةُ الغربيةُ هذا الكلام مبكّراً وأسّست العديد من الوسائط الإعلامية وشبكات البث المتلفَزِ والإذاعي والإلكتروني، وهذا أمرٌ يجبُ على المسلمين اليوم عدمُ تجاهله؛ حيث يُعْتَمَدَ على المعرفة بأحوال الناس وثقافاتهم ودينهم في البلدان المختلفة على الصورة الإعلاميّة.

وما من شكٍّ في أنّ "المستشرقين الإعلاميين" أو الأكاديميين الجامعيين قد لعبوا،ومن خلال استغلالهم لوسائل الإعلام، دوراً كبيراً في تنميط صورة المسلمين في الذهنيّة الغربيّة، وهو الأمر الذي أدّى فيما بعد إلى تشكيل رأيٍّ عامٍ ضاغطٍ في الغرب يتَخِذُ مواقف معاديةً للمسلمين في كلِّ الأحداث والمناسبات. ولمزيدٍ من التفصيل في الحديث عن إدراك الكنيسة الغربيّة المبكّرِ لأهمية دور الإعلام الواسع نقول: إنّ اهتمامَ الكنيسة بوسائل الإعلام "بدأ منذ سنة ١٧٦٦م بنصٍّ للبابا كليمونص الثالث عشر حول طباعة الكتب ودَورِ الكنيسة في التوعية. وفي سنة ١٨٤٩م صدر للبابا بيوس التاسع وثيقة **Nostis et Nobiscum**. وتتالت الوثائق حتى سنة ١٨٨٢م مروراً بسنة ١٩١٨م حتّى كان إصدار رسالة البابا بيوس الحادي عشر **Vigilanti Cura** سنة ١٩٣٦م إلى أساقفة نيويورك، وتبلور هذا الاهتمام في منتصف الستّينات"[1]. وقد عَبَّرَ البيانُ **Inter**

[1] خضره، طوني، الكنيسة والإعلام، أيُّ علاقةٍ، أيُّ دور؟ دراسة مطوّلةٌ منشورة في الموقع الإلكتروني للإتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة www.ucipliban.org.

Mirifica، الصادر عن المجمع المسكوني الفاتيكانّي الثاني عام ١٩٦٣، عن أهميّة ما أسماه "وسائل الإعلام الاجتماعي"، أي الصحافة والسينما والراديو والتلفاز وما شابهها، فاعتبرها من "الاكتشافات ... التي استلّتها عبقريّة الإنسان ... بعضدٍ من الله، ومن الوسائل التي تؤدّي للجنس البشريّ خدمات جلّى، ... وتُسهم في الترويح عن النفس وتثقيفها، وفي امتداد ملكوت الله وترسيخه"[١]. وألزمَ البيانُ المجمعيُ السلطات العامّة بواجب الدفاع عن الحريّة الإعلاميّة الحقيقيّة والصحيحة وحمايتها، "وأمر بأعداد كهنةٍ ورهبان وعلمانييّن لاكتساب مهارةٍ حقيقيةٍ في استعمال هذه الوسائل لغاياتٍ رسوليةٍ، وبنشر المعاهد والمؤسسات لتنشئة الصحافييّن وصانعي الأفلام ومُعدّي البرامج الإذاعيّة المتلفزة تنشئةً مناسبةً مُشبعةً بالروح المسيحية، وبتأسيس مراكز وطنيّة كاثوليكية لوسائل الإعلام الاجتماعي وأخيراً أوصى المجمعُ جميع أبرشيّات العالم بتكريس يومٍ سنويٍّ عالميٍّ لدعم الإعلام الاجتماعي"[٢].

"وعلى الصعيد التنظيمي، أعلن البابا بيوس الثاني عشر، قُبيلَ المجمع الفاتيكاني الثاني، إنشاء لجنةٍ بابويةٍ خاصّةٍ بالسينما والراديو والتلفزيون، ثمَّ ثبّتَها البابا يوحنّا الثالث والعشرون عام ١٩٥٩م كلجنةٍ دائمةٍ، وحَوّلَها البابا بولس السادس عام ١٩٦٤م إلى لجنةٍ حبريةٍ للإعلام الإجتماعي، مضيفاً إلى دائرة صلاحياتها الإعلام المكتوب، وأخيراً رفعها البابا بولس الثاني إلى مصافِّ مجلسٍ حبريٍّ للإعلام الاجتماعي عام ١٩٨٩"[٣]. ومنذ العام ١٩٦٧م درج البابوات على إصدار رسائل حبريةٍ سنويةٍ في مناسبة اليوم العالمي للإعلام الاجتماعي. والجدير بالذكر هو "أن الكنيسة قدأعلنت القدِّيسة كلارا، عذراء أسيزي، شفيعةً لأهل الإعلام التلفزيوني، والقديس فرنسيس الساليزياني شفيعاً لأهل الصحافة، والملاك جبرائيل شفيعاً لأهل الإعلام الإذاعي"[٤].

وأصدرت الكنيسة سلسلةً من الوثائق التوجيهية في كيفية التعامل مع وسائل الإعلام الاجتماعي، أولها وأهمها وثيقة التعليمات الراعويّة "اتحاد وتقدُّم"، التي صدرت عام ١٩٧١م استجابةً لتفويضٍ خاصٍّ من المجمع الفاتيكاني الثاني" ومن أهمّ ما جاء في الوثيقة أن الكنيسةَ تعدُّ وسائل الإعلام الاجتماعي عطايا من الله. وقد أهابت بكل مسيحيةٍ ومسيحيٍّ

---

(1) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، البيان المجمعي Inter Mirifica العدد (١).

(2) المرجع السابق نفسه الأعداد ١٥، ٢١، ١٨.

(3) الإرادة الرسولية Infructibus multis، للبابا بولس السادس، بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢، راجع موقع الفاتيكان الرسمي.

(4) الدستور الرسولي، Pastor Bonus، للبابا يوحنا بولس الثاني بتاريخ ١٩٨٨/٦/٢٨.

ألاّ يحسب نفسه وفياً لوصية المسيح إنْ هو أهملَ الاستعانة بهذه الوسائل لإيصال العقيدة والتعاليم الإنجيلية إلى أكبر عددٍ ممكنٍ من الناس، مشددةً على أن جودة البرامج الدينية وإتقانها يجب أن يعادلا مثيليها في البرامج الزمنية"[١]. وأصدر المجلسُ الحبري للإعلام الإجتماعي وثائقَ عديدةً في أخلاقيّات وسائل الإعلام، وآداب الإعلان، وأخلاقيات الإنترنت.

ومن المفيد ذكره هنا أنّ البابا يوحنا بولس السادس قد لاحظَ أنّ الكنيسة "تشعرُ بالذنب أمام سيِّدها إذا هي لم تستعمل هذه الوسائل [الإعلاميّة] الفعّالة"[٢]. وأكّد على أن الكنيسة مدعوةٌ لاستعمال وسائل الإعلام، لا لنشر البشارة فحسب، بل لإدخال رسالة الخلاص في "الثقافة الحديثة" التي تخلقها وتوسّعها وسائل الاتصال القويّة، وأكّد على أنّ الكنيسة تقرّ بأنّ استعمال تقنيات الاتصال المعاصرة هي جزءٌ لا يتجزأ من رسالتها المميّزة في الألفية الثالثة، وأشار إلى أنّ الجماعة المسيحية، وقد نبّهها هذا الوعي، قامت بخطواتٍ مرموقةٍ في سبيل استعمالِ وسائل الاتصال في حقل الإعلام الديني والتبشير والكرازة.

تجدُ الكنيسة في وسائل الاتصال عوناً قويّاً لها لنشر الإنجيل والقيم الدينيّة المسيحيّة ولتوسيع وسائل التبشير (التنصير) وهي تعتقدُ أنّ في ذلك استجابةً لوصيّة المسيح "اذهبوا إلى العالم أجمعَ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلّها"[٣].

ومن الممكن تلخيصُ جلِّ اهتمامات الكنيسة الغربيّة بالإعلام واستخلاصُها من رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني بمناسبة اليوم العالمي لوسائل الإعلام للعام ٢٠٠٥م، وقد حملت هذه الرسالة عنوان "لاتخافوا من وسائل الإعلام"، وكان أبرز ما فيها ما يلي[٤]:

١. إنّ تحدياتِ التبشير الجديد كبيرةٌ في عالمٍ كعالمنا، غنيٍّ بوسائل الإعلام. وقد قلتُ [البابا يوحنا بولس الثاني] مشيراً إلى ذلك في رسالتي "رسالة المخلِّص" إنَّ مكان التبشير في عالم اليوم هو عالم وسائل الإعلام الذي وحَّدَ العالم وجعل منه "قريةً كونيةً". وقد بلغت

[١] وثيقة التعليمات الراعوية اتحاد وتقدّم بتاريخ ١٩٧١/٥/٢٣م، المنشورة بتفويض خاص من البيان المجمعي Inter mirifica عدد ٢٣ موقع الفاتيكان الرسمي.

[٢] راجع أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦) ٣٥، إرشاد رسولي، واجب التبشير بالإنجيل المنشور بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٨.

[٣] إنجيل مرقص، ١٦: ١٥.

[٤] انظر النصّ الكامل لهذه الرسالة المنشورة بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤م، في موقع كنيسة القديسة تيريز www.terezia.org، قسم الملفات الوثائقيّة، المنشورات الفاتيكانيّة.

أهميةُ وسائل الإعلام حدّاً أصبحت فيه، بالنسبة للكثيرين الوسيلة الأساسية التي تُلهمهم في تصرفاتهم الشخصية والعائلية والاجتماعية. وهذا أمرٌ معقّدٌ لأنّ ثقافةً جديدةً وُلدت بفضل وجود وسائل اتّصالٍ تستخدم تقنياتٍ ولغةً لم تكن معروفةً. عالمنا هو عالم الاتصال الكوني، عالم تمرّ فيه الكثير من لحظات حياتنا عبر وسائل الإعلام، أو على الأقل تواجه هذه الوسائل.

٢. يحتاج عالم وسائل الإعلام إلى خلاص المسيح. وكي نُحَلِّلَ بعيون الإيمان مسيرة وسائل الإعلام وقيمتها، لابدَّ من الرجوع إلى نظرةٍ متعمّقةٍ للكتاب المقدس، لأنه يشكِّلُ "الشيفرة" في إيصال رسالةٍ أساسيةٍ بسبب مضمونها الخلاصي، لا رسالةً سطحيةً وعابرةً، فتاريخ الخلاص يسرد كيف اتَّصلَ الله بالبشر، اتصالاً استعمل في سبيله جميع الطرق المناسبة وقد خُلق الإنسان على صورة الله ومثاله كي يستقبل الوحي الإلهي ويباشر مع الله حوار محبةٍ.

٣. إنَّ الإتصال عنصرٌ جوهريٌ في الكنيسة المدعوّة إلى التبشير برسالة الخلاص لذا تعتبرُ الكنيسةُ أنَّ وسائل الاتّصال الحديثة نعمةٌ من الله في أيامنا، لتعميق الشراكة وجعل البشارة أكثرَ فعاليةً. فوسائل الإعلام تسمح بإظهار البُعد الشامل لشعب الله، وتسمحُ بالاتّصال المباشر والكثيف بين مختلف الكنائس المحلّية، كما أنها تغذّي المعرفة المتبادَلة. لنشكر الله إذن على هذه الوسائل القوية التي، متى استعملها المؤمنون في نور الإيمان والطاعة لهداية الروح القدس، استطاعت أن تساهم مساهمةً كبيرةً في نشر الإنجيل، وأن توحِّدَ الكنائس فيما بينها بشكلٍ فعّالٍ.

٤. توجد في وسائل الاتصال الحديثة إمكانيةٌ كبيرةٌ جداً لنشر الإنجيل والقيم المسيحية وللحوار والتعاون المسكوني بين مختلف الكنائس، ولبناء مجتمعٍ سليمٍ يحترم كرامة الشخص البشري وينتبه إلى الخير العام. وتستعمل الكنيسة هذه الوسائل بطيبة خاطرٍ لتنشر معلوماتٍ عن نفسها ولتوسيع وسائل التبشير والتربية الدينية، لا بل تعتبر أنَّ استعمالها لهذه الوسائل هو طاعةٌ لأمر يسوع المسيح: "اذهبوا إلى العالم أجمَع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلِّها" (مرقص ١٦، ١٥).

٥. الأمر ليس سهلاً في عالم اليوم الذي غالباً ما يعتبر أنَّ وقت الحقائق الثابتة ولّى. فالإنسان اليوم ينبغي أن يتعلّم كيف يعيش في آفاقٍ تتميّزُ بانعدام المعنى، وبطابع النسبية والتغيّر الدائم. من هنا يمكن أن يكون استعمال هذه الوسائل بهدف نشر الإنجيل أو إسكانه في قلوب البشر. وهذا أمر يُشَكِّلُ تحدّياً كبيراً للمؤمنين، وبالخصوص للوالدين والعائلات والمسؤولين عن تربية الأطفال والشباب. لذا يجب تشجيع جميع مَنْ يشعر بميلٍ إلى

العمل في مجال وسائل الاتصال الحديثة أن يتخصَّص فيه، ليصبح قادراً على الحوار والتعامل مع هذا العالم الواسع.

٦. إعطاء الأهمية لوسائل الإعلام أمرٌ مطلوب ليس فقط من المتخصّصين بل من الجماعة الكَنَسِيّة بأسرها. فإذا كان موضوع وسائل الإعلام يهمّ أكثر من مجالٍ من مجالات العمل الكنسيّ، فينبغي على المسيحيين أن يكونوا واعين لثقافة وسائل الإعلام التي يعيشون في وسطها.

٧. من الضروري أن نعطيَ لتبشيرنا بالمسيح طابعاً فعّالاً يسمح بسماع البشارة وقبولها. وهنا تقع المسؤولية بنوعٍ خاصٍّ على الجمعيات الرهبانية التي تأسّست لهذا الغرض والتي تحمل هذه الروح.

٨. الكنيسة قويّةٌ برسالة الخلاص التي تَسَلَّمتها من المعلِّم الإلهي، وهي خبيرةٌ في البشرية. وتشعر أنَّ واجبها يدعوها إلى تدلو دلوها في عالم المسؤوليات بخصوص تطوّر وسائل الإعلام الحديثة.

٩. التفكير في دور "الرأي العام في الكنيسة" و"الكنيسة في الرأي العام" أمرٌ مثير للاهتمام. التقى سَلَفي البابا بيوس الثاني عشر صحفيّين فقال لهم: "لو لم يكن هناك رأيٌ عامٌ لنقص أمرٌ ما للكنيسة". وقد تكرّر هذا القول أكثرَ من مرةٍ.

وبعد حديثه عن ضرورة مساهمة الكنيسة في الرأي العام، اختتم البابا المذكور رسالته بعباراتٍ توافق عنوانها (لا تخافوا من وسائل الإعلام) فقال[1]:

لا تخافوا من التكنولوجيات الحديثة فهي جزء من العظائم التي وضعها الله في تصرفّنا لكي نكشف الحقيقة ونستعملها وننشرها وبخاصّة حقيقة كرامتنا ومصيرنا كأبناء لله وورثة ملكوته الأبدي. لا تخافوا من معارضة العالم لكم! فالمسيح قد طمأننا: "قد غلبتُ العالم!" (يو ٣١/١٦). لا تخافوا أيضاً من ضعفكم وعدم مقدرتكم! فالمعلّم الإلهيُّ قال: "أنا معكم كلّ الأيّام حتّى انتهاء الدهر" (متى ٢٠/٢٨).

[1] المرجع السابق نفسه، ص ٢٠.

المبحث الخامس
الكنيسة الغربيّة والانترنت

لم يفوّت البابا الراحل يوحنّا بولس الثاني في رسالته السالفة الذكر (لا تخافوا من وسائل الإعلام) ذكر وسيلةٍ هامّةٍ وخطيرةٍ، إن لم تكن الأهمّ والأخطر، من وسائل الإعلام ألا وهي "الإنترنت"، فقال[1]: "منذ خمسة عشر عاماً، اقترحتُ ألاَّ يُترك موضوعُ التعامل مع وسائل الإعلام بين يدي أفرادٍ مستقلّين، بل طلبتُ أن يصبح جزءاً من التخطيط الرعوي. فالوسائل الحديثة مناسبةٌ لتقديم العمل الرعوي المتعدّد الأشكال على أنه خدمةٌ. يكفي أن نفكّر كيف يسمح "الانترنت" بتبادل المعلومات، وبسرعة الاتصال. وقد دخل الكثيرُ من المؤمنين هذا المجال وأخذوا يستعملونه في التبشير والتعليم والإدارة. ومع الانترنت يجب المحافظة أيضاً على وسائل الاتصال الأخرى مثل الجرائد والمجلات والنشر والتلفزيون والراديو ... كلُّها وسائلُ إيجابيةٌ وفعّالةٌ". وقد أصدر المجلس الحبري لوسائل الإعلام والاتصال الاجتماعية في الفاتكيان في عام ٢٠٠٢م نشرةً مطوّلةً حملت عنوان "الكنيسة والإنترنت" عبَّر فيها عن موقف الفاتيكان المشجّع والدّاعم لاستخدام الإنترنت، وتحدّث عن كون الانترنت أصبح واقعاً ملموساً في بعض الأبرشيات ودور العبادة، وأنّه سبب في اعتناق الكثيرين من أبناء الديانات الأخرى للمسيحيّة. ويمكننا من خلال دراسة وتحليل هذه النشرة أن نحصُرَ تصوّرات الفاتيكان لاستعمال الإنترنت في خدمة المسيحيّة فيما يلي[2]:

١. إنَّ وسائل الإعلام توفّرُ فوائدَ جمّةً من الناحيّة الدينيّة بما تنقله من أنباء بشأن الأحداث والأفكار والشخصيّات الدينيّة. إنها محاور للبشارة والكرازة، تقدِّمُ كلَّ يومٍ موضوعَ استلهامٍ وتشجيعٍ ومناسباتِ صلاةٍ للأشخاص المرُغَمين على ملازمة أماكنهم.
٢. وإلى هذه الفوائد هناك فوائد أخرى لا تقل خاصيَّتُها ارتباطاً بالإنترنت. فالإنترنت يقدّم للأشخاص وسيلة اتصالٍ مباشرٍ وحيٍّ بمصادر دينيّةٍ وروحيةٍ ذات شأن، منها المكتبات والمتاحف وأماكن العبادة ووثائق الكنيسة التعليميّة وكتابات الآباء والحكمة الدينيّة في مختلف العصور.

---

(1) رسالة لا تخافوا من وسائل الإعلام [م. س].

(2) انظر النص الكامل لهذه النشرة المكونة من ٣٢ صفحة على موقع الفاتيكان، وهي منشورة بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٢م في عيد كرسي مار بطرس الرسول وقد حملت توقيع رئيس المجلس الحبري المطران جون ب. فولي وأمين سر المجلس بيرفرانكو باستوري.

٣. يمتلك الانترنت قدرةً مميّزةً على تجاوز المسافات والعزلة، وذلك بإتاحة الاتصالِ للأشخاص بآخرين من ذوي الإرادة الحسنة، ومَنْ تحرّكهم المشاعر ذاتها، وينتمون إلى جماعاتٍ إيمانيّةٍ افتراضيّةٍ.

٤. يتلاءم الانترنت وأعمالٍ وبرامجَ كنسيةٍ عديدةٍ، منها البشارة وإعادة البشارة، والبشارة الجديدة والعمل الرسالي التقليدي "إلى الأمم"، والكرازة وسواها من أنماط التربية والإعلام والدفاع عن العقيدة والإدارة وبعض أشكال التوجيه الراعوي والروحي.

٥. هناك عددٌ لا يُستهان به من الرعايا والأبرشيات والجمعيات الرهبانيّة والمؤسسات والمنظمات والبرامج الكنسيّة المتنوّعة يُقبِلُ اليوم على استعمالِ الإنترنت استعمالاً فاعلاً لهذه الغايات وغيرها.

٦. من الأهميّة بمكانٍ أن يُستعملَ الانترنت، على جميع مستويات الكنيسة، استعمالاً خلاّقاً تلبيةً للمسؤوليات الخاصة، وانجازاً لعمل الكنيسة، فالتخلّف عن المواكبة، حياءً وخشيةً من التكنولوجيا أو لأسبابٍ أخرى، ليس بالأمر المقبول، نظراً للإمكانيات الإيجابية العديدة التي يعرضها الإنترنت. كما أنَّ السبل التي تسهّل الاتصال والحوار بين أعضاء الجماعة الواحدة من شأنه أن يعزّز روابط الوحدة في ما بينهم. إنَّ الوصول المباشر إلى الإعلام يتيح للكنيسة تعميق حوارها مع العالم المعاصر.

٧. يجب على المسؤولين الكنسيين والمنشطين الراعويين في جميع قطاعات الكنيسة أن يتعلّموا كيفيّة التعرّف على وسائل الإعلام وتطبيق هذه المعرفة في خططٍ راعويةٍ إعلاميةٍ، وبرامج حسيّةٍ في هذا المجال، والاستعمال الملائم لهذه الوسائل الإعلامية. وعليهم هم أنفسهم، إذ دعت الضرورة، أن يتلقّوا التنشئة الخاصّة بمادة الإعلام.

٨. تمتلك الكنيسة إمكانية إعلامِ العالم إعلاماً مباشراً حول معتقداتها وشرح مواقفها وأسبابها حول أيٍّ موضوعٍ أو حدثٍ. وبوسعها أن تسمعَ بصورةٍ أوضحَ صوتَ الرأي العام، وأن تخاطب العالم الذي يحيط بها مخاطبَةً متواصلةً، وأن تخوض بصورةٍ أكثر مباشرةً في البحث المشترك، إيجاداً لحل العديد من معضلات البشرية الملحّة.

٩. إنّ المسيح هو "الإعلامي الكامل"، أي القاعدة والمثال للمقارنة التي تقوم بها الكنيسة بشأن الإعلام، فضلاً عن المضمون الذي ينبغي على الكنيسة أن تبلِّغَه للعالم.

لم تترك الكنيسة الغربيةُ الرسائل والمنشورات السابقة المتعلّقة بأهمية الانترنت لتكون مسائل نظريّةً مجرّدةً أو لتظلَّ حبراً على ورقٍ، بل أخذتْ بتنفيذها الفعلي على أرض

الواقع؛ ومن ذلك أنَّ الكرسي الرسوليّ[١] دعا إلى لقاءٍ في الفاتيكان يشترك فيه اثنان وثمانون أسقفاً وكاهناً لدراسة التحدّيات وفرص التبشير على شبكات التواصل على الإنترنت، وقد درس المشاركون في هذا المؤتمر، الذي انعقد في الثلث الثاني من شهر آذار لعام ٢٠٠٩م للميلاد، وجوب حضور الكنيسة الحيّ والمباشر على الإنترنت "وطُبِّق ذلك عملياً عبر حضور الكرسي الرسولي على الـ **(Youtube)**[2] بشكلٍ رسمي من خلال تدشين موقع **(http://www.youtube.com/vatican)**، كما تمّ خلال هذا المؤتمرُ تدارسُ احتمالية حضور الكنسية والبابا على الـ **(Face book)** [٣] وغيره من شبكات الاتصال الأخرى على الإنترنت[٤]. لقد أثارت هذه الخطوة التي قام بها الفاتيكان تساؤلاتٍ كثيرةً في الوسط الإعلامي مما حدا بأحد الصحيفيين ليسأل الكاردينال كلاوديو ماريا تشلّلي[٥]: كيف يستطيعُ البابا أن يتنازل لكي يكونَ حاضراً في واقعٍ مثل هذا، يضمُّ كل أنواع الفيديو؟ فأجابه الكاردنيال تشللي بقوله: "إنّ المسيح تنازل آخذاً طبيعتنا البشريّة، وأنَّ البابا يجبُ أن يكون حيث يلتقي الناس"[٦].

ومن الواضح أنّ خطوة الفاتيكان هذه، والمتعلّقة بتدشين مواقع لها على ألـ **(Youtube)** وألـ **(Facebook)** إنما تأتي تطبيقاً لما عبَّر عنه البابا في رسالته

---

[1] الكرسي الرسولي أو الكرسي البابوي هو كيان سياسي قانوني مُعترَف به دولياً يرأسه "أسقف روما" أو رأس الكنيسة الكاثوليكية، المعروف عموماً باسم بابا الفاتيكان. وتُمَثِّلُ الإدارة البابوية الرومانية الحكومية المركزية في الكرسي الرسولي وهي تمثلُ مجموعةً من الإدارات والهيئات الكنسية والتي يرأسها البابا. ويعتبر الكرسي الرسولي المتحدث باسم الكنيسة الكاثوليكية كما يخضع الكرسي الرسولي لكافة القوانين والاتفاقيات الدولية المعمول بها.

[2] Youtube أكبر موقعٍ على شبكةِ الإنترنت يسمح للمستخدمين برفع ومشاهدة ومشاركة مقاطع الفيديو بشكلٍ مجاني. خلال صيف ٢٠٠٦ كان موقع يوتيوب واحداً من أسرع المواقع تطوّراً على شبكة الإنترنت وخلال سنةٍ واحدةٍ تقريباً كان ترتيبه العالمي في اليكسا (٥)! وفي فترة (صيف ٢٠٠٦) كان الموقع يحصل على ١٠٠ مليون مشاهدة يومياً! وكان يُضافُ إليه ٦٥ ألف مقطع فيديو كل ٢٤ ساعة. وعدد زواره كان ٢٠ مليون زائر في الشهر، وحوالي ٧٠٠ ألف زائر يومياً.

[3] Facebook هو موقعٌ اجتماعيٌ أطلق في الرابع من شباط ٢٠٠٤. والموقع يتبع نفس شركة فيس بوك الخاصة وسمح هذا الموقع للمستخدمين بالإنضمام إلى عدة شبكات فرعية من نفس الموقع تصبُّ في فئةٍ معينةٍ مثل منطقةٍ جغرافيةٍ معينةٍ ـ مدرسة معينة وغيرهامن الأماكن التي تساعد على اكتشاف المزيد من الأشخاص الذين يتواجدون في نفس فئة الشبكة.

الاسم فيس بوك (Facebook) يشير إلى دفترٍ ورقي يحمل صوراً ومعلومات لأفراد في جامعةٍ معينةٍ أو مجموعةٍ ومن هنا جاءت تسمية الموقع. وتعتبر هذه الطريقة شائعة لتعريف الأشخاص خصوصاً في الجامعات الأجنبية ببعضهم حيث يتصفح المنتسبون في الجامعة هذه الدفاتر لمعرفة المزيد عن الطلبة المتواجدين في نفس الكلية. الموقع يحوي ٦٤ مليون مشترك من أيلول ٢٠٠٦ إلى أيلول ٢٠٠٧، وارتفع ترتيب الموقع من حيث الحركة من الترتيب رقم ٦٠ إلى المركز السابع حسب موقع اليكسا، ويعتبر موقعاً كبيراً أيضاً في تحميل الصور الشخصية حيث يتم تحميل أكثر من ٤١ مليون صورة يومياً.

[4] انظر تفاصيل الخبر على موقع وكالة زينت الإعلامية التابعة للفاتيكان على موقعها الإلكتروني www.zenit.org بتاريخ ٢٠٠٩/٣/١١.

[5] هو رئيس الأساقفة ورئيس المجلس الحبري لوسائل الإعلام والاتصالات الاجتماعيّة.

[6] المرجع السابق نفسه.

السابقة والذي أطَلَقَ عليه مُسمّى (الثقافة الحديثة) أو (الثقافة الجديدة) والتي كان يقصِدُ بها الثقافة الإلكترونيّة. وفي إشارةٍ منها لنجاح فكرة موقع الفاتيكان الإلكتروني على ألـ **(Youtube)** فقد "ذكرت إذاعةُ الفاتيكان الرسميّةُ أنّ عدد الزيارات لهذه القناة والموقع قد بلغ ستمائة وثلاثين ألفاً بعد أربعة أيام فقط من افتتاحها، أي بمعدل ستِّ آلاف وثلاثمائة زيارة في الساعة"[١].

وانطلاقاً من توجيهات البابا في الرسالة ذاتها نشطت الكنائس والأبرشيات والجمعيات والجماعات المسيحيّة في العالم كلّه في تأسيس مواقع إلكترونيةٍ دينيّةٍ خاصّةٍ بها على الإنترنت "حتى بلغ عدد هذه المواقع المسيحيّة (٢٩٥٠٦) مواقع في الإحصائية أُجريت عام ٢٠٠٤م"[٢]. لقد تنوّعت هذه المواقع الإلكترونية في مسميّات كنائسها فمنها الآرثوذكسية ومنها الكاثوليكية منها القبطيّة ومنها المارونية وما إلى ذلك من مسمَّيات الطوائف المسيحية وكنائسها. ودون أية مبالغةٍ نقول: لقد رصدتْ هذه الدراسة وتتبّعت عشرين من هذه المواقع الالكترونية على مدار ثمانية أشهرٍ فقط ابتدأت من شهر شباط وانتهت في شهر تشرين الأول من عام ٢٠٠٩م، وقفنا من خلالها على مئات الإساءات التي حملتها هذه المواقع تجاه الإسلام والرسول الكريم ﷺ.[٣]

---

[1] موقع إذاعة الفاتيكان www.radiovatican.org بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٨

[2] مايير، جان فرانسوا، الإنترنت والدِّين، ط١، ٢٠٠٨، دار أنفوليو للنشر، سويسرا. عرض الحسن السرّات على موقع www.aljazeera.net.

[3] ومن هذه المواقع على سبيل المثال وليس الحصر:

١. موقع مجلة صوت الكرازة بالإنجيل www.vopg.org
٢. موقع الخدمة العربيّة للكرازة بالإنجيل arabicbible.com.
٣. موقع كلام الحقّ في الردّ على الإسلام www.geocities.com.
٤. موقع الحقيقة لصاحبه (المزعوم) الشيخ أحمد www.shikh-ahmad.com.
٥. موقع زلزال مكّة لفضح العقيدة الإسلامية.
٦. موقع الكلمة www.alkalema.net.
٧. موقع www.thequran.com.
٨. موقع www.answersaboutfaithcom.
٩. موقع www.islamexplained.com .
١٠. موقع www.islam-christianity.net.
١١. موقع www.muhammadanism.org.
١٢. موقع www.answering-islam.org.
١٣. موقع www.house-of-god.org.
١٤. موقع www.public.netc/search-thescripturesarabic.com .
١٥. موقع www.Light-of-Life.com وهو من أخطر هذه المواقع المسيئة.

لا نقول إنّ الكنيسة الغربيّة هي التي أمرت القائمين على هذه المواقع وأوحت إليهم بمحاربة الإسلام وتشويه صورة محمد ﷺ لا، ولكننا نقول إنّ العاملين في هذه المواقع الإلكترونية والمشاركين فيها والدّاعمين لها، إنّما أقدموا على هذه الأعمال القبيحة والإساءات المُستهجَنة بحق الإسلام والمسلمين والحبيب المصطفى (ﷺ) اعتقاداً منهم بأنّ ذلك يساهم في خدمة المسيحيّة والذّود عن عقائدها وحمايتها من "خطر الإسلام" بوصفه الخصم والعدو الذي كان ولا زال يتهدّد المسيحيّة وينافسها في ريادة العالم. ولعلّ هذه الأسباب والتصوّرات الخاطئة عن الإسلام التي يحملها هؤلاء هي عينُها الأسبابُ التي أَدَّت إلى انطلاق الاستشراق الدينيّ ومن قبله الحروب الصليبيّة. كل ذلك يجري تحت مرأى ومسمع الكنيسة الغربية، التي نراها لا تحرّك ساكناً للجم هؤلاء أو إسكاتهم أو حتّى لتوجيههم إلى أخلاقيات التعامل مع الآخر (المسلم)!! ولا عجب فقد كانت هي، ومُنذ نعومة أظفار الإسلام، السبَّاقة إلى ذلك.

وحتى لا يكون الكلام اتهاماتٍ مجرَّدةً عن الدليل فإننا نرى من الضروري أن نسوق بعض الأمثلة على إساءات هذه المواقع الإلكترونية الدينية إلى الإسلام.

الإساءة الأولى: وقد كانت هذه الإساءة قاسماً مُشترَكاً موجوداً في كلّ المواقع الإلكترونيّة التي رَصَدتْها هذه الدراسة. وهذه الإساءة حملت عنوان (من الأعظم محمد أم المسيح؟) أو (أيهما أعظم المسيح أم محمد؟)، وهي في ظاهرها قد تبدو مقارنةً مقبولةً في طرحها، بريئةً في هدفها ولكنّها في واقع الحال ليست كذلك. وسنقتصر في عرضنا هذا على أبرز النقاط الواردة فيها، مع إيرادنا لردودٍ إجماليةٍ عليها، مع تذكيرنا للقارئ الكريم بأنّ هذه المقارنات كلّها سترِدُ عليها ردودٌ تفصيليةٌ شافيةٌ في الفصل الأخير من هذه الدراسة، ومن أبرز هذه الإساءات ما يلي:

١. المسيح هو الحياة وأتباعه أيضاً سيحيون "أنا هو القيامة والحياة مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا" (يوحنا ١١: ٢٥) وقال أيضاً لأتباعه "إني أنا حيٌ فأنتم ستحيون" (يوحنا ١٤: ١٩) أمّا محمدٌ فهو ميتٌ وأتباعهَ ميّتون "إنك ميِّتٌ وإنّهم ميّتون" (سورة الزمر ٣٩: ٣٠).

ـ يعتقد المسيحيّون بهذا لأنّهم لا يعترفون ببشرية المسيح فهو في نظرهم ربٌ وإلهٌ، وهم في الوقت نفسه يعتقدون بموته على الصليب وبأنّ ذلك كان لتكفير خطايا البشر!! أمّا عن رسول الله ﷺ فهو لم يدَّعِ الخلودَ لأحدٍ في هذه الحياة الدنيا التي سيفنى كلُّ مَن فيها على نحو ما ذكر القرآن الكريم، ولكنّ الخلود إنّما هو في الحياة الآخرة فلا موتَ لأهل الجنّة ولا موت لأهل النار.

٢. المسيح منع أتباعه من استعمال السيف "ردَّ سيفك إلى مكانه كلُّ الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" (متى ٢٦: ٥٢) بينما محمدٌ حثَّ أتباعه على استعمال السيف "يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال" (سورة الأنفال ٨: ٦٥).

ـ إن لم يسمح المسيح، عليه السلام، لتلاميذه وأتباعه باستعمال السيف فلماذا إذاً سمح لهم بحمله؟؟ وهذا الكلام ليسَ من عندنا، فذكر السياق كاملاً هو الذي يثبتُ صحّة ذلك؛ حيث أنّ الكهنة اليهود لمّا جاؤوا للقبض على المسيح، عليه السلام، وأمسكوه "وإذا واحدٌ من الذين مع يسوع مدَّ يده واستلَّ سيفه وضربَ عبدَ رئيس الكهنة فقطعَ أذنه"[(١)]. أمّا عن استعمال أتباع محمدٍ ﷺ للسيف فما كان يوماً إلا للدّفاع عن الحق ولردِّ الظلم والعدوان، وهو ما سيأتي تفصيل القول فيه في الفصل الأخير من هذه الدراسة بعونه تعالى.

٣. المسيح نادى بالغفران "سمعتم أنّهِ قيلَ عينٌ بعينٍ وسنٌّ بسنٍّ، وأمّا أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فَحَوِّل له الآخر أيضاً". (متى ٥: ٣٨ – ٣٩) بينما محمدٌ نادى بالانتقام "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (سورة البقرة ٢: ١٩٤).

ـ ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قطّ. والآية الكريمة المذكورة إنّما تقرّر مبدأ القصاص الذي يقوم على معاقبة الجاني والمعتدي بمثل ما فعل، وهذه قمّة العدل والانصاف في ردع الجُناة والمعتدين على الناس. ولا ينسَ النصارى قبل ذلك أنّ العهد القديم قد كان السبّاق في إقرار مبدأ القصاص، والدليل على ذلك هو "وإن حصلتْ أذيّةٌ تُعطي نفساً بنَفْسس وعيناً بعينٍ وسِنّاً بِسِنٍّ ويداً بيدٍ ورِجلاً برجلٍ وكَيّاً بكيٍّ وجُرْحاً بجُرحٍ ورضّاً برضٍّ"[(٢)].

٤. المسيح كان بلا خَطِيَّةٍ "لم يفعل خطيةً ولا وجد في فمه مكر" (١ بطرس ٢: ٢٢) "من منكم يبكّتني على خَطيّة: (يوحنا ٨: ٤٦) "وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا

---

(1) متى: ٢٦: ٥١

(2) الخروج: ٢١: ٢٣ – ٢٥.

وليس فيه خطية" (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ٥) ـ وكذلك فإنّ القرآن لم يذكر أيَّ خطيةٍ لعيسى ـ بينما محمدٌ كان خاطئاً "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" (سورة محمد ٤٧: ١٩).

ـ لقد أجرى النصارى هذه الآية الكريمة على ظاهرها وفهموها فهماً خاطئاً. والمعنى الظاهر هنا يعارضُ عصمةَ الله تعالى لأنبيائه ورسله عن الوقوع في المعاصي والآثام والذنوب. إذ لا يصلُحُ مذنبٌ وآثمٌ وعاصٍ لأن يكون قدوةً للناس يأخذ بيدهم إلى الخير والفلاح ويقودهم لتطبيق تعاليم شرع الله تعالى "فذنبُ الرسول ﷺ ليس ذنباً حقيقياً، قائماً على فعل المعصية، وإنما هو ذنبٌ معنويٌ يقوم على نوعٍ من تركِ الأَولى، والسهو والغفلة والنسيان، الذي لا يؤدي إلى ترك واجبٍ أو فعلِ محرَّمٍ. وقد يفعل الرسول ﷺ خلافَ الأَولى، فيعاتبه الله، وقد يمر بحالةٍ من السهو اليسير أو الغفلة البسيطة، فيتداركه الله، وهذا نوعٌ من التقصير، يستدعي أن يستغفرَ اللهَ منه، ليبقى ﷺ في كامل تألُّقِه وارتقائه. وقديماً قيل: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين. إنَّ استغفار الرسول ﷺ وتوبته نوعٌ من أنواع ذكره الله، وعلى هذا قوله ﷺ: "إنه ليُغانُ على قلبي فأتوبُ إلى الله واستغفره في اليوم مئة مرة" فاستغفاره لله صورةٌ من صور ذكره وشكره له"[١].

وعلى ذلك يكون الأمر بالاستغفار أن يستغفر النبي ﷺ من الأمور التي اجتهد فيها، من غير وحيٍ إليه فيها، فتركَ الأولى (الأحسن) وأخذ بالحَسَنِ.

٥. كلام السيد المسيح لم يتبدَّلْ "السماء والأرض تزولان ولكنَّ كلامي لا يزول" (متى ٢٤: ٣٥) بينما كلامُ القرآنِ ومحمّدٍ قد تبدَّل "وإذا بدّلنا آيةً مكان آيةٍ والله أعلم بما ينزل" (سورة النحل ١٦: ١٠١).

ـ لقد تبدّل قول المسيح، عليه السلام، وزال في الإنجيل والدليل على ذلك ما يلي: "أَجَابَ يَسُوعُ: وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ"[٢]. فقد تبدّل قوله هذا إلى ما يلي: "إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا"[٣]. أمّا عن قوله تعالى " بدّلنا آيةً مكان آيةٍ" ففيه اقرارٌ لمبدأ الناسخ والمنسوخ و"إنَّ نسخَ الله تعالى لحُكمٍ من أحكامه، أساسُه حِكمةٌ

---

(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، ص ٦٩٠، ط ١، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق.

(2) يوحنّا: ٨: ١٤

(3) يوحنّا: ٥: ٣١.

ظاهرةٌ، ومعلومةٌ لله تعالى، ويستحيلُ أن تخفَى عليه. وغايةُ الأمر أنّ الله تعالى عندما ينسخُ حكماً بحُكْمٍ آخر، فإنّ الحُكمَ الناسخ يأتي بحكمةٍ غير الحِكمة التي أتى بها الحكمُ الأولُ المنسوخ. وعلى اعتبار أنّ هناك مصلحةً جديدةً للعباد اقتضتها عمليةُ النّسخ، وجاء بها الحكمُ الناسخ. فمصالحُ العباد تتجدَّدُ بتجدُّدِ الأزمان، وتختلفُ باختلاف الأشخاص، والأحوال. ولذا فإنّ النَّسْخ يعني أن هناك مصلحةً جديدةً فيأتي الله بِحُكمٍ جديدٍ يتضمَّنُها، وينسخُ به الحكمَ السابق الذي يتضمن المصلحةَ السابقة. والله تعالى أَحَاطَ بكُلِّ شيءٍ علماً، فلا يستلزم النسخ إذن الجهلَ، أو العبثَ على الله تعالى"[1]. ونُشيرُ هنا إلى أنّ النسخ لا يكون إلاّ في الأحكام، أمّا العقائدُ فلأنّها حقائقُ صحيحةٌ لا تقبلُ التغييرَ والتبديلَ فبدهيٌ ألاّ يتعلَّقَ بها نسخ.

٦. المسيح طرد الشيطان بعيداً "قال له يسوع اذهب يا شيطان" (متى ٤: ١٠) بينما محمد كان يجالِسُ الجن "وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلمَّا قُضِيَ ولَّوا إلى قومهم منذرين" (سورة الأحقاف ٤٦: ٢٩).

- إن كان المسيح، عليه السلام، قد طرد الشيطان وقال له إذهب يا شيطان، فإنّ رسول الله ﷺ كاد أن يخنق الشيطان حتى وجدَ بردَ لعابه بين أصابعه الشريفة ﷺ. فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قام فصلّى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبستْ عليه القراءةُ فلمّا فرغ من صلاته قال: "لو رأيتموني وإبليسَ فأهويتُ بيدي فما زلت أخنقهُ حتى وجدتُ بردَ لُعابه بين أصبعيَّ هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيانُ المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القِبلة أحدٌ فليفعل"[2].

أمّا عن مجالسة رسول الله ﷺ للجنّ فقد كانت امتثالاً لأمر الله تعالى، لأنّ رسالة الإسلام جاءت عالميةً وعامّةً للإنس والجن على السّواء. وهنا نذكِّر النصارى بأنّ أنجيلهم يذكر أنّ المسيح، عليه السلام، كان قد أخرج الشياطين من رجلٍ فدخلتْ في قطيعٍ من الخنازير. وليرجع مَن شاءَ إلى القصّة كاملةً في إنجيل مرقص في الإصحاح الخامس في الآيات ١ – ١١.

[1] عناية، غازي، هُدى الفرقان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٨٧، ط١، ١٩٩٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت.

[2] انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، الحديث رقم ١١٣٥٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني، الحديث رقم ٣٢٥١.

٧. الشيطان لم يكن له سلطانٌ على يسوع "رئيس هذا العالم (الشيطان) يأتي وليس لهِ فيَّ شيءٌ" (يوحنا ١٤: ٣٠) بينما الشيطان كان له سلطانٌ على محمد "وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنّه سميعٌ عليمٌ" (سورة الأعراف ٧: ٢٠٠).

ـ يقرِّر القرآن الكريم أنّ الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين، قال تعالى: " إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ "[1] فكيف يكون له سلطان على سيد الخلق ﷺ؟ وأمّا المقصود بنزغ الشيطان في الآية السابقة فهو الغضب. وعلى هذا يكون معنى الآية وإمّا يُغضبنّكَ من الشيطان غضبٌ يصدّك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته فاستجر بالله من نزغه، إنّه سميعٌ لجهل الجاهل عليك.

٨. المسيح شفى الأعمى "كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي ... فأخبروه أنَّ يسوع الناصري مجتازٌ، فصرخ قائلاً يا يسوع ابن داود ارحمني ... فوقف يسوع وأمر أن يُقدَّم إليه ولما اقترب سأله قائلاً: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال يا سيدُ أنْ أُبْصِرَ. فقال له يسوع: أَبصِرْ. إيمانكُ قد شفاك. وفي الحال أبصرَ وتبعه وهو يُمَجِّدُ الله. وجميع الشعب إذ رأوا سَبّحوا الله" (لوقا ١٨: ٣٥ – ٤٣) بينما محمد حوَّل وجهه عن الأعمى "عبس وتولى أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكّى أو يذكّر فتنفعه الذكرى، أمّا من استغنى. فأنت له تصدّى. وما عليك ألا يزّكّى. وأمّا مَن جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهّى" (سورة عبس ٨٠: ١ – ١٠).

ـ حاشا لرسول الله ﷺ وهو الذي بعثه الله تعالى لتتميم مكارم الأخلاق، أن يشيح بوجهه عن صاحبه وحبيبه عبد الله بن أم مكتوم، فما كان بينهما من محبةٍ وأخوةٍ أكبر من أن يفهمه هؤلاء الطاعنون في الإسلام. ولكنّ الذي حدث وكما هو واضحٌ من خلال الجمع بين الروايات التي ذكرت سبب نزول الآية الكريمة السابقة أنّ النبي ﷺ كان عنده بعضُ صناديد قريش، وكان النبي ﷺ حريصاً على هدايتهم، فبينما هو يدعوهم إلى الله، لأنهم لو أسلموا لأسلم بإسلامهم خلقٌ كثيرٌ؛ فإذا بعبد الله بن أم مكتوم يأتي إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: "أقرئني وعلّمني ممّا علّمك الله تعالى". وكرر ذلك وهو لا يعلم بانشغال

(1) سورة النحل: الآيتان ٩٩، ١٠٠.

النبي ﷺ بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وأعرض عنه عابساً، مع العلم أنّ عبد الله بن أم مكتوم كان أعمى ولم يرَ عبوس النبي ﷺ. فنزلت الآيات: "عبسى وتولّى ..." وعليه فليس في القصة ما يفيد احتقاره ﷺ للأعمى، فإنّه لمُ يعرض عن ابن أم مكتوم قاصداً احتقاره وإنّما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرَّغَ لما هو فيه من دعوة أولئك الصناديد الذين يقفون ضد دعوته.

وبهذه المناسبة لا يفوتنا أن نذكِّر النصارى بأنّ انجيلهم المقدس ينسب إلى المسيح، عليه السلام، أنّه احتقر المرأة الكنعانية التي جاءت تطلب إليه شفاء ابنتها، واخبرها أنّها من الكلاب!! وللتأكد من ذلك فليرجع من شاء إلى إنجيل متى في إصحاحه الخامس عشر في الآيات ٢١ – ٢٨.

٩. المسيح نادي بشريعة الزوجة الواحدة "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمَّه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً .... فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان" (مت ١٩: ٥ و٦) بينما محمد نادى بتعدد الزوجات "وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُباع. فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم" (سورة النساء ٤: ٣).

ـ لتعدُّدِ الزوجات حِكَمٌ وفوائد يدركها كلُّ عاقلٍ ذي فهمٍ سليمٍ مستقيمٍ. كما أنّ للتعدد في الوقت ذاته شروطاً إذا لم تتوفر لدى الراغب في التعدّد فإنه لا يجوز له الإقدام عليه. وسيأتي تفصيل القول في تعدّد زوجات الرسول ﷺ في الفصل الأخير من هذه الدراسة. ثمّ إنّ الآية التي استشهدوا بها من إنجيل متّى إنما تدلّ على عدم جواز الطلاق في المسيحية ولا تدلّ على عدم جواز تعدّد الزوجات.

١٠. جاء المسيح حتى يخلِّص الناس "لأن ابن الإنسان لم يأت ليُهلك أنفسَ الناسِ بل ليُخلِّص" (لوقا ٩: ٥٦) بينما محمدٌ دعا لقتل الناس "قل للمخلَّفين من الأعراب سَتُدعون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديدٍ تقاتلونهم أو يُسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليّتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً" (سورة الفتح ٤٨: ١٦).

ـ بعث الله محمداً رحمةً للعالمين، وليخرج الناسَ من الظلمات إلى النور من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة. والمقصود بـ (يسلمون) في الآية السابقة يستسلمون وينقادون، لأنّ الروم نصارى والفرس مجوس يُقبلُ منهم إعطاء الجزية. وقيل:

هم بنو حنيفة قومُ مُسيلمة وأهل الردَّة، فالمرتدون لا يُقبلُ منهم إلاّ الإسلام أو السيف. وقيل: يسلمون: يدخلون الإسلام بلا قتالٍ بل بكامل إرادتهم واختيارهم.

١١. المسيح هو ابن الله "فالذي قدّسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدِّفُ لأني قلت إني ابن الله" (يوحنا ١٠: ٣٦) بينما محمد كان بشراً من الناس "إنما أنا بشرٌ مثلكم" (سورة الكهف ١٨: ١١٠).

- لم يقُلْ رسول الله ﷺ يوماً إنّه من غير البشر. فبشريته ﷺ هي التي مكّنتنا من الاقتداء به واتّباعه واتّباع هديه وسنّته لنفوز بجنةٍ عرضها السماوات والأرض. أمّا النصارى فقد زعموا ألوهية المسيح، عليه السلام، وما زالت عبارات الإنجيل مضطربةً في ذلك، فتارةً تصفه بابن الله وتارةً تصفه بابن الإنسان.

١٢. المسيح أجرى المعجزات "... عمل كل شيءٍ حسناً. جعل الصمَّ يسمعون والخرس يتكلمون" (مرقس ٧: ٣٧) بينما محمدٌ لم يُجرِ معجزات "وما مَنَعَنَا أن نُرسلَ بالآيات إلاّ أنْ كذَّب بها الأولون" (سورة الإسراء ١٧: ٥٩).

- يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يدركون حقيقةً مفادها أنّ الله تعالى هو الذي يؤيِّدُ الرسل بالمعجزات، وأنَّ الرّسلَ عليهم السلام لا يقدرون على الإتيان بالمعجزات من تلقاء أنفسهم، ويشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى: **" وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ "[1].** واستشهادهم بالآية السابقة من سورة الاسراء "وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ" باطلٌ تماماً، فهذه الآية الكريمة لا تُلغي الآيات المعجزات ولا تنفي فائدتها على الإطلاق "وإنما تنفي استجابة الله لطلب المشركين إنزال الآيات. فلم يستجب الله لهم، ولم يُنزل الآياتِ التي طلبوها؛ لأنه يَعلمُ أنه لو أنزلها كما طلبوا فإنهم لن يؤمنوا بها، وبعد ذلك سيعذّبُهم ويهلكهم، ولذلك لم يستجب الله لهم رحمةً بهم، لئلا يُعذّبهم ... وليس معنى هذا أنَّ الله لم يُنزل الآيات على النبي ﷺ ولا على غيره من الأنبياء السابقين"[٢]. وسيأتي لاحقاً تفصيل وتعداد عشرات المعجزات التي أجراها الله على يد رسوله ﷺ.

١٣. عرف المسيح ما بداخل قلوب الناس "فستعرف جميع الكنائس أنّي أنا الفاحص الكُلَى والقلوب وسأُعطي كل واحدٍ منكم بحسب أعماله" (رؤيا ٢: ٢٣) بينما محمد لم يعرف ما

---

[1] سورة الرعد: الآية ٣٨.

[2] الخالدي، [م. س]، ص ٦٩٧.

بداخل قلوب الناس "ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني مَلك" (سورة هود ١١: ٣١).

- لم يدَّعِ رسول الله ﷺ يوماً أنّه يعلم الغيب أو ما في قلوب الناس. وهذه الآية الكريمة جاءت على لسان نوحٍ، عليه السلام، في دعوته لقومه ولم تجرِ على لسان محمدٍ ﷺ.

١٤. المسيح أعطى الناس الحرية أن يقبلوا رسالته أو يرفضوها "وأية مدينةٍ دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتَّى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم، ولكن اعلموا هذا إنه قد اقترب منكم ملكوت الله" (لوقا ١٠: ١٠ و١١) بينما محمد أجبر الناس على قبول رسالته "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون" (سورة التوبة ٩: ٢٩).

- ليس في الإسلام إجبارٌ أو إكراهٌ على الدخول فيه، وهذا واضحٌ تماماً في قوله تعالى: " **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ** "[1]. أمّا عن الجزية وفرضها وسببه فسيأتي تفصيل القول فيه لاحقاً في آخر فصول هذه الدراسة بعونه تعالى.

١٥. المسيح يعلِّمُ العطاء "أَعطوا تُعطوا. كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكالُ لكم" (لوقا ٦: ٣٨) بينما محمد يُعلِّمُ الأخذ "خذ من أموالهم صدقةً تطهِّرهم وتزكيهم بها" (التوبة: ١٠٣).

- كان رسول الله ﷺ يأخذ من أموالهم صدقةً لا لنفسه ﷺ وإنما ليعطيها لفقرائهم وللمساكين منهم وفي ذلك تطهيرٌ لأنفسهم وتزكيةٌ وزيادةٌ لأموالهم. فهذه الآية الكريمةُ شاهدٌ لمحمدٍ ﷺ وليست شاهداً عليه كما فهم هولاء الذين استشهدوا بها.

١٦. رسالة السيد المسيح الرحيمة "روحُ الربِّ عليَّ لأنه مسَحني لأُبشِّرَ المساكين أرسلني لأشفي منكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق، وللعُمي بالبصر، وأرسل المُنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لوقا ٤: ١٨ – ١٩) بينما رسالةُ محمّدٍ رسول الإسلام الدموية يقول محمدٌ: "أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله" "قاتلوا الذين لا يُؤمنون بالله ولا باليوم

---

[1] سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق، مِن الذين أُوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون" (سورة التوبة ٩: ٢٩).

ـ بل رسالة محمدٍ عنوانها "**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ** "[1]. أمّا عن فرض الإسلام بقوّة السيف والسلاح وفرض الجزية بعد ذلك فنردُ عليه إجمالاً بقوله تعالى: "**لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ** "[2]. وسنرد عليه تفصيلاً في الفصل الأخير من هذه الدراسة بعونه تعالى.

١٧. قال السيد المسيح "السارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويَذبح ويُهلِكَ وأمَّا أنا فقد أتيتُ لتكون لهم حياةٌ وليكون لهم أفضل" (يوحنا ١٠: ١٠) بينما محمد رسول الإسلام قال: "بعثتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبدَ اللهُ وحده لا شريك له، وجُعلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي وجعل الذلة والصَّغار على مَن خالف أمري، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم".

ـ هذه الفرية تكرارٌ لسابقاتها ولكن بتعبيرٍ آخر. وسيأتي الرد عليها وعلى سابقاتها من شبهات سيف الإسلام والإكراه والإجبار بالتفصيل لاحقاً بعونه تعالى.

١٨. قال السيد المسيح "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع البار، وهو كفّارةٌ لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" رسالة يوحنا الرسول الأولى (٢: ١ – ٢) بينما دعا محمد رسول الإسلام إلى "إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إنْ تستغفرْ لهم سبعين مرةً فلن يغفرَ الله لهم" (سورة التوبة ٩: ٨٠).

تتحدّث هذه الآية الكريمة عن المنافقين، وفيها يخبر الله تعالى نبيَّهُ محمداً أنّ هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار. وقد قيل: إنّ السبعين إنما ذُكرت حسماً لمادة الاستغفار لهم، لأنّ العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون مازاد عليها بخلافها.

١٩. السيد المسيح ينهانا عن الحلفان "أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنَثْ، بل أوفِ للرب إقسامك. وأمّا أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينةُ الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدرُ أن

---

[1] سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.
[2] سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

تجعلَ شعرةً واحدةً بيضاء أو سوداء. بل ليكنْ كلامكم نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (متى ٥: ٣٣ – ٣٧) بينما محمد رسول الإسلام يحلف "وهذا البلد الأمين" (سورة التين ٣/٩٥).

ـ يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يميِّزون بين كلام الله تعالى وبين كلام رسوله الكريم ﷺ، فهذه الآية الكريمة في مطلع سورة التين قَسَمٌ من الله تعالى لا من رسوله الكريم ﷺ.

٢٠. السيد المسيح ورسالة السلام "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون" (متى ٥: ٩) محمد رسول الإسلام ورسالة القتال "يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال" (سورة الانفال ٨: ٦٥).

ـ حثّت رسالة الإسلام على السلام، وخير دليلٍ على ذلك أنّ تحيّة الإسلام هي السلام عليكم. وممّا يدلُّ على كراهية القتال في الإسلام قوله تعالى " **كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ** "[1]. وقوله تعالى " **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ** "[2].

أمّا بالنسبة لقوله تعالى في الآية السابقة "حرِّض المؤمنين على القتال" فمن واجبات القائد في المعركة أن يحدثَّ جندهُ ويشجّعهم على قتال العدوِّ وأن يبثَّ فيهم الروح المعنوية العالية عند صفِّهم لمواجهته ويبشّرهم بالنّصر أو الجنة.

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه الإساءات الواردة في المقارنة السخيفة السابقة إنما هي لُبُّ ماتضمَّنته كتبُ الاستشراق الدّيني التي خطّها رهبانُ العصور الوسطى والتي تعّرضتْ للبعث وإعادة الإحياء ولرؤية النّور من جديد على صفحات هذه المواقع الإلكترونية!!! فهل كان مجردَ صدفةٍ أن تتطابق هذه الإساءات مع إساءات وشبهات وافتراءات رُهبان الكنيسة الغربية في العصور الوسطى؟؟؟ وهل كان صدفةً نشرها حصرياً على المواقع الدينيّة المسيحيّة؟؟؟ وهل كان صدفةً أن تتكرّر بعينها في المواقع العشرين التي رصدناها؟؟؟ لا، لم يكن مجرد

---

[1] سورة البقرة: الآية ٢١٦

[2] سورة الأنفال: الآية ٦١

صدفةٍ ولكنّ ملّة الكفُرِ واحدةٌ. وهنا نعيد تذكير القارى الكريم بأنّ ردوداً شافيةً كافيةً سترِدُ على هذه الإساءات والمقارنات كلّها في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

الإساءة الثانية: نشط الكثير من المواقع الإلكترونية في نشر كتبٍ على الإنترنت تهاجم الإسلام وتشوّهُ صورة الحبيب المصطفى ﷺ، وتدعم ما سبق ذكره من مضمون المقارنات (السخيفة) بين الحبيب المصطفى ﷺ وأخيه عيسى ابن مريم عليه السلام وهذه الكتب موجودةٌ في معظم المواقع الإلكترونية التي رصدتها هذه الدراسة، ولكنها موجودةٌ دون ذكر الاسم الحقيقيّ للكاتب؛ حيث اكتفت بذكر أسماءٍ مستعارةٍ لهم. ونخصّ بالذكر من هذه المواقع موقع مجلّة صوت الكرّازة بالإنجيل الإلكتروني (The Voice of Preaching the Gospel) ورابطه الإلكتروني هو (www.vopg.org)، وفي عجالةٍ هامةٍ نذكر بعض عناوين ومضامين هذه الكتب،والتي منها:

١. كتاب (قسٌّ ونبيٌّ) لكاتبه (المزعوم) أبي موسى الحريريّ، وهو يقع في ٢٥٦ صفحةً ويهدف لإثبات أنّ محمداً تلقىّ كلّ تعاليم دينه من القس بحيرا الراهب.
٢. كتاب (رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه فيها إلى الإسلام، ورسالة الكندي إلى الهاشمي يردّ بها عليه ويدعوه إلى النصرانية). وقد سبق لنا ذكره وتفصيل القول فيه.
٣. كتاب (من هو الأعظم) لكاتبه (المزعوم) دانيال فراس كمال، وهو يهدف لإثبات تفوق المسيح على محمدٍ في كل شيءٍ.
٤. كتاب (سؤالٌ لابدَّ من جوابه) لكاتبه (المزعوم) عبد المسيح، وهو يهدف للإجابة عن السؤال: من هو أعظم، المسيح أم محمد؟ ويقارن بين حياة المسيح ومحمد، من قَبل الولادة حتى الموت والقيامة والبعث.
٥. كتاب (صلاة الضالّين) لكاتبه (المزعوم) عبد المسيح، وهو يقوم على المقارنة بين صلاة المسيحيين (الصلاة الربّانيّة) وصلاة المسلمين (الفاتحة).

هذا عدا عن مئات الأشرطة السمعية والأقراص المدمجة (C.D) التي يُقدّمُها هذا الموقع وما شابهه من المواقع التي تعرّفُ على نفسها بأنها مواقعُ تهدفُ إلى تقديم رسالة المسيح إلى كلِّ ناطقٍ بالضادِ، وأنّ نفقاتها تُغطّى بواسطة تبرّعات المؤمنين لكي توزَّعَ مجّاناً.

ولربّما يحاول أتباع الكنيسة الغربيّة أن يدفعوا عنها شبهة الضلوع في إثارة الكراهية ضدّ الإسلام والضلوع في تشويه صورة الحبيب المصطفى ﷺ بالقول: إنّ الكنيسة تنأى بنفسها عن ذلك، بدليل إصدارها في عام ٢٠٠٢م لوثيقتين متتابعتين حملت الأولى عنوان "الكنيسة والإنترنت" وحملت الثانية عنوان "الأخلاق والإنترنت" وإنَّ الهدَف من إصدارهما كان رغبة الكنيسة في تشجيع أتباعها على الإفادة من الإنترنت ولكن ضمن ضوابط أخلاقيّةٍ أشارت إليها في الوثيقتين، وإنّ الوثيقتين تضمّنتا توجيه انتقاداتٍ لمن يُسيئون استخدام الإنترنت.

ونقول في ردّنا على هؤلاء: إنّ الظاهر بل والواضح أنهم لم يقرؤا الوثيقتين المذكورتين جيداً بل إنهم لم يقرؤهما كاملتين؛ وتوضيح ذلك أنّ الانتقادات التي ذكرتها الوثيقتان إنما كانت موجّهَةً على وجه الخصوص للمواقع الالكترونية المسيحية الكاثوليكية التي تقدّم تفسيراتٍ جديدةً لبعض العقائد المسيحيّة، وهي تفسيراتٌ لا تعجبُ الكنيسة ولا ترضى عنها ولا عن نشرها على عامة الناس في مثل هذه المواقع. كما كانت الانتقادات موجّهةً لبعض المواقع المسيحية الآرثوذكسية والقبطيّة التي توجّهُ النقدَ العلنيَّ للفاتيكان ولكنيسة روما بسبب الكثير من مواقفها أو تشريعاتها أو تصريحات البابا بنديكتيوس السادس عشر التي كان يصفها دوماً بالكنائس الخاطئة. وللتدليل على صحّة هذا الكلام نسوق المقتطفات التالية من إحدى رسالتيّ المجلس الحبريّ للإعلام المذكورتين آنفاً، ومنها(١):

أولاً: من بين المسائل الخاصّة التي يثيرها الإنترنت وجودُ مواقع تشحن النفوس بالبغضاء وتمعِنُ في تشويه صورة المجموعات الدينيّة والإثنية،والتهجّم عليها. ومن بين تلك المواقع ما يستهدف الكنيسة الكاثوليكيّة ... فإنَّ المواقع التي تحثّ على البغضاء تعبّر عن "البعد القاتم جداً للطبيعة البشريّة التي شوّهتها الخطيئة".

ثانياً: وجهٌ خاصٌّ من وجوه الإنترنت، يتعلق بالانتشار المضلِّلِ أحياناً في بعض المواقع غير الرسمية التي تحمل عنواناً "كاثوليكياً" قد يكون من المفيد، في ما يختصُّ بالموادّ ذات الطابع العقائديّ أو الكرازيّ الخاص، أن يُوضعَ نظامٌ لتأكيد هوية الموقع تأكيداً إرادياً على المستوى المحلي والوطني، وتحت مراقبة ممثّلين عن السلطة التعليمية الكنسية. لا

(١) انظر رسالة المجلس الحبري للإعلام، الكنيسة والانترنت [م. س].

ترمي الفكرة إلى فرض رقابةٍ، بل تقديم توجيهاتٍ موثوقةٍ إلى روّاد الإنترنت حول موقف الكنيسة الحقيقي.

ثالثاً: إنّ انتشار مواقع الإنترنت التي تنسب لنفسها (الهوية) الكاثوليكية تثير مسألةً ذات طابعٍ مختلفٍ. وكما قلنا، على المجموعات الكنسية أن تكون حاضرةً بصورة خلاّقةٍ على الإنترنت، ويحقُ لأشخاصٍ ذوي نوايا حسنةٍ ومتنبِّهين، ولمجموعاتٍ غير رسميةٍ تعمل بمبادرةٍ ذاتيةٍ، أن تكون حاضرةً أيضاً. وأقلُّ ما يُقال أنه من باب التضليل عدم إمكانيّة التمييز بين التفسيرات العقائدية النابذة والممارسات التَقَوية الخاصة والمدافعات الآيديولوجيّة التي تحمل عنواناً "كاثوليكياً"، (من جهة) والمواقف الكنسية الأصيلة، (من جهة أخرى).

ولعلَّ هذه النصوص الثلاثة السابق ذكرها من وثائق المجلس الحبريّ واضحةٌ تمام الوضوح، وليس فيها أدنى إشارةٍ لما يتعلّق بموضوع مواقع الإنترنت المسيحيّة التي لا تكفّ عن الإساءة للإسلام وللرسول ﷺ، ولو كانت الكنيسةُ جادّةً في هذا الموضوع ولا تُعجبها إساءات المواقع المسيحية للإسلام لكن من السهل على البابا أو على المجلس الحبري للإعلام إصدار ولو وثيقةٍ واحدةٍ فقط تخاطبُ فيها أصحاب هذه المواقع والقائمين عليها وتدعوهم فيها إلى التزام الأدب والموضوعيّة والتحلّي بالأخلاق عند الحديث عن (الآخر غير المسيحي) والكفِّ عن نشر الافتراءات والأباطيل والاتهامات للإسلام ولرسوله الكريم ﷺ.

إنّ التزام الكنيسة الغربية الصمت تجاه هذه المواقع ليؤكدُ رضاها عنها وقبولها بما يُنشرُ فيها من أذىً وإساءةٍ للإسلام. ولو افترضنا حُسنَ نيّة الكنيسة وعدم رضاها عن الإساءات السابقة للإسلام الموجودة على هذه المواقع فبماذا نعلّلُ وجودَ إساءاتٍ مماثلةٍ ضد الإسلام موجودةٍ على الموقع الرسمي للفاتيكان؟!! وبيان ذلك يبرز في إيرادنا للإساءة الثالثة.

الإساءة الثالثة: أعلن الموقع الرسمي للفاتيكان[١] بتاريخ ٢٠٠٨/١/٢٤ وعلى لسان الكاردينال جان لوي توران عن الاستعدادات التي كانت تجري لعقد منتدىً إسلاميٍّ

---

[١] موقع الفاتيكان الرسمي، www.vatican.va

كاثوليكيٍّ يلتقي فيه البابا مع مجموعةٍ صغيرةٍ من المفكّرين المُسلمين[1] الذين سبق لهم التوقيع على وثيقة (كلمة سواء) في اليومين الرابع والخامس من شهر آذار لعام ٢٠٠٩.ولم ينتهِ هذا الإعلانُ المنشور باسم الكاردينال توران عند هذا الحدّ، ولكنّه كان مُذيَّلاً مباشرةً بعبارة (مقال تكميلي)، وهذا المقال التكميلي هو عبارةٌ عن استشهادين من مقالين مختلفين، ويعنينا هنا الوقوف على الاستشهاد الأول منهما، وهو بمثابة ردٍّ على سؤال هو: لماذا سمحَ الله بوجود الدِّين الإسلامي؟؟ ويقول الردّ الموجود على هذا (الموقع الرسميّ للفاتيكان) في الإجابة عن السؤال ما يلي[2]:

لنقرأ ونقارن الآيات القرآنية من الفترة المكيّة وآيات من الفترة المدنيّة، وعندئذٍ ربما يمكننا فهم العقليّتين المتناقضتين عند النبيّ محمدٍ، وربما يمكنُ لخلاصةٍ ما أن تفرض نفسها هنا، وهي كالآتي: إنّ الله قد اختار محمداً فعلاً لكي يُعلِّمَ العقيدة الإنجيلية إلى القُريشيين. وقد استجاب محمدٌ إلى هذا النداء. لكن، ابتداءً من معركة بدر، التي لم يطلبْ منه اللهُ أن يقوم بها، قام محمدٌ بفرض رأيه الشخصي محلّ كلمة الله، فكان فكره هو، فكرَ قائدٍ حربيٍّ، منظمٍ، ومشرعٍ، لكنه لم يعُد نبي الله! ... "إلا أنَّ مثل هذه الخلاصة يرفضها إخواننا المسلمون، إذ أنّ القرآن، بالنسبة لهم واحدٌ، ولا يمكن لشخصٍ أن يدّعي إمتلاك حقَّ تقريرِ إن كانت هذه الآياتُ تنزيلاً إلهياً وآياتٌ أخرى ليست منزلةً!... "وهناك خلاصةٌ أخرى وهي التي أفضِّلُها؛ إنها مقولةٌ لأحد المتصوِّفة الكاثوليك المستشرقين، هو "لويس ماسينيون"، القائل بأن التنزيل القرآنيَّ بكامله يمكن أن يكون قريباً من التنزيل الإنجيلي إذا ما تمَّ تفسيره بصورةٍ رمزيةٍ وليس بصورةٍ أصوليةٍ .. وهناك حلٌّ ثالثٌ أكثرُ قرباً من النبوءات (من قبيل السلالتين اللتين اعطاهما اللهُ لإبراهيم في سفر التكوين ١٦ وما بعده) وممّا يمكن لمسيحيٍ أن يؤمن به، هو:

<u>أولاً</u>: الإسلام (كما نراه من تقديم مولد إسماعيل، الإبن البكر لإبراهيم)، لا يمكن أن يكون بمبادرةٍ من الله وإنما هو مبادرةٌ إنسانيةٌ تماماً.

---

[1] كان الوفد "المسلم" يتكون من سموّ الأمير غازي بن محمد بن طلال وعبد الحكيم مراد وينتر من المملكة المتحدة؛ وعارف على النايض، الليبي الذي يشغل منصب "عميد المعهد البابَاوي للدراسات العربية والإسلامية"، وفقاً لما هو وارد في هذا الخبر المعلن من الفاتيكان؛ وسيرجيو يحيى بللافيتشيني، نائب رئيس "جمعية مُسلمي إيطاليا"؛ وإبراهيم كالين، وهو تركي ويشغل منصب أستاذ مساعد للدراسات الإسلامية في "كلية الصليب المقدس" إضافة إلى إدارة مؤسسة سيتا Seta Foundation؛ وسهيل نخودة مدية "المجلة الإسلامية" Islamica وهو هندي الأصل ويقيم في الأردن.

[2] عبد العزيز، زينب، مقالة (أفيقوا أيّها المسلمون) المنشورة على موقعها الإلكتروني، بتصرف واختصار.

ثانياً: لكنَّ الله باركه وأعطاه ذُرِيَّةً كبيرةً، لإيمان إبراهيم وأنه بتقسيم العالم إلى عدّة دياناتٍ، وبالتالي فإن الغرورَ الإنسانيّ وَجَدَهُ قد انحَطّ. وها هو أحد النصوص: "التكوين ١٢: ٢١ لكنَّ الله قال لإبراهيم: "لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة، اسمع لقولها لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أُمَّةً لأنه من نسلك". "أما عن كون الإسلام ديانةً حربيَّةً، فالله قد قالها لإبراهيم في سفر التكوين ٢١: ٢٠، "وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البريّة وكان ينمو راميَ قوسٍ".

إنّ هذه الكلمات الموجودة على الموقع الرسمي للفاتيكان بتاريخ ٢٠٠٨/١/٢٤ إنما هي تجسيدٌ واضحٌ وصريحٌ لطبيعة التصوّر الفاتيكاني عن الإسلام، وهي تكرارٌ ممجوجٌ لما سبق ذكره في مباحث سابقةٍ عن تصوّر الكنيسة الكاثوليكية للإسلام في القرون الوسطى دون تغييرٍ يُذكر. وإلاّ فبماذا نعلِّلُ وجودها ونشرها على هذا الموقع؟ وبماذا نعلِّلُ التصاقها بتصريحات الكاردينال توران السابقة؟؟

لم يكتف الموقع الرسمي للفاتيكان بذكر هذه الحماقات المكرّرة، بل إنّه وجّه انتقاداتٍ حادّةً (لوثيقة كلمة سواء)، وهذه الانتقادات ذكرها "ساندرو ماجيستر"[1] نقلاً عن الأب "ترول الجزويتي" بقوله: "هناك فارقٌ سحيقٌ بين الله الواحد بالنسبة للمسلمين والله الثالوث للمسيحيين، فيما يتعلق بالابن الذي جعل نفسه بشراً. إنّ "الكلمة السواء" الحقيقية يجب أن نبحث عنها في مكانٍ آخر هو: أن نقومَ بتطبيق هذه الوصايا في الواقع الفعليّ للمجتمعات المتعدّدة العقائد، الآن وفوراً. يجب البحثُ عنها في حماية حقوق الإنسان، وفي الحريّة الدينية، وفي المساواة بين الرجل والمرأة، وفي الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية. ثم يتساءل كاتبُ هذا الاستشهاد قائلاً: هل هناك فرصةٌ لنرى حرية العقيدة مطبّقةً ومُحترمةً في مجمل المناطق ذات الأغلبية المسلمة؟!" "في رأيي إنَّ الوقت مُبَكِّرٌ جداً. إذ أنَّ الإسلام حالياً (من خلال أتباعه المتحمّسين) يقوم بعملية جمودٍ حيال قِيَمِ الغرب، على الرغم من أنّ أغلبيةً من المسلمين في علاقةٍ معتدلةٍ مع القيم الغربية، ويتطلّعون إلى العيش في سلامٍ "لكنّ ذلك سوف يحدثُ ذات يومٍ، خاصّةً عندما يتمُّ خفض الغرور القوميّ الحاليّ للحضارة الإسلامية (كحرب تخسرُها أو عملية ارتدادٍ جماعية؟)!!"[2].

---

[1] ساندرو ماجيستر: خبير شؤون الفاتيكان في جريدة "الاسبريسو" الأسبوعية الإيطالية.

[2] عبد العزيز، زينب [م. س].

الإساءة الرّابعة: تخصَّص موقع نور الحياة المسيحي (light of life) في الإساءة إلى الإسلام ورسول الله محمدٍ ﷺ. والصفحة الرئيسية لهذا الموقع عنوانها نور الحياة، افحْص الإسلام من وجهة نظرٍ مسيحيّةٍ! ويستطيع المرء بمجرّد دخوله المجّانيّ لهذا الموقع الإلكتروني ـ الذي يتّخذُ من النمسا مقرّاً لبثّه ـ أن يلحظ في الصفحة الرئيسية وجود تسع نوافذ وعناوين خطيرةٍ صُمِّمتْ للطعن في الإسلام وحملت العناوين والمسمّيات التالية:

١. النافذة الأولى: الإسلام والإنجيل. وهي تحتوي على النصّ الكامل لكتاب "هل صُلب المسيح حقّاً".
٢. النافذة الثانية: القرآن والكتاب المقدّس.
٣. النافذة الثالثة: المصادر الإسلامية. وهي تحتوي على كتاب "مصادر الإسلام" لمؤلفه الدكتور سنكلير تسدل، وفي هذا الكتاب يتناول المؤلِّف تأثيرات كلٍّ من عرب الجاهليّة والصّابئين واليهود والفرق النصرانيّة الضالّة على القرآن والحديث النبوي كما يتناول تأثيرات الزرادشتيّة والحنفاء على الإسلام!!.
٤. النافذة الرابعة: التاريخ والجغرافيا.
٥. النافذة الخامسة: كشف خفايا الإسلام.وهي تشتمل على النصّ الكامل لكتاب "مكانة المرأة في الإسلام" لمؤلفه حمدون داغر، وفي هذا الكتاب من الطعن في تشريعات الإسلام الخاصّة بالمرأة ما فيه.
٦. النافذة السادسة: الشريعة الإسلامية.
٧. النافذة السابعة: الإسلام اليوم.
٨. النافذة الثامنة: الردّ على الإسلام. وهي تحتوي على النصّ الكامل لكتاب "من هو الأعظم" لمؤلفه دانيال فراس كمال، وهو مليءٌ بالمقارنات بين محمدٍ والمسيح عليهما السلام، وفيه من التسفيه لرسول الله محمدٍ ﷺ والحطّ من قدرهِ الشيء الكثير.
٩. النافذة التاسعة: استنطاق الإسلام. وهي تشتمل على كتاب "دوافع للإيمان الإنجيلي، صراعٌ أدّى إلى الاهتداء" لمؤلفه أمين ريشاوي، وهو كتابٌ يقوم في أصله على إنكار إمكانيّة تطبيق الشريعة الإسلامية اليوم والقول بأنّها لم تُطبَّقْ من قبل، ناهيك عن القول القبيح المكَرَّرِ بتحريف القرآن الكريم.

إنّ معظم الكتب المنشورة في هذا الموقع قصيرةٌ نسبّياً، وذلك بالطبع راجعٌ إلى تهافتها وافتقارها إلى مادةٍ دسمةٍ حقيقيّةٍ تستحقُّ العرض والمناقشة، إلاّ كتاباً واحداً يُعتبَرُ غايةً في التضليل والكذب المبرمَجِ المدروس على القرآن الكريم ورسول الله ﷺ ألا وهو كتاب "هل القرآن معصوم؟" لمؤلفه "عبد الله الفادي" أو "عبد الفادي"، وهو كتاب طويلٌ يقع في ٢٥٩ صفحةً ويتكوّن من أجزاءٍ عشرةٍ، جاءت على النحو التالي:

١. الجزء الأول: أسئلةٌ جغرافية، قال فيه المؤلِّف بوجود اثني عشر خطأً جغرافياً في القرآن.
٢. الجزء الثاني: أسئلةٌ تاريخية، قال فيه بوجود خمسةٍ وخمسين خطأً تاريخياً في القرآن.
٣. الجزء الثالث: أسئلةٌ أخلاقية، قال فيه بوجود تسعة أخطاء أخلاقية في القرآن.
٤. الجزء الرابع: أسئلةٌ لاهوتيةٌ، قال فيه بوجود تسعةٍ وعشرين خطأً لاهوتياً في القرآن.
٥. الجزء الخامس: أسئلةٌ لغويةٌ، قال فيه بوجود خمسةٍ وعشرين خطأً لغوياً في القرآن.
٦. الجزءُ السادس: أسئلةٌ تشريعيةٌ، قال فيه بوجود ستةٍ وعشرين خطأً تشريعياً في القرآن.
٧. الجزء السابع: أسئلةٌ اجتماعيةٌ، قال فيه بوجود واحدٍ وعشرين خطأً اجتماعياً في القرآن.
٨. الجزء الثامن: أسئلةٌ علميةٌ، قال فيه بوجود اثنين وعشرين خطأً علمياً في القرآن.
٩. الجزء التاسع: أسئلةٌ فنيةٌ، قال فيه بوجود أحد عشر خطأً فنياً في القرآن.
١٠. الجزء العاشر: أسئلةٌ خاصةٌ عن محمد ﷺ، قال فيه بوجود ثلاثةٍ وثلاثين خطأً يتعلق بحياة الرسول ﷺ في القرآن.

وخلاصة ما يذهب إليه المؤلف في هذا الكتاب أنّ في القرآن ٢٤٣ خطأً، وذلك كافٍ لإثبات أنّه ليس من كلام الله، لأنّه لو كان كلام الله لما وُجد فيه خطأٌ واحد!! وبالتالي فإن محمداً ليس رسولاً من عند الله، وإنما هو مُدَّعٍ للنبوّة وكذّابٌ والإسلام ليس ديناً من عند الله، بل هو من صنع محمدٍ واختلاقه!!

وممّا هو واضحٌ أنّ كلَّ ما سلف ذكره من هذه الافتراءات إنما هو تكرارٌ ممجوج لشبهات ومطاعن رهبان العصور الوسطى ولكن في قولبةٍ جديدةٍ، وسيأتي الكلام على هذا الكتاب تفصيلاً في المبحث الخاص بالردود على الشبهات والمطاعن لاحقاً إن شاء الله.

ومن المثير للسخرية والضّحك في موضوع هذا الكتاب والموقع الإلكتروني المسيحي "نور الحياة" الذي نشره، أنّ القائمين على الموقع وضعوا في نهاية كلٍّ من الكتب الطاعنة في الإسلام التي نشروها مسابقةً تتمثل في مجموعةٍ من الأسئلة التي يحصل أصحابُ الإجابات الصحيحة عليها على جوائز قيّمةٍ، وطلبوا إلى زوّار الموقع وقُرّاء الكتب المنشورة إرسال أجوبتهم على العنوان التالي:

Light of life
P. O. Box 13
9503 villach
Austria

أو مراسلتهم على العنوان الإلكتروني التالي:

Webmaster2@light-of-life.com

كانت هذه أربعةً من ألوف النماذج التي تخصّصت في الإساءة إلى الإسلام والرسول المصطفى ﷺ والطّعن فيهما. ولعلّها شواهد حيّةٌ على طبيعة الدّور الذي تلعبه المواقع الإلكترونيّةُ المسيحيّةُ ـ الكاثوليكيّة وغيرها ـ في الحرب المعلنة على الإسلام. ولعلّه من نافلة القول التذكير بأنّ مضامين هذه الإساءات السّابقة وما شابهها لا يقع بعيداً، البتّة، عمّا كان رهبان العصُور الوسطى الكاثوليك قد خطّوه بيمينهم من كتاباتٍ تجسِّدُ عمليّاً وواقعيّاً حقيقة موقف كنيستهم من الإسلام ونبوّةِ محمد ﷺ.

الفصل الثاني
دور علماء الأمّة في مواجهة الشبهات والمطاعن قديماً وحديثاً

تمهيد

تَقَدَّمَ الحديث سابقاً عن عددٍ كبيرٍ من المؤلَّفات الجدليّة اللاهوتيّة التي خطّها رهبان وقساوسة العصور الوسطى، والتي طعنت في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ، وأثارت حولها العديد من الشُّبهات. وما من شكٍ في أنّ الجهود المسيحية المتعلقة بالتأليف الجدليّ اللاهوتيّ الطاعن في الإسلام ونبوَّته ﷺ، التي بدأت في تلك العصور توالت واستمرت حتى وصلت يومنا هذا مع زياداتٍ عليها تتعلّق بالمضمون والشكل ووسائل الاتصال. فماذا كان موقف علماء الأمة المُسلمة من هذه المطاعن والحملات الموصولة من التشكيك في الإسلام وإثارة الشبهات حول نبوَّته ﷺ؟؟

في الواقع لقد نهض علماء الأمة للرّد على هذه الشبهات والأباطيل وتصدّوا لكل ما وقعت عليه أيديهم من كتاباتٍ ومخطوطاتٍ بهذا الشأن... وقد قامت هذه الدراسة برصد وتحليل أبرز الكتابات التي خطّها علماؤنا وأساتذتنا فيما يتعلق بهذا الموضوع قديماً وحديثاً. نعم، لقد سخَّرَ الله تعالى لهذا الدين رجالاً نهضوا لنصرته والذَّود عن حياضه، رجالاً كانوا من أهل الاختصاص والاستعداد الخاص الذي لا يُوهَبُ إلا لخاصّةٍ مِن الخَلق أصحاب العقول العاملة الفاعلة المؤثِّرة التي حملت همَّ الدعوة إلى هذا الدِّينِ قديماً وحديثاً، فبقيت كلماتهم ومؤلفاتهم مناراتٍ تنيرُ الطرق المظلمة على امتداد العصور. ولقد حظيت الأندلس بنصيب الأسد من كتابات هؤلاء العلماء الذين جادلوا النصارى وأفحموهم وردّوا على تساؤلاتهم أو شُبهاتهم وأباطيلهم. وهذا لا يعني انحصار الجهود في الأرض الأندلسية وحدها، فقد نهضت الشام هي الأخرى لتأخذ نصيبها من هذه الجهود، كذلك نهض علماء أرض الحجاز وأرض الكنانة ليقوموا بواجبهم في هذا الموضوع. ولكنَّ الأندلس تبقى صاحبة الأسبقيّة والألمعيّة في هذا الشأن، وذلك راجعٌ لوقوعها على الحدود المباشرة مع القارة الأوروبية المسيحية، كما أنّه راجعٌ إلى ترؤس الكنيسة الإسبانية ورهبانها للحرب العقدية والفكرية ضدّ الإسلام وذلك بعد وقوع إسبانيا في ظل الفتح الإسلامي آنذاك.

ولعلَّ من المفيد في التمهيد لهذا الفصل الإشارة إلى أنّ هذه الدراسة ليست بصدد رصد جهود العلماء في موضوع مقارنة الأديان، بل إنها بصدد رصد جهودهم في الردّ على مطاعن الكنيسة الغربية ورهبانها في الإسلام ونبوّة محمّدٍ ﷺ. ومع أنَّ هذين الموضوعين متقاربان إلى

حدٍّ بعيدٍ إلاّ أننا نرى أنهما ليسا موضوعاً واحداً، فنحن على سبيل المثال، لسنا في معرض الردّ على زعم النصارى بألوهية المسيح، ولسنا في معرض الردّ على عقيدة التثليث ونقضها، وكذلك، فَلَسنا في معرض إثبات تحريف نصوص الكتاب المقدَّس، فهذه المسائل مجالها مقارنة الأديان وليس مجالها حديثنا المتعلّق بردّ الشبّهات والمطاعن المتعلقة بالإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ والتزييفات التي طرأت على صورتها الحقيقية بما كسبته أيدي الرهبان والقساوسة. ومن المفيد هنا أن نشير إلى وجود قدرٍ، ولو كان يسيراً، من القواسم المشتركة مع علم مقارنة الأديان وجهود بعض العلماء الذين برزوا فيه وكتبوا في نقض عقائد النصارى وردّوا في الوقت ذاته على الشبّهات والمطاعن في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ.

ولذلك فإننا سنرى في ثنايا هذا المبحث حديثاً عن الباجيّ و القرافيّ وابن تيمية مثلاً بينما لن نرى حديثاً عن أعلامٍ آخرين برزوا في الكتابة عن الأديان والفِرَقِ، كالشهرستاني وابن حزمٍ الأندلسي، ومَرَدُّ ذلك إلى أنّ هذين العلمين رحمهما الله، مثلاً، قد كتبا في الأديان السماوية والوضعيّة وبينما اكتفى الشهرستاني بعرض عقائد أهل الأديان والفِرَقِ كما هي عند أصحابها ولم يتصدَّ لنقد أو ردّ أو مناقشة أيٍّ منها، نرى ابن حزمٍ قد تصدّى لها بالعرض والتفنيد والنقد وبيان أوجه التناقض والانحراف والتحريف، لكنّ أيّاً من هذين العلمين، رحمهما الله، لم يدوّن في كتبه المتعلقة بالأديان ما يخدم موضوع دراستنا هذه، ولم يتصدَّ للردّ على الشبهات والمطاعن التي وجّهتها الكنيسة الغربية ورهبانها للإسلام ونبوّةِ محمدٍ ﷺ على ما نعلم، والله أعلم.

وسنراعي في ذكرنا واستعراضنا لجهود هؤلاء العلماء التسلسل التاريخي قدر الامكان مقتصرين في كلِّ محطّةِ عالِمٍ نقف عندها على استعراض أبرز ما كَتَبَهُ في موضوع ردّ الشبهات والمطاعن عن الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ.

وبالعودة للحديث عن الأندلس، فإنّها قد عاشت سنواتٍ طويلةً من الجدل الديني بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان السماوية، وبالذات أتباع الكنيسة الكاثوليكية من الرهبان والقساوسة الذين أخذوا على عاتقهم إعلان الحرب العقدية والفكرية ضد الإسلام، وذلك من خلال ما خطُّوه في أديرتهم من مؤلفاتٍ كثيرةِ العدد اشتركت كلُّها في قاسمٍ واحدٍ هو تكذيب كلِّ ما جاء به محمدٌ من القرآن والعقائد والشرائع. وكانت مؤلفات الرهبان هذه،

في كثيرٍ من الأحيان، تُكتَبُ في الخفاء وتُحفظُ في الأديرة أو مكتبات الكنائس في ظلّ الحرية الكبيرة التي منحتها الدولةُ الإسلامية لغير المسلمين آنذاك. وفي أحيانٍ أخرى كان أصحاب هذه الكتابات يُجاهرون بها ويتحدّون المسلمين ويدعونهم للحوار والمناظرة، وفي أحيانٍ أخرى كانت هذه الكتابات تتّخِذُ شكل رسائل تُبعثُ لمن يُراد مناقشته وعرضُ المسيحيّة عليه لاعتناقها وترك الإسلام.

وتكاد القرون الهجريةُ الرابع والخامس والسادس والسابع تكون العصور الذهبية لمثل هذه المدَّونات المسيحية، ولما ورد عليها من ردودٍ واعتراضاتٍ إسلاميةٍ، وهي قرونٌ ازدادت فيها معرفة الإسبان باللغة العربية وتوضَّحت في كتاباتهم وترجماتهم للقرآن الكريم، بعد أن كان إتقان اللغة العربية وفهمها السبيل الأبرز للتعرُّف على القرآن الكريم وتفاسيره، والسيرة النبوية الشريفة، والحديث النبوي الشريف، فقاموا بالطّعن والتشويه والتزييف وإثارة الشبهات والشكوك مُستغلّين بذلك علوَّ سقف الحرية والتسامح الذي تعامل به المسلمون معهم.

"لقد تعامل المسلمون مع نصارى الأندلس بتسامحٍ كبيرٍ، ولقد تَمَتَّعَ رجال الدين المسيحي بحريّةٍ دينيةٍ، وسُمِحَ لأساقفة النصارى بعقد مؤتمراتهم الدينية (وأغلبها مخصَّصٌ للتبشير) في المدن الأندلسية الكبيرة مثل: المؤتمر الديني الذي عقد في قرطبة عام ٥٨٢م ومؤتمر أشبيلية عام ٨٧٢م. وغنيٌّ عن القول أنَّ الحكومة الإسلامية سمحت للنصارى بتشييد العديد من الكنائس. وكان بعض فقهاء المسلمين في الأندلس يَتَّخذون من النّصارى مُساعدين لقضاء حوائجهم ولا يجدون في ذلك غضاضةً، فقد ذكر الطرطوشي أنَّ الفقيه ابن الحصّار استعمل جاره النصرانيّ على قضاء حوائجه ومنافعه .. بل وصل بعض النصارى إلى مناصبَ عاليةٍ في الحكومة الإسلامية، فقد استوزر المقتدر بن هود (ت:٤٧٤ هـ) ملكُ سرقسطة أبا عامرٍ بن غند شلب النصرانيّ. وفعل مثله محمد بن عبد الرحمن الأوسط (ت: ٢٧٣هـ) الذي صار كبيرَ الكَتَبَةِ عنده قومس ابن أنتنيان النصراني"[1].

[1] العسكر، عبد الله بن إبراهيم، الجدل الديني في الأندلس، ص٢، دراسةٌ مطوّلةٌ نشرها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٣.

المبحث الأول

أبرز جهود العلماء المبذولة قديماً في ردّ الشّبهات عن الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ والتصدّي للمطاعن فيهما

أولاً: أبو الوليد الباجي

عاصر أبو الوليد الباجيّ[١] ابن حزمٍ الأندلسي، رحمهما الله، وقد جرت بينهما جلساتٌ ومناظراتٌ عديدةٌ. كان هذا الرجل من أهل العلم المتمكّنين وبالذات في علوم التوحيد والفقه وأصول الفقه، وقد زادت مصّنفاته على ثمانية عشر، كان من أبرزها (المُنتقى في الفقه) و(التسديد إلى معرفة التوحيد) و(إحكام الفصول في أحكام الأصول). وفي هذا الرجل وفي أبي بكر الطرطوشي قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، "... ولهم في الإسلام مساعٍ مشكورةٌ، وحسناتٌ مبرورةٌ ولهم في الردّ على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثيرٍ من أهل السُّنة والدين، مالا يخفى على مَن عرف أحوالهم، وتكلَّم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصاف"[٢].

وقد استدعى الأميرُ المقتدر بالله حاكم سرقسطة[٣] آنذاك، أبا الوليد للردّ على الرسالة التي بعث بها الراهبُ الفرنسي الشّهير القدّيس "هيو"، الذي كان قائماً على دير كلوني، الذي سبق الحديث عنه. والرسالة التي نحن بصدد الحديث عنها هي مثالٌ واضحٌ على جهود علمائنا الأقدمين في الردّ على شبهات النصارى ومطاعنهم في الإسلام ونبّوةِ محمّدٍ ﷺ. ولكنّ هذه رسالةٌ طويلةٌ[٤] لا يسعنا إيرادها في هذا المقام، لكنّنا سنذكر أبرز ما اشتملت عليه من نقاطٍ تخدم موضوع دراستنا هذه، فقد أشار الباجيُ في رسالته إلى أنّ المسلمين يعرفون

---

(1) هو الإمام العلامة، الحافظ، القاضي أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي المالكي صاحب التصانيف. وأصله من مدينة بطليوس فتحول جدُّه إلى باجة ـ بليدة بقرب إشبيلية ـ فنُسبَ إليها، وما هو من باجة المدينة التي بإفريقية تونس التي ينسب إليها الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، وابنه الحافظ الأوحد أبو عمر أحمد بن عبد الله بن الباجي، وهما من علماء الأندلس أيضاً. ولد أبو الوليد في سنة ثلاثٍ وأربع مائة. مات أبو الوليد بالمريّة في التاسع عشر من رجب، سنة أربعٍ وسبعين وأربع مائة، فعمره إحدى وسبعون سنة سوى أشهر، فإن مولده في ذي الحجة من سنة ثلاثة وأربع مائة.

(2) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، ج١ ص ٢٤٤، ٢٤٥، ج٢ ص ١٠١، ١٠٢، تحقيق الأستاذ / الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(3) كانت سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى إبان عهد الخلافة في قرطبة، زمن حكم ملوك الطوائف، وقد أصبحت بعد استيلاء النصارى عليها عاصمةً لإقليم أرجون. والمقتدر بالله هو أحد الحكّام من بني هودٍ، وقد حكم سرقسطة من سنة ٤٣٨ هـ ـ ٤٧٤ هـ / ١٠٤٦م – ١٠٨١م.

(4) للوقوف على النصّ الكامل لهذه الرسالة الجوابية ورسالة الراهب التي سبقتها، انظر: الشرقاوي، محمد عبد الله، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها. ص ٤٢ فما فوق، ط١، ١٩٨٦، مكتبة دار الصّحوة، القاهرة.

المسيحيّة تماماً وأنّ لهم اطّلاعاً واسعاً على كُتبها ومعرفةً بما فيها من التناقض والتّضاد، كما فنَّدَ وبالتفصيل ادّعاء المسيحيين بألوهية المسيح، عليه السلام، ثم عرضَ وبالتفصيل ما في الإسلام مِن محاسنَ وفوائدَ وخيرٍ في العقيدة والشريعة والنُّظم الأخلاقية والاجتماعية ... وطلب إلى راهب فرنسا أن يحضر بنفسه إلى بلاد المسلمين ليتعرَّف عن قربٍ على الإسلام ويسمعَ آيات القرآن الكريم من أفواه المسلمين أنفسهم. ولم يكتفِ الباجيُ، رحمه الله، بذلك بل دعا هذا الراهبَ للتفكير في اعتناق الإسلام وأن يكون سبباً في إسلام مَن حوله من الناس ...

لقد لقيت هذه الرسالة اهتماماً كبيراً لدى الكثيرين من المستشرقين المتأخرين وتمّت ترجمتها إلى العديد من اللغات الأجنبيّة وكان من أبرز من اهتمَّ بها (Salo baron) و(Allen cutler) ومن قَبلهما المستشرق البريطاني الشهير دانلوب. وقد ذكر الأستاذ محمد الشرقاوي كلاماً طيّباً في تقييمه لهذه الرسالة الجوابية الهامّة للباجيّ، فقال[1]: إنّ رسالةَ الباجي تُظهِرُ ـ في تقديري ـ رؤية إسلاميةً صحيحةً وعميقةً، لما عليه العقيدة النصرانية من اضطرابٍ وتناقضٍ ووهاءٍ، كما أنها تبُرز مسئولية القاضي الباجي في الدعوة إلى الله تعالى بين غير المسلمين، ووعيه بالطريق الأرشد إلى ذلك فالقضية ـ عنده ـ لم تكن مجرّدَ تدبيج جوابٍ على رسالة راهبٍ فرنسيٍّ بعث بها ـ مع رسولين ـ إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة، أقصى ما يؤمِّلهُ الباجي من ورائه، أن يرَضى المقتدرُ بالله عنه؛ لكنَّ طموحه السَّديد كان أبعدَ من ذلك وأعظم؛ إذ كان يروم تعريفَ راهب فرنسا وكبير رجالات الكنيسة فيها بمحاسن الإسلام، وما عليه النصرانية ـ بعد التحريف ـ من مجافاةٍ للعقل والمنطق، فضلاً عن مصادمتها للفطرة السليمة، بأسلوبٍ قويمٍ حكيمٍ، وإنَّ كلَّ فقرةٍ في الرسالة لتؤكِّدُ هذا المعنى وتعمقه.

---

[1] الشرقاوي [م. س] ص ٣٠، ٣١.

ثانياً: أحمد بن عبد الصّمد الخزرجيّ

إن كان الباجيّ قد ردَّ على راهب فرنسا القدّيس "هيو" برسالةٍ جوابيّةٍ شهيرةٍ وقفنا على مضمونها في الصفحات السابقة، فإنّ أحمد بن عبد الصمد الخزرجيّ[1]، هو الآخر، قد بعثّ برسالةٍ جوابيّةٍ إلى قسيسٍ كبيرٍ في مدينة طُليطلة بعد وقوعها الأول "المؤقّت" تحت حكمِ تحالفٍ عربيٍ مسيحيٍّ إبان التنازع على الحكم في ظل الحكم الإسلامي للأندلس آنذاك. وقد تحوّلت هذه الرسالة الجوابيّة فيما بعد إلى كتابٍ هامٍّ حمل عنوان (مقامع الصلبان ومراتع رياض الإيمان) أو (مقامع هامات الصّلبان ورواتع رياض الإيمان)[2].

وحسبَ مقدّمة الكتاب[3] فقد كان سقوط قرطبة في ذي الحجّة من عام خمسمائةٍ وأربعين للهجرة الموافق لعام ١١٤٥ للميلاد، على يد ابن حمدين الذي استعان بالنّصارى على منافسيه من المسلمين، فأعاث النصارى في شرق قرطبة فساداً كبيراً وأسروا بعض المسلمين وكان من هؤلاء المأسورين أحمد الخزرجيّ الذي بقي أسيراً في طليطلة من عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م إلى عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م، وقد كان عمره آنذاك اثنتين وعشرين أو ثلاثاً وعشرين سنةً. وقبل الحديث عن مضمون هاتين الرسالتين، الجوابيّة من الخزرجيّ والأولى من القس الطليطليّ فإنه من المهمّ جدّاً أنْ نعلم أنّ السَّنة التي أَلَّفَ فيها الخزرجُي "مقامع الصلبان" هي ذات السنة التي أنهى فيها روبرت الكيتوني ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينيّة بطلبٍ ودعمٍ من بطرس المبجّل، ممّا يُعطينا فكرةً واضحةً عن مدى الاهتمام الكاثوليكي بالإسلام في تلك الأيّام ومدى حرص القساوسة والرهبان على محاربته والطعن في عقائده وفي القرآن الكريم ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ. ومن ضمن هذا الاهتمام جاءت رسالةُ القس الطليطلي إلى الخزرجيّ يعرضُ فيها عليه ترك الإسلام واعتناق المسيحيّة ويحاول تشكيكه في

---

[1] هو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة، بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الأنصاري الخزرجي الساعدي، نسبة إلى سعد بن عبادة الصحابي. ولد بقرطبة سنة ٥١٩هـ في أسرةٍ عربيةٍ وكان أحد أجداده، أحمد بن عبد الرحمن، (ت ٥١١ هـ) من كبار المقرئين وجُلّة المتقنين للأداء المجودين.

وكان الخزرجي معتنيا بالحديث وروايته في جامع القرويين مما جلب له إعجاب "خطاب رئيس أهل المعدن" فرَّتبَ له جرايةً بأربعمائة دينار "عدا ما يحتاج اليه من كسوةٍ ومؤنٍ مواسم لم يقطعها عنه مدّة تسعة أعوامٍ بعد أن كانت مؤونته من تفقد الأخوان واحسانهم إلى أن توفي بفاس عقب ذي الحجة من سنة ٥٨٢ هـ.

[2] اشتهر هذا الكتاب بعدّة اسماء منها، قامع هامات الصلبان ورواتع رياض الإيمان، ومقاطع الصلبان ومراتع ... ومنها مقاطع الصلبان في الردّ على عبدة الأوثان.

[3] الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي ط١، ١٩٧٥، من منشورات الشركة التونسيّة لفنون الرسم، تونس.

دينه من خلال شبهاتٍ كثيرةٍ أثارها حول تشريعات الإسلام في الزواج والطلاق وفي الجهاد واعتراضٍ على وصف القرآن لمريم بأنّها أختُ هارون وقدحٍ في الوصف الحسيّ الذي حمله القرآن للجنّة لما فيها من طعامٍ وشرابٍ ونكاح ...

ويمكننا بعد قراءة رسالة هذا القِسِّ الطليطلي أن نرصدَ بعض الموضوعات التي أوردها ومنها العشرة التالية:

١. الدعوة إلى الإيمان بالمسيح ابن الله.
٢. إقرار القرآن بأنّ المسيح روح الله وكلمته وأنه أحيا الموتى، وأنّ سلوك المسيح يدل على ألوهيته.
٣. الصّلبُ رحمةٌ ببني آدم ودليلٌ على ألوهية المسيح.
٤. عدم الفائدة في شريعة الإسلام وأنّ الزواج والطلاق في الإسلام دليلٌ على أنه ليس حقاً.
٥. القرآن ينسب إلى التوارة والإنجيل ما ليس فيهما (كالقتال مثلاً).
٦. سخرية من القول بالنسخ في القرآن.
٧. إنكار ما يذكرُ القرآنُ من إسقاط إبليس من السماء.
٨. القول بتحريف التوارة والإنجيل والزبور لا يقوم عليه دليل.
٩. فشُو الإسلام بالسّيف والقهر على عكس المسيحية.
١٠. دعوة المسلم إلى الاعتبار والتدُّبر.

"ولمّا وقف الشاب الألمعيُ [أحمد الخزرجيّ] على هذه الرسالة: زجرَ موصليها وامتنع عن مراجعةِ القسيس تخوفاً منه، لكونه يومئذٍ بين ظهرانيهم وفي كُنه ديانتهم، فألَحَّ الناس عليه في الجواب فكتب هذا الجواب المُسمّى "مقامع هامات الصلبان، ورواتع روضات الإيمان".. واستفتح رسالته بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍّ ثم قال: فصل: في تقديم الاعتذار عن النزول إلى إجابتك للاعتراف بأن الالتفات إلى ما لديكم يخلُّ بعقل الإنسان ودينه.. وأخذ يناقش دعاوى النصارى واحدةً واحدةً ويردّ عليها ويُبطلها، وبدأ بإبطال دعوى ألوهية المسيح عليه السلام، وتعجَّبَ من دعوة القسيس له إلى الدخول في النصرانية ... وناقش المؤلِّف مزاعم النصارى حول معجزات المسيح التي رفعه بها إلهاً، وهي في الحقيقة

دلائل نبوته ومعالم رسالته ووقع مثلها للأنبياء على مدى تاريخ الرسالات ..."[1]. ثم تَكَلَّمَ المؤلِّف عن اضطراب الأناجيل وتناقضها وساق نماذج متعدّدةً لذلك ثم شرع في الردّ على كل الشبهات والمطاعن التي أوردها القسيس حول الإسلام وتشريعاته ونبوّة رسول الله ﷺ.

لقد حملت هذه الرسالةُ الجوابيّةُ الرائعةُ التي بعث بها الخزرجي إلى هذا القس ردوداً شافيةً وافيةً على ما كان القس قد أثاره من شبهاتٍ ومطاعن. والرسالة يطول ذكرها في هذا المقام، وهي موجودةٌ بالنصّ الكامل في الكتاب السابق ذكره، وهو متوفّرٌ في المكتبات العامة ومكتبات الجامعات ولله الحمد. وقد احتوت الرسالة، إضافةً لنقض شعائر وعقائد النصارى ونقد حججهم وأدلتّهم، احتوت العديد من الردود على شبهاتهم ومطاعنهم وهي ردودٌ نراها تتكرر عند الكثيرين من المتأخرّين عن الخزرجي الذين أفادوا منها في محاججتهم للنصارى.

ويمكننا بعد قراءة هذه الرسالة الجوابية أن نرصدَ بعض الشبهات والمطاعن التي ردّها ونقضها ومن أبرزها ما يلي:

١. الرد على طعن أساقفة النصارى في الإسلام ونَبِيِّهِ.
٢. شواهد من التوارة في التبشير بمحمدٍ.
٣. افتراء المُضِلّين من النصارى على محمدٍّ واستدراك مجامعهم.
٤. عرض أكاذيب النصارى في شأن محمد والقرآن والردُّ على هذه الأكاذيب.
٥. نفي قول الرسول أنه لا يموت.
٦. الاستهزاء من مُسيلمة وكتابه.
٧. الردّ على إنكار النصارى لفصاحة القرآن وإعجازه.
٨. الرد على إنكار النصارى لمعجزات محمدٍّ.
٩. الرد على إنكار النصارى لإخبار القرآن عن الغيب.
١٠. ذكر معجزات محمدٍّ ومقارنتها بمعجزات غيره من الأنبياء.
١١. مدى دلالة الآيات على ثبوت النبوة.
١٢. بشارات التوارة والزبور والإنجيل والنبوات بمحمدٍّ.
١٣. فضائل محمد وصفاته.

[1] المسير، محمد سيد أحمد، المدخل لدراسة الأديان، ص ١٥٦ بتصرّف، ط١، ٢٠٠١، دار الندى، مصر.

١٤. الردّ على القسّ في شأن التذاذ الأجسام في الجنة والاستشهاد على ذلك بما جاء في الإنجيل والتوراة والقرآن.
١٥. الرد على القس في أمر انتشار الإسلام بالقهر والسيف.

ثالثاً: أحمد بن إدريس القرافي

ذكر الإمام القرافي[1] في مقدّمة كتابه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب فقال[2]: "إنَّ بعض النصارى قد أنشأ رسالةً على لسان النصارى مُشيراً أنّ غيره هو القائل، وأنّه هو السائل. مشتملةً على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحّة مذهب النصرانيّة، فوجدتُه قد التبسَ عليه المنقول.وأظلمت لديه قضايا العقول. فإنّ كتابنا العزيز وكتبهم دالةٌ على صحّة مذهبنا وإبطال مذهبهم. وأنّا أبيّنُ ذلك إن شاء الله تعالى في أربعة أبواب.

يتكوّن كتاب "الأجوبة الفاخرة" من أربعةِ أبواب. ردَّ فيه المؤلف في بابه الأوّل على خمس عشرة شبهةً من أبرز الشبهات التي أثارها النصارى على المسلمين وكان من أبرز هذه الشبهات وأشهرها شبهة خصوصيّة رسالة الإسلام بالعرب فقط، وشبهة المسيح روح الله وشبهة ودعوى إعلاء منزلة النّصارى في القرآن الكريم، وشبهة مدح القرآن لعقيدة القربان وشبهة احتجاجهم ببعض آيات القرآن الكريم لصالحهم، وشبهة دعوى الاستغناء عن شريعة محمدٍ عليه السلام. وفي الباب الثاني أجاب القرافي ـ رحمة الله ـ عن أسئلةٍ عبث بها النصارى ضدَّ المسلمين، جمَعَها في خمسة عشر سؤالاً وفنَّدها وردّ عليها بالتفصيل. وكان من أبرز هذه الأسئلة الخبيثة دعوى انتشار الإسلام بالسيف ودعوى أنّ المسلمين على ضلال، ودعوى جواز الاتحاد والحلول بنصّ القرآن، ودعوى خلاف المسلمين في القرآن!!.

أمّا في الباب الثالث من هذا الكتاب فنرى القرافيّ، يرحمه الله، قد تحوّل من موقع المُجِيب إلى موقع السائل، ومن موقع المُدافِع إلى موقع المهاجِم فألقى على اليهود والنصارى مائةً وسبعةَ أسئلةٍ تتعلّق في صميم معتقداتهم وكُتبهم المقدّسة وشعائرهم. كما طرح عليهم أسئلةً صعبةً مُحرِجةً لهم تتعلّق بثبوت المعجزة لمحمدٍّ، ﷺ، وعن الفرق بينها وبين معجزات السابقين

---

[1] هو أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن المُلَّقب بشهاب الدين القرافي. والقرافي امّا نسبةٌ إلى قبيلةٍ أصلها مغربي سكنت مصر وعرفت المنطقة باسمها. وأما نسبة إلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الأمام الشافعي الآن بالقاهرة) حيث كان شهاب الدين يمر بها أثناء خروجه لطلب العلم. وقد تأخر مرّةً ولم يتذكر كاتبُ الأسماء اسمه فكتبه القرافي نسبةً إلى جهة الحضور فصارت لقباً له.

كان من أشهر شيوخه العز بن عبد السلام الملقّب بسلطان العلماء وقد لازمه من سنة ٦٣٩ هـ وحتى سنة ٦٦٠ هـ. له من المصّنفات ما يزيد على الخمسة والعشرين، ومن أشهرها الأجوبة الفاخرة في الردّ على الأسئلة الفاجرة، وأدلة الوحدانية في الردّ على النصرانية، والانتقاد في الاعتقاد، والذخيرة في الفقه المالكي، وتنقيح الفصول في علم الأصول وهو مقدمة الذخير، وتوفي في جمادى الآخرة عام ٦٨٤ هـ ودفن بالقرافة.

[2] القرافي، أحمد بن أدريس، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور بكر زكي عوض، ص ٤٧، ط١، ١٩٨٦، الناشر [المحقق]، القاهرة.

وعن موقف العقلاء من نبوّة محمد، ﷺ، وعن موقفهم من عدم الأكل والشّرب في الجنّة. وفي الباب الرابع والأخير أورد القرافي ـ يرحمه الله ـ إحدى وخمسين بشارةً من كتبهم كلّها تبشّر بالنبيّ محمد ﷺ.

رحم الله الإمام القرافي وجيله من العلماء الذين أناروا لنا الدرب وأشعلوا مشاعل العلم والمعرفة وتصدّوا للذود عن هذا الدين ونبيّه الكريم ودستوره الخالد.

رابعاً: الإمام ابن تيمية

إنّ أبرز مؤلَّفات ابن تيمية[١]، رحمه الله، فيما يتعلّق بموضوع دراستنا هو كتاب "الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح". وقد ذكر في مقدّمة هذا الكتاب السبب المباشر الذي دعاه لتأليفه فقال[٢]: إنّ كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاءُ ملّتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية والعقلية، فاقتضى ذلك أن نذكر مِن الجواب ما يحصلُ به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب، لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب، وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً، وأُتبِعُ كلَّ فصلٍ بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقداً وحلاًّ. وما ذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعضٍ بحسب الأحوال، فإنّ هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنُّسَخُ بها موجودةٌ قديمةٌ، وهي مضافةٌ إلى "بولص" الراهب أسقف صيدا الأنطاكيّ كتبها إلى بعض أصدقائه ولهُ مُصنَّفاتٌ في نصر النصرانية، وذكر أنَّهُ لمّا سافر إلى بلاد الروم والقسطنطينيّة وبلاد الملافطة، وبعض أعمال الافرنج ورومية،واجتمع بأجلاَّء أهل تلك الناحية، وفاوض أفضالهم وعلماءهم، وقد عَظَّمَ هذه

---

(1) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، تقي الدين أبو العباس، الملقب بشيخ الإسلام ولد في ٦٦١ هـ هو أحد علماء المسلمين. ولد في حرّان وهي بلدة تقع حالياً في تركيا في جزيرة ابن عمرو بين دجلة والفرات.وحين استولى المغول على بلاد حران وجاروا على أهلها، انتقل مع والده وأهله إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ فنشأ فيها وتلقّى على أبيه وعلماء عصره العلوم المعروفة في تلك الأيام. كانت جدته لوالده تسمى تيمية وعُرِّفَ بها. وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير قرأ الحديث والتفسير واللغة. وشرع في التأليف من ذلك الحين. بَعُدَ صيتُه في تفسير القرآن وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل وكان من مذهبه التوفيق بين المعقول والمنقول. يقال عنه إنه كان مقترحاً متحمساً للجهاد والحكم الشرعي، وقد كان أيضاً شخصاً مؤثراً في نمو حركة الإسلام كان ابن تيمية حنبلي المذهب، سلفي النزعة.

كثر مناظروه ومنافسوه وانتقدوا عليه أموراً خالفهم فيها، منها إن زيارة الأنبياء من الشركيات، ونهيه عن شدّ الرحال لزيارة القبور والتوسل بأصحابها فنازعهم ونازعوه وأبلغوا أمره إلى حكام السلطنة في مصر فَطُلِبَ إلى مصر وعُقِدَ مجلس لمناظرته ومحاكمته حضره القضاة وأكابر رجال الدولة فحكموا عليه وحبسوه في قلعة الجبل سنة ونصفاً مع أخويه. وعاد إلى دمشق ثم أُعيد إلى مصر وحُبس في برج الإسكندرية ثمانية أشهر وأخرج بعدها واجتمع بالسلطان في مجلس حافل بالقضاة والأعيان والأمراء وتقررت براءته وأقام في القاهرة مدة ثم عاد إلى دمشق وعاد فقهاء دمشق إلى مناظرته في ما يخالفهم فيه وتقرر حبسه في قلعة دمشق ثم أفرِجَ عنه بأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون واستمر في التدريس والتأليف إلى أن توفي عن ٦٧ عاماً.

صنف كثيراً من الكتب منها ما كان أثناء اعتقاله. من تصانيفه: (فتاوى ابن تيمية) و(الجمع بين العقل والنقل) و(منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية) و(الفرقان بين أولياء الله والشيطان). حضّ على جهاد المغول وحرّض الأمراء على قتالهم. وكان له دور بارز في انتصار المسلمين في معركة شقحب.

دخل السجن في شهر شعبان سنة ٧٢٦ هـ ومكث في السجن إلى أن مات في ٢٦ من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ، حيث مرض بضعةً وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه وفوجئوا بموته. ذكر خبر وفاته مؤذن القلعة على منارة الجامع وتكلم به الحرس على الأبراج فتسامع الناس بذلك واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج وفتح باب القلعة فامتلأت بالرجال والنساء، وكانت جنازته عظيمة جداً وأقل ما قيل في عددهم خمسون الفاً.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بّدل دين المسيح، تحقيق وتقديم محمد حسن إسماعيل، ص ٢٣، ط١، ٢٠٠٣، المكتبة العلميّة، بيروت.

الرسالة، وسمّاها: "الكتاب المنطيقي الدولة خانى المبرهِن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم".

لقد استشعر شيخ الإسلام ابن تيمية خطورة مضامين هذه الرسالة وما انطوت عليه من مبالغاتٍ في مدح عقائد النصارى ومحاولاتٍ لإثبات صحّتها وللطعن في نبوَّةِ محمدٍ ﷺ وعدم الحاجة إليها، فقرأ هذه الرسالة وذكر في مُقدّمة كتابه أنها تتكوَّن من ستة فصول هي التالية:

الفصل الأول: دعواهم أنَّ محمداً ﷺ لم يُبعث إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أنَّ في القرآن ما يدلُّ على ذلك والعقل يدلُ على ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أنَّ محمداً ﷺ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يَثْبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أنَّ نبوّات الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوّات تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك، بأنه حق وصواب، فيجب التمسك به، ولايجوز العدول عنه إذا لم يعارضه شرعٌ يرفعه ولا عقلٌ يدفعه.

الفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأنَّ ما هم عليه من التثليث ثابتٌ بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافقٌ للأصول.

الفصل الخامس: دعواهم أنهم مُوَحّدون، والاعتذار عمّا يقولونه من ألفاظٍ يظهر منها تعدد الآلهة، كألفاظ الأقانيم، فإنّ ذلك مِن جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

الفصل السادس: أن المسيح، عليه السلام، جاء بعد موسى، عليه السلام، بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلى شرعٍ يزيد على الغاية، بل يكون بعد ذلك شرعاً غير مقبول.

وقد بَيَّنَ ابن تيمية في المقدمة ذاتها المنهج الذي سيعتمده في ردِّ دعوى النصارى الباطلة هذه فقال[1]: ونحن ولله الحمد والمنَّةُ نبيِّنُ أنَّ كلّ ما احتجوا به من حجةٍ سمعيّةٍ من

---

[1] ابن تيمية [م.س] ص٢٤.

القرآن، أو من الكتب المتقدّمة على القرآن، أو عقليّةٍ فلا حجّة لهم في شيءٍ منها، بل الكتب كلّها مع القرآن، والعقل حجّة عليهم لا لهم، بل عامّة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول، فهو نفسه حُجّةٌ عليهم، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية.

يُعَدُّ كتاب "الجواب الصحيح" أضخم ما كتبه ابن تيمية في الردّ على النصرانية ونقد عقائدها وشبهاتها حول الإسلام والقرآن الكريم ونبوّة محمدٍ ﷺ، وقد زادت فصوله على مائةٍ وخمسةٍ وتسعين فصلاً في النسخة التي بين أيدينا[1] في هذه الدراسة. ومن أبرز الفصول التي خطّها ابن تيمية، رحمه الله، فيما يخدم موضوع دراستنا هذه مايلي:

١. شبهات النصارى على رسالة محمدٍ ﷺ وردّها.
٢. معجزات محمد ﷺ.
٣. ردُّ احتجاجاتهم ببعض الآيات على خصوصيّة الرسالة.
٤. ردُّ دعوى خصوصية الإسلام لكون القرآن أنْزِلَ بلسانٍ عربيٍ.
٥. الردُّ على زعمهم الاستغناء برسل الله إليهم عن رسالة محمد ﷺ.
٦. ردُّ زعمهم بأنَّ عدل الله يقتضي أن لا يُطالَبوا باتّباع إنسانٍ لم يأت إليهم.
٧. الردّ على النصارى في احتجاجهم بأنّ الله مَدَحَهم.
٨. الردّ على دعواهم بتعظيم الإسلام لمعابدهم.
٩. رفضُ دعواهم وجوب التمسك بدينهم بعد بعثة محمد ﷺ.
١٠. ردّ دعوى النصارى في أنَّ القرآن أقرّهم على ما هم عليه.
١١. نقض دعواهم أنّ القرآن أثبتَ في المسيح اللاهوتَ والناسوتَ.
١٢. إثبات الفضل والكمال لرسول الله ﷺ ولشريعته ولأُمّته.
١٣. فصلٌ في دلائل النبوة.

---

[1] هذه النسخة تتكون من جزأين زادت صفحاتها عن ألف وستين صفحة، وهي بتحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وهي طبعة كاملةٌ محقّقةٌ على النسخة الخطية لدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٧٨) ومقابلة على طبعة العاصمة، وقد نشرتها المكتبة العلمية ببيروت عام ٢٠٠٣م.

خامساً: الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر

قد لا يكون هذا الشيخ[1] من الأعلام المشهورة في بلادنا ولكنه، رحمه الله، قد ترك لنا مؤلَّفاً هامّاً نسأل الله تعالى أن يكتبه له صدقةً جاريةً تبقى إلى يوم القيامة. وهذا المؤلَّف يأتي في صميم هذه الرسالة ويخدم موضوعها بوضوح، هذا المؤلَّف هو "منحة القريب المجيب في الردّ على عبّاد الصليب"[2]. وقد حكى الأستاذ محمد سيّد المسير سبب إقدام الشيخ عبد العزيز آل معمر على وضع هذا الكتاب فقال[3]:

قد واجه به المؤلِّف كتاباً في التنصير خطَّهُ المندوب الإنجليزي في البحرين بعنوان "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" يشتمل على طعونٍ في الرسالة الإسلامية والرّسول محمدٍ ﷺ، ويشيد بالنصرانية، وبعث المندوب الإنجليزي بكتابه هذا إلى حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن خليفه ليعرضه على العلماء المسلمين فانبرى له الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر وسجَّلَ الردَّ في فترةٍ وجيزةٍ وسلَّمهُ لحاكم البحرين.

ومن المفيد قبل الشروع في الحديث عن أهمّ محتويات هذا الكتاب التنبيه إلى عدم الخلط بينه وبين كتاب "تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب" وهو من وضع عبد الله الترجمان الأندلسي الذي هداه الله إلى الإسلام بعد أن كان في السابق قسيساً إسبانياً يحمل اسم "إنسليم تورميدا".

في بداية كتابه عرض الشيخُ عبد العزيز، رحمه الله، النص الكامل لما كتبه المندوب الإنجليزي في البحرين، آنذاك، ثم أتبعه بالردود الشافية الوافية على ما ذكر. ويتكوَّنُ هذا الكتاب من خمسةِ مقاماتٍ (ما يعادل الأبواب) طويلةٍ تندرج تحتها مجموعةٌ من الفصول، وناقش في هذا الكتاب مجموعةً من المواضيع أبرزها ما يلي:

---

(1) هو الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله (١٢٠٣هـ-١٢٤٤هـ) ولد في الدرعية، وتعلم فيها على أئمة الدعوة، وكان أبوه من كبارهم. ذهب إلى (البحرين) بعد سقوط الدرعية على يد الباشا، ومات فيها، له قصائد متبادلة مع الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله، وله مرثية للدرعية مشهورة يسميها علماء نجد الطّنانة.

(2) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب. الطبعة الأولى كانت عام ١٩٧٨م وقد نشرتها دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، المملكة العربية السعودية.

(3) المسير [م.س] ص١٦١.

١. تحريف النصارى للدين الذي جاء به عيسى ابن مريم، عليه السلام، ودور المجامع الكنسّية في ذلك.
٢. تحريف كتب النصارى واختلافاتها وتناقضاتها مع بعضها البعض.
٣. تحريف النصارى لصفات الرسول محمد ﷺ الواردة في كتبهم المقدسة.
٤. المناقشة التفصيلية لمقارنة المندوب الإنجليزي بين محمدٍ وعيسى، عليهما السلام، وفيها ردّ على أسباب ترجيح المقارنة لصالح المسيح عليه السلام، وختم بأنّ الترجيح بين الأنبياء والرسل لا يعود لنا نحن البشر بل لله تعالى.
٥. أفاض المؤلف في ذكر فضائل وشمائل الحبيب المصطفى ﷺ.
٦. الردود على شبهات النصارى حول بعض آيات القرآن الكريم التي تصف المسيح بأنه روحٌ من الله تعالى، وبيان التفسير الصحيح لهذه الآيات والفهم الذي يجب أن تندرج تحته.
٧. الإفاضة في تعداد وشرح معجزات الرسول ﷺ ووجوهها.
٨. الرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف وبيان الحكمة من تشريع الجهاد.
٩. توضيح الحكمة من تشريع الطلاق وتشريع تعدد الزوجات.

سادساً: الشيخ رحمت الله الهندي

ليس من قبيل المبالغة القول إنَّ الكتاب الذي أَلّفه الشيخ رحمت الله الهندي[1]، رحمه الله، والذي يحمل عنوان "إظهار الحق"[2] هو أثمن وأهم الكتب التي رصدتها هذه الدراسة فيما يتعلق بالرد على عقائد المسيحية ودفع شبهات ومطاعن الرهبان عن الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأمرين:

أمّا الأمر الأول: فيرجع إلى الظروف التي دفعت الشيخ الهندي لعقد مناظرته الشهيرة مع القسّيس فندر، والتي تُعتَبَرُ مادةُ هذا الكتاب تدويناً لنصوصها وأحداثها وتوثيقاً لها، فقد حدث أنَّ المنصّرين في الهند في الخمسينات من القرن الثامن عشر قد جعلوا من الشوارع والأماكن العامّة والأسواق في القارّة الهندية منابر لنشر الكفر البواح، يتحدّون المعتقدات الإسلامية، ويهاجمون العلماء، ويصفونهم بالخور والجبن وضعف الحجّة، وأنهم ليسوا بقادرين على إثبات صحّة هذا الدين، وعلى رأسه هذا القرآن، ورسالة محمدّ ﷺ، ليصلوا إلى هدفهم من إثبات ألوهيّة عيسى عليه السلام، وأحقيّة دين المسيح المخلِّص للعالم بزعمهم إلى غير ذلك. وشنّوا حملةً لا هوادة فيها على طبقات الشعب المسلم، يوردون عليه شبهاتٍ وأوهاماً وتفسيراتٍ حسب أهوائهم، يقتطعونها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يلبسونها ثوب الحق ويدّعون أحقيّتها زوراً وبهتاناً، وعاش المسلمون فترةً قاسيةً ومحنةً أطاشت عقولهم، وشلَّت نشاطهم، فنهض رحمتُ الله الهندي لِيُعلِنَ التحدّي ويذود عن الإسلام وقرآنه الكريم ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ في هذا الوقت القاتل والموقف الصعب.

---

[1] هو محمد رحمت الله (بالتاء المفتوحة) بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي الحنفي، ونسبهُ ينتهي إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، عند الجد الرابع والثلاثين. ولد الشيخ رحمت الله بجي (دربار كلان) أي الحي الكبير في كيرانه، التابعة لمحافظة (مظفر ناجار) من توابع دلهي عاصمة الهند –في جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ الموافق: التاسع من مارس سنة ١٨١٨م. في عهد السلطنة المغولية. وقد اشتهر أفراد أسرته بالعلم والطب والمناصب العليا. اشتهر بمناظرته للقس فندر حيث كانت الغلبة للشيخ رحمت الله، وقد كان له دور كبير في الثورة الهندية عام (١٢٧٤هـ، ١٨٥٧م) مما اضطره إلى مغادرة الهند تحت ملاحقة الدولة البريطانية وحكمها عليه بالإعدام، فغادر بعد مصادرة أمواله وممتلكاته إلى مكة المكرمة، وبها أَسَّسَ أول مدرسةٍ في الجزيرة العربية وهي التي تعرف الآن باسم المدرسة الصولتية نسبة إلى المُحسنة "صولة النساء" التي تبرعت بمالها لإنشاء المدرسة. زادت مؤلفاته عن ستة عشر كتاباً، من أشهرها: إظهار الحق، إزالة الشكوك، تقليب المطاعن، أحسن الأحاديث في إبطال التثليث، معيار التحقيق، إعجاز عيسوي. توفي رحمت الله الهندي في مكة المكرمة ليلة الجمعة ٢٢ من شهر رمضان المبارك عام ١٣٠٨هـ ودفن في المعلاة مكة المكرمة بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، عن عمر يقارب خمساً وسبعين سنة، رحمه الله تعالى.

[2] الهندي، محمد رحمت الله الكيرانوي، إظهار الحق، ط١، ١٩٨٣، طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر.

أما الأمر الثاني: فيرجع لعبقريته، رحمه الله، في عقد المناظرة وتمكُّنِه منها حيث كان يناقش كل قضيةٍ يأتي عليها من كلِّ زاويةٍ بدّقةٍ تامّةٍ وتجرُّدٍ نزيهٍ، ثم يتناولها بالتفنيد والنّقد من المصادر نفسها التي يعتمد عليها الخصم، ومن أقوال علمائهم حتى يتّضح الحقُّ، ويبرهن على عبودية المسيح عليه السلام، وعلى وجود التحريف والتناقض في الإنجيل والتوراة بعرض النصوص ومقابلة بعضها البعض، وعلى تنزيه ساحة النبوة والأنبياء من كل نقيصةٍ ومذمّةٍ، وعلى أنَّ القرآن الكريم لا تناقض فيه ولا اختلاف. ثم كان لا يفوته رحمه الله أن يدعم الحقَّ بالأدلَّة من كتاب الله وسنّة رسوله، ليجمع بين الحُجّتين.

ومن المفيد أن نقف عند هذه المناظرة قليلاً لأنها، كما أسلفنا، مَادّةُ الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه وأصله[1]، وسببها المباشر أنَّ قسيساً شهيراً اسمه "فندر" قد قَدِمَ من إنجلترا قام بنشاطٍ كبيرٍ وحماسٍ زائدٍ، في مناظرة علماء الهند، وقد تحدّاهم تحدّياً سافراً، وقام بجولةٍ في مديريات الهند، يخطب في المجامع، ويدعو إلى النصرانية. وقد استفحل أمر "فندر" ورأى أنَّ الجّو قد خلا له، فازداد جرأةً وتحدّياً .. رأى الشيخُ، رحمه الله، أنه لا سبيل إلى الحدِّ من نشاط هؤلاء القسيسين ومقاومتهم، وفي مقدّمتهم وعلى رأسهم القس "فندر" وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين، إلاّ مناظرة "فندر" في جمعٍ حافلٍ يحضره المسلمون والمواطنون، والحكّام الأوربيون، والنصارى المتنصّرون.

وكان "فندر" كثير الاستدلال بكتابه "ميزان الحق" فخوراً متبجّحاً به، ويرى أنه ليس من السهل معارضته، ونقضه من علماء المسلمين.

حرص الشيخ، رحمه الله، على مناظرة القس "فندر" كلَّ الحرص، فراسله في هذا الموضوع، وألحَّ عليه بالظهور أمام الجمهور وعلماء المسلمين، واستعان في ذلك بكلِّ مَن يرى فيه غناءً أو تأثيراً، ولمّا رأى القسُّ أنّه لا مناص له من هذه المناظرة، قبلها وتقرَّر عقدُ مجلس المناظرة في ١١ من رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٠ من إبريل ١٨٥٤م) في "أكبر أباد –أكر" إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية والتي كانت ساحةً للنشاط التنصيري في الهند، وفي حيٍّ من أحيائها المعروفة بحارة "عبد المسيح".

[1] الهندي [م.س]، المقدّمة، ص٩-١٠-١١، باختصار وتصرف.

بدأ الحفل في اليوم المُعَيّنِ، والساعة المحددة وقد حضر ولاةُ المديرية من حُكّامٍ وقضاة، وبعض كبار موظفي الثكنة الإنجليزية من الإنجليز، وحضر القس الشهير (فندر) والقس (وليم كلين) وعددٌ كبيرٌ من أعيان البلد ووجهائه، ومن أبناء البلد المسلمين والمسيحيين والسّيخ، وكان الدكتور محمد وزير خان بجوار الشيخ رحمت الله يساعده ويتعاون معه، وكان موضوع البحث والمناظرة خمسَ قضايا هي:

١. التحريف في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).
٢. وقوع النسخ.
٣. التثليث.
٤. نبوّة محمدٍ ﷺ.
٥. صدق القرآن وصحّته.

وقد تقرَّر أنّه إذا انتصر الشيخُ رحمت الله في هذه المناظرة يدخل "فندر" في الإسلام، وإنْ كان العكس يتنصَّرَ الشيخ... أسفرت هذه المناظرة التي لفتت أنظار المعنيين بالقضية في داخل البلد وخارجه، وكانت حديث النوادي، والشغل الشاغل، والمقيم في البلد، عن اعتراف القس "فندر" بوقوع التحريف في ثمانيةِ مواضعَ من الإنجيل، فقال الشيخ رحمت الله الهندي: (إنكَ ما دمتَ قد اعترفتَ بوقوع التحريف في الإنجيل، فقد أصبحَ هذا الكتابُ مشكوكاً فيه برمَّته)[(١)] وانتهى البحث على ذلك. ولم يرجع القس إلى البحث والمناظرة في اليوم الثالث، وكان من الواضح أنه انسحب عن ميدان المناظرة، وكان انتصاراً رائعاً للجانب الإسلاميّ، قَويت به معنويةُ المسلمين، وتشجّعوا على مواجهة القسّيسين وردّ دعاواهم، وفقدت الدعوة التنصيرية الكثير من اعتبارها وقيمتها. وبالطبع فإنَّ القس "فندر" قد نكث بوعده ولم يدخل في الإسلام.

أمّا عن السبب الذي دعا الشيخ رحمت الله الهندي إلى تدوين هذا الكتاب فهو كذلك مذكورٌ في مقدّمته[(٢)]، حيث طلب منه السلطان التركيُ عبد العزيز ورئيس الوزراء خير الدين باشا تأليف كتابٍ بالعربية يشمل المسائل الجوهرية، والمواضيع الأساسية، والمباحث الحقيقية بين الإسلام والديانة المسيحية، والتي تُبطلُ مزاعم اليهود والنصارى مع إيراد كلِّ ما حصل في المناظرة بالهند، وطلبوا من الشيخ البقاء في تركيا لإكمال هذه الخدمة الإسلامية الدينية المحضة، فرأى من الواجب عليه تأليفَ كتابٍ يكون بمثابة حصنٍ منيعٍ بين

[(1)] الهندي [م. س]، ص ٢٣.

[(2)] الهندي [م.س]، المقدمة، ص٢٥.

الإسلام والمذاهب الباطلة، فشرع في تأليف هذا الكتاب الجليل في شهر رجب عام ١٢٨٠هـ، وأكمله في ستة أشهر. وطُبع في تركيا تحت الرعاية السلطانية، وَوُزِّعَ في البلدان العربية والإسلامية، كما تُرجم إلى اللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية، كما اهتم السلطان بترجمته إلى اللغة التركية باسم "إبراز الحق" وقد علَّقتْ جريدة "لندن تايمز" في ذلك الوقت بعبارة: "لو داومَ الناسُ على مطالعة وقراءة هذا الكتاب لتوقَّفَ انتشارُ الدين المسيحي كلياً، وتأبى النفوس من قبوله ويرجعون إلى الإسلام".

وقد طبع هذا الكتاب عشرات المرّات في تركيا ومصر وسورية ولبنان، وقام القسيسون ورجال الهيئات التنصيرية بمصادرة نُسخِهِ وإتلافها حتى لا تصل إلى أيدي الناس في البلدان العربية. والجدير بالذكر أيضاً أنّ الهيئات المختصة بالهند في عهد الحكومة البريطانية منعت طبعَ وتداول مؤلفات الشيخ رحمت الله، ومجازاة كلّ مَنْ يقوم بطبع ونشر مؤلفاته، ولكن مع ذلك ظلت كتبه، رحمه الله، محفوظةً مصونةً في البيوت والمكتبات القديمة، وفي صدور العلماء ورجال التاريخ.

ويرى العَّلامةُ الشيخ أبو الحسن الندوي، رحمه الله، أنَّ كتاب "إظهار الحق" الذي بين أيدينا، يمتاز على غيره بعدة ميزات من أهمها[1]:

أولاً: أنّ المؤلف آثَرَ خطّة الهجوم على خطّة الدفاع التي لا تزال أقوى وأكثرَ تأثيراً في النفس، فإنها تُلجِئ الخصمَ إلى أن يتّخذ موقف الدفاع، وأن يقف في قفص الاتهام، ويدافع عن نفسه وينفي التهمة.

ثانياً: أنّ المؤلِّف تجنَّب البحوث الدقيقة التي يتَّسعُ فيها مجال الجدال، ويكثر فيها القيل والقال، بل اعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة، والبديهيات الجليّة، التي لا تقبل التأويل، واستخرجَ منها نتائجَ، كنتائجَ رياضيةٍ لا يختلف فيها اثنان، فقد أثبتَ أنّ التوراة والإنجيل مليئةٌ بالاختلافات والتناقضات، وقد وقعت فيها أخطاء فاحشة عدَّ منها مائةً وثمانية أخطاء، وبرهنَ بذلك على أنها كلّها ليست إلهاماً من الله، وأنّ التحريف قد وقع في "الكتاب المقدس" لا محالة.

(1) الهندي [م.س]، المقدمة، ص١٤-١٥ بتصرف.

ثالثاً: تعرَّضَ المؤلِّفُ فيه لمغالطات النصارى وتمويهم، وردّ عليها في أسلوبٍ سائغٍ مُقنعٍ، وتعرَّض لإثبات النسخ ووقوعه في الديانتين السابقتين وصحفها.

رابعاً: وضع المؤلف العلاَّمةُ حقيقةَ عقيدة التثليث النصرانية على محكِّ العقل، ونقدها نقداً علمياً يستسيغه كلٌّ مَن رزق العقل السليم والذوق الصحيح.

خامساً: لم يكتف المؤلف بنقد المسيحية وعقائدها وصحفها، بل أضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وإثبات أنه كلام الله، لا شكَّ في ذلك، وأجاب في هذا الصدد على كلّ ما عارضه به النصارى، واعترضوا على القرآن، وذكر في ذلك نبذةً عن سيرة الرسول ﷺ ومعجزاته والبشارات التي وردت في شأنه. وقد ذكر ثماني عشرة بشارةً، وحقَّق صحّة الأحاديث، لذلك كان الإقبال على هذا الكتاب كبيراً والعناية به عظيمةً.

ويمكننا بعد قراءة هذا الكتاب القيّم الضّخم أن نقفَ فيه على الكثير من المواضيع التي تهمّ وتخدم موضوع دراستنا هذه، والتي تأتي في البابين الخامس والسادس منه، وذلك بعد الانتهاء من الأبواب الثلاثة الأولى من نقدِ ونقضِ وتفنيدِ كتب العهد القديم والعهد الجديد وإثبات تحريفها وإبطال التثليث. ومن أبرز ما يهمّنا فيه حديثه، رحمه الله، عمّا يلي:

١. إثبات كون القرآن الكريم كلام الله ومعجزاً ودفع شبهات القسيسين على القرآن وقولهم بأنه ليس في الدرجة القصوى من البلاغة، وأنه مُخالِفٌ لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع وبالتالي فهو ليس من كلام الله. وقد أفرد لذلك مائةً وسبع صفحات.
٢. دفع شبهات القسّيسين الواردة على الأحاديث النبوية الشريفة. وقد أفرد لذلك خمساً وثلاثين صفحةً.
٣. إثبات نبوّةِ محمد ﷺ ودفع مطاعن القسيسين فيها ودفع شبهات علماء النصرانية والردّ عليها، وقد أفرد لذلك مائةً وتسعاً وستين صفحةً.
٤. دفع مطاعن القسيسين المتعلّقة بالجهاد، وعدم ظهور المعجزات على يد رسول الله ﷺ وبيان كذب ذلك، ودفع الشبهات المتعلقة بزوجات الرسول ﷺ، ثم دفع شبهة أنّه ﷺ كان مُذنباً. وقد أفرد، رحمه الله، لهذه الردود والدفوع أربعاً وخمسين صفحةً.

رحم الله الشيخ الهندي الكيرانوي وجعل هذا العمل الجبّارَ في ميزان حسناته إلى يوم الدين، فله أجرُه وأجرُ مَن قرأه وأفاد منه في الذّود عن هذا الدين والحبيب المصطفى إن شاء الله تعالى.

سابعاً: نعمان بن محمود الألوسي

يُعتبرُ الإمام الألوسيّ[(١)]، رحمه الله، مؤلف كتاب "الجواب الفسيح لما لفَّقَهُ عبد المسيح"[(٢)] خيرَ مَن ردَّ ردّاً شافياً وافياً على "الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها" أو "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي". وهي الرسالة التي أوردنا نصّها وبعضاً من نصّ الرسالة الجوابيّة عليها في المبحث الثالث من الفصل الرابع السابق. وقد مرَّ معنا التشكيكُ في صحّة وجود طرفيها وأنّ أسماءهما إنما هي لشخصين وهميين. وقد تصدّى الألوسي، رحمه الله، لموضوع هاتين الرسالتين كاملاً، وكتبَ فيه باستفاضةٍ مفيدةٍ، وخلُصَ إلى نتيجةٍ مفادها عدم وجود أصلٍ قديم لهما يعود لعصر الخليفة المأمون، وبل وعدم ذكرِ أيِّ مصدرٍ تاريخيٍ معتمدٍ لأيٍّ من نصيّها أو الترجمة لصاحبها. والذي ترجّح لديه، رحمه الله، أنّ جماعةً من النصارى المتأخّرين (من طائفة البروتستانت) هم الذين قاموا باختلاق ووضع هاتين الرسالتين المزيّفتين وكتبوا لهما تاريخاً قديماً مزّوراً يعودُ لزمان حكم المأمون في القرن الهجري الثالث. وقد استدلَّ على صحّة استنتاجه هذا بقوله: "ومما يدلُّ على التزوير والافتراء: أنَّ المؤلِّف إذا ذكر آيةً من آيات التوراة أو الإنجيل يذكرُ بجوارها اسم السفر ورقم الإصحاح. والرّقم الذي يذكره هو مطابقٌ للرقم المذكور الآن في طبعات البروتستانت للكتاب المقدّس. وهذا يدلُ على أنّ المؤلِّف من البروتستانت، وأنّه من العلماء"[(٣)].

---

(1) هو نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الألوسي، وهو ابن الألوسي المفسِّر صاحب "روح المعاني". ولد في بغداد في ١٢ من المحرم سنة ١٢٥٢هـ. ولمّا أتمّ علومه التحق بوظائف الحكومة، وتولّى القضاءَ في الحلَّة وغيرها، ثم ترك المناصب، واشتغل بالعلم والتأليف والوعظ والإرشاد. وفي سنة ١٢٩٥ هـ سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، وزار مصر. وفي سنة ١٣٠٠ هـ سافر إلى الآستانة،وأنعمّ عليه السلطانُ عبد الحميد الثاني بمراتبَ عاليةٍ، وأصدرَ أمره بإعادة مدرسة مرجان إليه. ولمّا عاد إلى بغداد تصدّى للتدريس وكان رئيس المدّرسين. وكان منذ صباهُ شغوفاً بالمطالعة، ميَّالاً إلى جمع الكتب النادرة فُوفّق لجمع مكتبةٍ حافلةٍ، ثم وقفها على مدرسته. وكان عالماً ضليعاً، وأديباً جليلاً، عفّ النفس، واسع الحلم، شديد التحري للحق. توفي في صبيحة الأربعاء السابع من المحرم سنة ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩م في بغداد.

من مؤلفاته:

١. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: ابن تيمية وأحمد بن حجر الهيتمي.

٢. الآيات البينات في عدم سماع الأموات.

٣. الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، ردَّ به على الرسالة المنسوبة لعبد المسيح ابن إسحاق الكندي، في مجلدين.

٤. غالية المواعظ في الوعظ.

٥. الأجوبة العقلية لأشرفية الشريعة المحمدية.

(2) الألوسي، نعمان بن محمود، الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ط١، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت.

(3) الألوسي [م. س]، ص ٥.

وقد اتّبع الألوسيّ، رحمه الله، منهجاً سهلاً وسَلِسَاً في ردّه على رسالة عبد المسيح حيث كان يضع عبارات المسمّى (عبد المسيح) بنصّها ثم يُتبعها بالردِّ والتفنيد والنقد. كما صَرَّحَ، رحمه الله، في مقدّمة الكتاب بأنّه استفاد من خبرات علمائنا السّابقين في الردّ على النصارى واستعان بكتبهم مثل كتاب "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" للإمام ابن قيّم الجوزية، وكتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله الهندي الكيرانوي. وقام منهجه على استخدام الحجج النقليّة والعقلية على السّواء. وقد كان وقوفه على نصّ الرسالة السابق ذكرها السبب المباشر الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب الضخم[1] النافع فقال: "رأيت في السنة الرابعة بعد الثلاثمائة وألفٍ من هجرة النبيِّ الأشرف أوراقاً مطبوعةً في لندن سنة ١٨٨٠م بالضّلال والبُهتان مشتملةً على تقديم دين النصارى على سائر الأديان، طاعنةً دين الإسلام بكل قصيرِ رمحٍ وكليل سنانٍ، مزخرفةً بالأكاذيب على الله تعالى ورسوله ممّا لم تسمعها الآذان منسوبةً إلى "عبد المسيح بن اسحق الكندي" مُجيباً بها في زمن "المأمون العباسي" رسالة "عبد الله بن إسماعيل الهاشمي" حينما دعاه فيها إلى دين الإسلام القويِّ الدِّعام .. وأنّ الصائغ لها عصريٌّ، أو زنديقٌ متقدمُ العصر أراد ترويجَ الغيّ، وأن ينسخ نور الشمس بالفيء. ولعمرى أنّ باطلها لا يخفى على ذي عينين .. ولقد قدّمتُ رِجْلاً وأخّرت أخرى عن ردِّ باطلها، وبيان عاطلها، واستعظمتُ أن أنطلقَ ولو على طريقةِ النقل بكلماتها، أو أحرِّرَ بقلمي على سبيل الردّ قبيحها، لأنَّ ما فيها يحكي العواءَ على بدر السماء، غير أنَّ جَهَلَةَ النصارى ربما يختلجُ في أذهانهم عجزُ المسلمين عن ردِّ هذيانهم فأسرعتُ لردّ الجواب، واقتديتُ بمَنَ قبلي من الأجلّة الداخلين في هذا الباب، الذين أتوا بالحكمة وفصل الخطاب، فشرعتُ فيه طالباً للتوفيق والإمداد، متكلاً على من تنزّهَ عن الصاحبة والأولاد، سائلاً منه جلَّ وعزَّ الهدايةَ والتيسيرَ والحفظَ من كيد الأعداء والحُسّاد، مُسمياً له بـ الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح"[2].

وقد لا يكون هذا الكتاب الذي بين أيدينا شهيراً، وهو قليلُ التداول، قليل الوجود في المكتبات لكنّه هامٌ تصدّى فيه المؤلف لنقد معتقدات اليهود والنصارى كما تصدّى للردّ على كلّ الشبهات التي ذُكرت في الرسالة السابقة ردوداً شافية، خُصوصاً إذاما تذكّرنا أنّ الشبهات الواردة فيها هي الجذر الأساس للكثير من الشبهات المُغرِضة الموجودة اليوم على

---

(1) يقع الكتاب المذكور في مجلدين وهو يتكون من ١٥٥١ صفحةً شاملةً للمقدمة والفهارس.

(2) الألوسي، [م. س]، ص ٣٤، ٣٤، بتصرف.

بعض مواقع الإنترنت المسيحية التي تخصّصت في الإساءة للإسلام والحبيب المصطفى ﷺ.
وقد كان من أبرز هذه الشبهات التي أجاب عليها الألوسيّ، رحمه الله:

١. شبهة مرض موت النبي ﷺ.
٢. شبهة إنتشار الإسلام بالسّيف.
٣. شبهة كتابة القرآن بعد موت النبي ﷺ.
٤. شبهة اللحن والتحريف الموجودين في اللغة العربية.
٥. شبهة خداع النبي للعرب بالنبوّة وأنّه لم يكن نبيّاً.
٦. شبهة وجود التناقض في القرآن.
٧. شبهة ظهور المعجزات والخوارق على يد أيِّ إنسانٍ.
٨. شبهة أنّ المسلمين الذين يُقتلون في سبيل الله ليسوا شهداء.
٩. شبهة أنّ القرآن يدعو إلى الملذّات والشّهوات.
١٠. شبهة أنّ المسلمين ضالّون.

رحم اللهُ الإمام الألوسي، العلاّمة الذي سَخَّرَ جهده ووقته وإمكانياته للذود عن دين الله تعالى وحبيبه المصطفى، وردّ السّهام إلى نحور أصحابها المُبغضين الكارهين ....

ثامناً: الشيخ عبد الرحمن الجُزيري

في معرض حديثنا عن الردّ على مؤلَّفٍ بعينه، وكما استعرضنا في الصفحات الماضية "الردّ على الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها" نستعرض فيما هو آتٍ الردّ على كتاب القس فندر المُسمّى "ميزان الحقّ". وهو الكتاب الذي كان هذا القس يُكثرُ الاستشهاد به في مناظرته للشيخ رحمت الله الهندي، رحمه الله، ويرى أن المسلمين لا طاقة لهم به، ولا يقدرون على معارضته والردّ عليه. وقد انبرى الشيخ عبد الرحمن الجزيري[١]، رحمه الله، للردّ على هذا الكتاب في كتابٍ سمّاه "أدلة اليقين في الردّ على كتاب ميزان الحق"[٢]. ومع أنّ الشيخ رحمت الله الهندي قد تصدّى في كتابه "إظهار الحق" للرّد على كتاب القس فندر وبذل مجهوداً عظيماً في الردّ على فرضيّاته ونظرياته، إلاّ أنّ الشّيخ الجزيري قد ألف "أدلة اليقين" للردّ على الكتاب المذكور ذاته وقد علَّلَ ذلك بقوله: "نعم أنّ الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ رحمت الله الهندي، أكرم اللهُ مثواه، قد بذل مجهوداً كبيراً في الردّ على بعض نظريات هذا الكتاب وأقام الدلائل القاطعة على تحريف التوارة والإنجيل في كتابه "إظهار الحق" ولكن قد جاء بعد ذلك قسيسٌ آخر اسمه "الدكتور تسدل" فأضاف إلى هذا الكتاب مطاعنَ كثيرةً وحذف منه عباراتٍ جمّةً ليردَّ بذلك على الأستاذ الشيخ رحمت الله. وقد زعم أنَّ زيادته هذه بناها على الكشف العلميّ. فمن أجل ذلك كلّه رأيتُ أن أردَّ على كتاب ميزان الحق في جميع ما جاء به وبذلك يتم الردّ على جميع المبشّرين"[٣].

ولعلّ تصدّي اثنين من أبرز علماء المُسلمين في القرن الثامن عشر للردّ على كتابٍ بعينه أكبرُ دليلٍ على مدى خطورة هذا الكتاب على الإسلام والمسلمين. فما الذي احتواه هذا الكتاب الخطير يا تُرى؟؟ في الواقع لقد حلّل الشيخ الجزيري، رحمه الله، في مقدمة "أدلة اليقين" أقسام هذا الكتاب وأبرز ما اشتمل عليه على النحو التالي[٤]:

---

[1] هو عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري: فقيه، من علماء الأزهر. ولد بجزيرة شندويل (مركز سوهاج) بمصر (عام ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢م) وتعلّم في الأزهر من سنة ١٣١٣ إلى ١٣٢٦ هـ، ودرس فيه. وعُين مفتشاً لقسم المساجد بوزارة الأوقاف سنة ١٣٣٠ هـ، فكبيراً للمفتشين، فأستاذاً في كلية أصول الدين. ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء. وتوفي بحلوان. له كتب، منها الفقه على المذاهب الأربعة ـ أربعة أجزاء، شاركته في في تأليف الجزء الأول منه لجنة من العلماء، وانفرد في تأليف بقيته، وتوضيح العقائد في علم التوحيد، والأخلاق الدينية والحكم الشرعية، وأدلة اليقين في الردّ على بعض المبشرين توفي، رحمه الله، سنة ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م.

[2] الجزيري عبد الرحمن، أدلّة اليقين في الردّ على كتاب ميزان الحقّ وغيره من مطاعن المبشّرين المسيحيين في الإسلام، ط١، ١٩٣٤، مطبعة الإرشاد، مصر.

[3] الجزيري [م. س]، ص ٩.

[4] المرجع السابق نفسه، ص ١٠، بتصرّف.

لقد قسَّم المؤلفُ كتابه إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ادّعى فيه عدم تحريف التوراة والإنجيل وعدم نسخ شيءٍ منها فلا الانجيلُ ناسخ للتوارة ولا القرآنُ ناسخ لشيءٍ من التوارة والانجيل، وكلٌّ ما فيها وحيٌ من الله تعالى مهما كان مضادّاً للعقل ومنافياً لما يقتضيه نظام الله في خلقه. ومهما كان مشتملاً على نقائصَ في الأنبياء مِن أحطّ ما يُوصَفُ به السفلَةُ الأدنياء ومهما كان مشتملاً على أغاليطَ علميةٍ وتاريخيةٍ صريحةٍ لا يمكن تأويلها. وقد استدل على دعواه هذه بشهادة القرآن للتوارة والإنجيل، وبأنَّ كلام الله لا يصح تبديله ولا نسخه كما قال المسيح (تزول السموات والأرض ولا يزول كلامي) وكما قال تعالى: (لا تبديل لكلمات الله).

أمّا القسم الثاني فقد أدّعى فيه أنّ التعاليم الصحيحة النافعة هي تعاليم الإنجيل التي من بينها مسألة التثليث وصلب الإله لتخليص العالم من الخطيئة.

أمّا القسم الثالث فزعم فيه أنّ الكتاب المقدَّس (التوراة والإنجيل) لم يرد فيه شيءٌ يدلُّ على نبوّة سيدنا محمد ﷺ بل الإشارات التي فيه عن النبوّة إنما هي تنطبق على عيسى عليه السلام. وقد هجم في هذا القسم على كتاب الله الكريم وعلى رسوله الصادق الأمين هجوماً جريئاً يدلُّ على جهالةٍ وسوء أدبٍ لا حدَّ لها.

ومع أنّ كتاب القس الدكتور فندر يفيضُ بقلَّة الأدب والتطاول على القرآن الكريم والإسلام والرسول الكريم ﷺ إلا أنّ الجزيري، رحمه الله، يقرِّرُ وبكل علوٍّ ونزاهةٍ وأدبٍ ألاَّ ينزلق كما انزلقوا وكانوا بوراً فيقول[1]: "وإنني أعاهد القرّاء وأشهد اللهَ على أنني لا أحيد عن البراهين العلمية قيدَ شعرةٍ، ولا أخرج في كتابتي عن الأدب إلاّ حيث يخرجون على الله ورسوله، ومع ذلك سأُغضي عن كثيرٍ من سفاهتهم وأَكِلُ أمرهم إلى البراهين العقلية الجازمة التي تُظهرهم للناس في مظهرهم الصحيح".

وبما أنّ كتاب القس فندر كان يتكوَّنُ من ثلاثةِ أقسامٍ فقد وقع الردّ عليه في كتابٍ يتكون من ثلاثة أقسامٍ كذلك، حيث ناقش الجزيري، رحمه الله، في قسمهِ الأول أدلّة "ميزان الحق" على عدم تحريف التوراة والإنجيل ونقدها ونقضها دليلاً دليلاً. ثم استعرض الفهم الخاطئ والتفسير المغلوط الذي استدل به فندر من القرآن على صحّة التوراة والإنجيل،

[1] الجزيري [م. س]، ص ١٠.

وساق ثلاثةَ أدلةٍ دامغةٍ على تحريف الإنجيل وساق عشرةَ اعترافاتٍ على تحريف الإنجيل وخمسةً أُخرى على تحريف التوارة، مُستنبِطاً إياها من كتاب فندر نفسه. وفي القسم الثاني من هذا الكتاب أورد الجزيري، رحمه الله، أدلّة فندر العشرة على إثبات صّحة عقيدة الثالوث ثم ناقشها ونقدها واحداً تلو الآخر. ولعلّ القسم الثالث من كتاب الجزيري، رحمه الله، هو أكثر ما يهمّنا في هذه الدراسة ألا وهو التصدّي لمطاعن "ميزان الحق" في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ، حيث ردّ على المطاعن كلّها وأقام الأدلّة على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام، من نبؤات التوراة والإنجيل، ومن معجزات رسول الله ﷺ نفسها، وردَّ على شبهات فندر حول القرآن الكريم وحسيّة الجنة ونعيمها وقام بتصويب سوء الفهم لبعض الآيات التي استشهد بها فندر على ذنب وأوزار سيدنا محمدٍ ﷺ مثل آية "ووضعنا عنك وزرك" وآية "واستغفر لذنبك" كما تصدّى الجزيري، رحمه الله، للردّ على مطاعن المستشرقين في الجهاد وفي الفهم الإسلامي للقضاء والقدر، وشبهاتٍ أُخرى تتعلّق بزوجات النبي ﷺ وخيالات المبشّرين حول عفّته ونزاهته، عليه السلام، وما يتخيَّلونه من أخطاء نحويّةٍ في القرآن الكريم وامتلائه بالأخطاء التاريخيّة!!!

تاسعاً: الشيخ أحمد ديدات

لكلِّ فعلٍ ردُّ فعلٍ مساوٍ له في المقدار ومعاكسٌ له في الاتجاه. هذه وباختصارٍ، كانت حكاية بداية سير الشيخ ديدات[1]، في طريق دراسة المسيحيّة والكتاب المقدّس ونقد عقائدها وإسكات المبشرّين والرهبان، الذين دأبوا على الطعن في الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ. وقد حكى الشيخُ ديدات، رحمه الله، وابنه يوسف هذه القصّة للدكتور عبد الله قادري الأهدل[2] عند زيارته لهما عام ١٩٩٩ للميلاد في فترة مرضه، رحمه الله تعالى، وقد روى الدكتور الأهدل بدوره هذه الحكاية في مؤلَّفه الضخم "سلسلة المشارق والمغارب" على لسان الداعية ديدات فقال: يقول الداعية: إنّه بعد أن انتهى من المدرسة، عَمِلَ في أحد المحلات لبيع السكر والملح والدقيق والأرز، وكان المكان يبعدُ عن مدينة دربن مائةً وخمسةً وعشرين ميلاً. وكانت توجد في الجانب الآخر من موقع الدكان إرساليةٌ مسيحيةٌ جامعيةٌ تُسمّى: (آدمز مشين) وهي تقوم بتدريس الطلاب المسيحية وتدرّبهم على مواجهة الإسلام والمسلمين بالشُّبَهِ والتشكيك في دينهم. وكان بجانب هذه الكليّة مئات المنازل الصغيرة التي

---

[1] ولد أحمد حسين ديدات في بلدة (تادكيشنار) بولاية (سوارات) الهندية. هاجر أبوه، وكان يعمل خياطاً، إلى جنوب أفريقيا بعد مولد ابنه مباشرة. لحق أحمد ديدات بأبيه عام ١٩٢٧م لتعثر وصعوبة فرص الدراسة في الهند، وتوفيت والدته بعد فراقه بشهورٍ قليلةٍ. واجه الطفل أحمد ديدات آنذاك صعوباتٍ جمةً لكنه اجتهد بفطرته وبما وهبه الله له من ذكاءٍ فتعلم الإنجليزية وتفوّقَ في دراسته وتوقف عند الصف السادس بسبب الظروف المادية الصعبة. في السادسة عشرة من عمره بدأ أولَ عمل له كبائع في متجر ثم عمل في متاجر كثيرة. ثمّ عمل ديدات في عام ١٩٣٦م في متجر يملكه مسلم، وكان بالقرب من معهد تعليمٍ نصرانيٍ على ساحل ناتال الشمالي، وقد ازدادت الإهانات المستمرّة ضدّ الإسلام من قبل المنصِّرين المتمرّنين بالمعهد في نفسه الرغبة في إبطال ادعاءاتهم الباطلة.

في بداية الخمسينيات أصدر كتيبه الأول: "ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ؟، ثم نشر بعد ذلك أحد أبرز كتيباته: "هل الكتاب المقدس كلام الله ؟"

في عام ١٩٥٩م، توقف أحمد ديدات عن مواصلة أعماله حتى يتسنىّ له التفرغ للمهمة التي نذر لها حياته فيما بعد، وهي الدعوة إلى الإسلام من خلال إقامة المناظرات وعقد الندوات والمحاضرات. وفي سعيه الحثيث لأداء هذا الدور العظيم زار العديد من دول العالم، واشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبار رجال الدين المسيحي أمثال: كلارك ـ جيمي سواجارت ـ انيس شروش.

كان أحمد ديدات العضو المؤسس الأول للمركز الدولي لنشر الإسلام "معهد السلام لتخريج الدعاة" "IPCI" بمدينة (ديربن) بجنوب أفريقيا وأصبح رئيساً له.

نشر أحمد ديدات ما يزيد على عشرين كتاباً، ووزَّعَ ملايين النسخ منها مجاناً، كما ألقى الآلاف من المحاضرات، فضلاً عن نجاحه في المناظرات مع القساوسة حول الإنجيل، والتي كان من أبرز نتائجها إسلام آلاف البشر في مختلف دول العالم.

مُنح أحمد ديدات جائز الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦ وأعطى درجة "أستاذ". يعتبر الداعية أحمد ديدات أحد أكثر المتعمقين في نصوص الأناجيل المختلفة، فهو عالمٌ مسلمٌ في الإنجيل المسيحي. أُطلقت العديد من الألقاب على أحمد، منها: "قاهر المنصّرين"، و"الرجل ذو المهمّة".
كما علم ديدات العديد من التلاميذ الذين ساروا على دربه، ومضوا في طريق الجهاد في سبيل الله ضد المنصرين والقساوسة، من أبرزهم الدكتور زاكر نايك، والذي قال عنه ديدات: "ما قمتُ به في أربعينَ سنةً، قام به زاكر في= =أربع سنوات!" بعد مرضٍ عضالٍ اقعده شليلاً منذ عام ١٩٩٥ توفي في ٨ أغسطس عام ٢٠٠٥ وفقد المسلمون بموته داعية ومحاوراً ومناظراً يشار إليه بالبنان.

[2] ولد بمنطقة (عبس) شمال غرب اليمن سنة ١٣٥٦ هـ. حصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورّة ومن ثم حصل على الماجستير من كلية الشريعة والقانون ومن ثم شهادة الدكتوراه من كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. له عشرون كتاباً مطبوعاً من ضمنها سلسلة المشارق والمغارب التي ضمّنها مذكراته في رحلاته لبلدان العالم، ومنها لقاؤه هذا مع الشيخ أحمد ديدات عام ١٩٩٩م.

يسكن فيها السُّود. وكان الطلاب المتدرِّبون يزورون أحمد ديدات والعاملين معه في الدكّان، ويُلقون عليه أسئلةً وشبهاتٍ يهاجمون بها الإسلام، ولم يكن يعرف هو وزملاؤه شيئاً عن ذلك. ومن ضمن تلك الأسئلة والشبهات ما يأتي:

هل تعلمون أنّ محمد ﷺ كانُ يكثرُ من الزوجات؟
وهل تعلمون أنه أخذ القرآن عن اليهود والنصارى؟
وهل تعلمون أنه نشر الإسلام بحدّ السيف وأكره الناس على ذلك؟

قال الداعية: وقد أحال هذا الهجومُ على الإسلام حياتنا إلى بؤسٍ وعذابٍ وشقاءٍ، وأحدثَ عندنا حيرةً وقلقاً بسبب عدم معرفتنا شيئاً نردّ به عليهم. وكنت أرغبُ في ترك المحلّ والهرب إلى مكانٍ آخر، ولكنّ ذلك كان مستحيلاً، لصعوبة وجود مكانٍ آخر. وأخذت أتساءل: كيف أتصرفُ؟ ويسَّر اللهُ الحلّ! فقد كنت أقلِّبُ رزماً من الجرائد والمجّلات القديمة في مخزنٍ رئيسيٍ في العمل، وهي مليئةٌ بالغبار، فوجدت كتاباً بين تلك الجرائد تنتشرُ عليه الحشرات، وفتحته من باب الفضول .. فإذا هو باللغة العربية بعنوان (إظهار الحق) .. وقرأت الكتاب فوجدته يتناول هجمة النصارى على الإسلام في موطني الأصلي (الهند) ووجدتُ أنّ الكتاب طُبِعَ قبل ولادتي بثلاث سنوات، فقد كانت طباعته في سنة: (١٩١٥م) وأنا وُلدتُ في سنة (١٩١٨)م.

وقرأتُ الكتاب ـ إظهار الحق ـ فوجدتُ فيه من المعلومات والمناظرات ما كان له أكبر الأثر في حياتي، وجعلني أعزم على مواجهة المسيحيين، لأنّ في الكتاب ما يجعلني مُسَلَّحاً قوياً في مواجهتهم، ووجدتُ موقف النصارى هو نفس موقفهم في جنوب أفريقيا. وشعرت بعد قراءتي هذا الكتاب أنني أستطيعُ الآن أن أدفع عن نفسي وعن الإسلام. وبدأتُ أتصدى للمسيحيين بالمعلومات التي تعلّمتها من الكتاب، وأزورهم في بيوتهم كلَّ يوم أحدٍ وأناقشهم، وكنتُ أقابلهم بعد خروجهم من الكلية لأحاورهم. ومن خلال تلك المناقشة تعلّمتُ كيف أجادل وأناقش ...

ويُستفاد من هذه القصة التي رواها الشيخ ديدات ـ رحمه الله ـ أمران هامّان:

الأمر الأول: مدى مساهمة الاستفزازات التي يقوم بها الرهبان والمبشّرون، ومحاولاتهم الطعن في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ، في الكشف عن العديد من المواهب المُسلمة وتقديمها لنا دون قصدٍ منهم لذلك، وعلى سبيل المثال فقد ساهمت استفزازات القس الدكتور "فندر" لمُسلمي الهند في ظهور العلاّمة رحمت الله الهندي، كما ساهمت استفزازات رجالات إرسالية (آدمز مشين) لمُسلمي جنوب أفريقيا في ظهور العلاّمة أحمد ديدات، رحمه الله تعالى.

الأمر الثاني: أهميّة تأليف مثل هذا النّوع من الكتب، التي سخّر الله تعالى وسّهل لمؤلِّفيها الردَّ على أهل الكتاب وما يعتملُ في صدورهم من شبهاتٍ وأضاليل قديماً وحديثاً، ولنذكر على سبيل المثال، لا الحصر، الأثر العظيم الذي تركته قراءةُ كتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله الهندي في حياة الشاب أحمد ديدات، حيث ساهمت في استثارة طاقاته الكامنة وصنعت منه عَلَمَ المسلمين الأبرز في مبارزة ومناظرة أهل الكتاب في القرن الماضي دون منازعٍ. ولعلّ أكثر ما يفيد موضوع دراستنا هذه من حياة الشيخ ديدات، رحمه الله، هو المجهود الجبّار الذي بذله في الردّ على مطاعن الرهبان والقسيسين في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ حيث أنَّ هذه المطاعن، كما أسلفنا، هي التي أوقدت في قلبه شعلة التحدّي والرغبة في الردّ على التشكيك والطّعن. وقد توضّح ذلك من خلال مناظراته العديدة ومؤلّفاته التي زادت على العشرين والتي خصّصها كلّها لنقد عقائد النصارى وردّ شبهاتهم ومطاعنهم في الإسلام والقرآن الكريم ونبوّةِ محمدٍ ﷺ.

أولاً: أبرز مناظراته[١]

ما مِن شكّ في أنّ أبرز وأول مناظرةٍ سلّطت الضوء على الشيخ ديدات ـ رحمه الله ـ كانت تلك التي عُقدت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٦م. فطيلة أكثر من خمسين سنةً قضاها ديدات في المحاضرة والمناظرة لم يكن يعرفه إلا بعضُ المختصّين في الأديان، حتى كان العام ١٩٨٦م، حين لجأ إليه بعضُ الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة

[١] قام الأستاذ علي الجوهري مشكوراً بترجمة كلّ مناظرات الشيخ ديدات يرحمه الله بنصوصها الحرفية وأودع كلاً منها في كتابٍ خاصّ يحمل عنوانها واسماء طرفيها.

الأمريكية ليُناظرَ القسّ الأمريكي التلفزيوني الشهير "جيمي سواجارت". كانت شهرة سواجارت طاغيةً، فقد وصلت إلى مائةٍ وأربعين دولةً، حيث كان الناس في هذه البلدان يستمعون إلى حديثه الأسبوعي مترجماً إلى عددٍ من اللغات، واستطاع أن يحصل على أكثر من مائةٍ وأربعين مليون دولار سنوياً، وكان يُعتبر أكثرَ المنصّرين نفوذاً في العالم. "وقد حظي سواجارت بسمعةٍ غير طيّبةٍ لدى المسلمين؛ فقد كان دائمَ الهجوم والتطاول على القرآن الكريم والرسول، ﷺ، حتى قال في أحد أحاديثه [إنَّ الخطر الذي يهدّد الحضارة الغربية الآن ليس هو الشيوعية والاتحاد السوفيتي إنما الإسلام الذي يغزو بلاد الغرب بصورةٍ مذهلةٍ]، وذكَّر المشاهدين بأن لندن عاصمة فيكتوريا التي كانت تحكمُ العالم الإسلاميَّ كلَّه، أصبحت تأوي أنشطَ مركزٍ إسلاميٍ في العالم.

أمّا عن مناظرة سواجارت مع ديدات، فقد أعادت كثيراً من الراحة إلى نفوس المسلمين في أمريكا، بعد الحنق والغيظ الذي اعتمل في نفوسهم من جرّاء تطاول هذا القس الذي بدا في مناظرته مع ديدات وديعاً لطيفاً هادئاً على غير ما يعرفه الناس؛ إذا اختفت حركاته التليفزيونية أمام الهيبة التي أحاطت بالشيخ أحمد ديدات. وحينئذٍ انتبه العالَمُ لهذا الرجل المتواضع الذي جاء من جنوب أفريقيا ليتحدّى أشهر مبشّرٍ تليفزيوني، وليقفَ سواجارت مكتوفَ الأيدي أمام طلاقة هذا الرجل وحُجَجِه العقلية، لتكون بدايةَ النهاية لهذا القسّ الذي بدأ يخبو سراجُه مع هذه المناظرة، حتى انطفأ السراج تماماً حين عُرف عن سواجارت تورّطه في قضايا أخلاقيةٍ واعترافه بها، فانتهت بذلك أسطورةُ المبشِّرِ الفذّ وسقط نهائياً أمام الملايين من مشاهديه"[1].

بعد الدويّ الكبير الذي أحدثه مناظرته مع سواجارت، كان المنصّرون الكبار هم الهدف الأول للشيخ أحمد ديدات، فقد دعاهم للمناظرات التي كانت محطَّ انظار العالم، وكان من أشهر خصومه في هذه المناظرات "ستانلي شوبرج" راعي الكنيسة الإنجيلية في السويد، والمنصِّر الأمريكي "ديفيد كلارك". وفي بعض الأحيان كان المنصّرُ هو الذي يتحدّى ديدات ويطلب مناظرته؛ مثل القس "أنيس شوروش"، الذي رأى في نفسه من القوة والشجاعة والعلم أن يتحدى ديدات، حيث شوروش كان يرى أنَّ سواجارت وغيره لم يكونوا مؤهّلين

---

(1) ناديا سعد، أحمد ديدات فارس الدعوة وقاهر المنصّرين، ص ٥، دراسة منشورة على الإنترنت في موقع www.bnyaan.net وموقع www.defensearab.com.

لمناظرة ديدات، أما هو فكفؤٌ له؛ فهو حاصلٌ على الدكتوراه في اللاهوت، ومتخِّصصٌ في نقد الدين الإسلامي وإبراز معايبه ومثالبه!.

وفي إحدى المناظرات كان الدكتور أنيس شوروش بين الحاضرين ووجَّه تحدياً لديدات، ودعاه لمناظرته فلبّى ديدات دعوته بكل سرورٍ، وعُقدِت مناظرتان كبيرتان استغرقت إحداهما أكثرَ من خمس ساعاتٍ، وساهمت هي الأخرى في رفع أسهم ديدات شعبياً وإعلامياً وقد اشتُهِرَ ديدات في موطنه بتلك المناظرات المكثّفة التي كانت تُقام في مدينة "كيب تاون". "وكيب تاون" مدينة ذات طبيعةٍ خاصة، فهي تتميز بكثافة سكانيةٍ إسلاميةٍ عاليةٍ، لكنّ أوضاع المسلمين فيها ليست على ما يرام وبالمقابل تتميز بأغلبيةٍ قويةٍ ومنظمةٍ جداً من المسيحيّين، بالإضافة إلى أنها ذات موقعٍ مهمٍّ، ولها ثقلها التجاري والسياسي. وقد كانت مناظراته مع الأسقف "جوسيه ماكدويل" في ديربان عام ١٩٨١م من أشهر مناظراته داخل جنوب افريقيا، وكان عنوانها "هل صُلب المسيح؟".

ولم يكتف الشيخ ديدات، رحمه الله، بمناظرة الرهبان والقساوسة، فقد بعث برسالةٍ إلى البابا يوحنا بولس الثاني الراحل، يدعوه فيها للحوار العلنيّ، وقد تقدّم معنا القول في دعوة هذا البابا الراحل للحوار مع المسلمين، أكثر من مرّةٍ، وفي أكثرَ من مناسبةٍ واستجابةً لدعوات البابا المتكررة أرسل الشيخ أحمد ديدات إليه رسالةً أعرب فيها عن قبوله لإجراء مثل هذا الحوار في لقاء علنيٍّ في ميدان القديس بطرس في روما مقرّ البابوية، وفي الوقت والزمان المناسب الذي يختاره البابا.

ولمّا لم يردّ البابا على تلك الرسالة، عاود الشيخُ ديدات الكرّة، وأرسل ثلاثةَ خطاباتٍ أخرى وبرقيةً، وهنا ردَّ بابا الفاتيكان مقترحاً إجراء هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليسَ في مكانٍ علنيٍّ. حينئذٍ ردّ الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالةٍ جاء فيها:

"يُسعدنا أنكم تسعون للترتيب لإجراء لقاءٍ معنا، ولكننا نتمسك بأنْ يكون هذا اللقاء علنياً،كما كان خطابنا المفتوح إليكم، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء، وذلك من أجل البلايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام، من أجل الحقيقة وإرضاء الربّ، ومع هذا فإنه من الممكن اللقاء معكم حسب رغبتكم في السكرتارية، ولكنَّ هناك العديد من المسلمين في جنوب أفريقيا والذين يُصرُّون على حضور هذا اللقاء، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات

المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصّة بإسكان هؤلاء، ونظراً لوجود آلافٍ آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار، فإننا نطلب أيضاً تصريحاً بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودُّون الاستفادة من الحوار"[١].

وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تمَّ إرسالُ برقيتين أُخريين، إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان والأخرى إلى البابا ذاته، وبعد شهرٍ آخر، تم إرسال برقيتين أُخريين دون جدوى!!.

ثانياً: أبرز مؤلَّفاته

زادت مؤلَّفاتُ الشيخ ديدات، رحمه الله، على العشرين. تخصّص معظمها في نقد معتقدات النصارى وبيان التناقضات في الكتاب المقدّس. ويعنينا في هذه الدراسة، وبالدرجة الأولى، الوقوف على أبرز مؤلّفاته التي ردّ فيها على مطاعنهم في الإسلام ونبوّةِ محمد ﷺ.

فقد خطّ الشيخ، رحمه الله، كتاب "محمد ﷺ أعظم عظماء العالم" وكان قد افتتحه بكلام الأستاذ مايكل هارت صاحب كتاب "The 100: A ranking of the most influential persons in history" والذي تُرجم إلى العربية تحت عنوان المئة الأوائل، حيث صّنف فيه المؤلِّفُ هارت رسولَ الله ﷺ على أنه أكثر الأشخاص تأثيراً في العالم وقال[٢]:

"يجوز أن يُدهِشَ اختياري محمداً ﷺ ليكون على رأس قائمةِ أكثر الأشخاص تأثيراً في العالم بَعْضَ القُرّاء، وربما كان ذلك عُرْضَةً للاستفسار من آخرين، ولكنّه ﷺ كان هو الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل ـ كل الكمال ـ على المستوى الديني وعلى المستوى الدنيويّ. لقد وضع مُحمِّدٌ ﷺ أسس واحدٍ من أعظم الأديان في العالم، وقام بنشرها استناداً إلى مصادرَ جدٍّ ضئيلةٍ، وأصبح أيضاً قائداً سياسياً عظيم التأثير. واليوم، بعد أكثر من ثلاثة عشر قرناً بعد وفاته لا يزال تأثيره قوياً واسع الانتشار".

[١] المرجع السابق نفسه، ص ٦.

[٢] أحمد ديدات ومايكل هارت، محمد ﷺأعظم عظماء العالم، ترجمة علي الجوهري، ص ٥، مكتبة القرآن.

لقد تقصَّدَ ديداتُ، رحمه الله، أن يبدأ كتابه هذا بعبارة مايكل هارت السابقة وهو يدركُ تماماً أنَّ كتابه هذا موجّهٌ لأهل الغرب المسيحي بالدرجة الأولى، ثمَّ أتبع ذلك بذكر أهمّ أحداث ووقائع السيرة النبوية الشريفة واقفاً عندها وقفةَ المحلِّلِ الواعي الذي يُدرك أنَّ كتابه هذا سيكون باباً من أبواب تعرُّفِ الغربيين عن قربٍ على شخصيّة وسيرة الحبيب المصطفى ﷺ فركَّزَ على أبراز الجوانب الأخلاقيّة والإنسانية الكريمة في حياته، عليه الصلاة والسلام، واختتم كتابه بالتركيز على حقيقة كون الإسلام أسرع الأديان نمواً وانتشاراً في واقعنا المعاصر، ليفهم القارئ أنَّ أخلاقه وإنسانيته ومعاملته، عليه السلام، إنّما كانت مقدّمةً هامةً وسبباً رئيسياً لهذا النموِّ والانتشار للإسلام اليوم.

أمّا في كتابه "ماذا يقول الكتاب المقدّس عن محمد ﷺ" فقد ظهرت عبقرية ديدات، يرحمه الله، وهو يسوق النصَّ تلو النصّ من الكتاب المقدّس ويفصّل القول في شرحها وبشاراتها بمحمدٍ ﷺ ليخدم بذلك عنوان الكتاب والتعليق الصغير الذي وضعه تحته على الغلاف فقال (محمد ﷺ مذكورٌ بالاسم في نُسَخِ الكتاب المقدّس الذي بين أيدينا).

ولئن كان مجهود الشيخ ديدات، رحمه الله، واضحاً في هذين الكتابين في التعريف بنبوَّته عليه السلام إلاّ أنّ مجهوده الأبرز والأوضح في هذا المجال كان الردَّ على كتاب "الآيات الشيطانية"[1]، لمؤلِّفه المرتدِّ سلمان رشدي. وهذا الكتاب ومؤلّفه يستحقان من دراستنا وقفةً غيرَ ذاتِ عجالةٍ، وذلك لخطورة مضمونه وللآثار التي نجمت عن نشره في العالم وقد أورد ديدات، رحمه الله، الردّ الشافي على مضمون كتاب سلمان رشدي في كتابٍ سمّاه "كيف خدع سلمان رشدي الغرب". وهو الكتاب الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ علي الجوهري وأضاف على عنوانه عبارة "شيطانية الآيات الشيطانية". وسنوردُ في مبحث الردود على شبهات ومطاعن الرهبان والمستشرقين الردّ الكامل على قصّة الغرانيق والتي تُعتبَرَ واحدةً من أبرز القصص المتهالكة التي استند عليها سلمان رشدي في كتابه السابق ... وتتلخَّصُ قصّة

---

(1) آيات شيطانية كتاب من تأليف الكاتب البريطاني من أصلٍ هنديٍ سلمان رشدي. صدر في لندن في ٢٦ سبتمبر ١٩٨٨. بعد تسعة أيامٍ من إصدار هذا الكتاب منعت الهندُ سلمان رشدي من دخول بلادها وتلقّت دار النشر التي طبعت الكتاب الآلاف من رسائل التهديد والاتصالات التلفونية المطالبة بسحب الكتاب من دور بيع الكتب. قامت بنغلاديش والسودان وجنوب أفريقيا وكينيا وسريلانكاوتايلاند وجمهورية تنزانيا المتحدة وإندونيسيا وفنزويلا وسنغافورة بمنع الكتاب وخرجت مظاهراتُ تنديدٍ بالكتاب في إسلام آباد ولندن وطهران وبومبي ودكا واسطنبول والخرطوم ونيويورك. حصلت خلال عمليات الاحتجاج هذه حادثتان لفتتا أنظار العالم وهي حادثة حرق اعدادٍ كبيرة من الكتاب في برادفورد في المملكة المتحدة في ١٤ يناير ١٩٨٩ والحادثة الثانية هي صدور فتوى من الخميني في ١٤ فبراير ١٩٨٩ بإباحة دم سلمان رشدي. وهاتان الحادثتان لفتتا نظر وسائل الأعلام الغربية بشدة.

الآيات الشيطانية[1] في الحوارات التي كانت تنعقدُ دوماً بين الشخصيّتين الرئيسيّتين في الرواية وهما صلاح الدين جمجة، الذي هو هنديٌ عاش منذ صغره في المملكة المتحدة وانسجم مع المجتمع الغربي وتنكّر لأصوله الهنديّة، وجبرائيل فريشته الذي هو ممثّلٌ هنديٌ متخصّصٌ بالأفلام الدينية وقد فقد إيمانه بالدِّين بعد إصابته بمرضٍ خطيرٍ حيث لم تنفعه دعواته شيئاً للشفاء، حيث يجلسُ الاثنان على مقعدين متجاورين في الطائرة المسافرة من بومباي إلى لندن، ولكنّ الطائرة تنفجر وتسقط نتيجةَ عملٍ تخريبيٍّ مِن قِبلِ جماعاتٍ متطرفةٍ، وأثناء سقوط هذين الشّخصين تحصلُ تغييراتٌ في هيئتهما؛ فيتحول صلاح الدين جمجمة إلى مخلوقٍ شبيهٍ بالشيطان، وجبرائيل فريشته إلى مخلوقٍ شبيهٍ بالملاك. وفي أحد أحلام جبرائيل فريشته يرجع بنا سلمان رشدي إلى فترة صلح الحديبية ويبدأ فصلاً جديداً من الرواية بعنوان (ماهوند)، وهذا الفصل من الرواية جُرحَتْ فيه مشاعرُ المسلمين بصورةٍ عميقةٍ؛ حيث مرَّ معنا في الفصل الأول من هذه الدراسة المدلولات التي كانت تحملها تسميّة رسول الله ﷺ بـ (ماهوند) بدلاً من محمدٍ ﷺ. وإضافةً لهذه الإساءة القبيحة لشخصه، عليه السلام، نرى أنَّ هذا المرتدَّ رشدي قد ذكر في هذا الفصل من هذه الرواية قصّةً قذرةً تتحدّثُ عن وجود دارٍ للدعارة في مدينةٍ جاهليةٍ، كانَ يقصدُ بها مكّة المكرّمة، وأنَّ دار الدعارة تلك قد ضمّت بين جنباتها وغرفها اثنتي عشرةَ عاهرةً، وكانت الأسماء التي سمّاهن بها تتطابق مع أسماء زوجات رسول الله ﷺ!!! إضافةً لاحتواء هذا الفصل من هذه الرواية على وصف تفاصيل الممارسة الجنسية التي كان ماهوند يقوم بها معهنّ!!!! لقد أثارت هذه الروايةُ القذرُ كلُّ ما فيها حفيظة المسلمين في العالم كلّه وأدت إلى خروج المظاهرات ووقوع المصادمات التي أودت بحياة أربعين مُسلماً آنذاك، ممّا استدعى علماء الأمة للنهوض والردّ، وكان أبرز الناهضين على الإطلاق الشيخ أحمد ديدات، رحمه الله، الذي توجّه في خريف عام ١٩٨٩م إلى لندن وألقى محاضرةً بهذا الخصوص في أكبر قاعة بها للمحاضرات، (قاعة ألبرت الملكية) واستأجر الصالة لمدةّ خمسِ ساعاتٍ على نفقة المركز الإسلامي العالمي للدعوة الذي أسَّسه وكان يديره.

---

[1] انظر:

أ. عصام بن أحمد، هل مارس رشدي الجنس مع ملكة بريطانيا، مقالة منشورة على شبكة الإنترنت على موقع www.dedaatwordparess.com

ب. عقيل عبد الله الإزرقي، تكريم الغرب لرشدي مكافأةٌ له أم احتقار للمسلمين؟ مقالة منشورة على شبكة النبأ المعلوماتية www.annabaa.org بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٥م.

ج. الموسوعة الحرّة ويكيبيديا، مادة سلمان رشدي.

"لكنَّ الحكومة البريطانية لم تسمح للشيخ ديدات سوى بأربع ساعات، وكذلك لم توافق الحكومة البريطانية على أن يكون موضوع المحاضرة (كيف خدع سلمان رشدي الغرب How Rushdie Fooled the West) ممّا اضطرَّ الشيخ ديدات إلى تغيير الموضوع في الإعلانات إلى (تحدٍّ لعمالقة الأدب البريطاني) وقد حضر هذه المحاضرة أكثرُ من ستةِ آلاف شخصٍ من جميع الجنسيات العربية والأوروبية والآسيوية، إلاّ أنّه قد تمَّ منعُ الأطفال من الدخول مع تحذير النساء من الحضور مسبقاً أنّ في المحاضرة ما سيخدش الحياءَ الذي يسببه استدلال المحاضرة مباشرة من رواية (آيات شيطانية) التي استعمل فيها سلمان رشدي أقذرَ الألفاظ، إذ لا توجد أيّةُ صفحةٍ من روايته لا تخلو من الألفاظ البذيئة المقزِّزة والقذرة. وليس ذلك فقط بل تكلمّ رشدي عن السّود بشكل مقززٍ وعنصريٍ يدلُّ على أفكاره التي تدافع عنها دور النشر التي نشرت روايته"[1].

رحم الله الشيخ أحمد ديدات، فقد تكاملت في شخصيته كلُّ العوامل التي نرجو الله وجودها في العلماء والأساتذة الذين يتخّصصون في المجال الذي برع وتخصَّص فيه. لقد استفاد، رحمه الله، من وسائل الاتصال المعاصرة في نشر الدعوة وإيصال الأفكار والمعتقدات وكان يسافرُ إلى دول الغرب والقارّة الأمريكية ويناظر فيها كبار القساوسة والرهبان على اختلاف مِلَلِهم وطوائفهم، فنقل المعركة إلى أرض الغرب وحاربهم بسلاحهم وناظرهم بلغتهم الإنجليزيّة التي كان مُتقناً لها تمام الإتقان، بعكس حال الكثيرين من العلماء القدماء والمعاصرين الذين ردّوا على مؤلَّفات الرهبان ومطاعنهم بعد ترجمة أعمالهم إلى العربيّة، وبطبيعة الحال فإنّ هذا لا يقلل مِن قدرهم ومقدار جهودهم لا، ولكنّ محاجحة الخصم بلُغته أوقعُ في النَّفسِ وأكثرُ جاذبيّةً وتأثيراً في المستمعين. ينبغي أن لا يغفلَ علماء المسلمين اليوم عن أهمية إتقان اللغة الإنجليزية والتي هي اللغة الأولى في عالمنا اليوم، لا لأنها لغة الأعداء كما يُقال أحياناً، ولكن لأنها وسيلةٌ من أبرز وسائل التخاطب والتواصل بين أهل الحضارات والأديان المختلفة، ولأنَّ الكثيرين من الذين يعتنقون الإسلام من أبناء الغرب لا يعرفون لغةً سواها.

---

[1] عصام بن أحمد [م. س].

المبحث الثاني

أبرز جهود العلماء المعاصرين في ردّ الشّبهات عن الإسلام ونبوّة محمد ﷺ والتصدّي للمطاعن فيهما

أولاً: الأستاذ الدّكتور محمد عمارة

لا يحتاج محمد عمارة[1] إلى مقدّمةٍ لنُعرِّفَ فيها بشخصيّته ومؤلّفاته؛ فهو من العلماء الأفذاذ ذوي الوزن العلمي الثقيل المُعْتَبَرِ في المشرق والمغرب. وقد كانت له صولاتٌ وجولاتٌ مع الكنيسة الغربيّة وأتباعها ورجالها، وذلك من خلال عشرات المؤتمرات والنّدوات التي أُقيمت تحت مُسمَّى "حوار الأديان" و"حوار الحضارات" و"ندوات التقريب بين الأديان"، إلى أن اعتزل ذلك أخيراً، في أواخر القرن الماضي وسجَّل تجربته في هذا الموضوع في المقدّمة التي خطّها لكتاب "مأزق المسيحيّة والعلمانيّة في أوروبا، تجربةٌ ألمانيةٌ"[2] الذي ألّفهُ القس الدكتور "جوتفرايد كونزلن". ومن المعروف أنّ عمارة من المؤلّفين ذوي القلم السّيال، ويشهدُ لذلك مؤلّفاته الغزيرة التي زادت عن مائة وأربعةٍ وثمانين. وأكثر ما يهمنا في مؤلفات الأستاذ عمارة كتابه الأخير عن الفاتيكان والذي حمل عنوان "الفاتيكان والإسلام، أهي حماقةٌ؟ ... أم عداءٌ له تاريخ؟؟" والذي جاء ردّاً صريحاً وواضحاً وجريئاً على محاضرة البابا بنديكتيوس السادس عشر التي ألقاها في جامعة ريجنسبورغ بألمانيا بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٢ وقد تقدّم معنا إيراد النصّ الكامل لهذه المحاضرة وتعليقات الأستاذ عمارة عليها في كتابه

---

[1] محمد عمارة مصطفى عمارة، مفكر إسلامي، مؤلّف ومحقق وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة. ولد بريف مصر مركز قلين ـ كفر الشيخ ـ في مصر في ١٩٣١/١٢/٨، حفظ القرآن وجَوَّده وهو في كُتّاب القرية. بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية وهو صغير. وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد عن فلسطين). درس الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م والماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٠م والبكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة عام ١٩٦٥م.

حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها "جائزة جمعية أصدقاء الكتاب، بلبنان سنة ١٩٧٢م"، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦ ووسام التيار الفكري الإسلامي القائد المؤسّس سنة ١٩٩٨م.

اسهم في العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، ونال عضوية عدد من المؤسسات الفكرية والبحثية منها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمعهد العالي للفكر الإسلامي. وقد اتسمت كتابات الدكتور عمارة وأبحاثه التي أثرى بها المكتبة العربية والتي وصلت إلى ما يقارب (٢٠٠) مؤلفا بوجهات نظرٍ تجديديةٍ وإحيائيةٍ، وبالإسهام في المشكلات الفكرية، ومحاولة تقديم مشروع حضاري نهضوي للأمة العربية والإسلامية في المرحلة التي تعيش فيها.

[2] كونزلن، جوتفرايد، مأزق المسيحيّة والعلمانيّة في أوروبا، تجربة المانية، المقدّمة، ط١، ١٩٩٩، دار نهضة مصر، القاهرة. وأصل هذا الكتاب محاضرةٌ ألقّاها في الفترة ٧ – ١٩٩٧/٤/٩م في عمّان، وقد كان المؤلف آنذاك يعمل مدرّساً لمادة اللاهوت والأخلاقيّات الاجتماعية في جامعة القوات المسلحة الألمانية بمدينة ميونخ.

السابق، والذي تمّ الاستشهاد به مرّاتٍ عديدةً في المبحث العاشر من الفصل الأول في هذه الدراسة..

يتكوّن كتاب الأستاذ عمارة السابق من مائةٍ وثلاثٍ وأربعين صفحةً شاملةً للفهارس. وقد قام فيه بالتحليل الكامل والردّ الشافي على محاضرة البابا بنديكتيوس السالف ذكرها وتناول فيه خمسة محاور رئيسية هي:

١. افتراء البابا على ربّ العالمين سبحانه وتعالى، والردّ على ذلك.
٢. ثمّ افتراءه على رسول الله ﷺ، والردّ على ذلك.
٣. ثم خلطه بين الجهاد وبين الحرب المقدّسة والردّ على ذلك.
٤. ثم افتراءه على القرآن الكريم والردّ على ذلك.

وكان المحور الأول الذي انطلق منه الاستاذ عمارة إيراده لبعض الافتراءات والتحريضات التي قام بها بعض البابوات السابقين تجاه الإسلام وأهله. أثبتَ عمارةُ في هذا الكتاب بالوثيقة والدليل أنّ إساءة بابا الفاتيكان بنديكتيوس للإسلام لم تكن حماقةً ولا صدفةً ولا خطأً غير مقصودٍ، بل إنّها كانت حلقةً ضمن سلسلةٍ من الإساءات الفاتيكانية للإسلام وأهله. صحيحٌ أنّ الكثير من الردود صِيغت للردّ على محاضرة البابا بنديكتيوس السابقة، إلاّ أنّ أيّاً منها لم يرق للمستوى الذي قدّمه الأستاذ عمارة في هذا الكتاب. لم يكن مؤلَّفهُ السابق عن الفاتيكان والإسلام أول كتابٍ يدافعُ به عن هذا الدين ويَدْرَأُ عنه الشبهات والمطاعن، فقد كتب قبل ذلك كتاب "في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام" وكان قد ضمّنه موقفه من حوار الأديان بعد تجربته المريرة فيه وأفرد له مبحثاً سمّاه "حوار الأديان ... هل هو هوار الطرشان؟!"[1] وفي هذا الكتاب تصدّى الأستاذ عمارة لتفنيد وتوضيح والردّ على كثير من القضايا التي شكّلت قنواتٍ معاصرةً للهجوم الحضاري والثقافي على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ ومنها "نظرية صدام الحضارات" ومنها "الحرب الثقافية على الإسلام" ومنها "صورة الإسلام في التراث الغربي".

[1] عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ص ١٥٦ – ١٦٧، ط٢، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

ثانياً: الأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز

على خلاف كلَّ العلماء والأعلام والأساتذة القدماء والمعاصرين الذين عَرَّفتْ بهم هذه الدراسةُ لم تكن زينب عبد العزيز[1] من المتخصّصين في الشريعة أو علوم الدِّين، ولم تكن من الذين درسوا الفلسفة الإسلامية أو الذين برعوا في علم الكلام. فهي بالرغم من تخصّصها في اللغة الفرنسيّة ومن ثمّ في الحضارة وتاريخ الفن، وبالرغم من عملها كأستاذةٍ للأدب الفرنسيّ في الجامعات المصريّة إلاّ أنّها قدّمت فيما يتعلّق بموضوع الكنيسة والإسلام مؤلفاتٍ على درجةٍ عاليةٍ من الأهميّة والإبداع، وقد كان زوجها لطفي الطنبولي، رحمه الله تعالى، وراء تشجيعها لدراسة كلّ ما كُتِبَ عن الإسلام باللغة الفرنسيّة.

برزت الأستاذة زينب عبد العزيز في العديد من المؤتمرات والمحافل الدّولية. وكان لها فيما يتعلّق بتاريخ الكنيسة وحاضرها وبتعاملها مع الإسلام والمسلمين صولاتٌ وجولاتٌ لا يقدر عليها إلاّ الشديدُ المتمكِّنُ من الفرسان، الذين نذروا أنفسهم للذود عن هذا الدِّين وسُمعة الحبيب المصطفى ﷺ. ولو ذكرنا من مآثر الأستاذة زينب فقط كونها صاحبة أحدث ترجمةٍ لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسيّة لكفاها ذلك فخراً، كيف لا وهي الترجمة التي كانت ثمرة تفرُّغٍ تامٍّ وجهدٍ متواصلٍ "دام ثماني سنواتٍ، بواقع خمسة عشر ساعة عملٍ يومياً حتّى تمّت"[2]، فشفت بذلك صدر شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق، رحمه الله، ومن بعده صدور كلّ المسلمين ممّا كان يتلجلج في صدورهم تجاه دراسة المستشرق الفرنسي "جاك بيرك" حول القرآن الكريم وما ألحقه بها من ترجمةٍ لمعاني القرآن الكريم للغة الفرنسيّة. لقد استدعت اللجنةُ التي ألّفها جاد الحق، رحمه الله، لحصر الأخطاء الواردة في ترجمة جاك بيرك ووضع بيانٍ بها مع التصويب، استدعت اللجنةُ الأستاذةَ زينب التي كانت خير سندٍ وعونٍ،وخرج الجميعُ بنتيجةٍ مفادها: "إنّ بيرك جاهلٌ باللغة العربيّة ومغزاها ويتعمّدُ الإساءة إلى

---

[1] زينب مصطفى عبد العزيز، ولدت في مدينة الإسكندرية في التاسع عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٥م حصلت على درجة البكالوريوس في الأدب الفرنسي وعلى شهادتي الماجستير والدكتوراه في الحضارة وتاريخ الفن من كلية الآداب بجامعة القاهرة في الأعوام ١٩٦٢، ١٩٦٧، ١٩٧٤. لها فيما يتعلق بالإسلام والدراسات الإسلامية ثمانية عشر مؤلفاً أبرزها سلسلة في صليبيّة الغرب وحضارته، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية.

قامت بترجمة عشرات المؤلفات من الفرنسية إلى العربية ولها ثمانية أبحاث مطبوعة ومنشورة باللغة الفرنسية، شاركت في عشرات المؤتمرات التي قدمت خلالها أبحاثاً متنوعة كان من أبرزها مؤتمر التعريف بالإسلام عام ٢٠٠٣م في باريس والمؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية في روما عام ٢٠٠٤م.

[2] زينب عبد العزيز وحوار حول ترجمات القرآن، حوار منشور على موقع الشبكة الإسلامية بالقاهرة www.islamweb.net بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٨.

الإسلام والمسلمين، وأنه يفتقدُ إلى الأمانة العلميّة التي يجب أن يتحلّى بها عند تناول نصّ القرآن الكريم بالبحث والدراسة"[١]. وقد كان ذلك حافزاً لوضعها فيما بعد لترجمتها التي حملت اسمها[٢]. تقول: لو كانت هذه الترجمةُ الجديدة عملَها الوحيد لكفاها ذلك فخراً وعزّاً ورفعةً، ولكنها أرادت المزيد فاجتهدت في الدراسة والبحث والتأليف وأبدعت في ردّ شبهات خصوم الإسلام عنه وعن الرسول الكريم ﷺ، فأخرجت سلسلة "صليبيّة الغرب وحضارته". وكان من أبرز أجزاء هذه السلسلة كتاب (تنصير العالم، مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني "روعة الحقيقية"). وكتاب (حربٌ صليبيّةٌ بكُلِّ المقاييس) وكتاب (محاصرةٌ وإبادة، موقف الغرب من الإسلام). وقد هدفت هذه السلسلة إلى توضيح أبعاد التعصُّبِ الكنسيّ وحربه ضدّ الإسلام والمسلمين في عصورٍ متواليةٍ، مع ذكر المؤلِّفة للشواهد على ذلك بالوثيقة والدليل، قديماً وحديثاً. كما هدفت إلى نقد الكثير من العقائد الكنسيةّ كالتثليث والأسرار السبعة، وهدفت إلى إبراز التناقضات العديدة بين الأناجيل، كما أفردت صفحاتٍ كثيرةً لتوضيح حقيقة النظرة الغربيّة للإسلام وللرسول محمد ﷺ. ومع أنّ الأستاذة زينب أخرجت ما يزيد على ثمانية عشر مؤلَّفاً يتعلق بالإسلام إلاّ أنّ جديد إنتاجها من دراساتٍ وبحوثٍ ومقالاتٍ متوافرٌ فقط على شبكة الإنترنت وبالذات على موقعها الخاص[٣].

يُعتبرُ موقع الأستاذة زينب من أهم المواقع الإلكترونية الموجودة على شبكة الإنترنت في العالم الإسلامي، وذلك راجعٌ إلى أهميّة الموادّ والموضوعات المعروضة فيه، وهو يحتوي على العديد من النوافذ منها نافذة "المؤسّسة الكنسيّة" ونافذة "الأناجيل" ونافذة "مخطوطات قمران" ونافذة "الفاتيكان" ونافذة "الحوار بين الأديان". وإنّ ابرز وأهمَّ الدراسات والمقالات الجديدة في هذا الموقع، فيما يتعلّق بموضوع دراستنا هذه ما يلي:

- وثيقة هبة قسطنطين.
- البابوات والإسلام من يوحنا العاشر إلى بنديكتيوس.
- شفرة دافنشي ومحاكم التفتيش والمؤسّسة الكنسيّة.
- حوار الأديان في هيئة الأمم.

---

(1) المرجع السابق نفسه.
(2) قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ومقرّها طرابلس في ليبيا بطباعتها تحت عنوان (القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسيّة).
(3) موقع الدكتورة زينب عبد العزيز www.dr-z-abdelaziz.com.

- خطاب مفتوح إلى البابا بنديكتيوس السادس عشر حول محاضرة راتسبون.
- المتناقضات في الأناجيل.
- طوفان قادم.
- التبشير إجباري بأمر البابا.
- رسالة الفادي.
- وثيقة "في زماننا هذا" وعلاقات الكنيسة بالإسلام.
- توجيهات من أجل حوارٍ بين المسيحيين والمسلمين، للكاردينال موريللا.
- اعترافات القس جيروم بتحريف الكتاب المقدّس.
- التنصير عالمٌ خطيرٌ لا نرى منه إلا القليل.
- المسلمون ومُستنقع الفاتيكان.
- أفيقوا أيها المسلمون.
- خطاب أل ١٣٨ والفاتيكان.

إنّ كلَّ قارئٍ لهذه الدراسة لمنصوحٌ له أن يقرأ هذه المقالات والدراسات، ففيها من المفاجآت ما فيها، وفيها من الردود الشافية لصدور المؤمنين ما فيها. جزى اللهُ، الأستاذة زينب خير الجزاء وأكرَمَها، فإننا نرى فيها برهاناً على أنموذج المرأة المسلمة، الزوجة والأم والأستاذة والدّاعية والمفكِّرة والمجاهدة بقلمها ولسانها، التي لا تنفكُّ تدعو أبناء الأمّة للنهوض وللتعريف الصحيح بهذا الدِّين، وللذود عن الرسول المصطفى ﷺ وتدعو المؤسّسات والمعاهد والجامعات المسلمة للقيام بدورها في هذا المجال دون تردّد وتقول(١):

والأمر ليس مرفوعاً إلى الإمام الأكبر للأزهر الشريف، وإلى خادم الحرمين الشريفين، وإلى كافّة علماء المسلمين فحسب، بل إلى أمّةِ محمّدٍ، صلوات الله عليه، لذلك أكّررُ الصيحة: أفيقوا أيها المسلمون، أينما كنتم وأياً كان مستواكم العلميّ أو المعرفيّ، أفيقوا للدفاع عن الدّين قبل أن تتفاقم الأحداث!. فالهجمة الشرسةُ على الإسلام باتت من القحّة والغطرسة المُعلنة، بوضوحٍ لا ريب فيه، بحيث يقتضي الردُّ عليها أن يكون قاطعاً حاسماً في الدّفاع عنه،

(١) زينب عبد العزيز، أفيقوا أيها المسلمون، مقالة منشورةٌ على موقعها www.dr-z-abdelaziz.com بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١٧م.

ليضع هؤلاء القوم بتعصّبهم البغيض، والقائم بنيانهم على تلٍّ مِنَ الأكاذيب والنّصوص المزورة، المنسوجة عبر القرون، في المكان الذي يستحقّونه".

ولكي يقف القارئ على مدى حدّة وقوّة عبارات الأستاذة زينب وعدم خشيتها في الحقّ لومة لائم، فإننا نقتطفُ المقطع الختاميّ من مقالتها الشهيرة المعنونة "خطاب أل ١٣٨ والفاتيكان"[(١)] والتي ردّت فيها على الكثير ممّا قاله البابا بنديكتيوس السادس عشر عن الإسلام ورسوله الكريم ﷺ ومن ذلك:

وسؤالٌ أتوجَّهُ به إلى علماء الأزهر ومؤسّساته وإلى كلِّ المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي: أين أنتم مِن كلّ ذلك الذي يدور في حقّ الإسلام؟ أين أنتم حتّى مِن الذين ينتمون إليكم اسماً ويشاركون في مثل هذه المحافل الإجرامية في حقّ الدين؟! ألم يحن الوقت أن تنفضوا عن كاهلكم ذلك الدّورَ السلبيَّ غيرَ الكريم وتهبوا للدفاع عن الإسلام؟... أليس من الأكرم أنْ تشرحوا للعالم الغربيّ المسيحيّ المتعصبِ أسبابَ نزول آيات الجهاد الحربيّ في القرآن، بكل اللغات، بدلاً من ذلك الصمت الغريب؟!. وكلمةٌ أخيرةٌ أتوجَّهُ بها للبابا بنديكت السادس عشر، باسمي وباسم كلِّ الأُمناء في أمة محمّدٍ، عليه صلوات الله، الذين أعرفُ يقيناً أنهم لن يرضوا بذلك الهوان: إنّ القرآن الكريم، الذي تسعى كلُّ تلك المحاولات الحثيثة لتغييره وتبديله، هو النصّ الدينيّ المنزَّلُ الوحيدُ الذي لم يَعرفِ التحريف، وكلّها حقائقُ تعرفونها أكثرَ منيّ، فبدلاً من القيام بمزيدٍ من الإسقاطات على الإسلام، وإشعال الفتن والضّغائن بين الشعوب بالإصرار على تنصير العالم، أعيدوا النظر في موقفكم من التسامح، الذي طالبكم به عصرُ التنوير، وأوضحَ لكم في العديد من النصوص أن الإسلام لا يعرفُ الأسرارَ والغياهب، وقائمٌ على الاستقامة وأمانة علاقة الإنسان بربه.

... لا يا سيادةَ البابا المبجَّل: نحن لا نعبدُ نفسَ الإله، وهذا الخطاب المشبوه لا يمثل إجماع المسلمين، والإرهابُ ليس من الإسلام وإنّما من الضّغوط التي تُمارَسُ على المسلمين لاقتلاعهم من دينهم الذي أتى مُصَوِّباً لكلِّ ما قامت به مؤسّستكم على مرّ التاريخ: نحن نعبدُ اللهَ الذي ليس كمثله شيءٌ، الله خالق السموات والأرض والكون بأبعاده وكل ما فيه، ونؤمن بالرسالتين التوحيديتين قبل تحريفهما والحيادِ عن تعاليمهما، ونؤمنُ بجميع الرسل

---

(١) زينب عبد العزيز، خطاب أل ١٣٨ والفاتيكان، مقالة منشورةٌ على موقعها www.dr-z-abdelaziz.com بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٧.

والأنبياء ومنهم عيسى عليه السلام، ونشهدُ بأنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ونؤمن إيماناً يقينياً وقاطعاً بكامل سورة الإخلاص القائلة: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ(٤)".

جزى اللهُ، هذه الخنساء المعاصرة خيرَ الجزاء فقد أجادت العرض والنقد،وكانت كلماتها الحرّةُ الصريحة انعكاساً واضحاً لاعتزازها بهذا الدِّين العظيم وبحضارته التي غيّرت وجه العالم. لم تقبل زينبُ على نفسها أن تخطَّ كتاباً أو رسالةً تفيضُ بالخوف من جرح مشاعر رجالات الفاتيكان أو تمتلئ بالتذلل لهم بُغيةَ الحصول على فتات الرّضا كما فعل بعضُ الذين صاغوا ردوداً وتعليقاتٍ خجلةً على محاضرة البابا، وكأنهم كتبوها على عُجالةٍ أو استحياءٍ خشيةَ أن يحلّ بهم الغضبُ والسَّخطُ!!! قالت زينبُ ما عجزت بعضُ الهيئات المسلمة عن قوله، وهي واحدةٌ وهم عشرات!!!.

ثالثاً: الدكتور إبراهيم عوض

لقد سخَّرَ اللهُ تعالى هذا الرجلَ الموسوعيّ المتبصِّرَ واسع القراءة والاطّلاع ليكون درعاً من الدروع التي تكسو صدر الإسلام وتردّ عنه رماح وسهام الطاعنين المُغرضين. وقد قدّم الدكتور إبراهيم[١] ، جزاه الله كلَّ خيرٍ، مجموعةً من الكتب الهامّة جدّاً التي تخصّصت في الردّ على المطاعن الكنسيّة الغربيّة والاستشراقية في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ، وكان من أكثر العلماء الذي وافقت أفكار هذه الدراسة أفكارهم، والتقت معهم في العديد من النقاط.

لقد خطّ هذا الأستاذ الكبير مجموعةً من الكتب والبحوث التي ذاد فيها عن الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ فقد كتب كتاباً بعنوان "هل أسّسَ محمدٌ دينه على الوثنيّة؟؟! ردّ فيه على شبهات وسخافات المدعو "سام شمعون". كما ألّف كتاباً بعنوان "لكنّ محمداً لابواكي له" ردّ فيه على شبهات المدعو خليل عبد الكريم صاحب كتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين". كما أَلَّفَ كتاباً هامّاً تصدّى فيه لبعض المستشرقين الذين سبق وأن ذكرناهم في دراستنا هذه مثل برنارد لويس وصاموئيل هنتنغتون ودانيال بايبس وعنون هذا الكتاب بـ "المستشرقون الجدد، دانيال بايبس وبقية أفراد العصابة". عرضَ فيه أبرز أفكارهم تجاه الإسلام ثمّ قام بتفنيدها والردّ عليها بالتفصيل. ولعلّ أبرز ما يخدم دراستنا هذه من مؤلفات هذا الأستاذ الكبير ثلاثٌ هي التالية:

أولاً: كتاب "مصدر القرآن، دراسة لشبهات المستشرقين والمبشّرين حول الوحي المحمدي"[٢].

---

[1] ولد الدكتور إبراهيم عوض في قرية كتامة الغابة مركز بسيون بمحافظة الغربية في مصر عام ١٩٤٨م في أسرةٍ تشتغل بالتجارة. تعلّم في كتّاب القرية حيث أتم حفظ القرآن في الثامنة من عمره، ثم التحق في الثانية عشرة تقريباً بالمعهد الأحمدي الأزهري في طنطا. حصل على درجة البكالوريوس اللغة العربية وأدابها من كلية الآداب بجامعة القاهرة التي تخرج منها عام ١٩٧٠م، وكان ترتيبه الأول على الدفعة، إذ كان الوحيد الذي حصل على تقدير "جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية".
وحيث أعلنت آداب عين شمس عن حاجتها إلى معيد في قسم اللغة العربية وآدابها تقدم لشغل هذه الوظيفة ضمن المتقدمين، فكانت من نصيبه. وبعدها حصل على درجة الماجستير من تلك الكلية في الأدب العربي الحديث عام ١٩٧٤م، ثم سافر في بعثةٍ إلى بريطانيا عام ١٩٧٦م لمواصلة دراساته العليا في جامعة أوكسفورد، وعاد سنة ١٩٨٢م بعد أن حصل على درجة الدكتوراه في النقد الأدبي. وهو الآن أستاذ في نفس الكلية، ويدرس للطلاب مقررات الأدب العربي والنقد الأدبي والدراسات الإسلامية والترجمة من الإنجليزية، ويشرف على طلاب الماجستير والدكتوراه. وهو متزوج ولديه ابن وبنتان، وقدنشأ يتيم الأبوين، إذ ماتت أمه وهو في السادسة، ولحق بها أبوه بعد ذلك بثلاثة أعوام. وله من الكتب أكثر من مائةِ كتابٍ ما بين كتبٍ ورقيّةٍ وكتبٍ إلكترونية منشورة على الإنترنت.

[2] نشرت هذا الكتاب مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة عام ١٩٩٧م، وهو يقع في ثلاثمائة وثلاثٍ وأربعين صفحة من القطع المتوسط.

وهو كتابٌ يبينُ بالأسلوب العلميّ أنَّ الدراسة المدقّقة لشخصية الرسول وشخصيّة القرآن لا بدَّ أن تؤدّي إلى الإيمان الجازم بأنّ ذلك الكتاب يستحيل أن يكون من نتاج عقل محمدٍ ومشاعره أو أيِّ إنسانٍ آخر، وإنّما هو وحيٌ إلهيٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنَّ الرجل الذي جاء به لا يمكن أن يكون إلا نبيّاً رسولاً.

ويتَكوَّنُ هذا الكتاب من بابين أمّا الباب الأول فقد خُصِّصَ لدراسة شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، وأمّا الباب الثاني فقد خصِّصَ لدراسة المحتوى القرآني وروحه. وقد قُسِّمَ الباب الأول بدوره إلى ثلاثةِ فصولٍ نوقشت فيها الشبهاتُ التي يفسِّرُ بها المستشرقون والمبشّرون المصدرَ الذي جاء منه القرآن. وقد رُتِّبَتْ هذه الشبهات ترتيباً منطقياً بحيث أنه عندما يفرغ الدارس من مناقشة أولاها ويتبيَّن أنها غيرُ قائمةٍ على أساسٍ تاريخيٍّ أو علميٍّ يجد أنها تُسلمهُ تلقائياً إلى الشبهة التالية ... وهكذا. وهذه الشبهات تتلخَّصُ في أنَّ محمداً عليه السلام كان كذاباً مخادعاً، أو أنه كان واهماً مخدوعاً، أو أنه كان مريضاً بمرضٍ عصبيٍّ. وقد فنّدَ المؤلف هذه الشبهات واحدةً واحدةً ودَرَسَها دراسةً متأنيةً طرح فيها كلَّ لون من ألوان التحرُّج بغية الوصول إلى الحق الذي من شأنه أن يريح النفوس المتطلِّعةَ إليه والتي لا تألو في البحث عنه أيَّ جهد، وقد اعتمد المؤلِفُ في ذلك كلّه على الروايات التاريخية الموثَّقة بعد أن مرّرها بما سمّاه (مصفاة المنطق الإنساني العام، والدراسات النفسية والطبية، وبخاصّةٍ تلك التي تتعلق بمكنونات اللاّوعي والأمراض النفسية والعصبية). أما الباب الثاني فقد قَسَّمَهُ المؤلف إلى ثلاثة فصولٍ، درسَ فيها شخصيّة القرآن ومحتواه، ووجدَ أنه لا يمكن أن يكون قد اسْتُقيَ من أيِّ مصدرٍ بشريٍّ أو اقْتُبِسَ من أيّةِ ديانةٍ أخرى، وذلك بعد مقارنته بغيره من أديان عصره التي اتُّهِمَ الرسول بأنه قد أخذ عنها أفكاره عن وعيٍ أو عن غيرِ وعي.

ثانياً: بحث "ماذا تقول الموسوعة الكاثوليكيّةُ عن الإسلام ورسوله؟"

وهو بحثٌ قيّم تناول فيه المؤلّف الكاتب إبراهيم عوض اللمز المقصود والمغالطات المتعلقة بالإسلام ونبوّته ﷺ وردّ عليها ردّوداً شافيةً كافيةً. وكان من أبرز هذه المغالطات التي اشتملت عليها هذه الموسوعة الكاثوليكيّة ما يلي:

١. إنّ عنوان المقال الموجود في هذه الموسوعة عن الإسلام ليس كلمة إسلام كما كان يجبُ أن يكون بل هو محمد والمحمّديّة!!.

٢. الغمز في أنّ محمداً قد تلقّى الإسلام من اليهود والنصارى الذين التقى بهم في رحلاته إلى الشام، مع قوافل قومه حيث حصّل معرفته الناقصة بدين هاتين الطّائفتين!!.
٣. إنّ محمداً كان عُرضةً للإصابة بالصَّرع بين الحين والحين.
٤. إنّ كتُبَ السّيرة النبّويّة ليست أهلاً للثقة، إذ تمتلئ بالخرافات والروايات المصنوعة!!.
٥. إنّ كُتبَ السّيرة لم تُدوَّن إلاّ بعدَ نحو قرنٍ ونصفٍ من وفاة محمدٍ!!
٦. إنّ محمداً كان انفعالياً ويخشى الألم الجسديّ لدرجةٍ غير معقولةٍ!!.
٧. كان محمدٌ شديد القسوة مع اليهود!!.

ثالثاً: كتاب "عصمة القرآن وجهالات المُبشِّرين".[1]

وهذا الكتاب مخصَّصٌ للردّ على كتاب "هل القرآن معصوم؟" لمؤلّفه المُسمَّى عبد الله الفادي أو عبد المسيح الفادي. وقد سبق لنا التعريف بكتاب الفادي هذا في المبحث الثالث من الفصل الرابع من دراستنا. ويقعُ كتاب الردّ "عصمة القرآن" في فصلين اثنين، تصدّى الأستاذ إبراهيم عوض في فصله الأوّل للردّ على الشّبهات اللغوية، وهي التي كان عبد الله الفادي قد سمّاها بـ "الأسئلة اللغوية"، وهي خمسةٌ وعشرون سؤالاً، عقد لها فصلاً مستقلاً غطىّ صفحات الكتاب من ١٠٧ إلى ١١٢، وكان الفادي يهدف من وراء ذلك إلى إيهام القُرّاء بأنّ القرآن الكريم مليءٌ بالأخطاء اللغوية!!.

أمّا في الفصل الثاني من كتاب الردّ "عصمة القرآن" فقد تصدّى الأستاذ إبراهيم عوض للردِّ على الشّبهات الخاصّة بمضمون ومحتوى القرآن الكريم، وردَّ فيه على شبهات وأوهام وأباطيل عبد الله الفادي وفنّدها بالتفصيل.

لقد أثبت الأستاذ إبراهيم من خلال مؤلّفه السابق حقيقةً مفادها أنّ عبد الله الفادي وأمثاله من المبشّرين على جهلٍ تامٍّ ومُطبقٍ بالقرآن الكريم وأنّ اعتراضاتهم كلّها ليسَتْ محلَّ اعتبارٍ ولا نظرٍ،ولكنّهم يحاولون الطعن وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم فقط لأنّه يخالف معتقداتهم ودينهم. ونحنُ بدورنا لا نرى في عبد الله وأمثاله إلاّ تكراراً ممجوجاً لأخلاق وأفكار رهبان العصور الوسطى، مع تغيُّرٍ في الشَّكل واللّغة والزمان والمكان فقط ...

[1] نشرت هذا الكتاب مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، سنة ٢٠٠٥، وهو يقعُ في مائةٍ وسبعٍ وستّين صفحة، من القطع المتوسط.

لقد توفَّرت في الدكتور إبراهيم عوض مواهبُ متعدّدةٌ أبرزها أربعٌ هي التالية:

الأولى: موهبة إتقان اللغة الإنجليزيّة التي مَكَّنته من الاطّلاع على الكتب المسيحية والتراث المسيحي، وهي اللغة التي كان استاذنا قد أتقنها عند دراسته في بريطانيا لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة أكسفورد.

الثانية: موهبة نقد النّصوص، التي يحمل درجة الدكتوراة فيه.

الثالثة: موهبة كثرة القراءة وسعة الاطّلاع، التي تدلّنا عليها كتاباته في مواضيع متعدّدةٍ.

الرابعة: موهبة القلم السّيّال التي تدلّ عليها مؤلّفاتُه التي زادت عن المائة.

كلُّ هذه المواهب سخّرها هذا الرجل لخدمة دين الله والذّود عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

رابعاً: الأستاذ الدّكتور صلاح الخالدي

يُعدُّ الأستاذ الخالدي[1] من أشهر أساتذة تفسير القرآن الكريم في الكليّات الشرعيّة والجامعات في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو من أبرز الذين عرُفوا بالكتابات المُدافعة عن القرآن الكريم والمبُيِّنة لمحاولات تشويهه والطّعن فيه. والخالدي من العلماء المشهود لهم بكثرة الاطلاع والكتابة، وتشهدُ لذلك مؤلّفاته التي زادت عن الأربعة والأربعين، وهو كذلك من العلماء المشهورين بعفّة اللسان وتقبُّلِ وجهات النظر المخالفة والحرص الكامل على نقل علمه وتجربته وما تربّى عليه إلى طلبة العلم من خلال لقاءاته الكثيرة بهم أو من خلال مؤلّفاته. وهذا ليس مُستغرباً من رجلٍ تخصَّص في "سيد قطب" ونحى منحاه في الكتابة والدّعوة والثبات على الحقّ.

ولعلّ أبرز ما يهمّنا في مؤلفات أستاذنا وشيخنا الخالدي آخر كتبه ومؤلّفاته والذي حمل عنوان "القرآن ونقض مطاعن الرهبان"[2]. وقد خصّصه الخالدي للانتصار للقرآن الكريم والدّفاع عنه أمام هجمات أعدائه الذين حاولوا الانتقاص من شأنه وخطّؤوه مثيرين حوله كلَّ ما أمكنهم من شبهاتٍ واتهاماتٍ، باعثهم على ذلك العداوة له والجهل به. وقد سبق لنا التعريف بكتاب الفادي المسمّى "هل القرآن معصوم؟" في المبحث الثالث من الفصل الرابع في هذه الدراسة، وذكرنا في الصفحات القريبة الماضيّة جهود الدكتور إبراهيم عوض في الردّ عليه وعلى أبرز ما فيه من شبهات. ولعلّ تصدّي الأستاذ الخالدي هو الآخر للردّ على هذا الكتاب ليعكس مدى خطورته، لا لمستوى مضمونه ومحتواه لا، ولكن لأَنّهُ نُشرَ على الإنترنت بعد توزيعه مطبوعاً، فوصلَ بذلك إلى الكثيرين من ضعاف النفوس والجاهلين بالقرآن مما استدعى الردّ من جديدٍ لإزالة كلِّ شبهةٍ قد تعلقُ في النفوس ليزداد القرّاءُ يقينا بأنّ القرآن كلامُ الله وأنّه مُنزّهٌ عن الأخطاء والمطاعن كلّها. ويتألف كتاب الأستاذ الخالدي من فصولٍ عشرةٍ هي التالية:

---

(1) ولد صلاح عبد الفتاح الخالدي في مدينة جنين في ١٩٤٧/١٢/١م الموافق ١٨/محرم/١٣٦٧ هـ سافر إلى القاهرة سنة ١٩٦٥م، وهناك حصل على الثانوية الأزهرية، ثم دخل كلية الشريعة وتخرَّج فيها سنة ١٩٧٠م، وعاد إلى الأردن لأن الضفة الغربية كانت قد احتُلّت سنة ١٩٦٧م. تقدّم لدراسة الماجستير سنة ١٩٧٧م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسالة التي قدمها بعنوان: سيد قطب والتصوير الفني في القرآن وجاءت في قسمين: القسم الأول عن حياة سيد قطب، والثاني عن التصوير الفني في القرآن. وتمت المناقشة سنة ١٩٨٠ ثم حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة ١٩٨٤م من الجامعة نفسها، وكانت الرسالة بعنوان: في ظلال القرآن ـ دراسة وتقويم. بلغت مؤلفاته أربعةً وأربعين، ومن أبرزها "سيد قطب الشهيد الحي"، وسلسلة "من كنوز القرآن" و"نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" و"وقفات مع بعض الآيات".

(2) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن دار القلم، بدمشق، عام ٢٠٠٧، وهو يتكوّن من ٧٥٨ صفحة من القطع العادي (المتوسّط).

الفصل الأول: نقض المطاعن الجغرافية.
الفصل الثاني: نقض المطاعن التاريخية.
الفصل الثالث: نقض المطاعن الأخلاقية.
الفصل الرابع: نقض المطاعن اللاهوتية.
الفصل الخامس: نقض المطاعن اللغوية.
الفصل السادس: نقض المطاعن التشريعية.
الفصل السابع: نقض المطاعن الاجتماعية.
الفصل الثامن: نقض المطاعن العلمية.
الفصل التاسع: نقض المطاعن الفنية.
الفصل العاشر: نقض المطاعن الموجَّهةِ إلى حياة الرسول ﷺ.

وقراءةُ مقدّمة كتاب الخالدي على درجةٍ عاليةٍ من الأهميّة لكلِّ مقتنٍ له ففيها بيَّنَ المؤلِّفُ اسم الكتاب المختار للردّ عليه، وعرّف بكاتبه ووضّح السبب المباشر الذي دفعه للردّ عليه كما شخَّص في المقدّمة موطن الخلل عند الفادي وبيان ذلك ما يلي:

١. أمّا عن اسم الكتاب المختار للردّ عليه، وعن اسم مؤلفه فقال[1]: "الكتابُ الذي خَصَّصنا كتابنا للردّ عليه وتفنيد شبهاته واتهاماته هو (هل القرآن معصوم؟) ونُسِبَ لرجلِ دينٍ نصرانيٍّ هو عبد الله الفادي، ويبدو أنَّ هذا الاسم مستعار. وصدر الكتابُ عن مؤسسةٍ تنصيريّةٍ في النمسا، اسمها ضوءُ الحياة، وظهرت طبعتُه الأولى عام ١٩٩٤م وتوزِّعهُ هيئاتُ ومراكزُ التبشيرالنصرانية. ودعت مؤسسة ضوء الحياة إلى مراسلتها لإرسال الكتاب لمن يطلبونه كما أنها أنزلته على الإنترنت".
٢. وأمّا عن السبب المباشر الذي دفعه للردّ على هذا الكتاب فقال[2]: "وقد رأينا من المناسب أن نردَّ على كتاب الفادي "هل القرآن معصوم؟" وأن نُبيّنَ تهافة أسئلته، وتفاهة انتقاداته ... والذي دفعنا إلى الردِّ عليه أنه يُمَثِّلُ خلاصةَ جهودِ النصارى في فحص القرآن، وإثارة الأسئلة والشبهات حوله، فهناك كتبٌ كثيرةٌ لنصارى عديدين، تنتقدُ القرآن، وتثيرُ حوله الاعتراضات، وتزعم الوقوف على أخطاءٍ، ولقد قرأنا بعض تلك الكتب،ولدى مقارنتها بهذا الكتاب، وجدناه خلاصةً لها، فالردُّ عليه ردٌّ عليها.

---
(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المقدمة ص ٥، ط ١، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق.
(2) المرجع السابق نفسه ص ٨.

٣. وأمّا عن تشخيصه لموطن الخلل عند الفادي، فقد ذكره الأستاذ الخالدي بعد أن اقتبسَ بعض عبارات الفادي التي أوردها في مؤلّفه الطاعن في عصمة القرآن فقال: "رغبتُ منذ حداثتي أن أقومَ بخدمةٍ مُنتجةٍ دائمةِ الأثر للجنس البشري، وليس في مقدوري أن اكتشف قارّةً، مثل ما فعل كولمبس، ولا أن أخترعَ مذياعاً، مثلما فعل ماركوني، ولا أن أسخّر الكهرباء، مثل ما فعل أديسون، ولا أن أحلل الذرة، كما فعل أينشتاين، فليس شيء من هذا يدخل في دائرة اختصاصي ... ولكنني كرجل دين، رأيتُ أن أدرس القرآن"[١].

وقال الأستاذ الخالدي معلّقاً على عبارات الفادي السّابقة ومحدّداً موطن الخلل فيها بقوله[٢]: "لم يبق أمامه إلاّ الإسلامَ ليدرسَه، وبما أنَّ القرآن هو أساسُ الإسلام، فليوجه القسّيس الفادي نظراته الكنسية النصرانية إليه، ليدرسه دراسةً مفصّلةً، يقدم بها خدمة للبشرية!! فالفادي المسكين تراوده أحلام المجد وأن يكون في مصافّ أديسون وماركوني وأينشتاين، لهذا وضع هذا الكتاب "خدمةً للبشرية"!!! فالمسكين أسيرُ فكرةٍ عجيبةٍ استحوذت عليه وفرضت عليه المُضيَّ في هذه الطريق ... وطبعاً لن ينال المجد إن درس القرآنَ دراسةً منُصفةً مُحكمةً، بل لابدَّ أن تكونَ دراستهُ من منطَلقٍ نصرانيٍّ ضيِّقٍ ... كي ينال المجد الذي يحلم به!!! وهذا هو موطن الخلل: الأفكارُ المسبقةُ، والتحيُّزُ والتحاملُ.

لقد ردّ الأستاذ الخالدي على مطاعن وأكاذيب الفادي واحدةً تلو الأخرى، بتفصيلٍ مفيدٍ دون أن يترك شاردةً ولا واردةً ووضّح بما لا يدع مجالاً للشكّ كذب الفادي وغشَّه الذي تمثل في إخلاله المقصود بالأمانة العلميّة حيث كان يأخذ النصوص من كلام المفسّر البيضاوي، رحمه الله، ثمّ يزيدُ عليه ما لم يقله البيضاوي ويحذف منه الشيء الكثير.

وينبّه الأستاذ الخالدي في هذا المعرض إلى أنّ هذا التصّرف "الشائن" ليس خاصّاً بالفادي وحده بل هو نهجٌ عند أمثاله من أهل الكتاب في إحالتهم لكتب العلماء المسلمين التي يأخذون منها أحياناً ويستيعنون بها، حيث أنهم يفتقدون إلى الأمانة العلمية في النقل والنّسبة.

---

[١] المرجع السابق نفسه ص ١٥.

[٢] المرجع السابق نفسه ص ١٥.

خامساً: الدكتور مُنقذ السّقّار

يُعتبرُ الدكتور السقّار[1] من الوجوه المشرقة التي برزت حديثاً في ساحة الدعوة إلى الله في السنوات الثماني الماضية. وهو بالرغم من حداثة ظهوره إلاّ أنّه شقّ طريقه في الدّعوة بقوّةٍ وعزيمةٍ وإصرارٍ، وسجّل حضوراً لافتاً للأنظار من خلال ألمعيّته في محاورة ومناظرة النصارى باللّغتين العربية والإنجليزيّة، وهذا واضحٌ معلومٌ لكلّ متابعٍ للمواقع والمنتديات الإلكترونية المتخصّصة في محاورة ومناقشة النّصارى.

وهذا ليس مُستغرباً من هذا العَلَم الذي خطّ العديد من المؤلفات في هذا الموضوع وأبرزها "هل العهد القديم كلمةُ الله؟" وكتاب "هل العهد الجديد كلمة الله؟" وكتاب "الله جلَّ جلالهُ واحدٌ أم ثلاثة؟" وكتاب "هل افتدانا المسيح على الصليب؟" وكتاب "هل بشَّرَ الكتاب المقدّس بمحمّدٍ ﷺ؟" وهذه الكتب جميعها قام السقّار بترجمتها إلى اللغة الإنجليزيّة.

والدكتور السقّار واحدٌ من الأساتذة والدّعاة الذين يدركون تماماً أهميّة توظيف وسائل الاتصال المعاصرة في الدّعوة إلى الله تعالى، لذلك نرى مؤلّفاته كلّها متوفرةً، وبالمجّان، على شبكة الإنترنت والمواقع الإسلامية. كما أنّ له حلقاتٍ كثيرةً وسلاسل من الدروس الصوتيّة والمتلفزة في مناقشة النصارى وردّ شبهاتهم عن الإسلام. ومن أبرز هذه الدروس والمحاضرات والمناظرات ما يلي[2]:

- سلسلة هل العهد القديم كلمة الله؟
- سلسلة مناظرة مع القس أسعد وهبة عن الصلب في التوراة.
- سلسلة مناظرة مع القس أسعد وهبة عن الصلب في العهد الجديد.
- سلسلة مناظرة مع القس رأفت مشرقي عن قدسية العهد القديم.
- سلسلة هل صُلِب المسيح عليه السلام.

---

(1) منقذ بن محمود السقّار، عالمٌ وداعيةٌ سعوديّ. يحمل شهادة الدكتوراة في علم مقارنة الأديان من جامعة أم القرى في السعودية. تخصّصت معظم كتاباته في الدين المسيحي نقداً وتحليلاً.

(2) جميع مؤلفات الدكتور مُنقذ السقّار ودروسه ومحاضراته متوفرة على الصفحة المخصّصة له على موقع صيد الفوائد www.saaid.net وموقع طريق الإسلام www.islamway.com وموقع ابن مريم للحوار الإسلامي المسيحي www.ebnmaryam.com.

- سلسلة محاضرات ومناظرات متعلقة بالنصرانية والكتاب المقدس.
- سلسلة من دلائل النبوّة.
- سلسلة مناظرات مع القس رافت مشرقي (تافار) عن إنجيل لوقا.
- سلسلة مناظرة مع القس جاكوبي حول الكتاب المقدس.
- سلسلة مناظرة مع المُنَصِّرِ بوس عن ألوهية المسيح.
- سلسلة تعالوا نتأسّى بمحمدٍ ﷺ.
- مناظرة مع القس لف يوكي.
- ردّ على مغالطة البابا حول انتشار الإسلام.
- الإرهاب بين الإسلام والمسيحيّة.
- الردّ على شبهة أنّ ورقة بن نوفل هو مَن علَّمَ النبيّ ﷺ القرآن.
- الردّ على شبهة حول الجزية في الإسلام.
- القرآن والإرهاب.
- الردّ على مَن زعم بأنّ القرآن منحولٌ من أشعار العرب وبحيرا.
- الردّ على فرية أنّ النبيّ ﷺ كان مُصاباً بالصّرع.
- الردّ على شبهة الغرانيق.
- الردّ على مَن يقول بوجود أخطاءٍ نحويّةٍ في القرآن الكريم.

ومن الواضح ممّا سبق ذكره وتعداده من دروس ومحاضرات الدكتور السقّار أنّه كان يركّز على نقد ونقض الكثير من العقائد المسيحية لكنّه وفي الوقت ذاته كان يركّزُ على ردّ كلّ الشبهات التي يثيرها المسيحيون حول الإسلام ونبوّته ﷺ.

ولعلّ أكثر ما يهّمنا في دراستنا هذه من مؤلفات الشيخ السقّار دراسته الأخيرة المطوّلة والهامّة، التي حملت عنوان "شبهات النصارى حول الإسلام" وهو بحثٌ يتكوّنُ من أربعة مطالب ويقعُ في صميم دراستنا.

وقبل البدء في استعراض أهمّ ما اشتملت عليه مطالب البحث الأربعة، نلفتُ إلى أنّ الشيخ السقّار قد أشار في مقدمة بحثه إلى أنّ أبرز الموضوعات التي ركّزتْ عليها الدراسات النصرانيّة المتعلّقة بالإسلام هي الستّةُ التالية:

١. التشكيك في مصدرية الإسلام.
٢. الطعن في النبي ﷺ.
٣. الطعن في القرآن الكريم.
٤. الطعن في سنّة النبي ﷺ.
٥. الطعن في تاريخ الإسلام على مر العصور.
٦. الزعم بأن القرآن قد حوى في دفَّتيه ما يؤيد المعتقدات والكتب النصرانية.

أمّا عن مطالب بحث السقّار الهام جدّاً عن شبهات النصارى حول الإسلام فقد جرت على النحو التالي:

في المطلب الأول، والذي حمل عنوان "منهج النصارى في شبهاتهم عن الإسلام" لخَّص المؤلِّفُ المنهج في كذبهم وتلاعبهم بالنصوص وتحريفهم لها، ثمَّ تحدّث عن نماذج من ذلك وعن نماذج من المغالطات التي يقعون فيها عند استدلالهم على ما يقولون. وكانت أبرز كتب النصارى التي استخرج منها المؤلف ما يثبتُ صحّة كلامه كتاب "أديان العالم" لمؤلِّفه حبيب سعيد، وكتابات القس أنيس شروش.

وفي المطلب الثاني والذي حمل عنوان "شبهات النصارى المتعلّقة ببعض شرائع الإسلام" تصدّى الدكتور السقّار للردّ على شبهة انتشار الإسلام بالسيف وقدّم فيها المبررات التي لأجلها شرع الإسلامُ الجهاد، وردّ فيها كذلك مستعرضاً الاضطهاد الديني الذي رافق انتشار النصرانية في العالم. ثم ردّ على شبهة ظلم الإسلام للمرأة وهضمِهِ لحقوقها وتشريعه لضرب النساء ولقوامة الرجال وللطلاق ولتعدد الزوجات ولإعطاء المرأة نصف ما للرجل في الميراث.

وفي المطلب الثالث الذي حمل عنوان "شبهات النصارى حول نبوّة نبينّا ﷺ"، تصدّى السقّار لشبهة النصارى القائلة بأنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ مُستدلّين ببعض الآيات القرآنية الكريمة التي تأوّلوها على نحوٍ باطلٍ والتي أوردها وهيب خليل في كتابهُ "استحالة تحريف الكتاب المقدس". ثم تصدّى الشيخ السقّار للردّ على الشبهات النصرانية المثارة حول تعدُّد زوجات الرسول ﷺ.

وفي المطلب الرابع والذي حمل عنوان "شبهات النصارى عن القرآن الكريم" فنّد المؤلِّف كلّ شبهاتهم المتعلّقة بمصدر القرآن، وقولهم بأنّ مصدره يعود للكتاب المقدّس ولأشعار العرب وللعقائد النسطوريّة ولبحيرا الراهب. كما فنَّد المؤلفُ كذلك شبهاتهم المتعلّقة بصحّة ثبوت القرآن الكريم حيث يزعم هؤلاء أنّ القرآن الكريم عند وفاة النبيّ ﷺ كان نصوصاً مُتنافرةً وَحّدَها عثمانُ بن عفان، ويزعم هؤلاء كذلك أنّ المسلمين بعد وفاة محمد ﷺ اسقطوا بعض الآيات والسّور القرآنية كرجم الزاني وسورة الحفد والخلع، ويزعم هؤلاء أنَّ في القرآن الكريم تناقضاتٍ وأخطاءً تاريخيّةً ولغويّةً ... وأخيراً فقد زعم هؤلاء التّصارى أنّ القرآن أَيَّدَ المعتقداتِ المسيحيّة بألوهية المسيح وعقيدة التثليث!!! كلُّ هذه الشبهات تصدّى لها الشيخ منقذ، أنقذه الله، وفنّدها وردّها كلمةً كلمةً وجلّى الحقَّ والصواب. جزى الله هذا الشيخ خيراً عن هذه الأمّة العملاقة، وأطال سيفه في الحقّ والذبّ عن الإسلام وأهله ونبيّه المصطفى ﷺ.

نأملُ أن تكون هذه الدراسة قد وُفِّقتْ في تقديم هذا الداعية لمن لا يعرفونه من طلبة العلم في بلادنا، فهو أسدٌ من أسود الله وسيفٌ من سيوفه التي تكتسي على الزمان مضاءً بعونه تعالى.

سادساً: الشيخ أكرم حسن مُرسي[١]

مرّةً أخرى قدّمت إلينا استفزازات الرهبان والمنصّرين شخصّيةً مسلمةً متميّزةً ما كُنّا لنعرفها لولا أن واجهتها استفزازات وامتحانات المنصّرين للمسلمين ومحاولة تشكيكهم في دينهم ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ.

معلوماتنا عن هذه الشخصيّة، وهي الشيخ أكرم حسن مُرسي قليلةٌ جدّاً، ولكنّ العمل الذي أنجزه في الذبّ عن ديننا ورسولنا كبيرٌ جدّاً. كبيرٌ في مستواه وهدوئه وعقلانيّته وحُسن تعامله مع الكارهين المبُغضين لهذا الدِّين. ألَّف الشيخُ كتاباً ضخماً جاوزت صفحاته الستمائة وسبعاً وعشرين، وسمّاه "ردّ السّهام عن خير الأنام محمدٍ عليه الصلاة والسلام" وقد روى هذا الكاتبُ الشابُّ في مقدّمة كتابه المذكور سبب إقدامه على كتابته فقال[٢]:

"إنّ اثارة الشُّبهاتِ لتشكيكِ المسلمين في عقيدتهم، أخطرُ الحروبِ على الإسلام؛ لأن اصحابها يستهدفون البسطاء وذوي النفوس الضعيفة، وطالبي الدنيا ومتاعها الزائل؛ فالمغرياتُ كثيرةٌ، والشبهاتُ شديدةٌ على من تُلقى إليهم، فيتخبّطون حيارى، يريدون مَن يأخذ بأيديهم، فلا يجدون من يشفي صدورهم، ويريحُ قلوبهم، ويزيل ما بها من شكٍّ وريبةٍ ـ وأصدقكم القول ـ أنّي تعرضتُ لما تعرَّضوا، وفُتنتُ كما فُتنوا، وزلزلتُ زلزالاً شديداً، فقد ألمَّ بي طائفٌ منهم، تقرَّب إليَّ، وادّعى صداقتي لينال مأربه وما كان ذلك إلاّ صرفي عن ديني وتشكيكي في عقيدتي التي دَرَجتُ عليها، وقد وجد ضالَّته، وأصاب مني مأربَه، فقد كنت في ذلك الوقتِ ضائعاً، أتخبطُ في الشهوات .. واستطاع ـ رُغم عدمِ براعتِه في إلقاءِ الشبهةِ ـ أن يجعلني أسهرُ الليالي الطوالَ، وأبيتُ مفكراً فيما يقولُ، ولا أجدُ إجابةً شافيةً، فقد كنتُ خاوياً، عقلٌ ضالٌ وقلبٌ فارغٌ، ثم أراد اللهُ بي خيراً، وتغمَّدَني بواسعِ رحمتِه، وعظيمِ فضلِهِ، فقد قيَّضَ اللهُ لي مَن يأخذ بيدي، وينتشلني مما أنا فيه، شابٌ نجيبُ، له سمتُ العلماء وفطنة المفكّرين، فطرحتُ عليه تلك الأسئلة، وأخبرتُه بمكنونِ صدري،وما كان يموجُ في عقلي من شكوكٍ وضلالاتٍ، فأذهبَ ما في نفسي بالإقناعِ والحجّةِ، وليلتَها نمتُ مستريحَ البالِ، قريرَ العين، فقد كنتُ قبل ذلك تتنازعُني الوساوسُ والشكوكُ، وقد ولدتُ على يديه مولداً

---

[١] أكرم حسن مرسي (المحامي)، من دُعاة الجمعيّة الشرعية بالجيزة في مصر، وله عنوانان إلكترونيان:
akram614@hotmail.com و AlM07AMY-@Paltalk.com

[٢] مرسي، أكرم حسن، ردّ السّهام عن خير الأنام محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ص ٢، ٣، النسخة الإلكترونية.

جديداً، وبعثتُ بعثاً آخرَ، وأوصاني هذا الأخُ الكريمُ ـ حفظه الله ـ بأنْ التمسَ العلمَ، وأتفقّه في الدين، وبدأتُ بسماعِ المحاضراتِ، وقراءةِ القرآنِ الكريم بتدبرٍ، وشئياً فشيئاً أصبحتُ شغوفاً بالعلمِ، أطلبُهُ أينما كان فليست العبرةُ بمَن سبق ولكنّ العبرةَ بمَن صدق. ومع مرور الأيام دخلتُ على "الإنترنت" بقدر الله وحاورتُهم وحاوروني، فأكسبني ذلك خبرةً بطرقهم ومسالكهم، فانكشفتْ لي ألاعيبُهم، وأظنني اليوم قادراً على مجاراتهم وردِّ كيدهم إلى نحورهم ـ بإذن الله ـ، ولعلّ فيما ذكرتُه خيراً يردُّ الأمةَ إلى ربها، ويوقظها من سُبَاتِها وما يُرادُ بها، فينقلبُ السحرُ على الساحرِ".

إنّه لمن الواضح تماماً خطورة الدّور الذي يلعبه المنصّرون في حربهم على الإسلام ورسول الله ﷺ ومدى التشكيك الذي تُحدثهُ شبهاتهم لعامّة المسلمين. ولخطورة هؤلاء فقد أكّدَ الكاتبُ أنّه يخاطبهم وحدهم في كتابه هذا ولا يخاطبُ أحداً غيرهم مُعلِماً إياهم بأنّه سيردُّ على شبهاتهم بعد عرضها بأسلوبهم، وأنّه لن يلجأ إلى السخرية والاستهزاء والهمز واللمز، كما فعلوا هم، مؤكِّداً على حقّه في الذّود عن الإسلام ودفع الشّبهات بالحجّة.

وقد وضّح الكاتبُ أنّه اعتمدَ في منهج كتابه هذا على جمعِ الشبهات التي تنالُ من الرسول ﷺ والردّ عليها بأسلوبٍ هادئٍ بعيدٍ عن الانفعال والانسياق وراء العواطف وركوب الشطط والمغالاة، ولم يسلك مسلكَ هؤلاء بالتعمية على القارئ وإخفاء الحقائق التي لا يستطيعُ عاقلٌ أن ينكرها ومنصفٌ أن يجحدها. وذكَّر بأنّ أصحاب الشبهات يعتمدون في إثارة شُبُهاتهم حول الرسول ﷺ على أحاديث ـ جلّها ـ ضعيفةِ الإسنادِ، أو صحيحةٍ لم يفهموها إمّا لجهلهم أو لسوء نيّتهم، فيعمدون إلى الكذب والتدليس وبتر الأحاديث والاستدلال بما ليس فيها.

يتألَّفُ كتاب "ردُّ السّهام" من ستة أقسام. وفي القسم الأول الذي حمل عنوان "شبهاتٌ حول عصمته ورسالته" تصدّى الكاتب للردّ على العديد من الشبهات الخبيثة الخطيرة كان من أبرزها:

١. شبهة أن القرآن وصفَ محمداً بأنّه يرتكبُ الذنوب.
٢. شبهة سحر الرسول.

٣. شبهة الغرانيق.
٤. شبهة عبادة محمدٍ للأصنام.
٥. شبهة كاد محمدٌ أن يُفتن.
٦. شبهة كان محمدٌ ضالاً.
٧. شبهة محاولة محمدٍ الانتحار.
٨. شبهة كان محمدٌ ينسى.
٩. شبهة محمد يُعظِّمَ ويقِّبلُ الحجر الأسود.
١٠. شبهة كان محمدٌ يعبس ويتولى.
١١. شبهة كان محمدٌ يحرّمُ ما أحله اللهُ.
١٢. أخطأ محمدٌ في علم السّاعة.
١٣. مات محمدٌ مسموماً بعد أكله من شاةٍ مسمومةٍ.
١٤. مات محمدٌ وتحلّل جسده حتّى تعفَّن.
١٥. انتفخ جسدُ محمدٍ بعد موته.

وفي القسم الثاني الذي حمل عنوان "شبهات حول رحمته"، تصدّى الكاتب لمزيدٍ من الشبهات والافتراءات المتمثّلة في سوء فهم وتفسير الكثير من نصوص الحديث النبويّ الشريف، ومن ذلك:

١. محمدٌ يقول: أُمرتُ أن أُقاتلَ الناس.
٢. محمد يقول: الجنّةُ تحت ظلال السّيوف.
٣. محمدٌ يُرعبُ الناس ويُرهبهم رافعاً شعار "نُصِرْتُ بالرُّعب".
٤. جُعِلَ رزقُ محمدٍ تحت ظلّ رمحه وأخذ الغنائم.
٥. أمرَ محمدٌ بقتل النساء والصّبيان.
٦. كان محمدٌ يحرقُ النخيل والزرع ويُفسدُ في الأرض أثناء حروبه وغزواته.
٧. كان محمدٌ يأخذ الجزية.

وفي القسم الثالث والذي حمل عنوان "شبهاتٌ حول أخلاقه وسلوكه ﷺ" فنَّدَ الكاتبُ وردَّ شبهاتٍ عظيمةً كان من أبرزها ما يلي:

١. كان محمدٌ يُكثر من اللعن والسبِّ كقوله: "ثكلتكَ أمُّكَ".
٢. كان محمدٌ يكتحل مثل النّساء ويُحنّي شعره الطويل الذي يبلغُ كتفيه.
٣. كان محمدٌ يتبوّلُ جالساً مثل النساء.
٤. اضطجع محمدٌ مع فاطمة بنت أسد في قبرها وعاشرها وهي ميتّة.
٥. كان محمدٌ عاشقاً للنساء يقول: حُبِّبَ إليَّ من دنياكم النّساء.
٦. كان محمدٌ يلعقُ أصابعه بعد الأكل.
٧. كان محمدٌ يحلل الكذب بحجة إصلاح ذات البين.

وفي القسم الرابع، الذي حمل عنوان "شبهات حول معجزاته" ردّ الكاتب على شبهاتٍ كثيرةٍ، كان من أبرزها قول المنصريّن ما يلي:

١. محمدٌ ليسَ له معجزات.
٢. لو كان محمدٌ رسولاً لوردَ ذكرهُ في الكتاب المقدّس.
٣. أخذَ محمدٌ القرآن وتعلّمهُ من البشر والناس مثل بحيرا الراهب، ومن بعده ورقة بن نوفل.
٤. كان محمدٌ يعرفُ القراءة والكتابة.

وفي القسم الخامس، والذي حمل عنوان "شبهاتٌ حول أحاديث تتعلّقُ بالمرأة،وزوجاته ﷺ"، ردَّ المؤلفُ على الافتراءات والشّبهات التي كان من أبرزها ما يلي:

١. حَكَمَ محمدٌ على المرأة بأنّها شؤم.
٢. أمرَ محمدٌ المرأة أن تسجد لزوجها.
٣. قال محمدٌ: إنّ الملائكة تلعن المرأة إن رفضت دعوة زوجها للفراش.
٤. وصفَ محمدٌ النساء بأنّهن ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ.
٥. حقّرَ دينُ محمدٍ المرأة عندما جعل شهادتها نصفَ شهادة الرّجل.
٦. وصلَ عددُ زوجات محمدٍ إلى إثنتي عشرةَ، مما يُثبتُ ولعه بالدّنيا.
٧. تزوّج محمدٌ من طفلةٍ كان عمرها تسع سنوات اسمها عائشة.
٨. أجبر محمدٌ ابنه بالتبنّي على تطليق زوجته زينب بن جحش ثم تزوّجها هو وذلك بعد أن رآها فأعجبته وقال: سُبحان مقلّب القلوب.

٩. تزّوج محمدٌ ميمونة وهو مُحُرِمٌ، وتزوّجَ صفيّة قبل انقضاء عدّتها وطلّق سودة لأنها أصبحت كبيرةً مُسِنَّةً.

وفي القسم السادس والأخير، والذي حمل عنوان "شبهات حول أصولٍ يزعمون أنّها خرافات"، ردّ المؤلف على شبهاتٍ كثيرةٍ كان من أبرزها ما يلي:

١. كيف يكون محمدٌ أوّلَ المسلمين، والقرآن يذكر أن النبيّ إبراهيم كان مُسلماً؟؟
٢. كيف يُصلّي اللهُ على محمدّ؟؟
٣. كيف أجرى الملاكُ جبريل عمليّةً جراحيَّةً لمحمدٍ وشقّ صدره وغَسَل قلبه؟؟

سابعاً: الدكتور سُليمان بن عبد الله الروّمي

لا تتوفر لدينا معلوماتٌ كثيرةٌ عن الدكتور سليمان الرومي[١]، ولكن تتوفَّر لدينا معلوماتٌ وافرةٌ عن كتابه "دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية"[٢]، والذي كان في أصله رسالة دكتوراه خطّها أستاذنا الرومي وهو على مقاعد الدراسة، وأخرجها إلى النور عام ٢٠٠٧م في كتابٍ من مجلدين بواقع تسعمائة صفحةٍ. وفي هذا الكتاب الضخم تصدّى المؤلف لمعتقدات النصارى كالتثليث والقول بالاتّحاد والتجسُّد وألوهية المسيح والصلب والفداء، وفندّها واحدةً تلو الأخرى، بالأدلة العقليّة والنقلية، وكذا فعل عندما ناقش شعائر النصارى وطقوسهم كالمعموديّة والصلاة والصوم وترك الختان وتعظيم الصور والتماثيل. ولكنّه وقبل أن ينتقل لردّ شبهات النصارى عن الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ نراه، جزاهُ اللهُ خيراً، قد أفردّ مبحثاً من خمسة مطالب عنّون له بـ" الدّعوة إلى العقيدة الإسلامية"، وكان من مطالب هذا المبحث الدعوة إلى اعتناق الإسلام من خلال بيان محاسنه، ومن خلال ردّ الشُّبَه عنه وعن تشريعاته، وكان من مطالب هذا المبحث كذلك الدعوة إلى الإيمان بالقرآن والدّعوة إلى الإيمان بنبوّة محمدٍ ﷺ. واستعرض المؤلِّف جهود أبرز الولاة والقادة والعلماء والدّعاة في تلك العصور الذين قاموا بدعوة النصارى لاعتناق الإسلام. وقد أفرد المؤلِّف كذلك مبحثاً هامّاً تصدّى فيه للرّد على شبهات النصارى ومطاعنهم في الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ وكانت أبرز هذه الشبهات والدّعاوى ما يلي:

١. دعوى خصوصيّةِ رسالة النبي ﷺ بالعرب.
٢. دعوى أنَّ القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم.
٣. شبهة تعدّد الزوجات في الإسلام.
٤. دعوى انتشار الإسلام بالسيف.
٥. دعوى عدم جزم المسلمين بصحّة القرآن لاختلاف الصحابة في جمعه وتعدّد قراءاته.
٦. دعوى أنَّ القرآن يشتمل على ما ليس بصحيحٍ.
٧. انتقادهم الطّلاق في الإسلام.
٨. دعوى أنّ المسلمين وثنيُّون وكُفّارٌ.

---

[1] سليمان بن عبد الله بن صالح الرّومي، عضو هيئة تدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
[2] الرومي، سليمان بن عبد الله بن صالح، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبيّة ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الرشد، الرياض.

المبحث الثالث

أبرز الجهود الجماعيّة المؤسّسيّة المعاصرة في ردّ الشُّبهات عن الإسلام ونبوّة محمدٍ والتصدّي للمطاعن فيهما

مرَّ بنا في المبحثين السابقين استعراضٌ لبعض أبرز جهود أبناء هذه الأمّة قديماً وحديثاً في ردّ الشّبهات والمطاعن التي أثارها النصارى، ولا زالوا، حول الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ. وهي المطاعن التي أسَّسَ لها وأثارها رهبانُ العصور الوسطى الذين أسّسوا الاستشراق الدّيني ووضعوا له القواعد والمنطلقات والأهداف، وذلك كلّه بغرض محاربة الإسلام والتشكيك فيه والنّيل منه. ولمّا كان إطلاق الشبهات والتأسيس لها عملاً جماعيّاً ومؤسّسيّاً قام به رهبان العصور الوسطى، وذلك نظراً لانطلاقه برعاية وتشجيع ودعم الكنيسة الغربيّة وما يتبعُ لها من الأديرة والأبرشيّات ... كان من الطبيعي والمتوقَّع أن تكون هناك جهودٌ جماعيّةٌ مؤسّسيّةٌ تتصدّى للردّ على هذه الشبهات ومُطلقيها.

وسنعرضُ تالياً لنماذج من هذه الجهود ولبعضها لا لكُلِّها، وذلك راجعٌ لتعدُّد وكثرة مؤسّسات العمل الدّعويّ والثقافيّ، ولله الحمد. فكان استعراض جهودها كلِّها من الصّعوبة بمكان.

أولاً: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر

يُعتبرُ هذا المجلس الأعلى، وهو تابعٌ لوزارة الأوقاف المصريّة، نموذجاً رائعاً من نماذج العمل الدعويّ الإسلاميّ، ولعلّ موقعه الإلكترونيّ على شبكة الإنترنت[1] خيرُ دليلٍ على ذلك، ففيه تعريفٌ بالإسلام بأبرز لغات أهل الأرض، وهو يقدّم الخدمات والمعلومات والإجابات لكل سائلٍ أو مُتّصلٍ أو باحثٍ، وهذا الكلام ليس وليد السّاعة أو اليوم، فقد سبق لهذا المجلس الأعلى، أن قاد حملةً ضخمةً على الإنترنت كان هدفها تحسين صورة الإسلام، وبالذات في الدّول الأوروبية والأمريكيّة لكلّ الذين أساؤوا فهم هذا الدّين بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ للميلاد.وذلك عن طريق بثّ رسائل مباشرةٍ

---

[1] موقع المجلس على شبكة الإنترنت هو www.islamic-council.org

على الإنترنت تهدف للدفاع عن صورة الإسلام ومبادئه ضدّ الحملات التي تعمل على تشويه صورته.

"وأوضح الدكتور عبد الصبور مرزوق، أنّ هذه الرسائل سوف تتناولُ بين طيّاتها أيضاً مناقشاتٍ تستند إلى المنطق والحقائق، رداً على العديد من القضايا التي يُثيرها المجتمع الغربي في هذه المناطق، إمّا عن جهلٍ وإمّا لأسبابٍ مُغرضةٍ. وتبينُ المناقشات موقفَ الإسلام من القضايا المتعلِّقة بحقوق الإنسان، وقضايا المرأة خاصّةً ما يدور حول أحكام الميراث بالنسبة لها وقواعد المساواة بينها وبين الرجل أو الشهادة. وذكر أن المسلمين لن يقفوا مكتوفي الأيدي ضدَّ تلك الدّعاوى. وأنه يجبُ على كافة المؤسسات الإسلامية أن تؤدّي دورها دفاعاً عن الإسلام وتصحيح المعلومات المغلوطة والخاطئة. وشدَّد على ضرورة أن تمتلك الدول الإسلامية وسائل إعلامٍ قويةٍ لمواجهة الهجوم الغربيّ على الإسلام وعلى المجتمعات الإسلامية، موضحاً أنّ موقع المجلس الأعلى يتضمن موسوعةً إسلاميةً ومكتبةً دينيةً كبيرةً تضم عشرات الكتب في فروع العلوم الإسلامية"[1].

نقول ما نقول عن هذا المجلس وأعضائه الكرام، بعد أن قام بنشر كتابٍ هامٍّ جدّاً يقعُ في صميم دراستنا حمل عنوان "حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشكّكين"، والذي تضمَّنَ الردَّ على مائةٍ وسبعٍ وأربعين شُبهةً من الشبهات المغرضة حول الإسلام ونبوّة محمد ﷺ، وكان هذا الكتاب من وضع بعض العلماء المعروفين المشهود لهم في العالم الإسلامي وهم الأساتذة محمود حمدي زقزوق وعبد الصبور مرزوق وعبد العظيم المطعني ومحمد عمارة وعلي جمعة. وسوف يُترجَمُ هذا العمل المشرِّفُ للعديد من اللغات، حتّى تعمّ الفائدة ويَطّلع عليه المسلمون من العرب وغير العرب وحتى يّطلعَ غير المسلمين على مضمونه كذلك.

وكان ممّا ورد في مقدّمة هذا الكتاب النافع التي خطّها الأستاذ محمود حمدي زقزوق بيانٌ للأسباب الدافعة لتأليف هذا الكتاب،ومن ذلك أنه عندما ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعةَ عشرَ قرناً من الزمان، لم يتوقّف سيلُ الشبهات التي يثيرها المشكّكون من خصوم هذا الدين تشكيكاً في مصادره أو في نبيّه أو في مبادئه وتعاليمه. ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم، في أثوابٍ جديدةٍ يحاول مرّوجوها أن يضيفوا عليها طابعاً علميّاً زائفاً.

---

[1] جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٨٦٦، بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٨م.

ومن المفارقات الغريبة في هذا الصدد أن يكون الإسلام قد اختُصَّ من بين كل الديانات التي عرفها الإنسانُ سماويةً كانت أم أرضيةً بأكبر قدرٍ من الهجوم وإثارة الشبهات حوله. ووجه الغرابة في ذلك، يتمثل في أنّ الإسلام في الوقت الذي جاء فيه يُعلنُ للناس الكلمةَ الأخيرةَ لدين الله على الأرض لم يُنكر أيّاً من أنبياء الله السابقين ولا ما أُنزل عليهم من كتبٍ سماويةٍ، ولم يُجْبَر أحدٌ من أتباع الديانات السماوية السابقة على اعتناق الإسلام. ولم يقتصر الأمرُ على عدم الإنكار، وإنما جَعلَ الإسلامُ الإيمانَ بأنبياء الله جميعاً وما أُنزل عليهم من كتبٍ عنصراً أساسياً من عقيدة كل مسلمٍ بحيث لا تصحُّ هذه العقيدة بدونه. ومن شأن هذا الموقف المتسامح للإسلام إزاء الديانات السابقة أن يُقابَلَ بتسامحٍ مماثلٍ وأن يُقللَ من عدد المناهضين للإسلام. ولكنّ الذي حدثّ كان على العكس من ذلك تماماً، فقد وجدنا الإسلام ـ على مدى تاريخه ـ يتعرَّضُ لحملاتٍ ضاريةٍ من كل اتجاهٍ. وليس هناك في عالَمِ اليوم دينٌ من الأديان يتعرّضُ لمثل ما يتعرّضُ له الإسلام في الإعلام الدولي من ظلمٍ فادحٍ وافتراءاتٍ كاذبةٍ. وهذا يبيّنُ لنا أن هناك جهلاً فاضحاً بالإسلام وسوءَ فهمٍ لتعاليمه سواءٌ كان ذلك بوعيٍ أو بغير وعيٍ ... ومواجهة ذلك تكون ببذل جهودٍ علميةٍ مُضاعفةٍ من أجل توضيح الصّورة الحقيقية للإسلام، ونشر ذلك على أوسع نطاق.

ولم يقصّر علماءُ المسلمين على مدى تاريخ الإسلام في القيام بواجبهم في الردّ على هذه الشبهات، كلٌ بطريقته الخاصة وبأسلوبه الذي يعتقد أنه السبيل الأقوم للردّ، وهناك محاولاتٌ جادّة بُذلت في الفترة الأخيرة للدفاع عن الإسلام في مواجهة حملات التشكيك.

ولعلّ أبرز الشبهات التي وردت في دراستنا هذه، قد وردت كذلك في كتاب الردّ الصادر عن المجلس الأعلى، حيث تناول كتاب "حقائق الإسلام" العديد من هذه المواضيع، وكان من أبرزها ما يلي:

أولاً: حقائق حول القرآن الكريم.

وتمّ فيه تفنيد ودحض العديد من الشبهات الزائفة، وكان من أبرزها:

١. شبهة الكلام الأعجميّ في القرآن.
٢. شبهة الكلام المتناقض والمفكّك والمنسوخ في القرآن.
٣. دعوى أنّ القرآن مُقتبَسٌ من التوراة.

٤. مخالفة القرآن للكتاب المقدّس في أسماء بعض الشخصيّات التاريخيّة.

ثانياً: حقائق حول رسول ﷺ.

وتمّ فيه تفنيدُ ودحض العديد من الشبّهات الزائفة والتي منها:

١. تعدّد زوجات النبي ﷺ.
٢. محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار.
٣. ولادة النبي ﷺ عادية.
٤. يحتاج محمدٌ ﷺ إلى الصلاة عليه.
٥. محمد ﷺ أمّيٌّ فكيف علَّم القرآن؟
٦. محمد ﷺ يحرِّمُ ما أحل الله.
٧. تعلّم محمد ﷺ من غيره.
٨. محمد ﷺ يعظّم الحجر الأسود.
٩. كاد محمدٌ ﷺ أن يُفتن.
١٠. قاتل محمدٌ ﷺ في الشهر الحرام.
١١. محمدٌ ﷺ مُذنب كما في القرآن.
١٢. الشيطان يُوحي إلى محمدٍ ﷺ.
١٣. حول عصمة الرسول ﷺ وموقف القرآن من العصمة.
١٤. دعوى خلوِّ الكتب السّابقة من البشارة برسول الإسلام.
١٥. قوم النبي محمدٍ ﷺ زُناةٌ من أصحاب الجحيم.
١٦. مات النبيّ ﷺ بالسمِّ.

ثالثاً: حقائق حول السُنّة النبوية.

وتمّ فيها الردُّ على شبهتين بارزتين حول تناقض النقل (القرآن) مع العقل. وحول الاستغناء عن السنة بالقرآن.

رابعاً: حقائق حول الإسلام.

وتمَّ فيها الردُّ على شبهة انتشار الإسلام بالسّيف، وتحبيذه للعنف.

خامساً: حقائق حول الآيات القرآنية.

وتمّ فيها الردُّ على شبهاتٍ عديدةٍ كان من أبرزها، ما يلي:

١. هل النجوم رجوم للشياطين؟
٢. هل الرّعدُ مَلَكٌ من الملائكة؟
٣. تناقض القرآن مع العلم.

سادساً: حقائق حول الأنبياء والرّسُلِ والأعلام.

وتمّ فيها الردّ على مجموعةٍ من الشّبهات كان من أبرزها ما يلي:

١. نوحٌ لم يتّبعه الأراذل.
٢. إختراع طفلٍ ينطق بالشّهادة.
٣. إسماعيل بين الأنبياء.
٤. قميصٌ سحريٌّ.
٥. لم تنزل مائدةٌ من السّماء.
٦. إنكار الصّلب.

سابعاً: حقائق حول التحليل.

ثامناً: حقائق حول الحدود.

تاسعاً: حقائق حول الشريعة.

عاشراً: مناقشة النموذج الإسلامي لتحرير المرأة.

ومن الجدير في نهاية حديثنا عن مضمون هذا الكتابِ المفيدِ أن نُشيرُ إلى أنّ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قد نشر العديد من الرسائل في سلسلتيّ "قضايا إسلامية" و"دراسات إسلامية"، قام فيها العديدُ من العلماء بالردّ على هذه الشبهات، ومنها على سبيل المثال: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، ومقولات ظالمة، وشبهات وإجابات حول القرآن الكريم، وشبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام ج١، ٢، وحقائق القرآن وأباطيل خصومه، وشبهات وردود ج١، ٢. فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء.

ثانياً: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الإيسيسكو"

يُحسَبُ لمنظمة الإيسيسكو[1] إفرادُها مؤلَّفٍ خاصٍّ للردّ على الافتراءات المسيحية الغربيّة، في الوقت الذي اكتفت فيه بعضُ منظمات وهيئات العمل الإسلامي بالشّجب والاستنكار للحملات المعادية للإسلام في السنوات الثلاث الماضيّة..

لقد حمل هذا المُصنَّفُ عنوان "الإسلام بين الحقيقة والادّعاء"، وتمَّ فيه شرح المفهوم المتكامل للإسلام، كما تمَّ فيه تفنيدُ العديد من الشبهات المُغرضة المثارة حول الإسلام والرسول ﷺ. وقد حملت هذه الشُّبهات مُسمّى الادّعاءات، وذلك بالطبع راجعٌ لزيفها وبطلانها وعدم توفُّرِ أيٍّ دليلٍ يدعم صحّة أيٍّ منها.

---

(1) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو (بالإنجليزية: ISESCO)) منظمةٌ تابعةٌ للمؤتمر الإسلامي، تعني بميادين التربية والعلوم والثقافة والإتصال في البلدان الإسلامية، مقرها الرباط.
وكان القرار الأعلى الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة في ٢٥ – ١٩٨١/١/٢٨م، تأكيداً لإنشاء جهازٍ إسلاميٍ دوليٍ جديدٍ ضمن أجهزة العمل الإسلامي المشترك في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، يحمل اسم: "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة".

قامت مجموعةٌ من ستّة علماء بارزين بتأليف هذا الكتاب. وهم الأساتذة أحمد شلبي وأحمد عمر هاشم وعبد الصبور شاهين وأحمد كمال أبو المجد وعبد الصبور مرزوق ومحمود حمدي زقزوق. وكانت أبرز الادّعاءات التي تصدّى المؤلّفون للردّ عليها التالية:

١. إنّ مصدر القرآن بشريٌ وليس وحياً إلهيّاً.
٢. إن محمداً كان يغيّرِّ خططه حسبَ الظروف التي يُوجَدُ فيها، والدليل على ذلك أنّه قدّم الإسلام في مكّة على أنّه دينٌ خاصٌ بالعرب ثم جعله عالمياً بعد أن انتصر في المدينة.
٣. إنّ محمداً كان رجلاً شهوانياً ويشهدُ لذلك كثرة عدد زوجاته.
٤. إنّ الإسلام انتشر بالسيف وكانت الجيوش المنتصرةُ تسبقه دائماً.
٥. كانت الفتوحات الإسلامية توسّعاتٍ استعماريةً ذات طابعٍ اقتصاديٍّ تهدف إلى الحصول على الغنائم وفرض الجزية.
٦. المسلمون لا يحترمون الآخر، ولا يحترمون حضارته والدليل على ذلك إحراقهم لمكتبة الإسكندرية.
٧. لا يسمحُ الإسلام بإعمال العقل بل يجعله خاضعاً للنصوص الدينيّة.
٨. نصوص الإسلام شديدة الوضوح في احتقار المرأة وظلمها.
٩. يُعارِضُ الإسلامُ حريّة التعبير، والدليل على ذلك الموقفُ من سلمان رشدي.
١٠. الجهاد الإسلامي حربٌ عدوانيةٌ تهدف إلى الاعتداء على الآخرين.

ثالثاً: مؤسّسة آل البيت الملكيّة للفكر الإسلامي[1].

يَتبعُ لهذه المؤسّسة العديدُ من المؤسّسات الإسلامية كالمدارس والجامعات ومواقع الإنترنت ... ولعلّ أبرز هذه المواقع على الإطلاق موقع (كلمة سواء). وقد سُمِّيَ الموقع بهذا الاسم للتعريف بوثيقة أو رسالة (كلمة سواء بيننا وبينكم)؛ ففي الثالث عشر من تشرين الأول عام ٢٠٠٦م، وبعد شهرٍ على التمام، من المحاضرة التي ألقاها البابا بنديكتيوس السادس عشر

(1) هذا هو المسمّى الجديد، للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، وهو هيئة علمية إسلامية مستقلة، مقره مدينة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، يُختار أعضاؤها من كبار علماء المسلمين في شتى بلدان العالم الإسلامي، ممن اشتهروا بمؤلفاتهم وبحوثهم وآرائهم العلمية في أحد ميادين المعرفة التي نشأت وازدهرت في ظل الحضارة الإسلامية، كالعلوم الشرعية،وآداب اللغة العربية والتاريخ الإسلامي.
وقد تأسس المجمع بأمر من الملك الراحل الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية، وباشر عمله في مطلع شهر نيسان عام (١٩٨١م)، وبلغ عدد أعضاء المجمع في بداية عام (١٩٩٥م)، مائة عضوٍ وعضواً واحداً. من سبعة وثلاثين بلداً إسلامياً. ويعقد المجمع مؤتمراً علمياً دورياً، مرّةً كل سنتين، يحضره الأعضاء وعدد من العلماء المهتمين من أنحاء العالم الإسلامي، ويناقش البحوث العلمية المتخصصة في ميدان أو أكثر من ميادين العلوم الإسلامية.

في ريجنسبيرغ في الثالث عشر من أيلول عام ٢٠٠٦م، صدرت كلمةُ الردّ على البابا من ثمانيةٍ وثلاثين من علماء المسلمين من أرجاء العالم، ينتمون لجميع المذاهب والمدارس الفكرية، بروحٍ من التبادل الثقافي المفتوح والتفاهم المتبادل. وفي هذا الرد، الذي حمل عنوان "رسالة مفتوحة إلى البابا" تحدّث العلماء المسلمون من جميع فئات المسلمين، بصوتٍ واحدٍ حول التعاليم الحقيقية للإسلام.

وبعد مرور عامٍ كاملٍ على صياغة هذه الرسالة والردّ المفتوح ازداد عدد الموقِّعين على هذه الرسالة ووصل إلى مائةٍ وثمانيةٍ وثلاثين، فقاموا بتوسيع رسالتهم هذه معلنين إضافة ما سُمِّيَ بـ "القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة" إليها. وكانت صيغتها النهائية تحمل عنوان "الحبّ في القرآن الكريم". والذي يعنينا في هذه الدراسة، وبالدرجة الأولى استعراضُ ما تضمَّنته الرسالة في صيغتها الأولى التي رُفعت إلى البابا بنديكتيوس السادس عشر لأننا نراها جاءت واضحةً صريحةً قصدت الردّ بطريقةٍ عصريّةٍ مهذّبةٍ على خطاب البابا بنديكتيوس، الذي لم يكن خطابه خطاباً عصريّاً ولم يكن خطاباً مهذّباً، لم يكن عصرياً لإنه جاء بأسلوبٍ استعلائيٍ أكّدتهُ تعليقاته اللاحقة عليه، ولم يكن مهذَّباً لأنّه تعمَّد الطعن الصريح واللمز المباشر وغير المباشر بالإسلام وبالرسول الكريم ﷺ، والذي وُصِف بأنّه جاء بكلٍّ ما هو شرير ولا إنسانيّ!!!.

وكما ذكرتْ هذه الدراسة في فصلها الأول / المبحث السادس النصَّ الكامل لمحاضرة البابا في جامعة ريجنسبورغ الألمانية، فإنَّ من المفيد تماماً أن نذكر النصَّ الكامل لرّد هؤلاء العلماء والمفكّرين، والذي حمل عنوان (كلمة سواء بيننا وبينكم)،وهو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
رسالة مفتوحة إلى قداسة البابا بندكت السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم
" وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"
(القرآن الكريم، العنكبوت ٢٩: ٤٦)

بالنسبة إلى محاضرتكم التي ألقيتموها في جامعة رِجنسبورغ في ألمانيا بتاريخ ١٢ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٦م، نحسبُ أنه من الملائم في سياق روح النقاش المفتوح أن نتناول استخدامكم لمناظرةٍ جرت بين الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس ورجلٍ "فارسي مُثقّف" كنقطة بدايةٍ لخطابكم حول العلاقة بين العقل والإيمان. ففي الوقت الذي نُثني فيه على جهودكم التي تبذلونها في معارضة هيمنة الفلسفة الوضعية والماديّة في حياة الإنسان، لابدّ لنا أن ننوه إلى بعض الأخطاء التي وردت في إطار الطريقة التي أشرتم فيها إلى الإسلام على أنه الجهةُ المقابلةُ للاستعمال المناسب للعقل؛ بالإضافة إلى بعض الأخطاء التي وردت في التأكيدات التي سُقتموها لدعم حجّتكم.

لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

لقد ذكرتم بأنه "وفقاً لما يقرره أهل الدّراية" فإنَّ الآية القرآنية التي مطلعها " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" (البقرة ٢: ٢٥٦) كانت في بداية أمر النبي عندما "كان ضعيفاً وتحت التهديد"، وهذا غير صحيح. والصحيح الثابت أنَّ هذه الآية تعود إلى الفترة التي كان فيها التنزيلُ القرآنيُ متوافقاً ومنسجماً مع تنامي السيطرة السياسية والعسكرية للأمة الإسلامية الفتيّة. لم تكن آية لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...، أمراً للمسلمين بالبقاء ثابتين راسخين أمام رغبة الذين ظلموهم وعذّبوهم لإرغامهم على التخلي عن دينهم وإيمانهم؛ ولكنها جاءت تذكيراً للمسلمين أنفسهم عندما تحققت لهم أسباب القوّة والمنَعَة أنّه لا يمكن لهم أن يُرغموا قلوب غيرهم على الإيمان. " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" تخاطب أولئك الذين هم في حالة القوّة وليس الضّعف. ولقد بيّنت التفاسيرُ الأولى للقرآن الكريم (مثل تفسير الطبري) بأنّ المسلمين في المدينة أرادوا إرغام أبنائهم ليتحوّلوا من اليهودية أو النصرانية إلى الإسلام، فكانت هذه الآية جواباً دقيقاً لهم بألاّ يحاولوا أن يُكرِهوا أبناءهم على الإسلام. هذا بالإضافة إلى أنَّ المسلمين لديهم أيضاً توجيهاتٌ قرآنيةٌ هاديةٌ في هذا الصدد مثل: " وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ..." (الكهف، ١٨: ٢٩) وأيضاً "قُلْ يأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)". (الكافرون، ١٠٩: ١ – ٦).

لقد قلتم أيضاً: إنَّ "الإله، بالنسبة إلى التعاليم الإسلامية، مُنزَّهٌ تنزيهاً مطلقاً"؛ وهذا تبسيطٌ يمكن أن يكون مؤدّاه مضلِّلاً. فلقد بَيَّنَ القرآن أنه: "... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..." (الشورى، ٤٢: ١١)، وبيّن أيضاً: " اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...." (النور، ٢٤: ٣٥)، وقال: ".... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" (ق، ٥٠: ١٦)، وقال: " هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ..." (الحديد، ٥٧: ٣)، وقال: ".... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ..." (الحديد، ٥٧: ٤)، وقال: ".... فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ...." (البقرة: ٢: ١١٥)؛ وكذلك دعونا نتذكّر حديثَ النبي، صلّى الله عليه وآله وسلّم، الذي يبيّن فيه أن الله يقول في (العبد الصالح): "فإذا أحببتُهُ كنت سمعَه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجله التي يمشي بها" (صحيح البخاري ٦٥٨١، كتاب الرقاق).

وفي مجال التعليم المتعلّق بالرقائق وعلم الكلام والفلسفة، يُعتبرُ المفكّر ابن حزم (المتوفى ١٠٦٩م) الذي استشهدتم به شخصيةً فاضلةً ولكن هامشية ـ وإن كان ذا شهرةٍ ـ وهو ينتمي إلى المذهب الظاهري الذي لا يتبعه أيُّ مسلمٍ في العالم اليوم. وإذا أراد إنسانٌ البحثَ عن عباراتٍ ونصوصٍ أصيلةٍ بشأن عقيدة التنزيه، فإنّ هناك شخصياتٍ لدى المسلمين أهم بكثيرٍ من ابن حزم من حيث تأثيرهم ومرجعيتهم في مجال العقيدة الإسلامية مثل الإمام الغزالي (المتوفى ١١١١م) وكثيرين غيره.

لقد اقتبستم مناقشةً مفادها أنه بسبب أن الامبراطور "كان مُتأثراً بشدةٍ بالفلسفة اليونانية" فإن فكرة أنَّ "الله لا يرضى عن سفك الدماء" "أمرٌ بَدَهيٌ" بالنسبة له، وأنّ التعاليم الإسلامية بشأن تنزيه الإله عُرضَت مقابلها كنموذجٍ مُضادٍّ. فقولكم إنّ إرادة الله بالنسبة للمسلمين "غير مقيّدةٍ بأيِّ مقولةٍ من مقولاتنا" يعتبر تبسيطاً أيضاً يمكن أن يفضي إلى سوء فهم. إنّ لله تعالى في دين الإسلام أسماءً كثيرةً منها: الرحيم والعدل والبصير والسميع والعليم والودود واللطيف. وإنّ اعتقاد المسلمين التامّ بوحدانية الله تعالى وأنه " وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ" (الإخلاص، ١١٢: ٤) لم يؤدِّ إلى إنكارهم نسبةَ هذه الصفات إلى الله تعالى وإلى خلقه، (مع الوضع جانباً الآن فكرة 'المقولات' وهي عبارةٌ تحتاج إلى إيضاحٍ أكثر في هذا السياق). وحيث أنَّ هذا أمر يتعلّق بإرادة الإله، فاستنتاجكم أنّ المسلمين يؤمنون بإلهٍ مزاجيٍّ يمكن أن يأمرنا بالشر أو يمكن ألا يأمر، من شأنه أن يُغفِل قوله الله في القرآن: " إنَّ

اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (النحل، ١٦: ٩٠) كما يُغفِلُ قوله تعالى: "....كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ...." (الأنعام، ٦: ١٢، انظر أيضاً ٦: ٥٤)؛ وبأنه قال: "..... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...." (الأعراف، ٧: ١٥٦). وإنَّ كلمة رحمة يُمكن أيضاً أن تُترجَمَ إلى الحبّ واللطف والشفقة. ومن كلمة الرحمة جاءت العبارة المقدّسة التي يستعملها المسلمون يومياً، 'بسم الله الرحمن الرحيم' أليس بَدهياً أنّ سفك دمٍ بريءٍ يتعارض مع الرحمة والشفقة؟

استعمال التفكير المنطقي

إن التعاليم الإسلامية غنيةٌ بتنقيباتها وبحوثها في طبيعة الذكاء الإنساني وعلاقته بكُنْهِ الإله وإرادته، ويتضمّن ذلك تساؤلاتٍ بشأن ما هو بَدَهيّ وما هو غير بَدَهيّ. لكنَّ الفصل بين التفكير المنطقي من جهةٍ و'الإيمان' من جهةٍ أخرى لا يوجَدُ بنفس هذا الشكل تماماً في الفكر الإسلامي؛ بل أدرك المسلمون قوّةَ الذكاء الإنساني وحدوده بطريقتهم الخاصّة، مقرّين بتسلسلٍ هرميٍّ للمعرفة يقع التفكير المنطقي في جزءٍ هامٍّ جدّاً منه. وهناك تَطَرُّفَانِ عَمِلَ المنهجُ الفكري الإسلامي الأصيل على تجنبهما عموماً: الأولُ، جعل العقل التحليلي هو الحَكَم النهائي على الحقيقية؛ والآخَرُ، هو إنكار قوة الإدراك الإنساني في تناول التساؤلات المطلقة. والأهمُّ من ذلك، أنَّ البحوث الفكرية للمسلمين خلال العصور في أنماطها الأكثر نضجاً ورواجاً قد حافظت على انسجامٍ وتوافقٍ بين حقائق التنزيل القرآني ومطالب الذكاء الإنساني دون التضحية بأحدهما من أجل الآخر. يقول الله تعالى: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ..." (فصّلت، ٤١، ٥٣).هذا وإنَّ العقلَ آيةٌ من بين آياتٍ كثيرةٍ بداخلنا، دعانا الله للتأمّل فيها والتأمّل بها، كوسيلةٍ لمعرفة الحقيقة.

ما الحرب المقدّسة؟

نوُّد الإشارة إلى أنَّ "الحرب المقدّسة" مصطلحٌ ليس له وجود في المفردات الإسلامية؛ ولابدّ من التأكيد هنا أنّ الجهاد يعني المجاهَدة والمناضَلة، وخصوصاً الجهاد في سبيل الله تعالى. إنَّ هذا الجهاد يمكن أن يأخذ أشكالاً كثيرةً، بما في ذلك استخدام القوة. وبالرغم من أنَّ الجهاد يمكن أن يكون مبارَكاً بمعنى أن يكون في سبيل غايةٍ ساميةٍ مباركةٍ، إلاّ

أنَه ليس بالضرورة أن يكون "حرباً". وعلاوةً على ذلك، تجدرُ الملاحظة إلى أن مانويل الثاني باليولوجوس يقول بأن "العنف" يتعارض مع طبيعة الإله، ولكنّ المسيح نفسه (عليه السلام) استعمل العنف ضد صرّافي الأموال في المعبد، وقال: "لا تظنّوا أنني أتيتُ لأجلب السلام في الأرض، لم آتِ لجلب السلام ولكن جئت بالسيف .." (متى، ١٠: ٣٤ – ٣٦). وعندما أغرق اللهُ فرعون، هل كان يتصرّف على عكس طبيعته؟ ربما قصد الإمبراطورُ القولَ أنّ القسوة والوحشية والعدوان ضدّ طبيعة الإله، وفي هذه الحالة، فإن ذلك يتوافق تماماً مع التشريع الأصيل الخاصّ بالجهاد في الإسلام.

لقد قلتم بأنّ "الإمبراطور عَلِمَ، بالطبع، التعليمات التي طُوِّرَت فيما بعد ودُوِّنت في القرآن فيما يتعلّق بالحرب المقدّسة"، ولكن كما أشرنا أعلاه بخصوص 'لا إكراه في الدين ..' فإن التعليمات آنفةُ الذّكر لم تكن فيما بعد على الإطلاق. وعلاوةً على ذلك، فإنَّ أقوال الإمبراطور حول اعتناق الدين بالعنف تبيّن أنه لم يكن يدري ما هي هذه التعليمات وكيف كانت دائماً.

ويمكن تلخيص القواعد الإسلامية الأصيلة المعتمدة الخاصة بالحرب في المبادئ التالية:

١. غير المقاتلِين ليسوا أهدافاً جائزةً أو شرعيةً. ولقد تمَّ التأكيد على هذا مراراً وبشكل واضح مِن قِبَلِ النبي، صلى الله عليه وآله وسلّم، وأصحابه ومن قِبَل أهل العلم منذ ذلك الحين.
٢. الاعتقاد الديني لوحده لا يجعل أيَّ إنسانٍ هدفاً للنيل منه. فالمجتمعُ الإسلامي الأول كان أفراده يقاتِلون وثنيّين قاموا بطردِهم من ديارهم وظلمِهم وتعذيبِهم وسفكِ دمائهم. وبعد ذلك كان الفتوحات الإسلامية ذاتَ طبيعةٍ سياسيةٍ.
٣. المسلمون يمكنهم أن يعيشوا بسلامٍ مع جيرانهم وينبغي عليهم ذلك. " وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ....." (الأنفال، ٨: ٦١). ومع ذلك، فهذا لا يستبعدُ حقَّهم الشرعيّ في الدفاع عن أنفسهم والحفاظ على سيادتهم واستقلالهم.

والمسلمون ملتزمون تماماً بالتقيّد بهذه القواعد كالتزامهم باجتناب السرقة والزنا. وإذا نظّم الدينُ تشريعاً للحرب وحدَّدَ الظروف التي تجعلها ضروريةً وعادلةً، فذلك لا يجعل هذا

الدينَ ديناً عدوانياً، كما لو أنَّ الدّين وضع نظاماً خاصاً بالعلاقة الجنسية فإنّ ذلك لا يجعل الدين ديناً شهوانياً. وإذا استخف البعض بالتعاليم والمبادئ الراسخة بقوةٍ وعلى مدىً طويلٍ من أجل أحلامٍ يوطوبيةٍ حيث الغاية تبرِّرُ الوسيلةَ، فإنّ فعلهم يكون من قبيل الهوى والرغبة الخاصة وليس بتشريعٍ صادرٍ عن الله أو عن نبيّه، صلى الله عليه وآله وسلّم، أو عن أهل العلم. يقول الله في القرآن الكريم: ".... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ......" (المائدة، ٥: ٨). وفي هذا السياق، لا بدَّ من بيانِ أنَّ جريمة القتل التي وقعت في الصومال بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٧م وراح ضحيتها راهبة كاثوليكية بريئة ـ وأية أعمال عنف فرديةٍ مخزيةٍ وشائنةٍ مماثلةٍ أخرى ـ كردّة فعلٍ لمحاضرتكم في جامعة رِجنسبورغ، هي لا تمتُّ بصلةٍ إلى الإسلام أبداً، ونحن ننكرُ مثل هذه الأفعال تماماً.

اعتناق الدِّين بالإكراه

إنّ الفكرة التي مفادها أنّ المسلمين مأمورون بنشر دينهم "بالسيف" وأنَّ الإسلام في الواقع انتشر بشكلٍ هائلٍ "بالسيف" تتهاوى أمام التدقيق وإمعان النظر. وحقيقة الأمر أنّ الإسلام من حيث كونه كياناً سياسياً فقد انتشر بشكلٍ جزئي نتيجةً للفتوحات، لكنّ الجزء الأكبر من توسُّعه قد تحقّق نتيجةً للنشاط الدعوي. فالتعاليم الإسلامية لم تنص على أن يتّم إرغام سُكّان البلاد المفتوحة أو إكراههم على الإسلام. وفي الواقع، إنَّ كثيراً من المناطق الأولى التي فتحها المسلمون بقيت أغلب أجزائها غير مسلمةٍ لقرون من الزمان. ولو أن المسلمين رغبوا بإكراه الناس جميعهم حتى يعتنقوا دينهم، لما بقي هناك كنيسةٌ واحدةٌ أو معبدٌ يهوديٌ في أيِّ مكانٍ من العالم الإسلامي. وإنّ الأمر الإلهي الذي تتضمّنه آية "لا إكراه في الدين ..." تعني الآن ما عنته في ذلك الوقت. وإنّ مجرّدَ كون الشخص غير مسلمٍ لم يكن مبرراً شرعياً للحرب قط لا في الشريعة ولا في العقيدة الإسلامية. وبالنسبة لقوانين الحرب، يُبدي التاريخ أنَّ بعض المسلمين قد خرقوا المبادئ الإسلامية فيما يتعلق بإكراه غيرهم على اعتناق الدين وبمعاملة أقوام الأديان الأخرى، ولكنّ التاريخ يُبدي أيضاً بأنّ هذه التصرُّفات بلا أدنى ريبٍ هي استثناءٌ يُثبتَ القاعدة ويبرهن عليها. وإننا نوافق بالتأكيد على أن إكراه الآخرين على الاعتقاد ـ إنْ كان ذلك ممكناً بحال من الأحوال ـ هو أمرٌ غيرُ مَرْضِيٍّ عند الله، وأنّ الله لا يرضى عن سفك الدماء البريئة. ونحن في حقيقة الأمر نؤمن كما آمن المسلمون

دائماً بقول الله: "... مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ..." (المائدة، ٥: ٣٢).

شيء جديد؟

لقد ذكرتم تأكيد الإمبراطور بأنّ "أي شيء جديد" جاء به النبيُّ كان "شريراً ولا إنسانياً، مثل أمره المزعوم بنشر الدين الذي يدعو إليه بالسيف". هذا وإنَّ الأمر الذي فشل الإمبراطور في إدراكه ومعرفته ـ عدا عن أن واقع مثل هذا الأمر (كما ذُكر أعلاه) ليس له وجودٌ في الإسلام مُطْلقاً ـ هو أنَّ النبي، صلّى الله عليه وآله وسلّم، لم يدّعِ أنه جاء بشيء جديدٍ من الأساس. يقول الله تعالى في القرآن العظيم: " مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ " (فُصّلت، ٤١: ٤٣)، ويقول أيضاً "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (الأحقاف: ٤٦: ٩). وهكذا فإن الإيمان بالله الواحد ليس من خصائص أيِّ ملّةٍ لوحدها دون غيرها. ووفقاً للعقيدة الإسلامية فإنّ جميع الأنبياء الحقيقيين (عليهم السلام) كانوا يدعون أقواماً مختلفين في أزمنةٍ مختلفةٍ إلى الحقيقة ذاتها. فمن الممكن أن تكون الشرائع مختلفةً، ولكن الحقيقة لا تتغيّر.

"أهل الدراية"

لقد أشرتم مرّةً من دون تحديدٍ إلى "أهل الدراية" (بشأن الإسلام)، وفعلياً قمتم أيضاً بنقل كلام باحثَيْنِ كاثوليكيَيْنِ بالاسم، الأستاذ (عادل) تيودور خوري و(الأستاذ المشارك) روجر أرنالدِز. ويكفي القول هنا أنه بينما يعتبر كثيرٌ من المسلمين أنَّ هناك منصفين من غير المسلمين ومن الكاثوليك الذين من الممكن أن يُعتبروا حقيقةً "أهل دراية" في دين الإسلام، إلا أن المسلمين لم يصادفوا حسْب عِلمنا على "أهل الدراية" اللذين اشرتم إليهما ولا يقرّون لهما بأنهما يمثّلانِ المسلمين أو وجهات نظرهم. لقد كررتم بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٥م، ما جاء في بيانكم الهام في مدينة كولونيا في ألمانيا بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢م، أنَّ "الحوار بين الأديان والثقافات فيما بين المسيحيين والمسلمين لا يمكن تقليصه إلى مستوى الشيء 'الزائد الاختياري'، فهو في الواقع ضرورةٌ أساسيةٌ حيويةٌ يَعتمد عليها مستقبلنا بمقدارٍ كبير". وفي الوقت الذي نوافقكم فيه تماماً، إلا أنه يبدو لنا بأنَّ جزءاً كبيراً من هدف الحوار بين الأديان يكمن في أن نجاهد من أجل الإصغاء إلى الأصوات الفعلية لأولئك الذين نتحاور معهم، وأخذها بعين الاعتبار،وليس فقط لأصوات أولئك الذين ينتمون إلى جماعتنا.

المسيحية والإسلام

إن المسيحية والإسلام يُعتبرانِ الديّنين الأول والثاني من حيث عدد أتباعهما في العالم وفي التاريخ، حيث يشكّل المسيحيون والمسلمون حسب التقارير ما يزيد على ثلث العالم وخمس العالم على التوالي. وهم يشكّلون معاً أكثر من ٥٥% من عدد سكان العالم، مما يجعل حُسْنَ العلاقة بين مجتمعات هذين الدينين أهمَّ عاملٍ من العوامل المساهمة في إحلال سلامٍ مؤثّرٍ حول العالم. وباعتباركم قائداً لأكثر من مليار كاثوليكي ومثالاً أخلاقياً لكثيرين غيرهم في أرجاء المعمورة، فربما تكونون الصوتَ الأوحد والأهمَّ في مواصلة المضي قدماً في هذه العلاقة باتجاه التفاهم المتبادل. ونحن نشارككم الرغبة في إقامة حوارٍ صريحٍ مُخلصٍ وندرك أهميته في عالمٍ يشتدّ الترابط فيه بشكلٍ متزايدٍ. وعند إقامة حوارٍ مُخلصٍ صريحٍ فإننا نأمل في الاستمرار ببناء علاقات وئامٍ وصداقةٍ مؤسَّسةٍ على الاحترام والانصاف المتبادلَين وعلى ما يجمعنا جوهرياً من الإرث المشترك المرتبط بالأنبياء من ذرية إبراهيم (عليه السلام)؛ وخصوصاً 'الوصيتين العُظمَيين' في إنجيل مرقص، ١٢: ٢٩-٣١ (وبشكلٍ مختلفٍ في إنجيل متّى، ٢٢:

٣٧ – ٤٠) 'الربُّ إلهنا ربٌ واحدٌ، وتُحبُّ الربَّ إلهك من كل قلبك من كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى؛ وثانية مثلها هي تحبُّ قريبَك كنفسِكَ ليس وصية أخرى أعظم من هاتين'.

وعلى ذلك، فإن المسلمين يقدّرون الكلمات الآتية الصادرة من مجلس الفاتيكان الثاني:

تُكِنُّ الكنيسة أيضاً احتراماً عالياً للمسلمين، فهم يعبدون الله الواحد الحيّ القيوم الرحيم القادر، خالق السماوات والأرض، والذي كلّم البشر أيضاً. وهم يجتهدون في الخضوع الكامل لأوامر الله دون تحفُّظٍ، تماماً مثل خضوع إبراهيم لقضاء الله، وهو الذي يربط المسلمون دينهم بدينه بشدّةٍ. وبالرغم من أنهم لا يقرّون بأن عيسى المسيح إله، إلا أنهم يوقّرونه باعتباره نبياً، وهم يجلّون أمه العذراء أيضاً ويذكرونها حتى في أوقات تضرعهم الخاشع؛ ويترقبون أيضاً يوم القيامة والثواب من الله بعد بعث الأموات. ولهذا السبب هم يُعظِّمون الحياة المستقيمة ويعبدون الله خاصّةً من خلال الصلوات والصدقات والصوم (نوسترا إيتاته، ١٩٦٥/١٠/٢٣م).

كذلك وبنفس القدْر، يثمّن المسلمون كلمات البابا الراحل يوحنا بولص الثاني والذي كان يحترمه ويقدّره كثيرٌ من المسلمين: نحن المسيحيين نعترف بكل سرورٍ بالقِيَمِ الدينية التي نشترك فيها مع الإسلام. وأود اليوم أن أكرّرَ ما قلته لشبابٍ مسلمين في الدار البيضاء قبل بضعة سنين: "نحن نؤمن بالإله نفسه، الإله الواحد الحي، الإله الذي خلق العالم وأخرج مخلوقاته في أكمل صورة" (انسجْنَمِنْتي، VIII/٢، [١٩٨٥]، صفحة ٤٩٧، اقتُبِسَتْ من كلمةٍ خلال عظةٍ عامّةٍ بتاريخ ١٩٩٩/٥/٥م).

كما يُقَدِّرُ المسلمون أيضاً تعبيركم الشخصي غيرَ المسبوق عن الأسف وإيضاحَكم وتأكيدَكم (في ٢٠٠٦/٩/١٧م) بأنَّ الاقتباس الذي استعملتموه لا يعكس رأيكم الشخصي، بالإضافة إلى تأكيد أمين سر حاضرة الفاتيكان الكاردينال تارشيزيو بيرتوني (في ٢٠٠٦/٩/١٦م) على ما جاء في الوثيقة الوفاقية الصادرة عن مجلس الفاتيكان نوسترا إيتاته. وأخيراً، فإنَّ المسلمين يقدّرون تعبيركم عن "الاحترام الكامل والعميق لجميع المسلمين" أمام مجموعةٍ مجتمعةٍ من سفراء دولٍ إسلاميةٍ بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٥م.

نأمل بأننا سوف نتجنّب جميعاً أخطاءَ الماضي ونتحاشاها ونعيش سوية في المستقبل بسلام، وتسامح واحترام متبادلين.

والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نقولُ من غيرِ مجاملةٍ ولا مداهنةٍ: لقد كان هذا الردُّ من هؤلاء العلماء والأساتذة والمفكّرين محبُوكاً تماماً ومفيداً جدّاً، فقد ساهم في تعريف الكثير من القيادات المسيحيّة الغربيّة بحقيقة الإسلام ودعوته، كما ساهم في تعريف البابا ببعض المفاهيم الإسلامية، هذا على فَرَضِ أنّ البابا خالِ الذهن من معرفة الإسلام، لم يطّلع عليه، ولم يسبق له دراسته بالتفصيل بهدف نقضه وإظهار عيوبه ونواقصه!!.

ولقد لاقت هذه الرسالة صدىً واسعاً من الارتياح في العالم الغربيّ المسيحيّ، في الوقت الذي كان يتوقّع فيه مزيداً من الخطابات والردود المليئة بالشتم والسبّ والقدح في حبرهم الأعظم، صاحب الفضل في ابتداء طريق السبِّ والقدح.

لقد تعرَّضت هذه الرسالة والردّ لبعض الانتقادات من بعض المفكّرين المسلمين لأنها ذَكرت إجماع العلماء والمفكّرين المسلمين عليها ـ وهو الأمر الذي لم يتحقّق ـ كما تعرّضت لانتقاداتٍ من بعض علماء الدّين المسيحي كالأب ترول الجزويتي الذي أكَّدَ على الفارق السّحيق بين الله الواحد بالنسبة للمُسلمين وبين الله الثالوث بالنسبة للمسيحيين. ولا يملك أحدٌ الحقَّ في تكميم الأفواه ومنع الانتقادات، بل تتّسعُ له الصدورُ ـ إن شاء الله ـ ولكنّ المرفوض في كلّ الأحوال هو السبّ والشتمّ، فنحن نقبلُ كلَّ ما يوافقُ شرعنا، شرع العقول المستنيرة والقلوب السليمة من المرض. وتجدرُ الإشارة في نهاية الحديث عن هذه الرسالة أنّها ساهمت وبقدرٍ كبيرٍ في ردّ الكثير من الشبهات والغموض الذي يكتنف عقول بعض الغربيين عن الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ. وإنْ كان لنا من ملاحظةٍ على نصّ هذا الردّ والرسالة فإنّ ملاحظتنا تقتصرُ على أنّ الذين صاغوا هذا الردّ، الذي نؤكّدُ على أنّه مُحْكَمٌ ومفيدٌ، لم يراجعوا مسألة (أنّ ابن حزمٍ ذهبَ إلى حدِّ الإقرار بأنّ الربّ الله لا يلتزمُ حتّى بكلمته الخاصّة ... فإنّه ينبغي علينا التعبُّدُ بشكلٍ وثنيٍّ أعمى) حيث أنّ فيها افتراءً على هذا العالم وظلماً له، وقد اكتفت وثيقة الردّ (الرسالة) بوصف ابن حزمٍ بأنّهُ شخصيّةٌ فاضلةٌ ولكن هامشية وأنّ له مذهباً

لا يتّبعهُ أيُّ مسلمٍ في العالم اليوم!!! لقد كان الجدير بهؤلاء الأساتذة والعلماء أن يقرؤوا تاريخ الأندلس وأن يوفوا "مؤسّس علم مقارنة الأديان" حقّه!!.

رابعاً: مجمع فُقهاء الشريعة بأمريكا

في آخر الجهود الجماعية المؤسّسية، نعرضُ البيان الذي ردّ فيه مجمعُ فقهاء الشريعة بأمريكا[١] على ما سبق إيراده في محاضرة البابا بنديكتيوس السادس عشر السابقة من شبهاتٍ على الإسلام والرسول المصطفى ﷺ. ولمن يتساءلون عن سبب إدراجنا لردود بعض هذه المؤسّسات الإسلامية على محاضرة البابا بنديكتيوس السادس عشر نقول: لقد اشتملت هذه المحاضرة على العديد من الشبهات الخطيرة التي كانت ولا زالت تردّدها أفواه الكارهين للإسلام منذ أزمانٍ بعيدةٍ. ومنها شبهةُ عدم اتفاق العقيدة الإسلامية مع العقل، وشبهة انتشار الإسلام بالسّيف، وأنّ حروبه كانت لقهر الناس وإجبارهم على اعتناقه، وشبهة أنّ محمداً لم يأتِ بأيِّ شيءٍ جديدٍ، وأنّ محمداً جاء بالأشياء الشريرة فقط. وسببٌ آخر نوردُ لأجله ردود هذا المجمع على البابا وخطبته ألا وهو إظهار مدى اعتزاز هؤلاء العلماء بدين الله عزّ وجلّ ودفاعهم عن دفاعاً مُقنِعاً بأسلوبٍ خطابيٍّ لا يصدرُ إلاّ عن قوّةٍ وحقٍّ واعتزازٍ بهذا الدِّين. لم يتزلّفْ علماءُ المجمع إلى البابا ولم يخاطبوه على خوفٍ، وهم يدركون تماماً أنهم يعيشون بين ظهراني النصارى في أقوى دول الغرب المسيحي ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية. فجزى اللهُ هؤلاء المعتزّين بدينهم خير الجزاء وأكرمه. وحتّى لا يطول الحديث فسنذكر تالياً نصّ هذا البيان[٢] كما هو دونما حاجةٍ لأيِّ تعليقٍ أو تذييل.

بيانٌ من مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ... ردّاً على اتهامات البابا

"يتابع مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ببالغ الأسف والإنكار ما أدلى به البابا بنديكت السادس عشر رأس الكنيسة الكاثوليكية على مستوى العالم من تصريحاتٍ مسيئةٍ للإسلام

---

(1) هو مؤسّسةٌ شرعيّةٌ علميّةٌ غيرُ ربحيّةٍ، أعضاؤه كلُّهم من حَمَلَة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية. تسعى هذه المؤسّسة إلى بيان أحكام الشريعة فيما يعرض للمقيمين في أمريكا من النوازل والأقضيات. ومن أبرز أعضاء هذه المؤسّسة ومُستشاريها الأساتذة صلاح الصاوي وعلي أحمد السالوس وأحمد شليبك ووهبة الزحيلي وعمر سليمان الأشقر.

(2) صدر هذا البيان في شهر أيلول من عام ٢٠٠٦م، وقد قام المجمع بنشره على موقعه الإلكتروني www.amjaonline.com كما نشرته الشبكة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢١م على موقعها الإلكتروني www.islamweb.net.

والمسلمين في محاضرته بجامعة ريجنسبرج. وهي تصريحاتٌ تنمُّ عن ذهولٍ أو جحودٍ لأبسط الحقائق الإسلامية، الأمر الذي لا يليق برجلٍ في مثل سنّهِ ومكانته اللاهوتية، فهو الذي شارف الثمانين من عمره، وأنفق حياته بأسرها في الدراسات اللاهوتية، وتبوأ منصب الأستاذية بالجامعة، وأَسَّسَ بها عِلْمَ الأديان، وتدَرَّجَ في المناصب اللاهوتية حتى تبوأ منصب البابوية منذ ما يزيد على عام!

ورغم كل مشاعر الغضب والاستياء التي تجتاح العالم الإسلامي عامّةً وتجتاح مشاعر أعضاء المجمع وخبرائه خاصّةً بمناسبة هذه التصريحات الفجّة، إلاّ أننا سننطلقُ من أدب الإسلام في مجادلة المخالفين، ونستصحب قوله تعالى في محكم آياته: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن}، وسنتوجه بكلمةٍ هادئةٍ إلى البابا بنديكيت السادس عشر وإلى العالم من ورائه راجين أن يكون فيها إقامةٌ للحجَّة وتبرئةٌ للذمّة!

أولاً: حول طلاقة المشيئة الإلهية

يذكر البابا في حديثه " أنّ (الله) في العقيدة الإسلامية مُطلَقُ السمّو، ومشيئته ليست مرتبطةً بأي شيءٍ من مقولاتنا، ولا حتى بالعقل، ثم عقد مقارنةً مع الفكر المسيحي المتشبِّع بالفلسفة الإغريقية، زاعماً أنّ الفكر المسيحي ينحاز إلى العقل، ويرفض كلَّ ما يتناقض معه، ودَلَّلَ على ذلك بما جاء في أول فقرة في سفر التكوين، وهي أولُ فقرةٍ في الكتاب المقدس ككُلٍّ، استخدمها يوحنا في بداية إنجيله قائلا: في البدء كانت الكلمة. ويُلاحَظ أن هذه الكلمة لم ترد في صدر سفر التكوين كما ذكَر وإنما ورد فيه " في البدء خلق الله السماوات والأرض"

أمّا طلاقةُ المشيئة الإلهية فهي موضع إجماعِ المسلمين، بل هي موضع إجماع الرسالات السماوية جميعا قبل أن تمتد إليها يد البشر بالتحريف والتبديل. ولكنَّ هذا يمثِّلُ نصف الحقيقة فقط، أما نصفها الآخر فهو ما أجمع عليه حَمَلَةُ الشريعة أيضا من أنَّ مشيئة الله تعالى مرتبطةٌ بحكمته لا تنفصل عنها، فلا يشاء أمرًا مخالفًا للحكمة ولا مخالفاً للحق، فهو لا يخلق شيئًا باطلاً، ولا يشرِّع شيئًا عبثاً، بل هو حكيمٌ فيما خلق، وحكيمٌ فيما شرع، فخبرهُ صدقٌ، وحكمهُ عدلٌ، {وتمَّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً}، فهو الحكم العدل، وتكرار ذلك في

القرآن ممّا يدركه القاصي والداني، فلا تتعلق مشيئته بباطلٍ، ولا تتعلق مشيئته بظلمٍ، كيف وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحقّ وأنزل الكتاب بالحقّ، وحَرَّمَ الظلم على نفسه وجعله مُحَرّماً بين عباده، وهو جلَّ وعلا لا يفعل إلاّ ما فيه الخير والصلاح لعباده، كما قال صلى الله عليه وسلم في مناجاته لربه: "الخير بيديك، والشر ليس إليك".

ثانياً: حول الثبات والتطوُّرِ في مدلول كلمات الله

وللمزيد من استجلاء الحقيقة حول مدى استيعاب البابا للتصوّر الإسلامي نتابع كلمته - في ندوةٍ كنَسيّةٍ حول الإسلام في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥م - حول قابلية الإسلام للتطور التي اعترض عليها بشدةٍ قائلاً "إنّ كلمة الله عند المسلمين كلمةٌ أبديةٌ كما هي، غيرُ قابلة للتلاؤم مع المستجدّات أو التأويل، وهذا فارق أساسيٌ مع المسيحية واليهودية، فكلمة الله عندهم أُوكِلَتْ إلى البشر، وأوكل إليهم أن تتعدّل لتتلاءم مع المستجدّات".

ولتصحيح هذا التصوّر المغلوط نقول: إنّ كلمات الله منها المُحْكَمُ القطعيّ ومنها المتشابهُ الظنيّ، ولله في ذلك كلّه الحكمةُ البالغةُ، ولو شاء الله عز وجل أن يجعل كلماته جميعاً على نحوٍ لا يحتمل في الفهم إلا معنىً واحدًا ما أعجزه ذلك، ولكنّه جعل منها القواطع التي تمثِّل الشرع المحكم الذي تجتمع عليه كلمة المسلمين ويُمثِّلُ مبنى دينهم، وجعل منها المتشابهات التي تمثّلُ دائرة المرونة والتوسعة في هذه الملّة، حتى لا تُحبَس الأمةُ في اجتهادٍ واحدٍ أو في تفسيرٍ واحدٍ، وبهذا يجمع مدلول كلمة الله بين الثبات والتطور، وبين القطعيّ والظنيّ، وبين المحكم والمتشابه، ولهذا استوعبت شريعةُ الإسلام ما لايُحصى وما لا يتناهى من الوقائع والأحداث، وبيّنت أحكام الله بشأنها، وذخرت المكتبة الإسلامية بمئات الألوف من الذخائر الفقهية التي حوت نفائس الاجتهادات ودقائق الاستنباطات، واستوعبت حاجات الإنسان على مدى الزمان وعلى مدى المكان، فلم تضق بجديدٍ ولم تصادر فطرةً، ولم تقمع حاجةً بشريةً حقيقيةً، ولم تعنِّتْ أحدا من البشر، ولا يزال فقهاؤنا يتحدثون عن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، وعن المصلحة ودورها في استنباط الأحكام، وعن الضرورات وفقهها، والحاجات وتنزيلها منزلة الضرورات في إباحة المحظورات في منظومةٍ تشريعيةٍ بديعةٍ مُحكمةٍ ومنضبطةٍ أذهلت العالم كله شرقاً وغرباً مما لا نظنّه يخفى عن رجلٍ في مثل سنّ البابا وعلمه.

ولا تزال المجامع الفقهيةُ المعاصرة تنظر نوازل الأمة ومستجدّات حياتها، وتستنبط أحكامها وتُقَدِّمُ الصّيغ والبدائل للمعاملات المُحَرَّمةِ في إطارٍ يجمع بين المحافظة على الأصل واستيعاب العصر، فلم تُحلّ حراماً مُجمَعاً عليه، ولم تحرّم حلالاً مُجمعاً عليه، ولم تُبَدّلْ شرعاً مُجمعاً عليه، ولم تُقَدّم بين يدي الله ورسوله، فبقي الدين محفوظاً من الخلل، وبقيت الأمةُ ممنوعةً من الزلل. أَمّا ما فعله أحبار اليهود والنصارى بشرائعهم فالبابا أخبر به! لقد استُحْفِظوا كتاب الله تنزيلاً وتأويلاً، فما حافظوا على تنزيلٍ ولا على تأويلٍ، لقد دخل التحريفُ على التنزيل بما يقر به علماء النصرانية أنفسهم وبما يغني عن الاستشهاد عليه من خارجهم، أما تحريفات التأويل فحسبُكَ أنّهم يُحلّون الحرام ويحرّمون الحلال، وما خبرُ تقنينِ الشذوذ والسّحاق وزواج المِثْلِ وإباحة الربا وقد نُهوا عنه ببعيدٍ، وهو الأمر الذي يستنكره البابا لما عُرِفَ من تصلُّبه، ولكنّ كنائسَ عديدةً ومرجعياتٍ نصرانيةً مُعتبرةً في شرق العالم وغربه أقرّته تحت سمع العالم وبصره، وهو الذي أشار إليه القرآن بحقٍّ في قول الله جل وعلا {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أُمِرُوا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون}.. وقد كانت الربوبية فيهم أنهم يُحِلّون الحرام ويُحَرّمون الحلال فيتابعونهم على ذلك.

ثالثاً: حول العلاقة بين الإسلام والعقل

إذا كانت أولَ فقرة استخدمها يوحنّا في بداية إنجيله كما يقول البابا: في البدء كانت الكلمة. فإنَّ أول كلمة تنزَّلَتْ في القرآن الكريم على محمدٍّ صلى الله عليه وسلّم، هي قول الله جل وعلا {اقرأ باسم ربك الذي خلق } فهي دعوةٌ إلى القراءة ودعوةٌ إلى العلم، ولا يُعرَفُ كتابٌ احتفى بالنظر ودعا إلى التدّبر وقَدَّرَ العقل وأعلى من شأنه كالقرآن الكريم. وآياته التي يقرؤها المسلمون في المشارق والمغارب شاهدةٌ بذلك، فقد أشاد هذا الكتاب الكريم بالعقل، وجعله مناطَ التكليف، وأصبح من القواعد الثابتة في شرعنا أنَّ مَن لا عقل له، لا تكليف عليه، وقد أمر الله الناس أن يُعملوا عقولهم، وأن يتفكّروا في ملكوت السماوات والأرض، حتى يخلص الإنسان من خلال ذلك إلى الحق الذي بعث اللهُ به أنبياءه ورسله، قال تعالى :{ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }(سبأ:٤٦). وعَيَّرَ سبحانه الكفار بتركهم تَعَقُّلِ وتفهُّمِ وحيه، فشبَّههم بالبهائم، فقال سبحانه: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا

لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ} (البقرة:١٧١)، وقال أيضاً: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ}(الأنفال:٢٢)، والآيات في هذا الباب كثيرةٌ، وهي لا تزال كتاباً مفتوحاً على العالم أجمع، فالعقل أساس النقل، وبالعقل ثبت النقل والوحي والنبوّة، وإنّ من الأبجديات والبدهيات في دين الإسلام أنَّ العلم يسبق الإيمان، وأنَّ الإيمان ثمرةٌ له، كما في قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} [الحج: ٥٤] فجعل العلم سابقاً والإيمان ثمرةً له. ولا يُعْرَفُ في الإسلام تعارضٌ بين عقلٍ صحيحٍ ونصٍ صريحٍ، وهو تحدٍّ معروضٌ على العالم كله، فليأتونا بمثالٍ واحدٍ يهدم هذه الحقيقة، ولعلماء المسلمين في درء التعارض بين العقل والنقل مراجعُ ومطوّلاتٌ، ولهم في ذلك من القوانين والقواعد الكليّة ما لا يزال مفخرةً للفكر البشريّ كله.

ومن العجيب أن يرمي رأسُ الكنيسة الإسلامَ بهذه الفرية ولا يُعْرَفُ دينٌ حَفِلَ بالعجائب والخرافات كالنصرانية المحرَّفة التي يتبوأ البابا عرش بابويتها والتي تقول تعاليمها: آمِنْ ثمَّ اعلَم! اعتقِدْ وأنت أعمى! أغمضْ عينيك ثم اتبعني! والتي يقول أحد فلاسفتها الدينيين (أوغستين): أُومن بهذا لأنه مُحَالٌ، أو غير معقول! ويقول أحد قساوستها من المعاصرين وهو القسّ وهيب الله عطا: "إن التجسيد قضيةٌ فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، لكننا نُصَدِّقُ ونؤمنُ أنّ هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً " (عن كتاب مقارنة الأديان لشلبي ١٢٤/٢) .

هل يستطيع البابا أن يُمَنْطِقَ لنفسه أو للعالم عقائد النصرانية من الصلب والفداء والتثليث والتجسيد والعشاء الرباني وسائر ما حفلت به عقائد القوم من العجائب والغرائب والأباطيل؟!!

رابعاً: حول مفهوم الجهاد في الإسلام

يُدندن البابا حول مغالطةٍ كبرى مُعادَةٍ ومكرورة، يَزعم مَنْ تولّى كِبرها أنّ الإسلام قد انتشر بالسيف، أي أنّ حروبه كانت لقهر الناس على الإيمان، ثم يصول البابا ويجول في بيان أنّ هذا مجافٍ للمنطق ولطبائع الأشياء، بل مجافٍ لطبيعة الرب ذاته التي لا تُحِبُّ الدماء والتي تجعل من الكلمة والإقناع الطريق الوحيد إلى الإيمان. والحقيقة التي لا مراء فيها

أنّ الجهاد في الإسلام إنما شُرِعَ لدرء الحرابة وكفّ العدوان، وليس للإكراه على الدّين سواء أكانت هذه الحرابة واقعةً بالفعل، وهو ما يُسمّى بجهاد الدفع، أو متوقّعةً ولاحت نذُرُها بدلائل قطعيةٍ وَبيّناتٍ يقينيةٍ وهذا هو جهاد الطَلَبِ، وحسبنا هذه الآية القطعية المُحكمةُ من كتاب الله عز وجل {لا إكراه في الدين قد تَبَيَّنَ الرشدُ من الغي} [البقرة:٢٥٦]. ولم تخرج حروبه كلها، صلّى الله عليه وسلم، عن ذلك لمن تَدَبّرَ السيرة وأمعن النظر في حروبه وغزواته، صلّى الله عليه وسلم؛ ذلك أنّ هذه الأمة أمةُ هدايةٍ، وليست أمةَ بغيٍ وحرابة، وحيثما أمكن استحياء النفوس بالإيمان أو بالأمان فلا ينبغي العدول عن ذلك فإن الله تعالى لم يُبِحْ مِن قتلِ النفوس إلا ما لا بُدَّ منه لصلاح الخلق، دفعاً للعدوان ودحراً للمعتدين، ولعلّ الله أن يُخرِجَ مَن أصلابها من يعبد الله تعالى ويوحّده، وقد قال تعالى: { وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين}.

وكلُّ ما ذكره البابا من مجافاة القهر على الإيمان للمنطق ولحكمة الربّ جلّ وعلا فهو وإن كان صحيحاً في مُجمله ولكنّه لا علاقةَ له بالإسلام الذي يسوق البابا هذا الكلام للإرجاف حوله والتشنيع عليه.

وإذا كان البابا ينطلق في حديثه من بعض حوادث العنف التي تقع في مناطقَ متفرقةٍ من العالم، فلا نحسبُ أنه يخفى على مثله أنَّ العنف ظاهرةٌ عالميةٌ لم تكد تنفك عنها أمةٌ من الأمم، ولا ملةٌ من الملل، وأنّ ما يقع من مظاهر العنف في بعض مناطق العالم الإسلامي أو مِن بعض مَن ينتسبون إليه فإنّ منه ما هو مشروع لا يُنكره على أصحابه إلاّ ظالمٌ لنفسه، وهو ما يندرج تحت أعمال المقاومة المشروعة التي اتفقت على مشروعيتها الشرائعُ السماوية والقوانينُ الوضعية، كهذا الذي يجري على أرض فلسطين والعراق ولبنان وغيرها من المناطق المحتلّة في عالمنا الإسلامي، لدفع ما وقع عليها من الظلم والعدوان، والذي لو وقع مثله على دولة الفاتيكان ما وسع البابا إلا أن يُعلن بنفسه النفيرَ، وأن ينضم إلى قوافل المقاومة، وأن يُجَيِّشَ قومه قاصيهم ودانيهم لدفع العدوان ودحر المعتدين! ومنه ما هو غير مشروع كهذا الذي جرى في الولايات المتحدة ولندن وغيرها وهو الأمر الذي يدينه المسلمون قاطبةً، ويعتقدونه خروجاً صارخاً على أبسط قواعد المشروعية الإسلامية، وهذا النوع من العنف إن كان سببه ما يقع على أمة الإسلام من مظالم واعتداءاتٍ تحت سمع العالم وبصره، ولكنّ هذا لا يُسَوِّغُ مثل هذه الأعمال ولا يُضفي عليها مشروعيةً بحالٍ من الأحوال.

ومن ناحيةٍ أخرى فهل نسي البابا ما ارتبط بالمسيحية من عنفٍ على مدار التاريخ قديمًا وحديثًا سواء في صراعاتها الداخلية أم في صراعها مع العالم الإسلامي بدءاً من الحروب الصليبية وانتهاءً بالحملات الاستعمارية في العصر الحديث؟!

يقول "هانز كونج" عالم اللاهوت السويسري، المحاضِرُ السابقُ بالجامعات الألمانية، ومؤسس "مشروع الأخلاق الكونية"، في معرض انتقاده لباباالفاتيكان: إنه "وضع العنف والإسلام في سلّةٍ واحدةٍ، وأغفلَ ما ارتبط بالمسيحية على مدار التاريخ من عنف".

واستطرد كونج: "المسلمون لا يتذكّرون فقط الحملات الصليبية؛ بل يذكرون أيضا الاستعمار الأوربي بالقرن الـ ١٩ الذي امتد من المحيط الأطلنطي حتى ماليزيا".
الجديد الذي جاء به محمدٌ صلّى الله عليه وسلم

ويبلغ التطاول والعدوان ذروته عندما يسوق البابا في حديثه قول الامبراطورالبيزنطي في حديثه المزعوم للمسلم الفارسي: أرني شيئاً جديداً أتى به محمدٌ، فلن تجد إلاّ ما هو شرير ولا إنساني، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يُبَشِّرُ به بحدّ السيف".

وبعيداً عن الشكّ الذي يكتنف هذه الرواية من حيث المبدأ، وعن ذكره لقول الإمبراطور البيزنطي وصمته عن جواب المسلم عنه، وهو الأمر الذي يجافي أبسط قواعد الإنصاف والموضوعية، فإن الجحود والجهل والحمق الذي يكتنف هذه المقولة أكبر من أن تحيط به كلماتُ البشر بالغةً ما بلغت!

وفي البداية نؤكّد على أنّ محمداً، صلى الله عليه وسلم، لم يكن بدعاً من الرسل، بل جاء بما جاء به سائر الأنبياء من قبله من التوحيد وأصول الشرائع، كالدعوة إلى عبادة الله وحده، والكفرِ بما يُعبدُ مِن دونه، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن سفاسفها، وغير ذلك من أصول الشرائع التي اتفق عليها سائر النبيين، فهو اللبنة الأخيرة في بنيان النبوة الذي تكامل به على مدار التاريخ، وهو القائل إنما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارم الأخلاق، والقائل [إنّ مَثَلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لبنةٍ من زاويةٍ، فجعل الناس يطوفون به ويُعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم

النبيين] ثم بعد هذا خصَّهُ اللهُ عز وجل بباقةٍ من الخصائص تميَّزَ بها وتميَّزَتْ بها دعوته، وهو الأمر الذي لا يحول دون الإقرار به إلا البهتُ الصريحُ أو الجهلُ الفاحش!

ترى أيجهلُ البابا أنَّ محمداً، صلّى الله عليه وسلم، قد وضع بدينه الإصر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل بظلمهم وبفجورهم وبفسوقهم عن أمر الله؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أن محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي أعاد للمرأة كرامتها، وقد كانت سلعةً تُباع وتُشترى وتُورَّثُ كما يُورَّثُ المتاع؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أنَّ محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي جاء بمنظومةٍ متكاملةٍ من الأحكام والشرائع المدنيّة والحقوقية بما لا يسع العالم إلاّ أن يقف أمامها صاغرا ومذهولا ؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أنَّ محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي جاء بمنظومةٍ من القواعد والآداب التي تحكم العلاقات الدولية حرباً وسلماً بما لا ترقى إلى عشرِ معشاره أرقى الاتفاقيات الدولية المعاصرة ؟! وهو الأمر الذي شهد به كبار الحقوقين من بني جلدته؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أنّ محمداً، صلّى الله عليه وسلّم، هو الذي أعلن المساواة بين الجنس البشري، وهدم التمييز بين البشر على أساس الألوان أو الأعراق أو الألسنة، ولم يجعل معياراً للتفاضل بينهم إلا بالتقوى، وقد تَجَسَّدَ ذلك في المؤاخاة التي جرت في المدينة، ثم تجذَّر هذا المفهومُ في المجتمع المسلم وأصبح من آكَدِ الإنجازات الحضارية التي قدَّمها الإسلام للبشرية؟ أم هو الجحود والتجاهل؟!

أيجهلُ البابا أنَّ محمّداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي قدَّم إلى البشرية التكامل بين الروح والجسد، والتوافق بين العقل والقلب، والتمازج بين الدنيا والآخرة، ولَبَّى مطالب الإنسان المادية كما أشبع أشواقه الروحية، في تكاملٍ وتناسقٍ بديعٍ عجيبٍ، وجاء بالوسطية السمحة بين الرهبانية العاتية والمادية الطاغية؟! أم هو الجحود والتجاهل؟!

هذا غيضٌ من فيضٍ، ولا تحتمل مثل هذه المقولة أكثرَ من هذه الإشارات المجملة!
هل يمكن اعتبار ما صدر عن البابا من قبيل الزلَّةِ العارضة؟

وأخيراً فإنه لا يمكن حملُ كلمات البابا على أنه من قبيل الزلّة العارضة أو الفلتة العابرة كما اعتبرَ بعضُهم كلمة "بوش" في حديثه عن قيادته لحروب صليبية في بدايات مسلسل ما سماه الحرب على الإرهاب، فكلمة البابا جاءت في سياقِ محاضرةٍ أكاديميةٍ له،

وهو الرجل الأكاديمي الذي دَرَّس في الجامعة لسنواتٍ عديدةٍ، وحصل بها على درجة الأستاذية، وأسّس بها علم الأديان، وهو يُمِّثلُ كنيسةً تعتقد العصمةَ لرجالاتها، وتدقّق فيما يصدر عنهم من كلماتٍ وتصريحاتٍ قبل تطييرها، لعُسْرِ رجوعها واعتذارها عمّا يُنسب إليها، ولم تتراجع الكنيسة عن كثيرٍ من أخطائها إلا بعد مرور مئات السنين عليها!

كما لا يمكن فصل هذه الكلمة عن السيرة الذاتية للبابا الذي يحملُ مشاعرَ سلبيةً تجاه الإسلام والمسلمين فاضت بها مواقفه وتصريحاته، سواءٌ منها ما كان قبل تبوئه منصب البابوية كما حدث عندما أدلى بتصريح في عام ٢٠٠٤م عندما كان كبيرَ علماءِ اللاهوت في الفاتيكان أعرب فيه عن مناهضته لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي لأنها دولةٌ مسلمةٌ! أو ما كان منها عبر مشوار ولايته البابوية على قصره كما حدث عند استقباله لممثِّلين مسلمين في مدينة كولونيا بقوله (إنَّ على المسلمين نزعَ ما في قلوبهم من حقدٍ، ومواجهة كلَّ مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر منهم من عنفٍ)! وكاستقباله للكاتبة الإيطالية المقيمة في الولايات المتحدة (أوريانا فالاتشي) والتي تُؤلِّبُ في كتبها ومقالاتها على الإسلام والمسلمين. والتي تصفُ الإسلام كلّه بالتطرف ولا ترى فرقًا بين إسلامٍ مُتطرفٍ وإسلامٍ معتدلٍ!
هل يحمل الأسف الذي أعلنه البابا اعتذاراً عن تصريحاته أو تراجعاً عنها؟

وما اعتذر به البابا من القول بأنه يُشْعِرُ بالأسف بعد أن رأى أنَّ كلمته عن الإسلام التي تحدثت عن انتشار الديانة عبر إراقة الدماء كانت مسيئةً، قائلاً إنه يحترم عقيدتهم ويأمل أن يفهموا "المعنى الحقيقي" لكلماته. فالواقع أنّ مثل هذا الأسف لا يفيد في هذا المقام، ذلك أن المشكلة لا تتمثّل في "قصده" بل في مضمون كلماته، فضلاً عن أنّ هذا المضمون هو الموضوع المفضّل قديماً وحديثاً لدى بنديكت السادس عشر، أي التوفيق بين "العلم والدين" أو "العقل والعقيدة"، وتلك "مشكلةٌ كنسّيةٌ" قديمةٌ جديدةٌ، فحديثه [عن الإسلام] لا يمكن كما سبق اعتباره من قبيل الزلة العارضة، ومن هنا كان حديثه عن الإسلام في المحاضرة - على أفضل التفسيرات- من باب "المثال"، الذي أراد ذكره للقول إنّ التناقض (في زعم القائل) بين الدين والعقل يمنعُ الحوارَ مع الآخرين ، ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ هذا الأسف يحمل تجهيلاً للمسلمين وسبّاً جديداً لهم بقصور الفهم وضيق الأفق، وادعاءً بأنهم لم يرتقوا إلى المستوى الذي يؤهِّلهم لفهم كلماته ولذلك فإنه يأسى لهم ويأسف لحالهم!!

أمَّا قولُ بعضهم بأن البابا قد أورد مقولة قيصرٍ بيزنطيٍّ ولا يعني إيراده لها بالضرورة تبنّيه لمضمونها فإنه قولٌ لا يَتسنّى قبوله في هذا المقام، فقد كان باستطاعة البابا الكاثوليكي ذي الأصل الألماني، المتحدّث بالألمانية، لجمهورٍ ألمانيٍّ، على الأرض الألمانيةِ.. كان باستطاعته لو أراد شيئا آخر سوى "مضمون" الاستشهاد، أن يأتي مثلاً ببعض ما قاله عن الإسلام القيصر الألماني غليوم الثاني قبل أقلّ من قرنٍ واحدٍ، بدلاً من القيصر البيزنطي إيمانويل الثاني قبل ستة قرون، أو ببعض ما قال به جوتة، أشهرُ شاعرٍ وأديبٍ ألماني، أو سواهما - وسواهما كثير- من مشاهير الفلاسفة الألمان وغير الألمان في حقبة "التنوير" الأوروبية.

للحوار آدابه وقواعده

أمّا قولُ البابا "إنه يؤيِّد بشكلٍ مطلقٍ الحوار بين الأديان والثقافات" فإننا نقول له: إنَّ للحوار آدابه وقواعده، متى التزم بها المتحاورون كان الحوار مثمرًا وبَنّاءً، وإلا فإنه يفتح أبواباً إلى الجدل العقيم وإثارة الأحقاد والضغائن بما لا يفيد قضية الحوار بل ربما أتى بنقيض ما أُرِيدَ بها.

وأخيرا فإنَّ للبابا أن يكفر بالله ورسوله كما شاء، وأن يُسيء الظن بنبِّيه وبرسالته كما شاء، فتلك قضيَّتهُ التي لا شأن لنا بها، وسَيُرَدُّ إلى ربه فيحاسبه على ذلك، أما أن يُحَوِّلَ هذا الكفرَ إلى سبابٍ وأكاذيب فهذا الذي نتحدّث عنه في هذا المقام وهو الذي يرفضه منطقُ الحوار الذي يرفع البابا لواءه ويفتح أبوابه.

وما أحوجنا في واقعنا المعاصر وقد مزقته الصراعات وأشقته المنازعات إلى صوت الحكمة الذي يرفعه عقلاءُ العالم على اختلاف أجناسهم ومللهم ونحلهم لكي يُجنِّبوا البشرية ويلات هذه الحروب الطاحنة ويهيئوا الأجواء لتعايشٍ سلميٍّ هادىءٍ يمشي الناس فيه في مناكب الأرض يبتغون من رزق الله ويتعرَّفون على هدايات أنبيائه ويسعون في مرضاته بعيداً عن التطاحن والتظالم والتقاتل الذي لا تصلُحُ به دنيا ولا يُقَام به دينٌ، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل"(*).

(*) هنا ينهي النص الكامل لبيان مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

يُستفادُ مما سبق أنّ علماء الأمّة لم يقصّروا ولم يدّخروا جهداً في كلِّ الأزمان والعصور التي مرَّت على الإسلام. لقد نهض علماؤنا بكلِّ عزةٍ وشموخٍ ليردّوا الشبهات والافتراءات عن الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ، وهي الشبّهات التي كان رهبان الكنيسة الغربيّة في العصور الوسطى قد أسّسوا قواعدها وأقاموا بنيانها، وحاولوا أن يجعلوها سياجاً شائكاً يضربونه حول الإسلام ويحاصرونه به، حتّى يصدّوا الناس عن الدخول فيه. نعم، لم يتعرّض دينٌ ولا نبيٌّ في تاريخ البشريّة من عهد آدم وحوّاء، عليهما السلام، إلى يومنا هذا لما تعرَّضَ له الإسلام والحبيبُ المصطفى من حملاتِ محاربةٍ وتشويهٍ وتزييفٍ وتضليلٍ استهدفت النّيل منهما والقضاء عليهما. فكانت النتيجة أن نهض العلماء من أبنائه ليذودوا عن حياضه، ويحموه ويقدّموه للعالم بصورته الحقيقيّة كما هي دون تعديلٍ أو تجميلٍ؛ نعم فالإسلام لا يحتاج إلى تجميلٍ أو تعديلٍ من أحدٍ، فهو الدِّينُ الذي ارتضاه اللهُ لنا، جميلاً سهلاً واضحاً كاملاً غير منقوصٍ يحملُ في كينونته القدرة على الاستمرارية والنّمو والازدهار..

ولـمَّا توالت الشبهاتُ توالت الردود، ولمّا استمرَّت حملاتُ التزييف استمرت حملاتُ التوضيح ولا زالت المعركةُ مستمرّةً...

المبحث الرابع
الردود الشافية الكافية على ما تَقَدَّمَ من شبهاتٍ ومطاعنَ ونقضها تفصيلاً

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات. وبعد؛ فقد وقفنا فيما سبق على الدّور الخطير الذي لعبه رهبان العصور الوسطى حين أسّسوا للأباطيل والشّبهات التي أطلقوها على الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى ـ ﷺ ـ ... كما تقدّم القولُ في أنّ خطورة هذه الشّبهات تكمن في استمراريّتها وبقائها حيّةً في عصرنا هذا، مع الأخذ بعين الاعتبار خضوع بعضها للتعديل والزيادة والتطوير. كما تكمن خطورة هذه الشّبهات كذلك في إصابة سهامها لقلوب بعض العوام من المسلمين حيث أصابتهم بالتشكُّكِ في دينهم والحيرة والقلق، فتركَتْهم يتساءلون عن هذا النّبأ العظيم، وهم لا يدرون كيف يردّون عنه سهام الباطل والكيد والأذى ...

وقد استدعى هذا الأمرُ، قديماً وحديثاً، نهوض علماء الأمّة ودعاتها والأساتذة وطلبة العلم فيها ليقوموا بالدّور المطلوب منهم في هذا الصّدد، فلم يقصِّروا ولم يُبطِّئوا ـ جزاهم اللهُ خيراً ـ وهم يدركون تماماً أنَّ نهوضهم هذا إنّما هو جزءٌ من حقِّ الله تعالى عليهم. "ومن بعض حقوق الله على عبده ردُّ الطاعنين على كتابه ورسولهِ ودينهِ، ومجاهدتُهم بالحجّة والبيان، والسيّف والسّنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبّةُ خردلٍ من إيمان"[١].

نحن نوقنُ بأنّ هذا الدّين متين، واضحٌ لا تشوبُه شائبةٌ، ولن تُنقِصَ من علوِّ قدره ومنزلته الشتائم والمطاعن التي يُثيرها رجالات الكنيسة الغربيّة، فقد سبقهم إلى مثل ذلك كُفّارُ قريشٍ الأوائل ... ولكن يجب أن يَعلمَ هؤلاء الكارهون الطاعنون وكلُّ مَن دار في فلكهم أنّ لهذا الدِّين فرساناً جاهزين على مدار السّاعة، لكُلِّ أنواع المواجهات وعلى رأسها وفي مقدّمتها الفكريّة العقديّةُ. لأنّ السّكوت في عالم اليوم لن يؤدّي إلاّ إلى مزيدٍ من ارتياب المُبْطلين وتماديهم في غيِّهم، ولن يُفهَمَ إلاّ على أنّه عجزٌ عن الردّ وبالتالي صحّة المطاعن والشّبهات والشكوكِ.

---

[١] ابن قيم الجوزيّة، شمس الدين محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عصام الحرستاني، ص ٢٧، ط١، ١٩٩٤، المكتبة الثقافية، بيروت.

هذا بغيٌ أصابنا في ديننا ورسولنا الكريم وبالتالي وجبَ الانتصار لهما والذّودُ عنهما مصداقاً لقوله تعالى: " **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ** "[1]. مع التذكير بأننا في حديثنا هذا لا نقومُ لحمل السيوف أو لإطلاق الرصاص أو لإخضاع المخالِف لنا بالقوّة والقهر، لا وإنّما ننهضُ وبين أيدينا مصدرٌ يُعلّمنا كيفيّة النهوض وآدابه ومقتضياته، ننهضُ كما نهضَ محمدٌ ﷺ، لا شتّاماً ولا سبّاباً ولا طعّاناً، ننهض لنُخاطب العقول والقلوب وننفضَ الغبار عن فطرة الناس السليمة التي فطرهم اللهُ عليها مواجهين الحجّةَ بالحجّةِ ودافعين بالحسنة السّيئةَ، لِتستبينَ السبيلُ لكُلِّ مَن عُمِّيَ عليه وفُرضت عليه نظّارةٌ سوداء لا يلبسها إلاّ حين ينظر إلى الإسلام والمسلمين ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ.

وتجدر الإشارة قبل الشروع في إيراد الردود على الشبهات أنّ مُطلقي هذه الإشاعات والشّبهات قد أخذوا جذورها وأصولها من كتب التراث الإسلامي (ككتب التفسير وشرح الحديث والتاريخ الإسلاميّ) ثُمَّ صاغوا لها القوالب والأشكال التي تلائم هواهم وأهدافهم، وبالتالي فهم مُطالَبونَ بالقبول بالتوضيحات والتفسيرات التي جاءت في نفس الكتب التي يزعمون أنّهم استقوا معلوماتهم منها. ونذكِّر بادئ ذي بدءٍ، بأنّ كثيراً من المواضيع التي تناولتها الشبهات قد سبق لأئمّة الكفر وصناديده الأوائل من قريشٍ أن أثاروها وتعلّقوا بها، فقذفوه، ﷺ، بالسِّحر والجنون والتتلمُذِ على يد الأعاجم، وما إلى ذلك من الاتهامات. وقد كان واقعُ حال النبي ﷺ، آنذاك يُكَذّبهم، ويدفعُ اتهاماتهم وشبهاتهم حتى إنّها لتبدو في صور الأباطيل المتهالكة التي لا يُلقى إليها بالٌ ولا تنال الكثيرَ من الاهتمام والرّواج.

الشّبهة الأولى ودفعها:

كان محمدٌ مُصَاباً بالصَّرع، وكان يُعَلِّلُ حالات الصَّرع التي تُصيبه بأنّها وحيٌ ينزلُ عليه من السماء بواسطة مَلَكٍ اسمه جبريل. وقد حدث ذات مرّةٍ أن غابت عنه حالات الصّرع الذي يُسميّه وحياً لفترةٍ غير قصيرةٍ فشرعَ محمدٌ في الانتحار.

---

[1] سورة الشورى: الآية ٣٩.

- هذه الشبهة مركّبةٌ من جزأين، أولها أنّ رسول الله ﷺ كان يُصاب بالصرع وثانيها أنّه، حاشاه، عليه قد شرع في الانتحار.

- أما عن أكذوبة إصابة النبي ﷺ بنوباتٍ من الصّرع فيكذبها ما يلي:

"إنَّ المريض بالصرع يُصاب بآلام حادّةٍ في أعضاء جسمه كافّة، يحسُّ بها عندما تنتهي نوبة الصرع، ويظل حزيناً كاسف البال، وكثيراً ما يحاول مرضى الصرع الانتحارَ من قسوة ما يعانون من الآلام. فلو كان ما يعتري النبيَّ ﷺ عند الوحي صرعاً، لَحَزِنَ لوقوعه ولَسَعِدَ بانقطاعه، ولكنَّ الأمر بخلاف ذلك. ثمّ إنّ الثابتَ علمياً أنَّ المصروع أثناء الصرع يتعطَّلُ تفكيرُه وإدراكه تعطُّلاً تاماً فلا يدري المريضُ في نوبته شيئاً عمّا يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه. والنبيُّ ﷺ بخلاف هذا كلّه كان يتلو على الناس، بعد انتهاء لحظات نزول الوحي، آياتٍ بيِّناتٍ وعظاتٍ بليغاتٍ، وتشريعاً مُحكَماً، وأخلاقاً عاليةً، وكلاماً بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، فهل يُعقلُ أن يأتيَ المصروعُ بشيءٍ من هذا؟؟"[١].

ثمَّ إنْ كان محمدٌ ﷺ مصاباً بالصرّع فلماذا سكتت عن ذلك نساؤه رضوان الله عليهنّ؟؟ ثم لِمَ اتّبَعهُ أحكمُ رجال قريشٍ وأعقلهم كالصدّيق والفاروق وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم؟؟ وقبل هذا كلّه وذاك فلماذا يسكت صناديدُ قريش من أعدائه عن ذلك، وهم الذين يتربّصون به ريب المنون آناء الليل وأطراف النهار؟؟ لماذا يسكتون وهم كانوا بانتظار ولو هفوةٍ أو زلّةٍ ليجعلوا منها مأخذاً عليه وعلى نبوّته؟؟ لعمري لو كان هذا صحيحاً لسَرَتِ الفضيحةُ في السرّ والعلن، ولسار بخبرها الرّكبانُ ولعِلمَ بها القاصي والداني. ولكنّها شمس الحق عندما تشرق فتغطيّ على كل نورٍ سواها، شمس الحقّ التي تشرقُ كلّ يومٍ على ما يزيد عن المليار والنصف من سكّان هذه الأرض الذين يؤمنون بدعوة هذا الحبيب المصطفى ﷺ.

- أمّا عن أكذوبة شروعه ﷺ في الانتحار، فقد بنى الكاذبون شبهتهم وفريتهم هذه على ما ورد في بعض كتب السِّيَرِ والتفسير من أنّ النبي ﷺ قد حزن حزناً شديداً لمّا فتر الوحي وأصابه ضيقٌ وألمٌ لذلك. فزعم المفترون أنّه عليه السلام قد فكّر بالانتحار وقتلِ

[١] الجبري، عبد المتعال، السيرة النبويّة وأوهام المستشرقين، ص ٥٩ بتصرف ، ط١، ١٩٨٨، مكتبة وهبة، مصر.

نفسه بسبب ذلك وأخذ يتنقّلُ في رؤوس الجبال ليُلقي نفسه من أعلاها، فنزل القرآن مُعاتباً له يقول "فلعلّك باخعٌ نفسك". وفسروا ذلك بقولهم: أي فلعلّك تقتلُ نفسك غمّاً!!! وكلام هؤلاء باطلٌ مردودٌ ليس له ما يدعمه من حديثٍ صحيحٍ ولا حسنٍ ولا حتّى ضعيف. وليس هناك تفسيرٌ عند أيٍّ من علمائنا الأفاضل يؤيّده، فقوله تعالى: **"فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا "[١]** يُجَسِّدُ وبكلِّ وضوحٍ حرص النبي ﷺ على هداية قومه ويُظهرُ تألُّمَهُ بسبب تكذيبهم له وصدّهم عنه، وذلك إشفاقاً منه عليهم بسبب ما ينتظرهم من عذاب الآخرة إن هم بقوا مصرّين على كفرهم وعنادهم.

فكيف فَهِمَ هؤلاء الزاعمون دلالةَ هذه الآية على محاولة النبيّ الانتحار ورغبته فيه لاندري!!! ثمّ كيف يُعقَلُ أن يقوم النبي بذلك وقد رَفَضَ الصلاة على رجلٍ قتل نفسه بنصلِ سهمٍ، وكذلك أخبرنا بأنّ المنتحرَ خالدٌ مُخلَّدٌ في نار جهنم!! روى الإمام النسائي[٢] في الجزء الرابع من سننه في كتاب الجنائز في (باب ترك الصلاة على من قتل نفسه) قال: "أخبرنا إسحق بن منصور قال أنبأنا أبو الوليد قال حدثنا أبو خيثمة زهير قال حدثنا سماك عن ابن سمرة أنَّ رجلاً قتل نفسه بمشاقص[٣]. فقال رسول الله ﷺ أمَّا أنا فلا أصلّي عليه. أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا خالد قال حدثنا شعبة عن سليمان سمعتُ ذكوان يُحدِّثُ عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: مَن تردّى من جبلٍ فقتلَ نفسه فهو في نار جهنم يتردى خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومن تحسَّى سُمّاً فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومَن قتلَ نفسه بحديدةٍ ثم انقطع عليَّ شيءٌ خالدٌ يقول كانت حديدتُه في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً".

---

(1) سورة الكهف: الآية ٦.

(2) انظر: أ. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السّيوطي ج٤، كتاب الجنائز، باب (ترك الصلاة على من قتل نفسه)، ص ٦٦، ٦٧، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت.

ب. صحيح البخاري كتاب الطب، باب شرب السمّ والدواء به وما يُخاف منه والخبيث.

(3) المشاقص: نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض.

ونقول تأكيداً على ما سبق: إن كان النبي ـ ﷺ ـ قد رفض الصلاة على من مات منتحراً فكيف يُعقل أن يكون عليه السلام قد شرع في الانتحار؟؟ لعمري إنه كلام تقشعر له الأبدان.

الشّبهة الثانية ودفعها:

إن كان محمدٌ يزعمُ أنّ كتاباً أُنزِلَ عليه من السّماء، فإنّ هذا الكتاب عينَه يُخبرنا أنّ محمداً كان مُذنباً (واستغفِرْ لذنبكَ) كما يُخبرنا هذا الكتاب كذلك أنّ محمداً كاد أن يُفتنَ (وإن كادوا ليفتنونك).

- هذه الشبهة هي الأخرى مركبّةٌ من جزأين أولهما اتّهامُ الرسول ـ ﷺ ـ بارتكاب الذنوب وثانيهما اتّهامه بأنّه كاد أن يُفتنَ.
- أمّا عن شبهة ذنوب النبي ﷺ فتفنيدها هو التالي:

من الطبيعيّ والمتوقَّع أن يقودَ أخذُ الآيات الكريمة السابقة على ظاهرها إلى فهمٍ غير صحيحٍ لها، حيث أنّ المعنى الظاهر هنا يُعارِضُ عصمةَ الله تعالى لأنبيائه ورسله عن الوقوع في المعاصي والآثام والذنوب، إذ لا يصلُحُ مذنبٌ وآثمٌ وعاصٍ لأن يكون قدوةً للناس يأخذ بيدهم إلى الخير والفلاح ويقودهم لتطبيق تعاليم شرع الله تعالى "فذنبُ الرسول ﷺ ليس ذنباً حقيقياً، قائماً على فعل المعصية، وإنما هو ذنبٌ معنويٌ يقوم على نوعٍ من تركِ الأَولى، والسهو والغفلة والنسيان، الذي لا يؤدي إلى ترك واجبٍ أو فعلِ محرَّمٍ. وقد يفعل الرسول ﷺ خلافَ الأَولى، فيعاتبه الله، وقد يمر بحالةٍ من السهو اليسير أو الغفلة البسيطة، فيتداركه الله، وهذا نوعٌ من التقصير، يستدعي أن يستغفرَ اللهَ منه، ليبقى ﷺ في كامل تألُّقه وارتقائه. وقديماً قيل: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين. إنَّ استغفار الرسول ﷺ وتوبته نوعٌ من أنواع ذكره الله، وعلى هذا قوله ﷺ: "إنه ليُغانُ على قلبي فأتوبُ إلى الله واستغفره في اليوم مئة مرة" فاستغفاره لله صورةٌ من صور ذكره وشكره له"(١).

(١) الخالدي [م. س]، ص ٦٩٠.

وعلى ذلك يكون الأمر بالاستغفار أن يستغفر النبي ﷺ من الأمور التي اجتهد فيها، من غير وحيٍ إليه فيها، فترَكَ الأولى (الأحسن) وأخَذَ بالحَسَنِ وكان من أمثلة ذلك أنه عليه الصلاة والسلام قد أَذِنَ لبعض المنافقين بالتخلُّف عن إحدى الغزوات والقعود عن الجهاد، وكذلك قبوله ـ عليه السلام ـ أخذ الفدية من أسرى معركة بدرٍ، وكذلك أيضاً عندما عبسَ وجهُهُ عليه الصلاة والسلام، وأعرضَ لأَجَلٍ عن عبد الله بن أم مكتوم في وقتٍ كان منشغلاً فيه، عليه السلام، بعرض الإسلام على بعض كبار وأشراف غير المسلمين. وبالعودة لقوله تعالى: " **لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** "(1) فإننا نذكِّر هؤلاء الذين أجروها على معناها الظاهر فاتَّهموا الحبيب المصطفى بارتكاب الذنوب والآثام بأنّه لو كان مذنباً ـ كما يظنّون ويزعمون ـ لَمَا أيّده اللهُ تعالى بنصره وتوفيقه، ولَما أتمّ عليه نعمته وهداه صراطاً مستقيماً، فهذه كلها أمورٌ لا تنبغي للمذنبين والعصاة والآثمين أبداً.

لقد كان من الجدير بهؤلاء الرهبان المستشرقين القدامى والمعاصرين الذين يتّهمون الحبيب المصطفى بارتكاب الذنوب ـ التي لا زالوا غير قادرين حتّى هذه السّاعة على إثبات واحدٍ منها ـ كان من الجدير بهم الالتفات إلى كتابهم المقدّس الذي وَسَمَ أنبياء الله تعالى بكُلِّ مالا يليق بهم من أوصافٍ قبيحةٍ وذنوبٍ عظيمةٍ، حيث نسب إلى الكثيرين منهم الكذب والسُّكر وزنا المحارم والرّقص عُراةً والأمر بممارسة القتل والإبادة الجماعيّة!!!.

ـ وأما عن شبهة "كاد محمدٌ أن يُفتنَ" فتفنيدُها ما يلي:

إنَّ هذه الشبهة مبنيةٌ على فهمٍ خاطئٍ وتفسيرٍ مغلوطٍ لقوله تعالى: " **وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا** "(2). وقبل الشروع في إيراد التفسير الصحيح لهاتين الآيتين الكريمتين نشيرُ إلى أنّ

(1) سورة الفتح: الآية ٢
(2) سورة الإسراء: الآيتان ٧٣، ٧٤.

فيها ردّاً صريحاً ومباشراً على كُلِّ أولئك الذين اتّهموه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنّه جاء بالقرآن من عنده وأنّه المؤلِّف الحقيقيّ له. لأنّه لو كان كذلك، حاشاه، فلماذا يكتبُ آياتٍ يُعاتبُ نفسه فيها؟؟؟

وقد ذكر المفسّرون أسباباً متعدّدةً، ولكنها متقاربةٌ في معناها، لنزول هاتين الآيتين الكريمتين، وقد ساقها الإمام السيوطي، رحمه الله، في تفسيره، وكان من أبرزها ما يلي[1]:

١. أخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن عباسٍ قال: إنّ أميّةَ بن خلف وأبا جهل بن هشام ورجالاً من قريشٍ، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تعال فاستلم آلهتنا وندخل معك في دينك. وكان رسول الله ﷺ يشتدُّ عليه فراقُ قومه ويحبُ إسلامهم، فرقَّ لهم فأنزلَ الله "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ .. " إلى قوله " نَصِيراً".
٢. وأخرج ابن مردوية من طريق الكلبي، عن باذان عن جابر بن عبد الله مْثِلَهُ.
٣. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر فقالوا: لا ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا. فقال رسول الله ﷺ: وما عليَّ لو فعلتُ واللهُ يعلم منّي خلافه؟ فأنزل الله "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ .. " إلى قوله " نَصِيراً".
٤. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا طاف يقول له المشركون: استلم آلهتنا كي لا تضرَّك فكاد يفعل فأنزل الله "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ" .. الآية.
٥. وأخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه، أنَّ قريشاً أتوا النبي ﷺ فقالوا له: إنْ كنتَ أُرْسِلْتَ إلينا فاطرد الذين اتّبعوكَ مِنْ سقاط الناس ومواليهم لنكونَ نحن أصحابك. فركن إليهم فأوحى الله إليه "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ" .. الآية.
٦. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجّلْنا سنةً حتى نهدي لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهدى للآلهةِ أحرزناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة. فَهَمَّ أن يُؤجِّلَهم فنزلت "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ" .. الآية.

---
[1] السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدرُّ المنثور في التفسير المأثور، ط١، ج ١٥، ص ١٣٨، ٣١٩ بتصرف، ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت.

وخلاصة هذه المعاني والتفسيرات والأسباب السابقة هو: يا محمّدُ لقد قاربتَ أن تستجيبَ لما عرضوه عليك ولكنّك لم تفعل وذلك بسبب عصمة الله لك وتثبيته إيّاك. وكاد المشركون أن يفتنوا النبي ﷺ لكنّه لم يُفتن وذلك لعصمة الله تعالى وحمايته له.

الشبهة الثالثة ودفعها:

يتَّبعُ المسلمون رجلاً مسحوراً اسمه "محمد". وقد ذكرت التعاليمُ التي كان محمدٌ يلقّنُها لأصحابه والمُسَمّاة "الحديث النبويّ" أنّ محمداً قد سُحِرَ وأنّ يهوديّاً هو الذي قام بذلك.

ممَّا لا شكَّ فيه أنّ هذه واحدةٌ من الشّبهات الخطيرة التي أثارها الرهبان المستشرقون وتكمنُ خطورة هذه الشبهة في القول بأنّ كلَّ ما جاء به من آياتٍ قرآنيةٍ إنّما هو ناجمٌ عن السِّحر الذي أصابه وذَهبَ بعقله، فهو مسحورٌ في كلِّ ما يصدرُ عنه من أقوالٍ وأفعالٍ.

- وتفنيدُ هذه الشّبهة والردّ عليها وتوضيح ما حدث هو التالي: لقد حاول بعض العلماء الأفاضل، كالجصّاص (في كتابه أحكام القرآن) والقاسميّ في تفسيره، إنكارَ هذا الحديث لتكون الشبهة مردودةً تلقائياً لأنّها مبنيةٌ عليه. والصَّواب أنّ الحديث الذي ذكر سحرَ النبيّ ﷺ حديث صحيحٌ ذكره الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه في كلٍّ من كتاب بدء الخلق وكتاب الأدب وكتاب الجزية، ورواياته هي التالية:

١. صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب قوله الله سبحانه: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" حدَّثنا الحميدي حدّثنا سفيان حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: مكثَ النبي ﷺ كذا وكذا يُخَيَّلُ إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي. قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: يا عائشة إنّ الله أفتاني في أمرٍ استفتيتُه فيه. أتاني رَجلان فجلس أحدهما عند رِجلي والأخر عندَ رأسي فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بالُ الرجل. قال: مطبوب يعني مسحوراً قال: ومَن طَبَّهُ قال: لبيد بن أعصم قال: وفيم. قال: في جُفّ طلعة ذكرٍ في مُشطٍ ومُشاقةٍ تحت رعوفةٍ في بئر ذروان فجاء النبي ﷺ فقال: هذه

البئر التي أريتُها كان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين وكأنّ ماءها نقاعةُ الحناء فأمر به النبي ﷺ فأخرج قالت عائشة: فقلتُ يا رسول الله: فهلا تعني تنشَّرتَ فقال النبي ﷺ: "أما الله فقد شفاني وأمّا أنا فأكره أن أُثير على الناس شراً" قالت: ولبيد بن أعصم رجلٌ من بني زريقٍ حليفٌ ليهود.

٢. صحيح البخاري كتاب (بدء الخلق) باب صفة إبليس وجنوده ... حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى عن هشام عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سُحِرَ النبيُّ ﷺ. وقال الليث: كتبَ إلي هشامٌ أنه سمعه ووعاه عن أبيه عن عائشة قالت: سُحِرَ النبيُ ﷺ حتى كان يخيَّلُ أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتّى كان ذات يومٍ دعَا ودعا، ثم قال: أشعرتِ أنَّ الله أفتاني فيما فيه شفائي. أتاني رَجلانِ فقعَدَ أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجعُ الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومَن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم قال: فيما ذا؟ قال: في مُشطٍ ومشاقةٍ وجُفِّ طلعةٍ ذكرٍ قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فخرج إليها النبي ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين فقلتُ: استخرجتَه فقال: لا "أمّا أنا فقد شفاني الله وخشيتُ أن يُثيرَ ذلك على الناس شراً ثم دُفِنَتْ البئرُ".

٣. صحيح البخاري كتاب (الجزية) باب هل يُعفى عن الذميّ إذا سَحَر ... حدثني محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا هشام قال: حدثني أبي عن عائشة أنَّ النبيّ سُحِرَ حتّى كان يُخَيَّلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه.

وبعد إيرادنا لهذه الأحاديث نقول: من المعلوم أننا إذا أردنا استخراج حكم مسألةٍ ما، فإننا نجمعُ الروايات الواردة فيها لنَخرجَ من مجموعها بفهمٍ صحيحٍ متكامل. لقد ركَّز المستشرقون والطاعنون على عبارةٍ في الأحاديث السابقة هي (وكان يخيلُ إليه أنّه صنع شيئاً ولم يصنعه) وتناسوا عبارة (كان يخيّلُ إليه أنّه يأتي أهله ولا يأتي) والتي هي مفتاحُ الفهم الصحيح للقصَّة كلّها، والتي تتلخّص في أنّ السِّحّر تعلّق بموضوع إتيان النبي ﷺ لزوجاته مع أنه لم يأتهنّ، وهذا الأمر لا علاقة له بالوحي ولا بالرسالة التي بعثه اللهُ بها من قريبٍ ولا من بعيدٍ. "فالإنسان قد يأخذ قرصاً معيناً من الدواء فلا يستطيع أن يأتي أهله، أو قد يكون مُتعباً نفسياً أحياناً، فلا يستطيع أن يأتي أهله، وكل هذه الأمراض التي لها علاقة بالصفات البشرية، وليس لها علاقة بالوحي والرسالة، فالنبي ﷺ معصومٌ في تأديته للرسالة، ومن

المستحيل أن يزيغ عن الوحي أبداً"[١]. قال القاضي عياض، رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مُبيِّنةً أنّ السحر إنّما تسلَّطَ على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده[٢].

ولعلّ اتهامات الرهبان المستشرقين هذه للنبيّ محمدٍ ﷺ بأنّه مسحورٌ تتعارض مع اتهاماتٍ سابقةٍ لأسلافهم زعموا فيها أنّ محمداً ساحرٌ مُحترِفٌ وأنّ ممارسته للسحر كانت السّببَ المباشر وراء سُرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه بُسرعةٍ عجيبةٍ.

ثم لماذا لم يذكر هؤلاء الطاعنون عبارة أمّا "أنا فقد شفاني الله" التي وردت على لسانه ﷺ في الحديث السابق والتي كانت نهايةً للحادثة؟؟؟ إنها العقلية الانتقائية المريضة التي تحاول الاستدلال الخاطئ بنصٍّ صحيحٍ على أمر خاطئٍ، واتّباعٌ لمنهج (فلا تقربوا الصلاة) أو (فويلٌ للمصلّين)! ثم كيف يُعقلُ أن يُقالَ "إنّ محمداً مارس السحر"، في الوقت الذي عَدَّ فيه هذا الرسولُ الكريم ﷺ السّحرَ من السّبع الموبقات المهلكات؟؟ حيث قال: "اجتنبوا الموبقات: الشّركَ بالله والسِّحرَ"[٣]. وحين قال ﷺ: "اجتنبوا السّبعَ الموبقات. قِيلَ يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: الشرك بالله والسَّحَر ... الحديث"[٤]. وقد ذكر الإمام النووي، رحمه الله تعالى، في شرحه لهذا الحديث الشريف "ومذهب الجماهير أنَّ السحر حرامٌ من الكبائر فعله وتعلُّمه وتعليمه"[٥].

الشّبهة الرابعة ودفعها:

كيف يُسمّي محمدٌ نفسه أوّلَ المسلمين، والقرآن الذي بين يديه يذكر أنّ إبراهيم كان حنيفاً مُسلماً؟؟ ومعلومٌ أنّ إبراهيم عاش قبل محمدٍ بمئات السّنوات!!!

---

[١] مُرسي [م. س] ص ١٥، بتصرّف.

[٢] صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي، كتاب السلام، باب السحر، ج٧، ص ٣٥١، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة.

[٣] صحيح البخاري، [م. س]، كتاب الأدب، باب الشرك والسّحر من الموبقات.

[٤] صحيح مسلم، [م. س]، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.

[٥] المرجع السابق نفسه ج١، ص ٢٩٢.

- يحاول هؤلاء الرهبان المستشرقون الطاعنون أن يُوهموا الناس بوجود التناقض في القرآن الكريم. ويحاولون أن يضربوا القرآن الكريم بعضه ببعضٍ ليخرجوا بتناقضٍ يُثبتُ بشريّة مصدره وأنّه من عند محمدٍ وليس موحىً به.

- والجواب على هذه الشبهة ما يلي: لقد ذكر القرآنُ الكريم أنّ إبراهيم عليه السلام كان مُسلماً، قال تعالى: **"مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ"[1]**. كما ذكر القرآنُ الكريم كذلك قوله تعالى على لسانِ محمدٍ ﷺ بأنّه أولُ المسلمين، قال تعالى: **" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ"[2]** والإجابة على ذلك تُخبرنا بها كتبُ التفسير، حيث ذكر معظمها أنّ معنى قوله (وأنا أولُ المسلمين) أي أولُ المسلمين من هذه الأمّة[3]، فالنبي ﷺ هو أولُ مَن انقاد لله تعالى من أمّته ـ عليه السلام ـ وهو يخبرنا ويُعلّمنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا أصبحنا أن نقول "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبيِّنا محمدٍ وملّةِ إبراهيم حنيفاً مُسلماً وما كان من المشركين"[4]. وهذا الحديث الشريف واضحٌ تماماً في الدلالة على أننا ورسولنا المصطفى ﷺ مِن قَبلنا مُعْتنقون لدين إبراهيم الحنيف الموحِّد عليه السلام، وهذا الدين هو الإسلام.

الشّبهة الخامسة ودفُعها:

إنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ، على خلاف موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل. وفي هذا دليلٌ واضحٌ على عدم صدق نبوّته، بل إنَّ القرآن الذي جاء به محمدٌ للناس

---

(1) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(2) سورة الأنعام: الأيتان ١٦٢، ١٦٣.

(3) انظر على سبيل المثال السيوطي [م. س] ج٣، ص ٤١٠.

(4) رواه الإمام السيوطي في جمع الجوامع الجامع الكبير في الحديث، والجامع الصغير وزوائده، المجلد الأول، الحديث رقم (٣١٦٧)، وقد صححه الالباني، انظر صحيح الجامع (٤/٢٠٩).

يقول، وبكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ "وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ "[1].

- يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يدركون حقيقةً مفادها أنّ الله تعالى هو الذي يؤيِّدُ الرسل بالمعجزات، وأنَّ الرّسلَ عليهم السلام لا يقدرون على الإتيان بالمعجزات من تلقاء أنفسهم، ويشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى: " وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ "[2].
واستشهادهم بالآية السابقة من سورة الاسراء "وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ" باطلٌ تماماً، فهذه الآية الكريمة لا تُلغي الآيات المعجزات ولا تنفي فائدتها على الإطلاق "وإنما تنفي استجابة الله لطلب المشركين إنزال الآيات. فلم يستجب الله لهم، ولم يُنزل الآياتِ التي طلبوها؛ لأنه يَعلمُ أنه لو أنزلها كما طلبوا فإنهم لن يؤمنوا بها، وبعد ذلك سيعذّبُهم ويهلكهم، ولذلك لم يستجب الله لهم رحمةً بهم، لئلا يُعذّبهم ... وليس معنى هذا أنَّ الله لم يُنزل الآيات على النبي ﷺ ولا على غيره من الأنبياء السابقين"[3].

ومن الواضحُ أنّ هذه الشبهة قائمةٌ على الكذب الخالص، وذلك لأنّ كتاب الله العزيز، والأحاديث النبويّة الشريفة، والأخبار المتواترة، التي جمعها علماؤنا ذكرت الكثير الكثير من هذه المعجزات، والتي منها على سبيل المثال:

١. القرآن الكريم: وهوأعظم هذه المعجزات على الإطلاق، ولئن زَعَمَ الرهبان المستشرقون ومن وافقهم من الطاعنين ضعف نصوص القرآن وتعارضها مع بعضها البعض وإنّها من عند محمدٍ ﷺ، فإنّ التحدي بهذا القرآن لا يزال قائماً حتى قيام الساعة، وهم مُطالَبون بالإتيان ولو بعشر سورٍ مفترياتٍ تصلُحُ لأن تُقابَلَ بسور القرآن الكريم وآياته. ولا زال التحدّي للخلق على الإتيان بمثل القرآن الكريم قائماً حتى هذا العصر، عصر الحاسوب والإنترنت والاختراعات والاكتشافات العلميّة على مدار السّاعة. ألا فليأتوا بمثل ذلك إن استطاعوا.

[1] سورة الاسراء: الآية ٥٩.
[2] سورة الرعد: الآية ٣٨.
[3] الخالدي، [م. س]، ص ٦٩٧.

٢. معجزة انشقاق القمر، قال تعالى: "**ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ** "[١] وقد كان هذا الانشقاق للقمر الذي حدث في زمن رسول الله ﷺ معجزةً للنبيّ وآيةً دالةً على صدق نبوّته، وتوضيحُ ذلك وارد في صحيح الإمام البخاري، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً، الذي جاء فيه[٢]: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضّل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه "إنّ أهل مكّة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آيةً فأراهم القمر شقّين، حتى رأوا حِراءَ بينهما". ويُفهُم من مجموع روايات الحديث الشريف السابق أن هذا الانشقاق استمرّ ما يقارب الساعة من الزمن. ولئن أنكر الرهبان المستشرقون والطاعنون المعاصرون صحّة وقوع ذلك فإننا نحيلهم إلى الموقع الإلكتروني http://the-moon.wikispaces.com. الذي نشر صورةً للقمر كانت قد التقطتها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) والتي يظهر فيها وبكلٍّ وضوحٍ ما تبقّى من آثار التئام هذا الانشقاق ويبلغ طوله مسافة ثلاثمائة كيلو متراً أي ما يعادل ١٨٦.٤ ميلاً[٣]. بكُلِّ جلاءٍ ووضوح.

وما من شكٍّ أنّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانا المصدرين اللذين ذكرا حادثة بل معجزة انشقاق القمر آنذاك. وهنا نتوجّه بالسؤال للرهبان وللطاعنين فنقول: هذا اكتشافٌ علميٌ معاصِرٌ، وكان القرآن الذي جاء به محمدٌ ﷺ قد أخبرنا به قبل مئات السنوات فبماذا تجيبون على ذلك؟؟ ليسَ هناك سوى إجابةٍ واحدةٍ إنّها النبوَّةُ. ولقد آثرنا ههنا التركيز على ذكر معجزة انشقاق القمر لأنها معجزة ماديّةٌ حسيّةٌ تحاكي فهم هؤلاء الرهبان الطاعنين للمعجزة إذ أنها عندهم لا تتجاوز حدود المادة والحسّ.

لن نُطيل في ذكر وتفصيل المعجزات التي ذكرها القرآن الكريمُ والتي أجراها الله تعالى إظهاراً لصدق نبوّةِ محمدٍ ﷺ ولكننا سنذكر، وعلى عجالةٍ، بعض هذه المعجزات والنبوءات والأخبار الصحيحة الإسناد التي حدثت بعده، عليه الصلاة والسلام، وكلّها شواهدٌ على معجزاته في الإخبار عن الغيب الذي سيقع ثمّ وقع، ومن ذلك[٤]:

---

[1] سورة القمر، الآية ١.

[2] صحيح البخاري، [م. س] كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر.

[3] انظر الصورة والقياسات والتقرير المرفق معها على موقع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) التالي:
www.nasa.gov/mission-payes/LRO/multimeaia/iromageslroc-20090928-ariadaeus.html

[4] مُرسي [م. س]، ص ٤١٨، ٤١٩، بتصرف.

١. أخبر ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم، بفتح بيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق، وقد وقع ما أخبر به ﷺ.

٢. أخبر ﷺ أنَّ الإسلام سوف يسود حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، وقد وقع ما أخبر به ﷺ.

٣. أخبر ﷺ أنّ خيبرُ تُفتحُ على يد عليٍّ، رضي الله عنه، في غد يومه، وقد فُتحتْ على يد عليٍ رضي الله عنه كما أخبر ﷺ.

٤. أخبر ﷺ أنَّ المسلمين يقسّمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وقد فتح المسلمون تلك البلاد، وقسَّموا كنوز ملوكها كما أخبر ﷺ، فأخذ سراقة بن مالك رضي الله عنه وغيره ما وعدهم به النبي ﷺ.

٥. أخبر ﷺ أنّ عثمان بن عفان رضي الله سيُقتلُ وهو يقرأ القرآن، وقد كان كما أخبر.

٦. أخبر ﷺ أنَّ عمار رضي الله عنه تقتلهُ الفئةُ الباغية، فوقع كما أخبر النبي ﷺ.

٧. أخبر ﷺ أنّ الموتان أي: الوباء (الطاعون) يكون بعد فتح بيت المقدس، وقد وقع في خلافة عمر، رضي الله عنه، بعمواس في بلاد الشام من قرى بيت المقدس، وبها كان عسكره، وهو أول طاعونٍ في تاريخ الإسلام، مات على أثرهِ عددٌ كثيرٌ منهم لا يقلُّ عن سبعين ألفاً.

٨. أخبر ﷺ أنّ فاطمةَ بنت النبي ﷺ أولُ أهلهِ لحوقاً به بعد موته، فماتت ـ رضي الله عنها ـ بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ، فكانت أول آلِ بيت النبي وفاةً بعده ﷺ.

٩. أخبر ﷺ أنّ الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ سَيّدٌ يُصلحُ الله على يده بين فئتين من المسلمين تقتتلان، وقد حدث ما أخبره به ﷺ.

الشّبهة السادسة ودفعها:

لو كان محمدٌ رسولاً لما ماتَ مسموماً ولما تحلَّلَ جسده حتّى تعفّن

- تتكوّن هذه الشبهة من جزأين، أولهما أنّه ﷺ مات مسموماً، وثانيهما أنّ جسده تحلَّلَ وتعفَّنَ بعد موته.
- أمّا عن تفصيل القول في الجزء الأول من هذه الشبهة فلا نُسَلِّمُ به أبداً. نعم، أكل النّبيُ من شاةٍ مسمومةٍ قدّمتها له يهوديةٌ بخيبر، لكنّه لم يمت من ذلك بل مات ﷺ بعد ما يزيدُ على الثلاث سنوات بعد غزوة خيبر[1]. وقصّة أكله، عليه السلام، من الشاة المسمومة ذكرها الإمام البخاري في صحيحه عند حديثه عن غزوة خيبر، كما ذكرها الإمام أبو داود في سننه في كتاب الدّيات فقال[2]: حدثنا وهب بن بقية في موضعٍ آخر عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ولم يذكر أبا هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة. زادَ فأهدَتْ له يهوديةٌ بخيبر شاةً مصليةً سَمَّتْها فأكل رسولُ الله منها وأكل القوم فقال: "ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة". فمات بِشرُ بن البراء بن معرور الأنصاري فأرسل [الرسول ﷺ] إلى اليهودية ما حَملكِ على الذي صنعتِ؟ قالت إنْ كنتَ نبياً لم يضرك الذي صنعتُ وإن كنتَ ملكاً ارحتُ الناسَ منك فأمر بها رسول الله ﷺ فَقُتِلَتْ ثم قال في وجعه الذي ماتَ فيه ما زلتُ أجدُ من الأكلة التي أكلتُ بخيبرَ فهذا أوانُ قَطَعَتْ أبْهَري.

وقد ورد في بعض الروايات الأخرى أنّ هذه المرأة اليهودية قد سَأَلَت عن أيِّ عضو أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت السُّمَّ فيها، ثم سمّمت الشاة ... والوجه الصحيح الذي تُفهمُ هذه الحادثة بناءً عليه هو التالي:

إنَّ رسول الله ﷺ لم يَمُتْ بتأثير السمِّ، ولو مات بتأثير السمِّ لمات فوراً، أو بعد ساعات أو أيام أو أشهر، مثل بشر بن البراء الذي مات فوراً. وقد عاش رسول الله ﷺ بعد حادثة السم أكثر من ثلاث سنوات!.

"صحيح أنه بلغ أثر السم، لكنَّ هذا الأثر لم يُؤدِّ إلى وفاته، لأنّ الله تكفل بحمايته وعصمته من الأعداء، فكم حاول الأعداء اغتياله وقتله، ولكنَّ الله عصمه وحماه، وأخبره عن

---

[1] وقعت خيبر في شهر محرم في العام الهجري السابع، بينما كانت وفاته ﷺ في شهر ربيع الأول في العام الحادي عشر للهجرة.
[2] انظر سنن أبي داود، كتاب الدّيات، باب (فيمن سقى رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمات أيُقادُ منه).

ذلك في قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ "[1]. وصحيحٌ أنّ رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: "ما زلتُ أجدُ أثر السم الذي قُدِّمَ لي في خيبر" وأنه قال لها أيضاً: "هذا أوانُ انقطاع أبهري". وهذا معناه أنّه كان يمرضُ من أثر ذلك السم، وكان أكبر الأثر على أبهره، وهو وريده، لكن فرقٌ بين أن نقول: كان يمرضُ من أثر السم، وبين أن نقول: مات مُتأثّراً بالسم"[٢].

- أمّا عن زعم الرهبان المستشرقين والطاعنين بأنه ﷺ قد تحلَّلَ جسدُه وتعفّن بعد موته، فمسألةٌ خطيرةٌ، وقد بنى هؤلاء هذه الشبهة على حادثةٍ رواها الإمام الداريّ، رحمه الله تعالى، في سننه في باب وفاة النبي ﷺ، هذا تفصيلها كاملاً:

"أخبرنا سليمانُ بن حرب حدَّثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: تُوفِّي رسول الله ﷺ يوم الاثنين فَحُبِسَ بقية يومه وليلته والغد حتى دُفِنَ ليلة الأربعاء، وقالوا: عن رسول الله ﷺ لم يَمُتْ ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِجَ بروح موسى، فقام عمر فقال: إنّ رسول الله ﷺ لم يَمُتْ، ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِجَ بروح موسى، والله لا يمت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. فلم يزل عمرُ يتكلَّم حتى أزبد شدقاه مما يوعد ويقول، فقام العباس فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد مات وإنه لبشرٌ، وإنه يأسنُ كما يأسن البشر. أيْ قَومِ، فادفنوا صاحبكم فإنّهُ أكرمُ على الله من أن يُميته إماتتين أيميتُ أحدكم إماتةً ويُميته إماتتين، وهو أكرم على الله من ذلك؟ أيْ قومِ فادفنوا صاحبكم، فإن يكُ كما تقولون فليس بعزيزٍ على الله أن يُبحثَ عنه التراب. إنَّ رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، فأحلَّ الحلال وحرَّم الحرام، ونكح وطَلَّقَ وحارب وسَالَمَ، ما كان راعي غَنَمٍ يتبعُ بها صاحبُها رؤوسَ الجبال يَخبُطُ عليها العِضاهَ بمخبطهِ ويمدرُ حوضها بيده بأنصَبَ ولا أدابَ من رسول الله ﷺ كان فيكم. أيْ قومِ فادفنوا صاحبكم. قال: وجعلتْ أمُ أيمن تبكي فقيل لها يا أم أيمن تبكي على رسول الله ﷺ؟ قالت: إني والله ما أبكي على رسول الله ﷺ أنْ لا أكونَ أعلمُ أنَّه

---

[1] سورة المائدة: الآية ٦٧.

[2] الخالدي [م. س]، ص ٧١٢، بتصرف.

قد ذهب إلى ما هو خيرٌ له من الدنيا، ولكنّي أبكي على خبر السماء انقطع. قال حمّادٌ: خنقتِ العَبْرَةُ أيوبَ حين بلغ ها هنا"[١].

ولعلّ أبرز عبارةٍ واردةٍ في هذه الرواية ركّز عليها الرهبان هو قول العبّاس رضي الله عنه وأرضاه "إنّ رسولَ الله ﷺ قد ماتَ وإنهُ يأسنْ كما يأسنُ البشرُ أي قوم، فادفنوا صاحبكم". ومن الواضح لكلّ ذي فهمٍ سليمٍ أن قول العباس، رضي الله عنه، السابق ليس إخباراً عن أمرٍ قد وقع أو عن وصفٍ لجسد رسول الله ﷺ بعد وفاته. وإنما هو ظنٌّ منه بأنّ ما يسري على سائر الأجساد يسري على جسده ﷺ بعد الموت. وقوله هذا ومن دون أدنى شكٍّ يُثبتُ عدم سماعه لقول رسول الله ﷺ "فإن الله عزُ وجلّ قد حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"[٢]. "وقد قال هذه المقولة ترهيباً وتنبيهاً لعمر، رضي الله عنه، حين رفض قبول مصيبة موت رسول الله فضلاً عن دفن جسده الكريم، وصرخ من هول المصيبة متوعداً يقول: إنّ رسول الله ﷺ قد مات.

إذاً جسد رسول الله لم يكن قد أَسنَ، وإنما طالب العباسُ ـ رضي الله عنه ـ بدفن البدن الشريف إكراماً له وترهيباً من تركه حتى يأسن اعتقاداً منه أنَّ ذلك محتَمَلٌ مع رسول الله ﷺ بحكم بشريته وطبيعته الإنسانية. و"الملاحَظُ أيضاً أنّ هذا الحديث مُرسَلٌ منقطعُ السند لا يصحُّ ومع ذلك كانت أجابتنا على الشبهة بفرض صحته"[٣].

---

[1] الدرامي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، سنن الدارمي، تحقيق د. مصطفى البغا، ج١، ص ٤٢، ٤٣، ط١، ١٩٩١، دار القلم، دمشق. وقد وردت هذه الحادثة في باب (في وفاة النبي) رقم ٨٣، وهو من الأبواب التي وردت في مقدمة الكتاب قبل البدء بكتبه والتي كان أولها كتاب الطهارة.

[2] انظر أ. القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث ١٠٨٥، باب رقم ٧٨ (فضل الجمعة) ج١، ص ٣٤٥، ط١، المكتبة العلمية، بيروت.

ب. السّجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق عادل مرشد وسليم عامر، رقم الحديث ١٠٤٧، ص ١٧٤، ط١، ٢٠٠٣، دار الأعلام، عمان.

[3] مُرسي [م. س]، ص ١٢ بتصرف.

الشّبهة السابعة ودفعُها:

كان محمدٌ ضالاً على غيرِ هُدىً، والقرآن الذي جاء به يشهدُ على ذلك **"وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ "[1].**

- مِن المضحِك في سلوك هؤلاء الرهبان الطاعنين أنهم يرجعون للتفسيرات التي لربّما وافق بعضها هواهم، فإن لم يجدوا شيئاً من ذلك فإننا نراهم يذكرون النصَّ ولا يوردون تفسيره أبداً. ومن ذلك ذكرهم للآية الكريمة السابقة دون إيراد أيٍّ من أقوال العلماء في تفسيرها. ودورنا هنا يقتصرُ على إيراد بعض هذه التفسيرات شبه المتطابقة لهذه الآية، ومنها:

١. فسّرها الطبري[2] بـ "وجدكَ في قومٍ ضُلاَّلٍ فهداك".
٢. فسّرها الزمخشري[3] بـ "ضالاً عن عِلم الشرائع".
٣. فسّرها السيّوطي[4] بـ "ووجَدكَ بين ضالّين فاستنقذك من ضلالتهم".
٤. وفسَّرها صاحب التفسير الميسَّرِ بـ "ووجدكَ لا تدري ما الكتاب والإيمان فعلَّمكَ ما لم تعلم ووفّقك لأحسن الأعمال".

ونرتأي في معرض حديثنا عن شبهة وفرية ضلال النبيّ، وما سبق أن ذكره الرهبان الطاعنون سابقاً من ارتكابه للذنوب والمعاصي، نرتأي أن نلفتَ نظر القارئ الكريم إلى أنّ صدور هذه الاتهامات ومثلها عن هؤلاء الرهبان أمرٌ غيرُ مُستغرَبٍ أبداً؛ فهم يؤمنون بالكتاب المقدّس كلِّه بعهديه القديم والجديد، وبما اشتمل عليه من العجائب والقبائح التي أُلصقت بالأنبياء المذكورين فيه. ولنستعرض منها على سبيل المثال، لا الحصر، ما يلي:

١. كان نوحٌ يشرب الخمر ويسكر ويتعرّى! "وابتدأ نوحٌ يكون فلاحاً وغرسَ كرماً وشرب من الخمر فَسَكَرَ وتعرّى داخل خبائه"[5].

---

[1] سورة الضحى: الآية ٧.
[2] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد ١٢، ص ١٤٩، ط١، دار المعرفة، بيروت.
[3] الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٤، ص ٧٦٨، ط١، ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.
[4] السّيوطي [م. س]، المجلد الثامن، ص ٥٤٤.
[5] التكوين: ٩: ٢٠ – ٢١.

٢. ارتدَّ سليمان في آخر حياته عن عبادة الله تعالى! "وكان في زمن شيخوخة سليمان أنّ نساءه أملنَ قلبه وراء آلهةٍ أخرى ولم يكن قلبهُ كاملاً مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه"[١].
٣. شربَ لوطٌ الخمرَ وزنا بابنتيه! "فحبلت ابنتا لوطٍ من أبيهما"[٢].

ومن المدهش في نهاية حديثنا عن فهم هؤلاء للعصمة ولضلالات الأنبياء أن نُذَكِّر بما يعتقدونه من ثبوت العصمة "للبابوات"، وهو الأمر الذي لا زال مثارَ شكٍّ واستهجانٍ إلى يومنا هذا!! ولكي نبرهن على صحّة معتقدنا ببطلان عصمة هؤلاء "البابوات" فإننا نسوق بين يدي القارئ الكريم نماذج من ممارسات هؤلاء الذين يؤمُن الرهبان بعصمتهم في الوقت الذي ينفونها عن الحبيب المصطفى ﷺ ومنها[٣]:

١. حَكَمَ البابا أدريان الثاني بجواز الزواج المدني، ثم جاء بعده البابا بيوس الرابع فحكم ببطلانه.
٢. قال البابا غريغوريوس الأول: إنَّ أيَّ إنسانٍ يرضى بلقب "البابا العالمي" فإنه ضِدُّ المسيح. وجاء بعده البابا يونيافس الثالث فأرغم الإمبراطور على أن يخلع عليه هذا اللقب، وسار على نهجه من أتى بعده من البابوات. أي أنّ بابوات روما قبل ذلك إنما كانوا يُعرَفون بأساقفة روما فحسب.
٣. حكم البابا إيوغين الرابع على جان الأركونية بأن تُحرقَ حيةً لأنها ساحرةٌ، بينما أعلن البابا بندكت الخامس عشر بعد ذلك في عام ١٩١٩م أنها قديسةٌ!.
٤. أجاز البابا سيكستوس الخامس قراءة كتابهم المقدس للعامة، بعد أن منعوا من ذلك منذ عام ١٢٢٩م، ثم جاء بعده بابوات آخرون، وعلى رأسهم البابا بيوس السابع، فمنعوها مرّةً أخرى. وحتى اليوم فإن الكنيسة الكاثوليكية لا تُجيزُ للعامة قراءةَ وفهمَ نصوص العهد القديم والعهد الجديد بمفردهم، وإنْ كان لا بُدَّ من اقتناء نسخةٍ منها فلتكن ـ وجوباً ـ النسخةَ المحشوّةَ بتعليقات وتفسيرات الآباء والبابوات!.

---
(1) الملوك الأول ١١: ٤، وانظر كذلك ١١: ٥ – ٩.
(2) التكوين: ١٩: ٣٠ – ٣٦.
(3) الآرو، عبد الرزاق عبد المجيد، مصادر النصرانية دراسةً ونقداً، ص ٩٢٩ فما فوق، ط١، ٢٠٠٧، دار التوحيد للنشر، الرياض.

٥. وهذا بيوس السابع نفسه يصدر أمره في السابع من أغسطس عام ١٨١٤م بإعادة اليسوعيين إلى حظيرة الكنيسة، بعد أ ن كانت طائفتهم محظورةً محرومةً بأمر من البابا كلمنت الرابع عشر الصادر في الحادي والعشرين من يوليو عام ١٧٧٣م.

الشبهة الثامنة ودفعها:

عَلَّم محمدٌ أتباعه بعض العبادات الوثنيّة، ومن ذلك أنه كان يُقبّل الحجر الأسود ويُعظّمه. وقد ذكر القرآنُ الذي جاء محمدٌ حقيقة عبادة محمدٍ للأوثان والأصنام بقوله: "وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ".

- تكاد هذه الفريةُ تكون أسخف ما اتَّهمَ به الرهبان الطاعنون رسولَ الله ﷺ، وهم الذين يعظّمون أصنام المسيح، عليه السلام، وتماثيله وصوره، وتماثيل مريم، عليها السلام، وصورها ويقدّسونها!! أمّا بالنسبة لقوله تعالى في سورة المدثّر "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ "[1] فليس فيها ما يدلُّ مِن قريبٍ ولا بعيدٍ على أنه ﷺ كان يعبدُ الأصنام أو يعّظمها. وحتى يتضح تفسير معنى قوله تعالى " وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ" في ذهن القارئ، فمن المستحسن أن نورد بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرها ومن ذلك:

١. فسّرها الطبري[2] بقوله: الرجز: آلهتهم التي كانوا يعبدون [يقصد قريشاً] أَمرَهُ أن يهجرها فلا يأتيها ولا يقربها، وقال آخرون: بل معنى ذلك والمعصيةَ والإثمَ فاهجر.
٢. فسّرها الزمخشري[3] بقوله: الرجز هو العذاب. ومعناه: اهجر ما يؤدّي إليه عبادة الأوثان وغيرها من المآثم. والمعنى الثبات على هجره، لأنه ﷺ كان بريئاً منه.

---

(1) سورة المدّثر: الآيات ١ – ٥.
(2) الطبري [م. س] الجزء ٢٨ – ٣٠، تفسير سور المدّثر ص ٩٣.
(3) الزمخشري [م. س] ج٤، ص ٦٤٥.

٣. وفسّرها السّيوطي[١] بقوله: عن ابن عباسٍ قال: والرجز هو الأصنام. والرجز فاهجر: أي أترك المعصية. ثم قال السيّوطي عبارةً هامّةً في نهاية ذكره لهذه التفسيرات وهي (وعلى كلِّ تقديرٍ فلا يلزم تلبُّسه بشيءٍ من ذلك).

ونظنّ أنَّ ذكر هذا القدر من التفسيرات كافٍ لبيان المقصود من قوله تعالى. ولا ننسى هنا أنَّ واحداً من أبرز الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ عند فتح مكّة قيامه بتحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة المُشرَّفة فقد "أمر الرسول ﷺ بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها، وشارك في ذلك فكان يهوي بقوسه إليها فتساقطُ وهو يقرأ " **وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا** "[٢]. وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب، ولَطَّخ بالزعفران صور إبراهيم وإسماعيل وإسحق وهم يستقسمون بالأزلام وكانت هذه الصور داخل الكعبة، وقال: قاتلَهم اللهُ ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام.وفي روايةٍ أنَّ صورة مريم كانت داخل الكعبة أيضاً. ولم يدخل الرسول ﷺ الكعبة إلا بعد أن مُحيتْ هذه الصور منها. ثم دخلها فصلّى فيها ركعتين"[٣].

ولا ندري كيف سيفسّر لنا الرهبان الطاعنون قيام النبي ﷺ بتحطيم هذه الأوثان في الوقت الذي يتهمونه فيه بعبادتها، حاشاه!!.

ويخبرنا التاريخ الإسلاميّ أنّ النبي ﷺ لم يكتفِ بتحطيم الأصنام التي كانت موجودةً حول الكعبة، بل إنّه قام بإرسال مَن يقوم بتحطيم أصنام مُضَر وهذيل "ولا شكَّ أن تطهير البيت من الأصنام كان أكبرَ ضربةٍ للوثنية في أرجاء الجزيرة العربية، حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها، وما أن تمَّ فتحُ مكة وطُهِّرت الكعبة حتى أرسل الرسولُ ﷺ خالدَ بن الوليد إلى نخلة لهدم العُزَّى التي كانت مضر جميعاً تعظّمها فهدمها. وأرسلَ عمرو بن العاص إلى سواع

---

[١] السيوطي [م. س] ج٤، ص ٧٢٦.

[٢] سورة الإسراء: الآية ٨١.

[٣] العمري أكرم ضياء، السيرة النبويّة الصحيحية، ص ٤٨٣، ط٧، ٢٠٠٧، مكتبة العبيكان، الرياض.

صنم هذيل فهدمه. وأرسل سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل (ناحية قديد على طريق مكة ـ المدينة) فهدمها، وبذلك أُزيلت أكبر مراكز الوثنية"[1].

نعم لقد نهى النبي ﷺ المسلمين عن عبادة الأوثان لأنّها شركٌ بالله تعالى وكُفرٌ به سبحانه، فكانت تلك بدايةً لعهدٍ جديد في حياة الصحابة، رضوان الله عليهم، عهدٍ من التوحيد الخالص لله تعالى، ولقد سُجّل هذه البداية بحروفٍ من نورٍ جعفرُ بن أبي طالب، رضي الله عنه، في حواره الشهير مع النجاشي ملك الحبشة عندما سأل المهاجرين الأوائل عند دينهم فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: "أيها الملك كُنّا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحِلُ المحارم، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرّمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبدَ الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره.

ونظنّ أن هذه الفرية قد تهاوت بما سلف ذكره وإيراده من النصوص والوقائع.

- أمّا عن تقبيل الرسول ﷺ للحجر الأسود فهو أمرٌ لا ننكرُه بل نثبته، وقد ذكره الإمام البخاري، رحمهُ الله تعالى، في صحيحه في كتاب الحج، فقال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان بن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: إنيّ أعلم أنك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيتُ النبيَّ ﷺ يقبّلك ما قبلتك"[2].

وقد شرح الإمام ابن حجر العسقلاني، يرحمه الله، هذا الحديث في "فتح الباري" فقال: "قال الطبري: إنّما قال ذلك عُمَرُ لأن الناس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام فخشي عُمَرُ أن يظنَّ الجُهّالُ أنّ استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية. فأراد عمرُ أن يُعَلِّمَ الناس أن استلامه اتّباعٌ لفعل رسول الله ﷺ، لا لأنَّ الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان ... وفي قول عمر هذا التسليمُ للشارع في أمور

---

[1] العمري [م. س]، ص ٤٨٤.

[2] صحيح البخاري [م. س]، كتاب الحج باب ما ذُكر في الحجر الأسود.

الدّين وحُسن الاتباع فيما لم يُكشف عن معانيها، وهو قاعدةٌ عظميةٌ في اتّباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه"[(١)].

ثمّ أنّ هذا الحجر الأسود يختلف عن كلّ أحجار الأرض إذ أنّه ليس منها، بل هو من أحجار الجنّة، كما أخبرنا رسول الله ﷺ "نزل الحجرُ الأسود من الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج فسّودته خطايا بني آدم"[(٢)].

فهو عليه السلام لم يقبّله بوصفه وثناً أو صنماً كما فهم الطاعنون من الرهبان. ويُشار هنا إلى أنّ تقبيل الحجر الأسود بعد استلامه في الطواف حول الكعبة المشرّفة مُستحَبٌّ وليس واجباً. "إذا لو كان الأمرُ فيه عبادة أصنامٍ وشركٌ كما يهمز المعترِضون لكان الأمر على الوجوب، فشتّان بين مَن يأتي ذلك طاعةً لله ورسوله مُعتقِداً أنّ الحجر لا يضرّ ولا ينفع كما يذكر الحديث الذي ذكرناه، وبين مَن يقدّسُ الأوثان التي نهى الله سبحانه وتعالى عن الاقتراب منها"[(٣)].

لم يكن محمدٌ ﷺ عابداً للأوثان ولا معظّماً لها أيها الرهبان الطاعنون، ولكنّ كنيستكم الكاثوليكيّة هي التي كانت ولا زالت تمارس طقوس الوثنية من خلال إصرارها على وجوب تقديم المسيحيين للإكرام وسجود الاحترام لصور المسيح، عليه السلام، وأمّه مريم عليها السلام، وهما بريئان من ذلك، والله تعالى يشهد، لم يكن محمدٌ وثنياً ولم يأمر أصحابه ولا أتباعه بوضع بقايا أجسادهم وأشلائهم أو جثثهم في المساجد أثناء بنائها كما فعلتم عند بناء الكثير من كنائسكم.

ولربما يُكَذِّبُ مُكَذِّبٌ كلامنا هذا فنُجيبُه بالقول: إرجع إلى قرارات المجمع المسكوني السابع الذي عُقِدَ في مدينة نيقية عام ٧٨٧ للميلاد الذي عَقَدَ ثماني جلسات عملٍ خلال شهرٍ واحدٍ فقط إنتهت "إلى وجوب تكريم وتقديس صور وتماثيل المسيح وأمه مريم وجمع القدّيسين وذلك بإحناء الرأس لها وتقبيلها وإضاءة الشموع أمامها وحتّى السجود لها. كما جاء

[(1)] العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شرح كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ج٣، ص ٥٢٥ دون رقم الطبعة، ٢٠٠٤، دار الحديث، القاهرة.

[(2)] صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ورقمه فيها ٢٦١٨.

[(3)] مرسي [م. س]، ص ٧٤.

ذلك في إعلان المجمع أو ما نسميّه في الأسلوب الحديث بالبيان الختامي له، فقد قالوا فيه: [... نحددُ بكلِّ جزمٍ وتدقيقٍ أنه كما يُرفع الصليبُ الكريم المحيي، هكذا يجب أن تعلَّق الصِّورُ الموقَّرةُ المقدّسة المصبوغةُ بالدهان ... أو من موادَّ أُخرى في كنائس الله المقدّسة، وأن توضع على الأواني المكرسة والحلل الكهنوتية، وأن تُرفع وتعلّق في المنازل وفي الطرق، ونعني بذلك صورة ربِّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وصورة سَيدتِنا الكليِّة الطهارة والدة الإله، وصورة الملائكة المكرّمين، وصور كلّ القديسين، وكلّ الأشخاص الأتقياء ...، ويجب أن يُقَدّمَ لهذه الصورة الإكرام وسجود الاحترام دون العبادة المختصة بالطبيعة الإلهية دون سواها]. بل ورد في القانون السابع من مجموعة قوانين هذا المجمع ـ وعددها اثنان وعشرون قانوناً ـ وجوب وضع بقايا مَنْ سمّوهم بالقديسين والشهداء (من آباء الكنيسة المتوفين) أو جثثهم في الكنائس أثناء تشييدها أو تدشينها، وأنّ أيَّ أسقفٍ يدشّن كنيسةً بدون جثث أو بقايا هؤلاء الآباء يجب عزله لمخالفته تقاليد الكنيسة"[1].

الشّبهة التاسعة ودفُعها:

زَعَمَ الرهبانُ الطّاعنون،كما زعم أسلافهم من كُفّار قريش سابقاً، أنّ القرآن الكريم من تأليف محمدٍ جاء به من عنده لا من عند الله، وأنّ هذا المؤلَّفَ [القرآن] كان نتيجةً لجهدٍ متواصلٍ من جمع ومزج أساطير السّابقين.

- يتركّبُ هذا الادّعاء الزائف من جزأين اثنين، كان القرآن الكريم قد أشار إليهما في قوله تعالى على ألسنة كفّار قريش "**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ**"[2]. وقد سجَّلَ القرآنُ الكريم فرية (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا) مرّةً واحدةً فقط، بينما سجّل فرية (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) تسع مرّاتٍ، والسبب في ذلك كما هو واضحٌ "أنّ أخفَّ المقولتين مؤنةً على النفس هي أكثرهما ذكراً على اللسان. فوصفُ المنكرين للقرآن بأنه أساطير الأولين لم يكن يكلّفهم أكثرَ من النطق بهذه الفرية. ولذا فقد رَدَّدُوها كثيراً في مواجهتهم للقرآن. أمّا دعواهم الإتيان

(1) الآرو [م. س]، ص ٨١٩، ٨٢٠، بتصرف.

(2) سورة الأنفال: الآية ٣١.

بمثله فكانت تكلّفهم ما هو فوق طاقاتهم جميعاً، وهو الإتيان بمثله فعلاً، ولأنهم قد أحسّوا بضعفهم أمام هذا الادعاء فإنهم لم يكرروا القول به. ففي التكرار تحميلٌ لهم بما ليس في قدرتهم، وبما فيه إدانةٌ لهم، إذا هم لم يأتوا بمثله، وما هم بفاعلين. ولهذا كله لم تساعدهم أنفسهم على تكرارها وإذاعتها أمام الخصوم"[(١)].

وقد تدرّجَ القرآن الكريم في التحدّي، فبعد أن كان القدر المطلوب الإتيان بمثل هذا القرآن، حُدِّد في مرحلةٍ لاحقةٍ بالإتيان بعشرِ سورٍ من مثله، ثم حُدِّد أخيراً بالإتيان بسورةٍ واحدةٍ من مثله. ولكنّ العجز عن الإتيان بذلك ظلَّ قائماً إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى يوم الدّين، وهذا التحدّي هو ذاته الذي نواجه به الرهبان الطاعنين ألا فليأتوا بسورةٍ واحدةٍ من مثله إن استطاعوا.

إنّ هنالك العديد من الملاحظات والأمور والحقائق التي يجدرُ بمن يزعم أنّ القرآن من عند محمدٍ ﷺ أن يقف عندها، ليدركَ من خلالها بطلان هذه الدّعوى وهذا الزعم، ومن ذلك ما يلي[(٢)]:

١. إنَّ أسلوبَ القرآن الكريم يُخالفُ مخالفةً تامّةً أسلوبَ كلام محمد ﷺ، فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التي جمعتْ أقوالَ محمد ﷺ وقارنّاها بالقرآن الكريم لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر في كلِّ شيءٍ، في أسلوب التعبير، وفي الموضوعات، فحديث محمد ﷺ تتجلى فيه لغةُ المحادَثة والتفهيم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافّة، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذي لا يُعرف له شبيهٌ في أساليب العرب.
٢. إذا افترض الشخصُ أنّ القرآن الكريم إنتاجُ عقلٍ بشريٍّ فإنه يتوقع أن يذكر شيئاً عن عقليّة مؤلِّفه. ولو كانت تلك الادعاءات حقيقيةً فإنَّ أدلة ذلك ستظهر في القرآن

[(1)] المطعني، عبد العظيم إبراهيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ص ٥١٧، ٥١٨، بتصرف، ط١، ١٩٨٧، دار الوفاء، السعودية.
[(2)] انظر:
أ. زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام والردّ عليها، ص ٢٣٠ – ٢٣٣ باختصار وتصرّف. وهذا الكتاب منشورٌ على موقع الكاتب الإلكتروني على شبكة الإنترنت http://anwarzanaty.maktoobblog.com. كما أنه منشورٌ مجزّءاً على موقع شبكة ابن مريم الإسلامية ـ عن المسيح الحق وعنوانها www.ebnmaryam.com .
ب. النقبي، عبدالله أبو حفص، سلسلة مقالات علمية في مقارنة الأديان، هل القرآن هو كلام محمد؟ منشور على موقع www.maktobblg.com بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٧.

الكريم، فهل توجد مثل تلك الأدلة؟ وحتى نتمكن من الإجابة على ذلك فإن علينا معرفة الأفكار والتأملات التي دارت في عقله في ذلك الوقت ثم نبحث عنها في القرآن الكريم.

٣. محمد ﷺ أُميٌّ ما دَرَس ولا تعلَّم ولا تتلمذ، فهل يُعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أيّ تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريبُ والبعيدُ، المسلمُ وغيرُ المسلم؟ فكيف يستطيع هذا الأميُّ أن يكتبَ هذا القرآن بإعجازه اللغوي الفريد الغريب وإعجازه التشريعي المتكامل اجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً ... هل يمكن لهذا الكتاب أن يكون من عنده؟! وهل يجرؤ على تحدّي ذلك بقوله " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا "[1] هذا تحدٍّ واضحٌ لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد خطأ فيه.

٤. إخبار القرآن بالغيب ووقوعه كما أخبر وفي التوقيت الذي حدَّد (كما في نصر الروم). لو أنَّ محمداً ﷺ هو الذي كتب القرآن فما الذي يدفعه إلى الجزم بوقوع شيءٍ في المستقبل القريب جداً؟ بل ويحدِّدُ له موعداً لا يتجاوزه، ولا يترك التوقيتَ مفتوحاً كما في قوله تعالى " الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ "[2]. ماذا لو لم يحدث مثلُ هذا في الموعد المحدّدِ (بضع سنين) وهو ما لا يزيد عن تسع سنين؟ لو لم يحدث هذا لسقطت مصداقيةُ الدعوة تماماً، ولثبتَ للعالم أجمع أنَّ هذا القرآن ليس كلام الله. إنه ليس مضطراً أبداً لمثل هذا، لكنه كلامُ عالِمِ الغيب والشهادة.

٥. لم يرد على لسان النبيّ ما يشبه القرآن قبل البعثة قال تعالى " فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "[3] ألم يكن سيدنا محمد ﷺ يعيش بين قومه قبل البعثة أربعين عاماً، كيف لم يَظْهر في كلامه مثلُ هذا القرآن البليغ المذهل، ولو كان قد ظهر من قبل لكان هذا حجّةً تلقَّفها المشركون ولقالوا له، إنه كلامك مذ عرفناك والله ما هو بجديدٍ.

---
(1) سورة النساء، الآية ٨٢.
(2) سورة الروم، الآيات ١ – ٣.
(3) سورة يونس، الآية ١٦.

٦. لومُ القرآن للنبيّ محمدٍ ﷺ: إنَّ القرآن نزل في غير موضعٍ يلوم الرسولَ ﷺ ويُعاتبه على بعض أفعاله، فهل هو محمد ﷺ الذي يلوم نفسه؟؟

٧. لماذا يؤلِّف محمدٌ ﷺ القرآن وينسبه إلى غيره؟ فالعظمةُ تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعملٍ يعجز عنه العالمُ كلُّه، ولكان بهذا العمل فوق طاقة البشرية فيُرفَعُ إلى مرتبةٍ أسمى من مرتبة البشر، فأيُّ مصلحةٍ أو غايةٍ لمحمد ﷺ في أن يؤلِّفَ القرآن ـ وهو عملٌ جبارٌ مُعجِزٌ ـ وينسبه لغيره؟

٨. في القرآن أخبار الأوَّلِينَ بما يُغاير أخبارهم في الكتب المتداولة أيام محمد ﷺ، فإنَّ القرآن الكريم يحتوي على معلوماتٍ كثيرةٍ لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله. مثلاً: مَنْ أخبرَ محمداً ﷺ عن ذي القرنين وعن سفينة نوحٍ وناقة صالح؟؟!.

نختتمُ الحديث عن هذه الفرية بقولنا: لقد أخبرَ القرآن الكريم أنّ أبا لهبٍ سيصلى النار ويكون من أهلها، وقد كان هذا من باب الإعجاز في الإخبار عن غيب المُستقبل. وهنا نتساءل: ألم يكن بإمكان أبي لهبٍ أن يُكَذِّبَ محمداً والقرآنَ الذي جاء به فيعُلِنَ إسلامه، ولو تظاهُراً بذلك؟؟ بلى لقد كان بإمكانه ذلك، ولكنّه لم يفعل، لماذا؟ لأنّ محمداً لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

الشبهة العاشرة ودفعها:

أخذ محمدٌ الإسلام والقرآن عن مصادر بشريّةٍ وبالتحديد من اثنين من أبرز الرُّهبان والقسيّسين آنذاك، وهما ورقة بن نوفل وبحيرا سرجيوس حيث قاما بتعليمه وتلقينه ما يريدان.

- تتكوّن هذه الشبهة من شقّين، أولهما أنّ محمداً أخذ الإسلام والقرآن عن ورقة بن نوفل وثانيهما أنّه أخذه عن الراهب بحيرا سرجيوس.
- أما عن ورقة بن نوفل فقد التقى به رسول الله ﷺ بُعيدَ فترةٍ قصيرةٍ من نزول الوحي عليه ﷺ عندما رجع من غار حراء إلى خديجة، رضي الله عنها وأرضاها، ترجُفُ بوادرهُ وقال لها: زمّلوني زمّلوني. وقد أخرج الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، هذا الحديث في صحيحه كما يلي:

عن عائشة زوج النبي قالت: كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حُبِّبَ إليه الخلاءُ فكان يلحق بغار حراءٍ فيتحنث فيه ـ قال: والتحنُّثُ التعبُّدُ ـ الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ... فانطلقت به خديجةُ حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبيُ (خبر ما رأى)، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى. ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حَيّاً حين يُخرجكَ قومُك، قال رسول الله ﷺ: "أَو مخرجيّ هم؟" قال ورقة: نعم، لم يأت رجلٌ بما جئتَ به إلا أُوذي ـ وفي روايةٍ: عُوديَ ـ وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزَّراً، ثم لم ينشب ورقةُ أن توفِّيَ، وفتر الوحي فترةً حتى حزن رسول الله ﷺ [1].

ونقول بعد أن سقنا هذا الحديث الصحيح الذي وضَّح لقاء النبي ﷺ بورقة بن نوفل لمدّة قصيرةٍ جداً ما يلي:

أولاً: إن كان الرهبان الطاعنون يزعمون أنّ محمداً قد سمع وتعلّم من ورقة بن نوفل فليخبرونا على وجه التحديد ما الذي سمعه محمدٌ منه؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان؟؟

ثانياً: خلال ثلاثٍ وعشرين سنةً من نزول الوحي على رسول الله ﷺ لم يلتقِ، عليه السلام، بورقة سوى دقائق معدودةٍ، فالرجلُ مات بعد لقائه حبيبنا المصطفى بفترةٍ قصيرةٍ، وهو لم يَعاصِر التسلسلَ الزمني والفعلي للإسلام على مدى هذه الأعوام الثلاثة والعشرين إذ أنّه "توفي في أول البعثة، فأين ورقةُ مِن سؤالٍ يسأله المشركون أو اليهود أو غيرهم للرسول ﷺ فنرى الإجابة قد وجدت في حينها وجاء القرآن يشرحها ويحِّددُ موقفه منها كسؤالهم عن الأهلّة وعن الحيض وعن الخمر ... كثيراً ما كان المؤمنون أو اليهود أو المنافقون أو المشركون، يسألون عن أشياء يريدون فهمها أو عن أشياء يريدون تعجيز الرسول وإظهاره بمظهر عدم العارف ليُضعِفُوا من شخصيّته

[1] صحيح البخاري، [م. س] كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ.

ومهابته، وكان نزول القرآن مفرقاً يتيح للرسول أن يتلقّى الرد عليهم من جبريل بما يريد الله، ولذلك نجدُ كثيراً في القرآن (يسألونك) أو (يسألك الناس)، ونجدُ الرد بعد ذلك. حتى بلغ (يسألونك) نحو خمسة عشر سؤالاً وُجِّهَتْ للرسول في أوقاتٍ مُتباعدةٍ، ونزل القرآن للرد عليها فأين هو ورقة بن نوفل من هذه الأسئلة؟ أين ورقةُ من أحداثٍ تمّت بعد وفاته وقد تحدَّثَ عنها القرآن الكريم؟ فليخبرنا هؤلاء الرهبان الطاعنون هل عاصر ورقةُ غزوةَ الأحزاب التي تحدَّثَ عنها القرآن الكريم؟ وهل عاصر يومَ حنين الذي تحدَّثَ عنه القرآنُ؟ هل عاصر قصةَ زيد التي تحدث عنها القرآن الكريم؟ هل عاصر حادثةَ الإفك التي تحدث عنها القرآن؟ هل عاصر قدومَ وفدِ نجران والدعوة للمباهلة؟"[1].

ثالثاً: في القرآن الكريم آياتٌ لا توافق عقيدة المسيحية فكيف يكتبها ورقة؟ فعلى سبيل المثال: إذا كان القرآن مصدره ورقة، وورقةُ شخصٌ نصرانيٌّ فكيف يُنكِر القرآنُ صلبَ المسيح؟

رابعاً: إنّ المشركين من أهل مكة قد دأبوا على أن يجدوا أيَّ صلةٍ أو علاقةٍ تدلُّ على كذب رسول الله ﷺ فيما جاء به عن ربه؛ ولو صحّ لديهم أو شاع عندهم أنه ﷺ كان يستعين ببعض أهل الكتاب لكانت تلك فرصتهم، وحجّتهم القوية على أنّهُ غير صادقٍ فيما جاء به من الوحي. ومن الثابت تاريخياً أنّ اتهامات المشركين ـ بمن فيهم اليهود ـ لم يكن فيها [أنّ محمداً استعان بعناصر من أهل الكتاب]، مع أنّ الفرصة أمام اليهود والنصارى كانت سانحةً لهم ليوجّهوا له مثل هذا الاتهام، أما وإنهم لم يفعلوا ذلك ـ مع توافر الدواعي ـ فقد دلَّ هذا على أن هذه المقولة كاذبةٌ، ولا تمتُّ إلى الحقيقة بِصِلةٍ.

ثم على فرض أن هذا الادعاء لم يكن أهل مكة يعرفونه، فمن المفروض أنَّ مصدر الاستعانة ـ لو صحَّ هذا ـ وهم أهل الكتاب كانوا موجودين زمن البعثة المحمدية، بدليل أن بعض وفود أهل الكتاب قد جاءت إلى رسول الله ﷺ، ولم ينقل إلينا التاريخُ أنَّ أحداً منهم أعلن أنَّ محمداً أخذ عنهم أو استعان بهم.

---

[1] يوسف عبد الرحمن، الردّ على شبهة أن النبي تلقّى القرآن عن ورقة بن نوفل، مقالة منشورة بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٤ في موقع www.alhakeah.com

خامساً: لا يملك أيٌّ من هؤلاء الرهبان الطّاعنين أدنى دليلٍ على أنّ ورقة بن نوفل كان راهباً أو قسّيساً. وإلاّ فليخبرونا عند مَنْ درسَ المسيحية ومن الذي كان يعلّمه إياها؟ وفي أيِّ ديرٍ أو كنيسةٍ؟ ومتى كان ذلك؟ وفي أيِّ بلدٍ؟ وما هي المؤسّسة التي كان ينشرُ المسيحية من خلالها؟ ومن هم الذين تنصّروا على يديه ومتى؟؟

سادساً: ولئن كانت هذه القدراتُ كلها عند ورقة بن نوفل فلماذا لم يُعلنها هو؟ لماذا لم يُعلن للملأ عن تأليفه لكتابٍ عظيمٍ كالقرآن الكريم؟ ولماذا ترك المجالَ لمحمدٍ ليُعلنَ عنه ويصدع به؟ لماذا تركَ هذه الفرصةَ الذهبيةَ للإفصاح عن مواهبه وقدراته؟ ولماذا لم يُعلن أنّه الأستاذ وأنَّ محمداً كان تلميذاً عنده؟؟ لماذا ولماذا؟؟

إننا نؤكد في هذه الدراسة بكلِّ مسؤوليةٍ وأمانةٍ رجوعنا إلى ما كتبه الرهبان الطّاعنون قديماً وحديثاً حول تلقين وتعليم ورقة بن نوفل الإسلام والقرآن لمحمدٍ ﷺ، فما وجدنا لها أصلاً ولا دليلاً معتَمَداً في أيٍّ من الكتب التاريخيّة المعتمدة. حتى أننا لم نجد اسماً لشخصٍ بعينه أو لمجموعةٍ من الأشخاص تزعم هذه المصادرُ أنها أخذتْ أو روتْ عنهم هذه الفرية، إذ أنّ الأصل أن تُبنى مثل هذه الادعاءات والافتراءات على روايةٍ أو رواياتٍ ولو لشخصٍ واحدٍ عَاصَرَ ورقةَ بن نوفل أو رآه أو سَمِعَ منه، ممّا يُثبتُ أنّ هذه الفرية لا أصلَ لها ولا دليلَ. وممّا يُثبتُ كذلك أنّها جاءت لاحقةً ومتأخِّرةً عن عصر ورقة بل وعن عصر صدر الإسلام كلّه.

- أمّا عن الراهب بحيرا أو سرجيوس بحيرا كما تسمّيه المصادر المسيحيّة فالحديث عنه يطولُ ويطولُ، وكُنّا قد عرضنا في المبحث الثاني من الفصل الأول لهذه الدراسة تلخيصاً لتتبُّع المؤرخ الألماني لودفيغ هاغمان لفرية تتلمُذِ محمد ﷺ على يدا بحيرا الراهب خلال فترةٍ قاربت الأربعمائة سنةٍ، حيث أكَّدت الكثير من المصادر التاريخية المسيحية هذه الحادثة ووصفت هذا الراهب بإنّه نسطوريٌ حيناً وآريوسيٌّ حيناً وإيبونيٌّ حيناً آخر!!.

أمّا بالنسبة لورود قصّة لقاء رسول الله ﷺ بهذا الراهب بحيرا في المصادر الإسلامية فملخّصها ما يلي:

قال الإمام الترمذي[1]: حَدَّثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي: حَدَّثنا عبدالرحمن بن غزوان أبو نوح: أخبرنا يونس بن أبي إسحق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالبٍ إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخٍ من قريشٍ فلمّا أشرفوا على الراهب هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يَخرجُ إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلّون رحالهم فجعل يتخلّلهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سَيِّدُ العالمين، هذا رسولُ ربّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين فقال له أشياخٌ من قريش: ما عَلَّمَكَ؟ فقال: إنّكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبيّ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفلَ من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلمّا أتاهم به وكان هو في رعيه الإبل قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غمامةٌ تظلّه فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلمّا جلس مال فيءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مالَ عليه قال فبينما هو قائمٌ عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا إلى الروم، فإنَّ الروم إذا رأوه عرفوه بالصِّفَةِ فيقتلونه .... الحديث".

ولقد ثارت بين العلماء نقاشاتٌ مطوّلةٌ حول مدى صحّة هذا الحديث وصلاحيته للاحتجاج به، فمنهم من أنكر صحّته ومنهم من حكم عليه بالقبول ونقد بعض متنه، ومنهم مَن أقرَّ بصحّته وصلاحيته للاستدلال به[2]. والذي نميلُ إليه ونأخذ به في هذه الدراسة رأي الأستاذين أكرم ضياء العمري وزياد سليم العبّادي؛ فقدخلص الأستاذ العمري بعد دراسة مفصّلةٍ لهذه الرواية سنداً ومتناً إلى القول: ويمكن أن تطمئنَّ النفسُ إلى إثبات سفره ﷺ مع عَمِّه إلى بُصرى،وتحذير الراهب بحيرا لعمّه من يهودٍ والروم بالاعتماد على رواية الترمذي، والاستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى.

كما خَلُصَ الدكتور العبّادي في نهاية بحثٍ مفصَّلٍ أعدَّهُ حول هذه الرواية إلى القول: من خلال بحثي المضني والذي استقرأتُ من خلاله عشرات الكتب للوصول إلى إجابةٍ شافيةٍ، لحالة حديث بحيرا في ميزان القبول والرد، فإنني أُنبّهُ على ما يأتي:

---

[1] سنن الترمذي، تحقيق عادل مرشد، أبواب المناقب، باب ٤ – ٥، ص ٧٩٤، ٧٩٥، رقم الحديث (٣٦٢٠) ط١، ٢٠٠١، دار الأعلام، الأردن.

[2] العمري، [م. س]، ص ١٠٩.

١. ما تطمئنُّ له نفسُ الباحث ثبوت قصة بحيرا، وإن كان ثمة نقد لبعض الألفاظ الواردة فيه، ولكنّها لا تطيح بالحديث، كما سبق بيانه.
٢. جماهير العلماء أثبتوا صحة الحديث نصّاً، أو استشهدوا به في كتبهم مُقرّين له دون نقدٍ، بل أشار ابن الأثير للإجماع على قبوله، وقد يُقَبلُ ذلك منه؛ لأنني لم أجد أحداً سبقه في ردّ الحديث، وما بين وفاته ووفاة الإمام الذهبي ما يقرب من مائةٍ وأربعين عاماً.
٣. الإمام الذهبي هو مّن تزَّعَم نقد الحديث، وقد انصبّ نقدهُ على المتن، وكلُّ مَن جاء بعده ناقداً للحديث؛ فإنّما كان صدىً لكلامه دون إضافةٍ هامّةٍ.
٤. جميعُ الشبهات التي أُثيرتْ حول القصة أمكن الإجابة عنها بما يُثبتُ أصلَها وصحّةَ وقوعها، وفي ذلك إثبات جزءٍ هامٍ من سيرة النبيّ ﷺ[1].

ويُستحسنُ بعد الاستئناس برأي هذين الأستاذين الفاضلين في إثبات وقوع لقاء النبي ﷺ عندما كان صغيراً ببحيرا الراهب، الردّ على الرهبان الطاعنين الذين زعموا أنّ محمداً ﷺ قد تلقّن القرآن والإسلام وأخذهما عن هذا الراهب عند لقائه إياه ويتجلّى ردّنا على هذه الفرية وأصحابها فيما يلي:

١. اتّفق مؤرّخو السيرة النبويّة وعلماؤها المختصّون بها وبعلوم الحديث الشريف على أنّ النبي ﷺ كان أميّاً لا يعرف القراءة والكتابة، فهل يُعقلُ أن يتلقّى صبيّ أميٌّ في سن الثانية عشرة وفي وقتٍ قصيرٍ جدّاً القرآن كلَّه والإسلام كلّه وأن يفهم التوارة والإنجيل، ثم يقوم بحفظها وتخزينها في ذاكرته ثم يخرجها ويُعلن عنها وهو في سنّ الأربعين؟؟ لعمري إنّ هذا إلا كلامٌ يُفترى، وإن هذا إلاّ عُجاب.
٢. لم تتجاوز الفترة التي قضاها هذا الصبي بصحبة عمِّهِ وبعض رجال قريشٍ مع هذا الراهب فترة التحضير لطعام الغداء وتناوُلِه والاستراحة بعده، ثم انطلقت قافلة قريشٍ بُعيد ذلك تسيرُ من جديد.
٣. لو صحَّ أن الصبيّ محمداً ﷺ قد تعلَّم عند هذا الراهب بحيرا عند لقائه إياه في بُصرى لشاع هذا الأمرُ واشتُهِرَ ولكان معلوماً في الأوساط القُرشيّة بعد رحلة العودة إلى مكة.

---

[1] العبادي، زياد سليم، بحث غير منشور بعنوان (خبر بحيرا الراهب في ميزان النقد الحديث)، الخاتمة.

٤. ألصقَ كفّارُ قريشٍ بمحمدٍ ﷺ كلَّ أنواع التُّهم والافتراءات إلا تهمة [إنك تعلَّمتَ دينك من الراهب بحيرا] فلو أنّها وَقَعتْ فعلاً لكانت مُستنَداً بارزاً لهم في تكذيبه. ونحن نعلمُ يقيناً أنهم كانوا يتربّصون به ويحاولون أن يخلقوا له تهمةً أو شبهةً أو فريةً من لا شيء. كيف لا وهم الذين اتّهموه بأنّه يعلّمه الفتى الأعجميُّ النصرانيُّ الذي كان عبداً لبعض بني الحضرميّ والذي كان رسول الله ﷺ يجلسُ معه أحياناً؟؟ "وقد كان هذا بيّاعاً عند الصّفا وكان أعجميَّ اللسان لا يعرف العربيةَ أو أنّه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يردُّ جوابَ الخطاب لا بدَّ منه، فلهذا قال الله تعالى: رادّاً عليهم [على قريش] في افترائهم ذلك ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[1] أي القرآن، أي فكيف يتعلّمُ مَنْ جاء بهذا القرآنِ في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامّة الشاملة... كيف يتعلمُ من رجلٍ أعجميٍّ؟؟"[2].

لقد اصطنع هؤلاء القرشيون فضيحةً لرسول الله ﷺ لمجرّد جلوسه مع هذا العبد الأعجمي واتهموه بأنه هو الذي يعلِّمهُ القرآن والإسلام، فلنتخيّلْ كيف سيكون الأمر وردّ فعلهم لو اشتبهوا مجرّد اشتباهٍ بأنّ محمداً ﷺ كان يجلس مع بحيرا ويدرس عنده!!! واضحٌ تماماً أن قريشاً لم تدّعِ ذلك مُطلقاً.

ولربما يسأل سائلٌ: إن لم تكن قريش، أبداً، قد ادّعتْ بأنّ محمداً أخذ عن بحيرا الراهب وتتلمذَ عليه فمن أين جاءت بعضُ كتب التاريخ المسيحيّة بهذا الفرية؟؟؟ إن الردّ الصريح الصحيح الذي نذكره في الإجابة عن هذا السؤال هو يوحنا الدمشقي (منصور بن سرجون بن منصور) الذي كان أوّلَ مَنْ دوَّنَ هذه الفرية في مؤلَّفه الخطير (ينبوع المعرفة) قسم (هرطقة الإسماعيلين) الذي سبقت الإشارة إليه في نهاية المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة. نعم إنّ ما ينبيه الغرب من أكاذيب وافتراءاتٍ على الإسلام والرسول المصطفى ﷺ إنما هو مصنوعٌ في الشرق أولاً ومن ثم كان انتقاله للغرب.

---

(1) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(2) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة النحل، الآية (١٠٣)، ج٢، ص ٩٥٦، ط١، ١٩٨٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. إن فرضنا جَدَلاً وجود هذا العلم الغزير المدهش كالقرآن وما تضمَّنهُ والإسلام وما اشتمل عليه، والتوراة والإنجيل عند بحيرا الراهب فلماذا يا ترى كان هذا الرجل مغموراً ولم يُشتهر أمرهُ بين الناس آنذاك؟؟؟ ثم أين موقف الكنيسة من الاهتمام به والترجمة له ولسيرته ولأعماله؟ وأين هي مؤلّفاته؟ وقبل هذا وذاك أين هي سيرتُه الذاتية من حيث تاريخ الميلاد ومكانه ومؤهّلاته العلمية والدينية اللاهوتية؟؟ كلُّها تساؤلات ستبقى من دون إجاباتٍ. ولكن لماذا؟ لأنّ بحيرا المسكين لم يكن كذلك؛ لم يكن شهيراً ولا عبقرياً ولا أستاذاً ولكنّ المتحاملين على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ حمّلوه ما لم يكن ليقدر على حمله!!! "أما بالنسبة لمعلوماتنا عن بحيرا فإنَّ المصادر لا تكاد تتفقُ على شيءٍ بشأنه، بل هي متضاربةٌ في اسمه فمرّةً جرجيس وأُخرى جرجس وثالثةً سرجيس ورابعةً معناه العالم المتبحِّر ومرّةً ينُسَبُ لقبيلة عبد القيس فهو عبقسي ومرّةً هو نصراني وأخرى يهودي"[١]!!!.

الشّبهة الحادية عشرة ودفعها:

إنّ من الأدلّة على أنّ محمداً تتلمذ على يد الراهب النّسطوري بحيرا ومن بعده ورقة بن نوفل، اللذين لقّناه القرآن وتعاليم الإسلام وتعاليم التوراة والإنجيل امتلاءُ القرآن الذي جاء به محمدٌ بقصص التوارة والإنجيل، وقصص الأنبياء الواردة فيها كنوحٍ وإبراهيم وشُعيب وموسى وهارون ...

- تكاد هذه الفريةُ تكونُ أوثق الفريات والشّبهات ارتباطاً بسابقاتها، بل إنها صادرةٌ عنها ونتيجةٌ لها؛ فالقول بأنّ القرآن الكريم منحولٌ عن التوراة والإنجيل امتدادٌ للقول بأنّ بحيرا وورقة هما اللذان لقَّنا محمداً تعاليم القرآن والتوراة والإنجيل، وامتدادٌ للقول بأنّ الإسلام هرطقةٌ مسيحيّةٌ وأنّه مزيجٌ من تعاليم التوراة والإنجيل. وهذا الكلام ليس جديداً علينا فنحنُ نسمعه يتردَّدُ في الأوساط الكَنَسيّة الغربية المعاصرة والمواقع الإلكترونية التابعة لها صباح مساء.

---

[١] العمري [م. س] ص ١١٠، ١١١.

ولمّا جاء ذكرُ قصص الأنبياء على وجه التحديد في هذه الفرية كشاهدٍ على أخذها من التوراة والإنجيل، استلزم الأمرُ الردَّ على ما فيها من خلال عقد مقارناتٍ ولو قليلةٍ ما بين القصص القرآني والقصص الكتابيّ بعهديه القديم والجديد.

ونشيرُ في بداية ردّنا على هذه الفرية، بإنها لربّما تكون صحيحةً في حالةٍ واحدةٍ فقط، ألا وهي تطابقُ النصوص والأشخاص والمضامين والأماكن والمُسمّيات فيها. ولكنّ هذا مخالفٌ تماماً لواقع الحال، فعلى سبيل المثال نرى أنّ الإنجيل يروي قصّة آلام المسيح وحادثة إلقاء القبض عليه التي انتهت بقتله صلباً، بينما نرى القرآن الكريم يذكر قصّة عيسى عليه السلام ومعجزاته ويُنكِرُ تمام الإنكار حادثة صلبه وقتله عليه السلام.

كما أننا نرى الكتاب المقدّس في بعض نصوصه يرفع المسيح عليه السلام لمرتبة الإله في حين نرى القرآن الكريم يقرّرُ عبوديته لله تعالى، وأنّ مثَلَهُ عند الله كمثل آدم الذي خلقه اللهُ تعالى من ترابٍ ثم قال له كن فيكون. وبينما نقرأ في القرآن قصّة سليمان عليه السلام وإيمانه بالله تعالى وتوحيده له نقرأ في التوراة أنّ نساءه الكثيرات أَملنَ قلبه عن توحيد الله وأنّه جعل لنفسه آلهةً أُخرى!!!.

وحتّى تكون المسألةُ أكثرَ فاعليّةً وجدوى، فإننا سنعمدُ إلى ذكر ثلاثٍ من القصص المشهورة التي ورد ذكرها في كلٍّ من الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم ليتبيَّنَ الأمرُ من خلالها بشكل أوضح:

أولاً: من خلال مقارنتنا لبشارة زكريا بيحيى عليهما السلام كما وردت في إنجيل لوقا، في إصحاحه الأول في الآيات ٧ – ٢٢ بالبشارة نفِسها كما وردت في القرآن الكريم في سُورتَيْ آل عمران ومريم، فإننا نقف على مجموعةٍ هامّةٍ من الفروق الجوهرية التي تُثبتُ استحالة أخذ القرآن الكريم لهذه القصّة عن الإنجيل. وبيان ذلك ما يلي[1]:

١. في سورة "آل عمران" تقدم على قصة بشارة زكريا بيحيى، قصّةُ نذرِ امرأة عمران ما في بطنها خالصاً لله. في حين أنه لم يردْ ذِكرٌ لهذا في النّصّ الإنجيلي.

---

[1] هذه المقارنة والمقارنتان التاليتان لها مأخوذتان بالكامل من كتاب حقائق الإسلام في مواجهة المشككين [م. س] قسم (دعوى أن القرآن من الكلام المنقول عن غيره).

٢. النص القرآني أخبر أن امرأة عمران ولدت أنثى؛ وكانت ترجو أن يكون المولود ذكراً، وهذا أيضاً لم يأتِ له ذِكرٌ في النصّ الإنجيلي.
٣. ذكر النصُ القرآنيُ، كفالة زكريا للمولودة "مريم" وأخبر عن وجود رزقها عندها، وبيَّنَ أنّ مصدر هذا الرزق هو الله. وهذا بدوره لم يرد ذكره في النصّ الإنجيلي.
٤. رَبَطَ النصُ القرآني بين قصّة الدعاء بمولودٍ لزكريا، وبين قصّة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجودَ له في النص الإنجيلي.
٥. ذكر النص القرآنيُ دعاءَ زكريا، في حين أننا لا نجدُ ذكراً لذلك في النص الإنجيلي.
٦. تناول النص القرآني ما رَتَّبَهُ زكريا على هبة الله له ولياً، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. بينما لم يرد ذِكرٌ لهذا في النص الإنجيلي.
٧. بيَّن النص القرآني أن السبب الذي حمل زكريا على دعاء ربه، هو خوفه الموالي من ورائه. والنصُ الإنجيليُ خالٍ من هذا تماماً.
٨. صَرّحَ النص القرآني بأنّ زكريا أوحى لقومه، بأن يُسبِّحوا بُكرةً وعشياً.ولا وجود لهذا في النص الإنجيلي.
٩. ذكر النص القرآنيُ الثناءَ على المولود "يحيى" وبين أنه بارٌّ بوالديه، يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً. ولا مقابل لهذا الثناء في النص الإنجيلي.

ثانياً: من خلال مقارنتنا لقصّة قابيل وهابيل الواردة في التوراة بالقصّة ذاتها الواردة في القرآن الكريم في سورة المائدة، فإننا نقفُ على فروقٍ هامّةٍ تنفي وبكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ الزَّعمَ بأخذِها من التوراة، وذلك من خلال جدول المقارنة التالي:

القصّة كما روتها التوراة	القصّة كما ذكرها القرآن الكريم
تُسمّي أحد الأخوين بقايين وهو "القاتل" والثاني "هابيل" كما تصفُ القربانين وتحدد نوعهما	لا يسميهما ويكتفي ببنوّتهما لآدم، كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما.
تروي حواراً بين قايين والرب بعد قتله أخيه، وتُعلنُ غضبَ الرب على قايين وطرده من وجه الرب إلى أرضٍ بعيدةٍ.	لا يذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله، ولا يذكر أنّ القاتل طردهُ الله من وجهه إلى أرضٍ بعيدةٍ، إذ ليس على الله بعيد.
التوراة تخلو من أيِّ حوار بين الأخوين	يذكر الحديثَ الذي دار بين ابني آدم، ويفصّل القول فيما صدر من القتيل قبل قتله

القصّة كما روتها التوراة	القصّة كما ذكرها القرآن الكريم
	وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلماً.
لا مقابل في التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل؟!	يذكر مسألة الغراب، الذي بعثه الله لِيُرِيَ القاتلَ كيف يتصرف في جثة أخيه، ويواري عورته.
تنسب الندم إلى "قايين" القاتل لمّا هدّده اللهُ بحرمانه من خيرات الأرض، ولا تجعله يشعرُ بشناعة ذنبه.	يصرح بندم "القاتل" بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.
لا هدف لذكر القصة في التوراة إلا مجرّد التاريخ. فهي معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه	يجعل من هذه القصة هدفاً تربوياً ويبني شريعة القصاص العادل عليها. ويلوم بني إسرائيل على إفسادهم في الأرض بعد مجئ رسل الله إليهم.

ثالثاً: وآخر هذه القصص الثلاث قصّة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز. وتفاصيل الفروق فيها ما يلي:

القصّة كما روتها التوراة	القصّة كما ذكرها القرآن الكريم
المراودة حدثت مراراً. ونُصحُ يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة	المراودة حدثت مرّةً واحدةً، اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفّذ رغبتها.
تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إنّ يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت هي قدوم زوجها وقصّت عليه القصة بعد أن أعلمتْ بها أهل بيتها	يشيرُ إلى تغليق الأبواب وأن يوسف همَّ بالخروج، فقدَّتْ ثوبه من الخَلف، وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى في الحال
لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزيز ولم يدافع يوسفُ عن نفسه لدى العزيز	يوسف كان موجوداً حين قَدُمَ العزيز، وقد دافعَ عن نفسه بعد وشاية المرأة، وقال هي راودتني عن نفسي.
تخلو من حديث الشاهد وتقول إنّ العزيز حميَ غضبه على يوسف بعد سماع المرأة	يذكر تفصيلاً شهادة الشاهد، كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها

القصّة كما روتها التوراة	القصّة كما ذكرها القرآن الكريم
	بخطئها. وتثبيت يوسف على العفة والطهارة.
تقول إنّ العزيز في الحال أمر بوضع يوسف في السّجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته.	يشير إلى أنّ القرار بسجن يوسف كان بعد مداولةٍ بين العزيز وحاشيته.
تخلو من حديث النسوة اللاتي لُمْنَ امرأة العزيز على مراودتها فتاها عن نفسه، وهي فجوةٌ هائلةٌ في نصِّ التوراة.	يذكر حديث النسوة بالتفصيل، كما يذكر موقف امرأة العزيز منهنّ ودعوتها إياهنّ ملتمسةً أعذارها لديهنَّ ومُصِرةً على أن يُنفّذَ رغبتها.

هذه ستة فروقٍ بارزةٍ بين ما يورده القرآن الكريم وما ذكرته التوراة. والنظرُ الفاحص في المصدرين يُرينا أنهما لم يتّفقا إلا في "أصل" الواقعة من حيث هي واقعة وكفى. "ثم إن القرآن والتوراة بعد هذا يختلفانِ في كلِّ شيءٍ، على أنّ القرآن قام هنا بعملين جليلي الشأن:

أولهما: أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة، ومن أبرزها هذا الجديد:
١. حديث النسوة وموقف المرأة منهن.
٢. شهادة الشاهد الذي هو من أهل امرأة العزيز.

ثانيهما: تصحيح أخطاءٍ وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:
١. لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابساً إياه ولكنّه قُطِعَ من الخلف.
٢. غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه"[1].

لقد كانت فرية أخذ محمدٍ ﷺ للقصص القرآني من التوراة والإنجيل واحدةً من الفريات والادّعاءات الأكثر إزعاجاً واستفزازاً للمسلمين في الوقت الحاضر، وذلك كما أسلفنا، لأنّ الرهبان الطاعنين لا يملّون من تكرارها وترديدها على الدّوام، مما دفع ببعض المفكّرين المسلمين لوضع كتابٍ متخصّصٍ في الردّ عليها، وقد كان في مقدمة هؤلاء المفكرين الأستاذ

[1] المرجع السابق نفسه.

عبد الجواد المحص. وقد كان ممّا دحض به هذا الأستاذ هذه الفرية إيراده للعديد من القصص الذي انفردَ به القرآن أو خالف فيه التوراة والإنجيل، ومن ذلك ما يلي[1]:

١. ما جاء في القرآن الكريم من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن هذا السجود.
٢. ما ورد في القرآن الكريم من قصص إبراهيم الخليل، عليه السلام،مع قومه وتحطيمه لأصنامهم ونظرته في النجوم، وحجاجه مع قومه، ومحاولتهم إحراقه في النار، وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام، واشتراكه هو وابنه إسماعيل في رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة.
٣. ما قَصَّهُ علينا القرآن الكريم من محاورة بينَ نوحٍ وابنه الكافر، وعدم ركوب ابنه في السفينة وغرقه، ومحاورة نوح مع الله في ذلك.
٤. ما قَصَّهُ القرآنُ الكريم عن خبر سحرة فرعون والتقام العصا، التي انقلبتْ حيّةً، لحبالهم وعصيِّهم، وسجودهم وإيمانهم برب هارون وموسى، ومحاورتهم مع فرعون.
٥. السامريّ الذي صنع العجل لبني إسرائيل في حين أنّ التوراة تذكر أنه هارون عليه السلام.
٦. ما قَصّهُ القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، ودافعَ عن موسى حين همّوا بقتله، وذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى فنصحَ موسى بالخروج من أرض مصر.
٧. القرآن الكريم يذكر أنّ بناتِ الشيخ المدْيَنِيِّ اثنتان، في حين أنَّ التوراة تذكر أنهن سبع.
٩. أمر الله لقوم موسى بدخول الباب سُجَّداً ومخالفتهم لهذا الأمر.
١٠. قصّة أصحاب السبت ومسخهم قردةً بعد أن اعتدوا فيه.
١١. ما قَصَّهُ القرآن الكريم من تسخيرِ الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام.
١٢. تسخير الجنّ والريح لسليمان عليه السلام.
١٣. قصة الهدهد، وكتاب سليمان لملكة سبأ وإسلامها وإحضار عرشها بلمح البصر مِن قِبَلِ الذي عنده علم الكتاب.
١٤. كلام عيسى في المهد.

[1] المحص، عبد الجواد، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة، ص ٤٦ فما فوق، ط١، ٢٠٠٠، الدار المصرية، مصر.

ولا ندري بماذا يُجيبُ الرهبان الطّاعنون على ورود هذا العدد الكبير من القصص في القرآن الكريم وعدم وروده في كتابهم المقدَّس؟ ولا ندري كيف يجيبُ هؤلاء على إمكانية اطلاع بحُيرا لمحمّدٍ ﷺ على هذا العدد الكبير من القصص والكمّ الهائل الذي حوته من التفاصيل خلال ساعةٍ من الزمان تناولوا فيها طعام الغداء؟؟

ولمن يتساءلون عن سبب ورود بعض هذه القصص في القرآن الكريم وفي التوراة والإنجيل بالرغم من تباعد الأزمان بينهم نقول: إنَّ ذلك راجعٌ لوحدة المصدر الذي صدرت عنه هذه الكتب الثلاثة ألا وهو الله تبارك وتعالى، الذي أوحى بها إلى أنبيائه ورسله ليبلّغوها أقوامهم، فمنها ما حُفِظَ كما نَزَل، ومنها ما تعرّض للزيادة والنقصان بما كسبته أيدي البعض.

ونُلَخِّصُ في نهاية الردّ على شبهة وفرية أخذ القرآن للقصص من الكتاب المقدس بالقول: إنّ القرآن الكريم لم يقفْ ولو في واحدٍ من هذه القصص عند حدود ما ذكره الكتاب في مواضع التشابه بينهما؛ حيث أنَّ القرآن الكريم عرض هذه القصَص عرضاً يختلفُ تماماً عن عرض الكتاب المقدَّس لها، كما أنَّ القرآن الكريم عرضَ قصصاً جديدةً لم يعرفها الكتاب المقدّس في المواضع المشتركة بينهما. وأخيراً فقد انفرد كتابُ الله العزيز بذكر قصصٍ خاصةٍ به لم ترد في أيِّ مصدرٍ سواه.

الشّبهة الثانية عشرة ودفعها

نشر محمدٌ دينهُ بقوّة السّيف والسلاح، وأجبرَ الكثيرين على اعتناقه، وبالذات مَن كانوا يهوداً أو مسيحيّين، ثم قام أصحابه الذين حكموا من بعد بالسّير على هذا النهج أزماناً طويلةً. وها هو الإسلام في القرن الحادي والعشرين مرتبطٌ ذِكرُه على الدّوام بالعنف والتهديد والإرهاب.

- تحتلُ هذه الشبهة مركز الصدارة في مجال الحرب الإعلاميّة التي تستهدفُ تشويه صورة الإسلام قديماً وحديثاً. وقد كان الترويج لها مقدّمةً هامةً في حثّ الشعوب الأوروبية لشنّ الحروب الصليبيّة على العالم الإسلامي. ونرى في واقعنا المعاصر العديد من البرامج والأفلام المُتلفَزَة والسينمائيّة التي تخصّصت في نشر هذه الفرية والترويج لها. حتّى بات ذِكرُ الإسلام،

وللأسفَ، مقترناً في كثيرٍ من الأحيان بالعنف والإرهاب. والفضلُ في ذلك كلِّه راجعٌ، وبكلِّ تأكيدٍ، لما خَطَّتْهُ أيدي الرهبان الطاعنين الذين ساقوا شعوبهم إلى الموت في الحروب الصليبيّة بهدف القضاء على الإسلام.

وهذه الشبهة مركَّبةٌ من ثلاثة عناصر خطيرةٍ تستلزم منا دقّة الردّ، وهي:
١. انتشر الإسلام بقوّة السّيف والسلاح، وعن طريق الجهاد فقط.
٢. أجبر المسلمون غير المسلمين من اليهود والمسيحيين على الدخول في الإسلام عنوةً.
٣. الإسلام مرتبط بالعنف والتهديد والتخويف (الإرهاب).

- أما بالنسبة لشُبهة انتشار الإسلام بقوّة السّيف والسلاح والجهاد فقط فتدحضها الحقائق التالية:

يُطلق لفظ الجهاد غالباً على القتال، مع أنّ القتال ليس سوى صورةٍ واحدةٍ من الصِّور التي يتجلّى فيها الجهادُ وتُعبِّرُ عنه. فالصبرُ على الأذى جهاد، والتربية الإيمانية جهاد، والثبات على الابتلاء جهاد، ومجاهدة النفس ومنعها عن الرذيلة والمعاصي جهاد، والتبرع بالمال لتجهيز جيوش المسلمين جهاد وكذا إمدادهم بالمؤونة والطعام والشراب. وإقامة الحجج العقلية والنقلية على غير المسلمين في دعوتهم للإسلام جهاد. "والجهادُ ليس أحد أركان الإسلام الخمسة. وخلافاً للراي السائد في الغرب فهو أيضاً ليس دعامةَ الإسلام المحورية. لكن يظل من واجب المسلمين أن يلتزموا بالنِّضَال على جميع الجبهات، الأخلاقية منها والسياسية والروحية من أجل خلق مجتمعٍ عادلٍ كريمٍ جديرٍ بالاحترام، يعيش فيه الإنسان وفقاً لإرادة الله، ولا يُستَغَلُّ في ظله الفقراء وغيرُ المحصَّنين. وقد يكون الحرب والقتال ضرورةً في بعض الأحيان، لكنّ ذلك جزءٌ ثانويٌّ من الجهاد أو النِّضال. وهناك حديث مرويٌّ عن محمد لدى رجوعه من إحدى المعارك حيث قال ما معناه: "لقد عُدنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر"، أيْ أنَّ الجهد الأكثر صعوبة وحسماً هو هزيمة قوى الشر في نفس الإنسان، وفي مجتمع الإنسان في جميع تفاصيل الحياة اليومية"[1].

---

(1) آرمسترونغ، سيرة النبي محمد [م. س]، ص ٢٥٣.

وهنا نذكّر القارئ الكريم بأنّ الأصل في الدّعوة إلى الإسلام هو قيامُها على قوله تعالى: " ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ "(١). وهي دعوةٌ سلميّةٌ يقوم المسلمون بنشرها في العالم كلّه دون الوقوف عند حدودٍ جغرافيةٍ أو مكانيةٍ أو زمانيّةٍ أو لغويةٍ أو عرقيّةٍ.

فدعوة الإسلام دعوةُ الحقّ، تصلح للسريان والتطبيق في كلّ زمانٍ ومكانٍ ولكنّ هناك الكثير من العقبات والصّعوبات والعوائق التي يصنعها أعداء هذا الدِّين ليجعلوا منها حواجز ماديّةً تحول دون وصول دعوة الإسلام إلى الناس، ومن هنا كان الجهاد الوسيلة الأبرز لإزالة هذه العقبات والحواجز وتذليلها، وذلك لضمان وصول دعوة الإسلام للناس، وإعطائهم بالتالي الحريّة الكاملة في الاختيار بقبول الإسلام أو رفضه. ولا يصحُّ أبداً إكراههم على قبوله بأيِّ شكلٍ أو صورةٍ، وذلك حتى يكون رضاهم به، إن هم اختاروه، قائماً على الرضى الكامل والقناعة التي لا تتزعزع "وهكذا فإنَّ محمداً لم يفكّرْ في مُلكٍ ولا في مالٍ ولا في تجارةٍ وإنّما كان كلُّ همّه توفير الطمأنينة لمن يتبعُ رسالته، وكفالة الحريّة لهم في عقيدتهم ككفالتها لغيرهم في عقيدتهم. وهذه الوجهة في التفكير هي التي نزل بها الوحي على محمدٍ منذ الهجرة وهي التي جعلته جَنُوحاً للسلم راغباً عن القتال مقتصداً طول حياته اشد القصد فيه غير لاجئٍ إليه إلا لضرورةٍ تقتضيه دفاعاً عن الحرية والدين والعقيدة. ثم ألم تكُنْ أول آيةٍ في القتال: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ "(٢) والآية بعدها: "وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ "(٣) فتفكيرُ محمدٍ إذاً أنّما كان مُتَّجهاً لغايةٍ واحدةٍ عليا وهي كفالةُ حرية العقيدة والرأي كفالةً في سبيلها وحدها أُحِلَّ القتالُ ودفاعاً عنها أُبيحَ دفعُ المعتدي حتى لا يفْتَنَ أحدٌ عن دينه ولا يُظْلَمَ أحد بسبب عقيدته أو رأيه!(٤).

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة الحج، الآية ٣٩

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٣

(٤) رستم، أسد [م. س]، ج٢، ص ١٥، ١٦، نقلاً عن محمد حسين هيكل في كتاب حياة محمد ص ١٨٦، ١٨٧.

ولعمري، لو كان السيف والجهاد هو السبيل الوحيد لنشر الإسلام، كما زعم الرهبان الطاعنون، لارتدَّتْ كلُّ القرى والمدن والبلدان التي فتحتها جيوشُ الإسلام بمجّرد رحيل هذه الجيوش عنها، وهذا ما تكذّبُه الحقائق التاريخيّة دون استثناء. ولو كان كلامنا خاطئاً فإننا نتحدّى الرهبان الطاعنين أن يأتونا ولو باسم بلدٍ واحدٍ من بلاد غير المسلمين ارتدَّ أَهلُه بعد رحيل جيوش الإسلام عنه. و لازالت إسبانيا التي شنّت جيوشها حملات الاضطهاد والتنصير ومحاكم التفتيش على المسلمين بعد انهزام الجيوش الإسلامية فيها، لا زالت أصدقَ شاهدٍ على استمرارية وجود عشرات الآلاف من المسلمين المورسيكيين والإسبان فيها إلى يومنا هذا.

ثمّ لو أننا سلّمنا بصدقِ مقولة انتشار الإسلام بالسيف فبماذا نُعَلِّلُ إسلام عشرات الآلاف من الأوروبيين والأمريكيين كلَّ عامٍ في وقتنا الحاضر؟؟ وقد ذهب عن المسلمين جيشُهم وتلاشت عزيمتهم وتشتَّتَ شملهم ولم تقم لسيفهم قائمةٌ منذ مئات السنين؟؟ هل دخل هؤلاء الأوروبيون والأمريكيون الإسلام بقوّة السّيف والسلاح والجهاد؟؟ طبعاً لا. " **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ**"[1].

ولو فرضنا جدلاً صحَّةَ مقولة الرهبان الطاعنين بأنّ الإسلام انتشر قديماً بالسّيف والسلاح والجهاد فقط، عن طريق جيوشه الجرّارة فبماذا يجيبُنا هؤلاء على انتشاره في عشرات الدّول والبلدان التي لم تدخلها جيوش المسلمين ولم تصلها قطّ كالصين وماليزيا واندونيسيا ونيجيريا والهند...؟؟؟

وللمُصَمّمين من هؤلاء الطاعنين على السؤال عن غايات الجهاد والهدف من تشريعه إن لم يكن لنشر الإسلام بالقوّة، نقول: إنّ القتال في الإسلام ليس محبوباً ولا مطلوباً لذاته، وهو أمرٌ تكرهه النفوس وتستثقله، قال تعالى: "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ**

(1) سورة التوبة: الآية ٣٢.

كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "[1].

ولئن كان القتال مما تكرهه النفوس، ولئن كان غير مطلوبٍ لذاته، فقد شُرع لفوائد وحكمٍ كثيرةٍ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الفائدتين التاليتين:

أولاً: الدّفاع عن المظلومين والمُستضَعفين في الأرض من المسلمين. ولعلَّ هذا واضحٌ تمام الوضوح في قوله تعالى " وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا "[2].

"فقد أمر الله تعالى المسلمين أن يُقاتلوا دفاعاً عن مُستضعفين مؤمنين كانوا بمكّةَ ولا يستطيعون أن يخرجوا منها. قال ابن عباس: كُنتُ أنا وأميّ من المُستضعَفين"[3].

ثانياً: حمايةُ الإسلام، ومنعُ فتنة المسلمين والاعتداء عليهم في دينهم. فالتاريخ والحاضر يخبراننا أن أمّة لا تستطيعُ أن تحفظ كرامتها وتصون عقيدتها وتحميَ بلادها وأبناءها دون أن تملك قوّةً تكفل لها ذلك. والجهادُ في ديننا إنما يُمثِّلُ ويجسِّدُ هذه القوّة، قال تعالى:

" وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ

---

(1) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(2) سورة النساء: الآيتان ٧٥، ٧٦.

(3) السيوطي [م. س] ج٢، ص ٥٩٣.

لِلَّهِ"[1] "عن نافعٍ أنّ رجلاً أتى ابنَ عمر فقال: ...كان الإسلام قليلاً وكان الرجلُ يُفتنُ في دينه إمّا قَتَلوه أو عَذَّبوه حتّى كَثُرَ الإسلامُ فلم تكن فتنة"[2].

ويُثبتُ صحّة ما ذهبنا إليه من سلميّة الدّعوة إلى الإسلام أنّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مكّة فاتحاً على رأس جيشٍ يفوق العشرة آلافٍ من المقاتِلين، عفا عن أهلها الذين ظلموه وعذّبوه وعذّبوا أصحابه وأخرجوهم من ديارهم بقوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" مع أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء (الطلقاء) كانوا على شركهم وكفرهم آنذاك.

إنّ سلميّة الدّعوة إلى الإسلام وكراهية القتال والحرصَ على دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحَسَنة يشهد له الأمران التاليان:

أولاً: نهى النبي ﷺ عن قتل النسّاء والصّبيان والشيوخ. روى الإمام مسلم عن ابن عمر قال: "وُجِدَتْ امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان"[3]. وأخرج ابن أبي شيبة عن أنسٍ قال: "كنّا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتّى يخرج إلينا رسولُ الله ﷺ فيقول: انطلقوا باسم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلّوا"[4].

إننا نذكر هذا الحديث الشريف، فيما يقابله على الطرف الآخر ما يزيد على خمسة عشر نصاً صريحاً في العهد القديم تبيح كلُّها، بل توجبُ أحياناً، قتل النساء والأطفال والرّجال الشيوخ من غير بني إسرائيل. ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١. "وقال له الربُّ اعبُرْ في وسط المدينة في وسط أورشليم وَسِمْ سمةً على جباه الرجال الذين يئنّون ويتنّهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها (٥) وقال لأولئك في سمعي

---

(1) سورة الأنفال: الآية ٣٩

(2) السيوطي [م. س]، ج١، ص ٤٩٧.

(3) صحيح الأمام مسلم [م. س]، كتاب الجهاد والسّير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

(4) السيوطي [م. س]، ج٢، ص ٤٩٣.

اعبروا في المدينة وراءه واضربوا، لا تُشْفِقْ أعينُكم ولا تعفوا (٦) الشيخَ والشابَّ والعذراءَ والطفلَ والنساءَ اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسانٍ عليه السمة وابتدئوا من مقدسي فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت (٧) وقال لهم نجِّسوا البيت واملأوا الدُّورَ قتلى اخرجو فخرجوا وقُتِلُوا في المدينة"[1].

٢. "اذهبوا واضرِبوا سكّانَ يابيش جلعادَ بحدّ السّيف مع النساء والأطفال (١١) وهذا ما تعلمونه تُحرِّمون كلَّ ذكَرٍ وكلَّ امرأةٍ عرفت اضطجاع ذكر"[2].

٣. "وتُحَطَّمُ أطفالَهم أمام عيونهم وتهبُ بيوتهم وتُفْضَحُ نساؤهم"[3].

٤. "تُجازى السامرةُ لأنّها تمرّدتْ على إلهها، بالسّيف يَسقطون تُحَطَّمُ أطفالُهم والحواملُ تُشَقُّ"[4].

ثانياً: تَمَيَّزَتْ حروب النبي ﷺ بخلّوها من الدمويّة، والرغبةِ في الثأر والانتقامِ والعملِ المقصود على إبادة الشعوب أو القرى أو المدن. كما تميزّت بقلّة عدد شهداء المسلمين وقلّة عدد قتلى المشركين في المعارك التي خاضوها ضد رسول الله ﷺ. وذلك على العكس تماماً من الحروب والمعارك التي ذكَر الكتابُ المقدّس أن أنبياء وملوك بني إسرائيل قد خاضوها وأبادوا فيها الكثير من القبائل والمدن والقُرى، وذلك، كما يزعمون، بأمرٍ من الربّ[5].

ونشيرُ هنا إلى المجهود المُضني الذي يستحقُّ كلَّ الثناء والتقدير الذي قام به الأستاذ الدكتور راغب السّرجاني في دراسته التي عنونَ لها بـِ "عدم دمويّة الحروب النبويّة"[6]، وكان من خلاصة هذه الدراسة القيّمة ما يلي:

"لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كلِّ معاركهم أيام رسول الله ﷺ، وذلك على مدار عشر سنواتٍ كاملةٍ، ٢٦٢ شهيداً، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ ١٠٢٢ قتيلاً. وقد

[1] حزقيال: ٩: ٤ – ٧.
[2] القضاة: ٢١: ١٠ – ١١.
[3] اشعياء: ١٣: ١٦.
[4] هوشع: ١٣: ١٦.
[5] للوقوف على تفاصيل هذه المعارك والإبادات انظر سفر المزامير.
[6] السّرجاني، راغب، عدم دموية الحروب النبويّة، دراسة منشورة على الإنترنت في الموقع الإلكتروني للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته / www.mercyprophet.org.

حرصتُ في هذه الإحصائية على جمع كُلِّ مَن قُتلَ من الطرفين حتى ما تمَّ في حوادث فردية. وليس في حروب مواجهةٍ، كما أنني حرصتُ على الجمع من الروايات الموثّقةِ بصرف النظر عن الأعداد المذكورة، وذلك كي أتجنَّبَ المبالغات التي يقع فيها بعضُ المحققين بإيراد الروايات الضّعيفة التي تحمل أرقاماً أقلَّ، وذلك لتجميل نتائجِ الحروب النبوية! وبذلك بلغ العدد الإجماليّ لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!!!

ولكي لا يتعلل أحدٌ بأنَّ أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة ولذلك جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإنني قمتُ بإحصاء عدد الجيوش المشترِكة في المعارك، ثم قمتُ بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد الجيوشن فوجدتُ ما أذهلني!! إنَّ نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١% فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢%! وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١.٥% فقط!.

إنّ هذه النِّسَبَ الضئيلة في معاركَ كثيرةٍ بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة، و٣٨ سرية، أي أكثر من ٦٣ معركة، لَمِنْ أصدقِ الأدلة على عدم دموية الحروب في عهده ﷺ"[1].

ونضعُ بين يدي القارئ الكريم بعض الحقائق التاريخية التي تحفظُها ذاكرة التاريخ والحاضر التي رواها "ريمون داغويليه" الذي كان واحداً من المقاتِلين في الجيوش الصليبية التي احتلت القدس في الخامس عشر من شهر تموز عام ١٠٩٩م، والذي وثّقت الكثيرُ من المصادر التاريخية المسيحية روايَتَه على أنها روايةُ شاهدِ عيانٍ على دخول جيوش الصليبيين إلى القدس. وروايته هي التالية[2]: [وشاهدنا أشياءَ عجيبةً، إذا قطعت رؤوسُ عددٍ كبيرٍ من المسلمين، وقُتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج. وظلّ بعضهم الآخر يُعذَّبون عدّة أيامٍ، ثم أُحرقوا في النار. وكنتَ ترى في الشوارعِ أكوامَ الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل. بيد

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) انظر:

أ. ديورانت ول، قصّة الحضارة، ترجمة عبد الحميد يونس، المجلد الرابع من الجزء الرابع الباب ٢٣، الفصل الأول، الحروب الصليبية، ص ٢٥، طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

ب. آرمسترونغ، الحرب المقدسة [م. س] ص ٢٣١، ٢٣٢ بتصرف.

ج. الفرا، محمد علي، الإسلام والغرب مواجهة أم حوار، ص ٣١ – ٣٣ بتصرف، ط١، ٢٠٠٢، دار مجدلاوي للنشر، الأردن.

د. زابورف، ميخائيل، الصليبيّون في الشرق، ص ١٢٢، ١٢٣.

هـ. حبشي، حسن، الحرب الصليبيّة الأولى، ص ١٧٩.

أنَّ هذا كلَّه لا يُعدُ شيئاً بالمقارنة مع ما حصل في هيكل سليان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] حيث تُقام عادةً خدمة القدّاس. فماذا حصل هناك؟ أخشى إن انا أخبرتكم بالحقيقة أن لا تصدقوها لذلك حسبي أن أقول لكم على الأقل إنه في هيكل سليان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] ورواقه غاص الرجال حتى الرُّكَب وأعنّة الخيل في الدماء. وقد كان حُكماً إلهياً عادلاً ورائعاً أن يمتلئ هذا المكان بدماء الملحدين، وهو الذي عانى طويلاً من تجديفاتهم وتدليساتهم. لم تكن تلك المقتلةُ مجردَ معركةٍ عاديةٍ من معارك الفتوحات، فقد هجم الصليبيون على مسلمي بيت المقدس وأعملوا في رقابهم السيف كأنهم ملائكةُ الانتقام في سفر الرؤيا. كان ذلك حُكماً أصدره الربّ بذاته. وكان خلاصاً يُشبه الخلاص الذي اجترحه الربُّ في البحر الأحمر حين فتك بجيش المصريين عن بكرة أبيه. بل كان فصلاً عنيفاً وقاطعاً ما بين العدل والظلم لقد أضحت الحملة الصليبية بحقٍّ حرباً مقدسةً. والرحلة المقدسةُ انتهت بمعركة الخير ضد الشر، أباد فيها جنود المسيح زهاء ٤٠ ألفاً من المسلمين في ظروف يومين..].

إنّ مرض فقدانِ الذاكرة المؤقّتِ عاد ليُلازمَ الرهبان الطاعنين في هذا الفصل من جديدٍ، فهم يكبّرون ويضخّمون قضّية الجهاد والسيف في الإسلام وينسون، بل يتناسون تماماً، قضيّة الحرب المقدَّسةِ (أو الحرب العادلة) والسّيف في المسيحية. "وكان القديس أوغوسطينوس قد أجازَ الجهاد في سبيل الله، فتبعه البابا لاوون الرابع (٨٤٧ – ٨٥٥) فأكَّدَ الثواب لمن يسقط مدافعاً عن الكنيسة. وجاء يوحنا الثامن (٨٧٢ – ٨٨٢) فاعتبر المجاهدين شهداء. وأباحَ البابا نيقولاووس الأول (٨٥٨ – ٨٦٧) حملَ السلاح في وجه الكَفَرَةِ لكلِّ من أَخطأَ ووقع تحت الحرم. ولم يعبأ الآباء الغربيون باجتهاد باسيليوس الكبير وامتناعه عن مناولة المحاربين ثلاث سنواتٍ متتاليةٍ فحضّوا المؤمنين على حمل السلاح في وجه المسلمين. ومنح البابا الكسندروس الثاني الغفران لجميع المجاهدين في إسبانية وشجع غريغوريوس السابع في السنة ١٠٨٠ حملة غوي جوفروا على إسبانية. وحذا حذوه أوربانوس الثاني فحض حجاج القبر المقدَّس على استبدال الحج بالعمل المثمر لتحرير إسبانية من المسلمين وإعادة بنائها.

وهكذا فإنه عندما دعا الوفد البيزنطي الآباءَ إلى التعاون في سبيل الدفاع عن الكنيسة الجامعة في الشرق كانت فكرة الحرب المقدَّسة قد ظهرت إلى حيِّز الوجود في الغرب وكانت الكنيسة الغربية قد باركتْها ونشّطتها. فوقع نداء الشرق في نفس أوربانوس الكبيرة موقعاً

جليلاً. وأطرق يفكّر، فمرّتْ مواقف أسلافه أمام عينيه مرور البرق فصَّمم أن يقدّم للمسيحية في الشرق أكثر بكثيرٍ مما طلب وفدُ اليكسيوس الفسيلفس"[١].

وقد سبق لنا في هذه الدراسة الوقوف طويلاً عند كيفية تشريع القديس أوغسطين للحرب المقدّسة (الحرب العادلة) في المسيحية وتطوير توما الأكويني لها ووضعه للشروط الخاصّةِ بها[٢].

ونرى من المناسب في نهاية دحضنا لشبهة انتشار الإسلام عن طريق السّيف والسلاح والجهاد، أن نسوق شهادةً لواحدٍ من أبرز الدارسين المسيحيين للإسلام، ألا وهو الدكتور غوستاف لوبون لنرى ماذا يقول عن انتشار الإسلام بالسيف والسلاح والجهاد ... لقد ضمَّنَ لوبون رأيه الصريح في هذا الموضوع في كتابه "حضارة العرب" حيث كانت خلاصة ذلك ما يلي:

"وسيرى القارىء، حين نبحثُ في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم، أنَّ القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن "الإسلام"، فقد ترك العربُ المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعضُ الأقوامِ النصرانيةِ الإسلامَ واتخذوا العربية لغةً لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل.

وقد أثبتَ التاريخُ أنّ الأديان لا تُفرض بالقوة، فلمَّا قهر النصارى عربَ الأندلس فضَّل هؤلاء القتلَ والطردَ عن آخرهم على ترك الإسلام ... لم ينتشر الإسلام بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوبُ التي قهرت العربَ مؤخراً كالترك والمغول. وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العربُ فيها غيرَ عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نَفْسٍ فيها، ولم يكن القرآن أقلَّ انتشاراً في الصين التي لم يفتح العربُ أيَّ جزءٍ منها قط"[٣].

---

[1] رستم، أسد، [م. س]، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

[2] انظر المبحث الرابع من الفصل الأول من هذه الدراسة للوقوف على التفاصيل.

[3] لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، ص ١٢٥ – ١٢٩ بتصرف، واختصار ط٢، ١٩٥٦، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.

"وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبةً، ولا سيّما الأمم النصرانية ، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة ، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقفُ النظرَ ويناقضُ سلوكَ الأمم الأخرى، ولا سيما الأمم الأوروبية أيّامَ الحروب الصليبية ... الحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم"[1].

- أمّا عن شبهة إجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام فتدحضها وتردّ عليها الحقائق التالية:

أولاً: قوله تعالى: " **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ**"[2]. وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما يفسِّرُها ويوضِّحُ المقصودَ منها والحكم الذي تدلُّ عليه ألا وهو عدم جواز إكراه وإجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام. "أخرجَ ابنُ اسحق وابن جريرٍ عن ابن عباس في قوله " **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ**" قال: نزلت في رجلٍ من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيّان، وكان هو رجلاً مُسلماً، فقال للنبيِّ ﷺ ألا أستكرهُهما فإنّهما قد أبيا إلاّ النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك.

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عبيدة "أنّ رجلاً من الأنصار من بني سالم ابن عوف كان له ابنان تنصّرا قبل أن يُبعثَ النبي ﷺ، فقدما المدينة في نفرٍ من أهل دينهم يحملون الطعام، فرآهما أبوهما فانتزعهما وقال: واللهِ لا أَدَعُهُما حتى يُسلما، فأبيا أن يُسلما، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بَعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" الآية. فخلى سبيلهما"[3].

ثانياً: قوله تعالى: " **فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ**"[4].
فقد وضَّحتْ هذه الآية الكريمة وظيفةَ الرسول ﷺ وهي دعوة الناس إلى الإيمان بالله

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٤٢٩، ٤٣٠، بتصرف.
[2] سورة البقرة: الآية ٢٥٦.
[3] السيوطي [م. س]، ج٣، ص ٢١.
[4] سورة الغاشية: الآيتان ٢١، ٢٢.

تعالى دون أيِّ نوعٍ من الإكراه أو الإجبار وقد جاء في تفسيره هذه الآية الكريمة ما يلي:

"أي فذكِّرْ يا محمدُ الناسَ بما أرسُلتَ به إليهم "فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب" ولهذا قال " لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ"، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما "لستَ عليهم بجبّارٍ" أي لستَ تخلق الإيمان في قلوبهم. وقال ابن زيدٍ لستَ بالذي تكرههم على الإيمان"[١].

ثالثاً: مجيء عشرات الوفود من القبائل العربية وعلى رأسها سادتها وزعماؤها طواعيةً إلى المدينة المنوّرة لمقابلة الرسول ﷺ وإعلان إسلامهم في العام التاسع للهجرة والذي سُمّي بسبب ذلك عام الوفود

رابعاً: استقبال النبي ﷺ لوفد نصارى نجران الذي "كان يتكوَّنُ من أشرافهم وساداتهم وعلى رأسهم عبد المسيح وأبو الحارث بن علقمة، وقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا"[٢]. وقرروا البقاء على دينهم وصالحهم النبي ﷺ على أن يدفعوا الجزية وأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح لتحصيلها.

خامساً: إن كان المسلمون قد أَجَبروا غيرهم على الدخول في الإسلام فبماذا نعلِّلُ وجودَ عشرات الآلاف منهم يعيشون في بلاد المسلمين وبين ظهرانيهم في سلامٍ وأمانٍ منذ صدر الإسلام حتّى يومنا هذا؟؟

سادساً: يدحضُ هذا الفريةَ كتابُ رسول الله ﷺ لأهل نجران النصارى. وهذه مقتطفاتٌ من أبرز ما ورد فيه[٣]: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتبَ محمدٌ النبيُّ رسول الله ﷺ لأهل نجران ـ إذ كان عليهم حكمهُ ـ في كلّ ثمرةٍ وفي كلّ صفراء وبيضاء ورقيق، ولنجران وحاشيتها جوارُ الله وذمّةُ محمدٍ النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملّتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبِيَعِهِم وكل ما تحت أيديهم من قليلٍ أو

(١) ابن كثير، [م. س]، ج٤، ص ٨٣٦.
(٢) صحيح البخاري [م. س] كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ص ١٠٩، ١١٠ بتصرف.
(٣) القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ص ٨٥، ٨٦، ٨٧، بتصرف، ط١، ١٩٢٧، المطبعة السلفيّة، القاهرة.

كثير، لا يُغَيَّرُ أسقفٌ من أسقفيته ولا راهبٌ من رهبانيته ولا كاهنٌ من كهانته وليس عليه دنيّةٌ. ولا دمُ جاهليةٍ، ولا يحشرون ولا يعسرون ولا يطأ أرضَهم جيشٌ. ومَن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصَفُ غير ظالمين ولا مظلومين. ومن أكل رباً من ذي قبلٍ فذّمتي منه بريئةٌ. ولا يؤخذُ رجلٌ منهم بظلمٍ آخر وعلى ما في هذا الكتاب جوارُ الله وذمةُ محمدٍ النبي رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مُنفلتين بظلمٍ. شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والاقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة بن شعبة. وكتبَ لهم هذا الكتابَ عبدُ الله ابن أبي بكر".

سابعاً: ويدحضُ هذه الفريةَ كتابُ خليفة رسول الله ﷺ أبي بكرٍ الصدّيق لنصارى نجران بعد وفاة رسول الله ﷺ. وهذه مقتطفاتٌ من أبرز ما ورد فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتبَ به عبدُ الله أبو بكر خليفة محمّدٍ النبيّ رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم بجوار الله وذمّة محمّدٍ النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم وأرضيهم وملّتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبِيَعِهم، وكلّ ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثيرٍ. لا يُحَسَّرون ولا يُعَسَّرون، ولا يُغَيَّرُ أُسقفٌ من أسقفيتّه ولا راهبٌ من رهبانيته وفاءً لهم بكلّ ما كتب لهم محمّدٌ النبي ﷺ. وعلى ما في هذه الصحيفة جوارُ الله وذمّةُ محمدٍ النبي ﷺ أبداً. وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحقّ. شَهِدُ المستوردُ بن عمرو أحد بني القين وعمرو مولى أبي بكر وراشد بن حذيفة والمغيرة وكتب"[1].

وقد كتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في عهد ولايته كتاباً مشابهاً لهذا الكتاب لنصارى نجران.

ثامناً: ويبلغ التسامحُ مع غير المسلمين الذين يعيشون في كنف ديار الإسلام قِمَّتهُ في موقفٍ لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما مرّ بعجوزٍ يهوديٍّ ضريرٍ لا يقدرُ على الكسب وجعل له من بيت المال سهماً. "مرَّ عمرُ، رضي الله عنه، بباب قومٍ وعليه

---

[1] المرجع السابق، ص ٨٧.

سائلٌ يسأل: شيخٌ كبيرٌ ضريرُ البصر، فضرب عضده من خَلفهِ وقال: من أيِّ أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأكَ إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيءٍ من المنزل. ثم أرسلَ إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءَهُ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذلهُ عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه"[١].

تاسعاً: وهذا جزأٌ من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد، رضي الله عنه، للنصارى من أهل الحيرة وكان عددهم ستّة آلاف رَجُلٍ آنذاك. ذكَرَ فيه رفضهم الدخول في الإسلام وطلبهم المصالحة على ما صالحَ عليه غيرَهُم من أهل الكتاب في إعطاء الجزية ثم قال: "... وإنّي دعوتُهم إلى الله وإلى رسوله فأبوا أن يُجيبوا، فعرضتُ عليهم الجزية أو الحرب فقالوا: لا حاجة لنا بحربِكَ، ولكنْ صالِحْنَا على ما صالحتَ عليه غيرَنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية .. وشَرطتُ عليهم أنَّ عليهم عهدَ الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل: أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافراً على مسلمٍ من العرب ولا من العجم. ولا يدلّوهم على عورات المسلمين، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذَهُ اشدَّ ما أخذه على نبيٍّ من عهدٍ أو ميثاقٍ أو ذمةٍ ... وجعلتُ لهم أيَّما شيخٍ ضَعُفَ عن العمل أو أصابته آفةٌ من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدَّقون عليه طُرِحتْ جزيتهُ وعِيلَ من بيت مال المسلمين وعيالهُ، ما أقامَ بدار الهجرة ودار الإسلام. فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم"[٢].

عاشراً: وحتى يكون آخر القول أحسنه في نهاية ردّنا على شُبهة وفرية إجبار المسلمين لغيرهم على الدخول في الإسلام، فإننا نسوقُ وبكلِّ فخرٍ واعتزازٍ عهد الأمان الذي أعطاه أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، للنصارى من أهل القدس عندما أكرمه اللهُ تعالى بدخولها فاتحاً لها فتحاً سلميّاً، ومؤمِّناً لهم على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم ودور عبادتهم. "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم،

(1) المرجع السابق، نفسه، ص ١٥١.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ١٧٢، بتصرف.

وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها؛ أنه لا تُسْكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيِّزِها، ولا من صليبهم، ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يُكرَهون على دينهم، ولا يضارّ أحدٌ منهم، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يُعطُوا الجزية كما يُعطِي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرِجُوا منها الروم واللصوت؛ فمن خرج منهم فإنه آمِنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم؛ ومن أقام منهم فهو آمن؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومَن أحبَّ مِن أهل إيلياء أن يسيرَ بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بِيَعهم وصُلُبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فَمن شاء منهم قعدوا، عليه مْثِلُ ما على أهل إيلياء من الجزية، ومَنْ شاء سار مع الروم؛ ومَنْ شاء رجع إلى أهله فإنه لا يُؤخَذُ منهم شيءٌ حتى يُحصَدَ حصادُهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذمّةُ رسوله وذمّةُ الخلفاء وذمّةُ المؤمنين إذا أَعطُوا الذي عليهم من الجزية. شَهِدَ على ذلك خالدُ بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدُ الرحمن بن عوف، ومعاويةُ بن أبي سفيان، وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة"[1].

لقد عُرِفَت هذه الوثيقةُ وهذا العهد في التاريخ باسم العهدة العمريّة، وهي كبيرُ وخيرُ شاهدٍ على تسامح المسلمين وقدرتهم على استيعاب الآخر والتعايش معه دون إكراهه أو إجباره على ترك دينه واعتناق دينهم.

إنَّ الرهبان الطاعنين لمطالَبُون أمام أنفسهم وضمائرهم والتاريخ والحاضر بعقد مقارنةٍ بين فعل الفاروق صاحب أقوى جيشٍ على الأرض آنذاك وبين فعل جيوش الصليبيين الذين دخلوا القدس وفعلوا فيها الأفاعيل من الذبح والقتل وسفك الدماء، لِيَعْرفوا مَن هو الأرحم، ومن هو الأقدر على التسامح، ومن الأقدر على التعايش مع الآخر ...

- أما عن شبهة ارتباط الإسلام بالعنف والتهديد والتخويف والإرهاب فهي شبهةٌ باطلةٌ مُتهافتةٌ كذَّبتها الوقائع والحقائق التاريخيّة التي سبق إيرادها، ونحن نعلم تماماً أنّ هذه واحدةٌ من الافتراءات التي صنعتها آلةُ الإعلام المسيحيّ الغربيّ قديماً وحديثاً لتخويف الناس من المسلمين وصدّهم عن اعتناق الإسلام.

---

[1] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، ج٣، ص ٦٠٩، ط٢، ١٩٦٧، دار سويدان للنشر، بيروت.

- أمّا قديماً فقد دحضت هذه الفريَة أخلاقُ المسلمين الأوائل الفاتحين الذين لم يُكرِهوا مسيحيّاً واحداً على الدّخول في الإسلام، ولم يهتكوا عِرضاً ولم يهدموا منزلاً، وكانت أخلاقهم من أكبر عوامل جذب غير المسلمين إلى الإسلام. وقد تقدّمت الأحاديثُ الدالّةُ على ذلك، ولكننا نجدُ من المفيد لإقامة الحجّة على هؤلاء الطاعنين تذكيرهم بوصايا قادة الجيوش المُسْلمة لجنودهم قبل خوض أيّةِ معركةٍ، ومن ذلك وصيّة أبي بكرٍ الصدّيق لجيش أسامة "يأيها الناس، قفُوا أوصِكُمْ بعشرٍ فاحفظوها عنّي: لا تَخُونُوا ولا تُغِلّوا، ولا تَغْدِروا ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً، ولا تعقِرُوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأْكَلةٍ؛ وسوف تَمرُّونَ بأقوامٍ قد فَرَّغُوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فَرَّغُوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعام؛ فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيءٍ فاذكروا اسم الله عليه ..."[1].

إن كانت هذه الوصايا للجيش المُقَاتِلِ وهو خارجٌ للحرب فمن السهل على كلِّ عاقلٍ أن يتصّورَ كيف كانت الوصايا لبقية الناس في الأوضاع العاديّة التي كانت تسود المجتمعات الإسلامية آنذاك.

- أمّا في وقتنا الحاضر، فقد كان لمجمع الفقه الإسلامي الكلمةُ الفصلُ في الردّ على أولئك الطاعنين الذين يَسِمُون الإسلام بالعنف والإرهاب، غير فاصلين بينه وبين تصرّفات بعض أبنائه الذين أساؤوا فهمه فأساؤوا له وللآخرين. لقد مايزَ علماءُ المجمع بين العنف والإرهاب من جهةٍ وبين الجهاد وحقِّ الدفاع عن النفس ومقاومة الاعتداء من جهةٍ أخرى في كلامٍ سهلٍ راقٍ مُقنعٍ هذا نصُّه[2]:

أولاً: تحريمُ أعمال الأرهاب وأشكاله وممارساته جميعها، واعتبارها أعمالاً إجراميّةً تدخلُ ضمن جريمة الحَرَابة وأينما وقعت وأيّاً كان مرتكبوها. ويُعَدُّ إرهابياً كلّ من شارك في الأعمال الإرهابية مباشرةً، أو تسبُّباً، أو تمويلاً، أو دعماً، سواء كان فرداً أم جماعةً أم دولةً، وقد يكون الإرهابُ من دولةٍ أو دولٍ على دولٍ أخرى.

---

[1] الطبري [م. س] ص ٢٢٦، ٢٢٧.

[2] قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم ١٥٤ (١٧/٣) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب، منشورٌ في موقع المجمع الإلكتروني www.fiqhacademy.org.

ثانياً: التمييز بين جرائم الإرهاب وبين المقاومة المشروعة للاحتلال بالوسائل المقبولة شرعاً، لأنّ الهدف من المقاومة المشروعة إزالة الظلم واسترداد الحقوق المسلوبة، وهو حَقٌّ مُعترَفٌ به شرعاً وعقلاً وأقرّته المواثيق الدولية.

ثالثاً: وجوب معالجة الأسباب المؤدية للإرهاب، وفي مقدّمتها الغلو والتطرّف والتعصّب والجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، وإهدار حقوق الإنسان وحرّياته السياسيّة والفكريّة، والتي تؤدي إلى اختلال الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسيّة.

رابعاً: التأكيد على أنّ الجهاد للدفاع عن العقيدة الإسلامية، وحماية الأوطان وتحريرها من الاحتلال الأجنبي ليس من الإرهاب في شيءٍ، ما دام الجهادُ مُلتزَماً فيه بأحكام الشريعة الإسلامية.

الشّبهةُ الثالثةَ عشرة ودفعها:

يستتبعُ الحديثَ عن شبهة انتشار الإسلام بحدّ السيف وقوّة السلاح والجهاد شبهةٌ تدعمها وتقوّي من وقعها في النفوس، ومضمون هذه الشّبهة أنّ محمّداً يقول: إنّ الله أمره أن يُقاتلَ كلَّ الناس فلا يتوقّف عن قتالهم إلا حين إعلانهم الدّخول في الإسلام ونطقهم بالشّهادتين. وإنّ الجنّة التي وعد بها محمّدٌ أتباعه كانت وستبقى تحت ظلال السيوف!!!

- من الواضح تماماً أنّ هذه الشبهةَ قائمةٌ على حديثين شريفين، أولهما قوله ﷺ "أُمِرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول" وثانيهما قوله ﷺ "واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السّيوف". وهذان الحديثان صحيحان أخرجهما الإمام البخاري، رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً، في صحيحه. ومن الواضح أنّ كلمة "السَّيف" لها وقعٌ عظيمٌ في نفوس الرهبان الطاعنين وتأثيرٌ عليهم لا يعلمه إلاّ اللهُ تعالى. وهم في إبرازهم لأحاديث "السيف والقتال والحرب" يتعامون تماماً عن ورود هذه الألفاظ الثلاثة في كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد مرّاتٍ كثيرةً، وهذا ما سنقوم بتوضيحه وتفصيل القول فيه، بعونه تعالى، بعد شرحنا لمضمون الحديثين الشريفين وحقيقة المراد بهما.

أمّا الحديث الأول فقد أخرجه الإمام البخاري، رحمه الله، في صحيحه "قال رسول الله ﷺ: (أُمِرتُ أن أُقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام، وحسابُهم على الله)[1]. كما أخرجه الإمام مسلم، رحمه الله تعالى، في صحيحه قال رسول الله ﷺ: (أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا اللهُ عصمَ منّي ماله ونفَسه إلا بحِّقهِ، وحسابُه على الله)[2].

ومن المستحيل عقلاً وشرعاً أن يُقاتل رسول الله ﷺ الناس جميعاً، كما فهم الرهبان الطاعنون، لأنَّ هذا الفهم الأعوج يقتضي أن يُحارِبَ النبيُ كلَّ الناس سوى المسلمين، وهذا مرفوضٌ شرعاً حيث أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يُطلَبْ إليهم أبداً أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

فالمقصود بالناس في الحديث الشريف "بعضُ الناس" أو "طائفةٌ من الناس" ألا وهم المشركون من غير أهل الكتاب. قال ابن حجرٍ العسقلاني، رحمهُ الله، في توضيح معنى لفظ "الناس" الوارد في هذا الحديث الشريف "أن يكونَ من العام الذي أُرِيدَ به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله "أقاتل الناس" أي: المشركين من غير أهل الكتاب. ويدلُّ عليه رواية النسائي بلفظ "أُمرتُ أن أقاتل المشركين". فإن قيل: إذا تَّم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية، أجيبَ بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدّةً كما في الهدنة، ومقاتلة مَن امتنع من أداء الجزية بدليل الآية"[3].

ويشهدُ لصحّة تبعيض المقصود من كلمة الناس الواردة في هذا الحديث لا تعميمه قوله تعالى في سورة آل عمران **"ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ "[4]**. فقد ورد في تفسير معنى "الناسُ" المُثبِّطون الذين حاولوا تثبيط همم المسلمين الذين خرجوا في طلب أبي سفيان في حمراء الأسد، والمقصود بها نعيم بن مسعود

---

[1] صحيح البخاري [م. س] كتاب الإيمان، باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم".

[2] صحيح مسلم [م. س] كتاب الإيمان، باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله"

[3] فتح الباري [م. س]، ج١، ص ٩٧.

[4] سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

الأشجعيّ، أمّا (الناسَ) فالمقصود بها أبو سفيان وأصحابه، فإن قُلتَ كيف قيل (الناسُ) إن كان نعيمُ هو المُثَبِّط وحده؟ قلتُ: قيلَ ذلك لأنّه من جنس الناس، كما يُقال: فلان يركبُ الخيل ويلبسُ البرودَ، وماله إلاّ فرسٌ واحدةٌ وبردٌ فردٌ[١].

ثم إنّه لا يصحُّ أن يُفهمَ من الحديث الشريف السابق أن كلمة "أقاتل الناس" تعني قتلهم لا، فمن معاني القتال ردُّ الأذى والاعتداء والظّلم.

أمّا عن الحديث الثاني فقد أخرجه الإمام البخاري، رحمه الله، في صحيحه، "إنَّ رسولَ الله ﷺ في بعض أيامه التي لَقِيَ فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيباً قال: "أيُّها الناسُ لا تمنَّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهمَّ مُنزلَ الكتاب ومُجريَ السَّحاب وهازمَ الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم"[٢].

هذا الحديث الشريف شارحٌ نفسَه بنفسه؛ فهو يُجَسِّدُ غزوة الأحزاب (الخندق) التي تداعت فيها الكثير من القبائل العربيّة واليهوديّة لمهاجمة المسلمين في المدينة المنوّرة والقضاء عليهم واستئصالهم، في جيشٍ فاق تعداده العشرة آلافٍ من المقاتلين. فهبَّ النبيُّ ﷺ يستنهض هِممَ المسلمين للذود عن وجودهم وكيانهم المهدَّدِ آنذاك، ويدعوهم لحمل السلاح والسيوف للذود عن أنفسهم ويبِّشرهم بأنّ الجنّة تحت ظلال هذه السيوف. السيوف المرفوعة في وجه الظلم والبغي والمعتدي، لا السيوف المرفوعة للقتل والإكراه والاعتداء كما تتخيّلُ عقول الرهبان الطاعنين السَّقيمة. ماذا كان الرهبانُ الطّاعنون يتوقّعون من رسول الله ﷺ أن يقول في هذا الموقف الرهيب الذي كان يتهدَّدُ دينه وقومه؟؟ ماذا كان الرهبان الطاعنون يتوقّعون من الرسول المُحاصَرِ وقومه ونسائهم وذراريهم؟؟ أكانوا يتوقّعون منه أن يقول لأصحابه أغمدوا سيوفكم واخفضوا أصواتكم وأحنوا رؤوسكم واستعدّوا للموت؟؟ أكانوا يتوقّعون منه الاستسلام والفرار والنزول على حكم اليهود والقبائل العربيّة الوثنيّة المُشرِكة؟؟ حاشا لنبيٍّ أن يفعل ذلك، فكيف وهو سيِّدُ الأنبياء وسيِّدُ ولد آدم؟؟ حاشاه حاشاه، وكيف

---

[١] الزمخشري، [م. س]، ج١، ص ٤٤١، بتصرف واختصار.

[٢] صحيح البخاري [م. س] كتاب الجهاد والسّير، باب لا تمنوا لقاء العدو.

لا يقول سيِّدُ الأنبياء ذلك وقد سبق أن وعدهم مراراً بأنّ الجنّة والجنّة وحدها جزاءُ ومُستقرُّ الشهداء والمجاهدين لتكون كلمةُ الله هي العليا؟؟!

ولعمري لولا ذاك الوعد وصمودُ رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، في ذاك الموقف وتلك الغزوة لما وصلَ الإسلامُ إلى زماننا هذا خصوصاً إذا ما تذكَّرنا أنَّ حلفاء النبي ﷺ من يهود بني قريظة قد تآمروا مع الأحزاب ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ والمسلمين، وفتحوا أبوابهم على مصراعيها لتكونَ بدايةً لجبهةٍ جنوبيّةٍ يُغيرُ منها المشركون على المسلمين.

ثُمَّ لماذا يستكثر الرهبان الطاعنون على رسول الله ﷺ أن يدعو المسلمين لحمل السيوف للدفاع عن وجودهم ويتعامون عن استخدام أنبياء وملوك العهد القديم للسيوف والإسراف في القتل والتقتيل وإبادة المدن والقرى؟؟ ولماذا يتعامون عن دعوة المسيح التي قال فيها "لا تظنّوا أني جئتُ لألقيَ سلاماً على الأرض، ما جئتُ لألقي سلاماً بل سيفاً، وإني جئتُ لأفرِّقَ الإنسان ضدَّ أبيه، والابنة ضدَ أمها، والكِنَّةَ ضدّ حماتها، وأعداءُ الإنسان أهل بيته. مَن أحبَّ أباً أو أمّاً أكثرَ منّي فلا يستحقّني، ومَن أحبّ ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني، ومّن لا يأخذُ صليبَه ويتبعني فلا يستحقّني. مَن وجَدَ حياته يُضيعُها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدُها"[1].

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نقرأ عليهم قول المسيح ـ عليه السلام ـ "جئتُ لأُلقي ناراً على الأرض فما أريدُ لو اضطرمَتْ؟؟"[2] وماذا يقولون عندما نقرأ عليهم قول المسيح ـ عليه السلام ـ "أمّا أعدائي أولئك الذين لم يُريدوا أن أملِكَ عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قُدّامي؟؟"[3].

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نقرأ عليهم نصوص العهد القديم التي تبُيحُ قتلَ الرجال والنساء والأطفال وتدمير القبائل وأهلها؟؟ ومن ذلك "حين تقرُبُ من مدينةٍ لكي تحاربها استدعها إلى الصّلح، فإن أجابتكَ إلى الصلح وفتحتْ لك، فكل الشعب الموجود فيها

---

[1] متى: ١٠: ٣٤ – ٣٩.
[2] لوقا: ١٢: ٤٩.
[3] لوقا: ١٩: ٢٧.

يكون لك للتسخير ويُستعبَدُ لك. وإن لم تسالمكَ، بل عَمِلَتْ معك حرباً، فحاصرها. وإذا دفعَها الربُّ إلهُكَ إلى يدك فاضرب جميعَ ذكورها بحدِّ السّيف. وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلُّ ما في المدينة، كلُّ غنيمتها، فتغتنِمُهَا لنفسكَ، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك. هكذا تفعلُ بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مُدنِ هؤلاء الأمم هنا. وأمَّا مدنُ هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الربُ إلهُك نصيباً فلا تَستبقِ منها نسمةً ما، بل تُحرِّمُها تحريماً: الحثّيين والأَمُوريّن والكنعانيين والفِرزيّن والحِوّيّن واليبوسيين، كما أمركَ الربُّ إلهُك، لكي لا يُعَلِّموكم أن تعملوا حسْبَ جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتَخْطِئوا إلى الربّ إلهكم"[1].

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نُذَكِّرهم بأنّ كتابهم المقدّس في عهده القديم يحكي أنّ نبيّ الله داود قتل أربعين ألفاً من الفرسان المحاربين في حربه ضد أَرام؟ "وهرب أرامُ من أمام إسرائيل، وقتل داودُ من أرام سبعَ مئةِ مركبةٍ وأربعينَ ألفَ فارسٍ، وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك"[2].

وأخيراً فماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نذكر أمامهم قول الكتاب المقدّس في عهده القديم عن نبيّ الله داود في حربه ضدّ مدينة ربّة بني عمّون "وأَخْرَجَ الشعبَ الذي فيها وَوَضَعُهمْ تحت مناشير ونوارجِ حديدٍ وفؤوسِ حديدٍ وأَمَرَّهُمْ في أتون الآَجُرِّ، وهكذا صنعَ بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم"[3].

ما لهؤلاء الرهبان الطاعنين يستخفُّون كلَّ أنواع السيوف إلا سيف الإسلام يستثقلونه؟ وما لهم يعترفون بمشروعية حمل السيف للدفاع عن النفس تارةً ولإبادة المدن والقرى تارةً إلا سيف الإسلام يرونه للقتل والإكراه والإجبار؟؟؟.

---

[1] التثنية: ٢٠: ١٠ – ١٨.

[2] صموئيل الثاني: ١٠: ١٨.

[3] صموئيل الثاني: ١٢: ٣١.

الشُّبهةُ الرابعةَ عشرةَ ودفُعها:

إنَّ الجنَّةَ التّي وعد بها محمدٌ أتباعه وأصحابه مليئةٌ بالشّهوات والملذّات الحسّيّة والماديّة والجنسيّة فقط. وقد وعد محمدٌ أتباعه بأنَّ المحرَّماتِ عليهم في الدنيا، كالخمر ولبس الحرير والذهب والزواج من نساءٍ كثيراتٍ، ستكون مُباحةً لهم ومتوفرّةً بالكامل في الجنّة.

- من الطبيعي والمتوقَّع أن يقول الرهبان الطاعنون قولاً كهذا؛ فهم لم يُتْعِبوا أنفسهم في قراءة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة التي شَكَّلتْ بمجموعها التصُّورَ الصحيح الواضح الدقيق للمسلم عن جنّة الخُلدِ والنّعيم. ونذكّرهم هنا بأنّ الجنّةَ كما وصفها لنا الشارع لا تقتصر على ما تتوهمه عقولهم من اللذات، والمتع الماديّة فقط بل إنّ فيها من اللذات المعنوية والروحية ما يفوق كلَّ شيءٍ يُسمّى مادّةً. ففيها نهاية الغايات من الطمأنينة القلبية والراحة النفسيّة والسكينة والرضى المتحققة برؤية الله تعالى، "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**"[1]. وهل هناك نعيمٌ ألذُّ وأكبرُ من هذا المتحقق برؤية الله تعالى؟؟ وفي الجنة مَودّةٌ وودٌّ متبادَلٌ بين أهلها وسلام وسكينةٌ يتقلّب أهلها في النّعيم. فلا خوف ولا شحناء ولا تحاسد ولا تباغض ولا تنافس ولا "قيل وقال" ولا لغواً ولا تأثيماً. ولعمري ما الذي يطمع فيه الإنسان من حياةٍ غير هذه ؟؟ ثمّ إنّ هناك من ألوان النعيم الذي خبّأه الله تعالى لعباده الذين يدخلون الجنة ما لم تره عينٌ ولم تسمعه أذنٌ ولم يخطر على قلب واحدٍ من البشر. قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخراً من بَلْهَ ما أُطلِعْتُم عليه. ثم قرأ " **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** "[2])[3].

---

[1] سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

[2] سورة السجدة: الآية ١٧.

[3] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)

ونُذكّر الرهبان الطاعنين، بمناسبة الحديث عن المتع المادية في الجنّة من طعامٍ وشرابٍ وخمرٍ ولبنٍ وعسلٍ، بأنَّ هذه الأطعمة والأشربة ولئن وُجِدتْ في الجنّة إلا أنها لا تشبه طعام وشراب أهل الدنيا في شيءٍ مِنْ طعمها وأثرها، يشهد لذلك قول ابن عباسٍ، رضي الله عنهما، "ليس في الدنيا من الجنّة شيءٌ إلا الأسماء"[1]، فهو تشابهٌ في الأسماء والمعاني لا في الخصائص والكيفيّات. قال ابن تيمية رحمة الله عليه: واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسِفة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون في الجنة أكلٌ وشربٌ ولباسٌ وزواجٌ. ويمنعون وجودَ ما أَخبرَ به القرآن. والردُّ عليهم هو أنَّ ما ورد في القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة، أَنَّ حقيقتها ليست مُماثِلةً لما في الدنيا، بل بينها تباينٌ عظيمٌ من التشابه في الأسماء. فنحنُ نعلمها إذا خُوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدرِ المشترَكِ بينها ولكنْ لتلك الحقائق خاصيّةٌ لا نُدركها في الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كلِّ وجهٍ، وتلك الحقائق على ما هي عليه[2].

ثمّ من أين جاء الرهبان الطاعنون بعبارة وفكرة "أنّ كلّ محرَّمٍ على المسلمين في الدنيا سيكون مباحاً لهم في الجنّة"؟؟ فهل تُباحُ السّرقة في الجنة؟؟ وهل يباحُ القتل؟؟ وهل يُباحُ التحاسد؟؟.

وفي الوقت الذي نرى فيه الرهبان الطاعنين يهاجمون التصوّر الإسلامي للجنَّة ويقصرون ذلك على الجانب الحسيّ المادي وينفون وجودَ مثلِ هذا الجانب في تصوِّرهم المسيحيّ للجنة نرى الإنجيل يخبرنا خلاف تَصَوُّرِهم تماماً، حيث أنّ الإنجيل يذكر في مواضعَ متعدّدةٍ تناول الطعام والشراب فيها. ويشهد ذلك ما يلي ممّا جاء على لسان المسيح عليه السلام:

١. (وأنا أجعلُ لكم كما جعل لي أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسيّ تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر)[3].
٢. (الحقَّ أقولُ لكم إنّي لا أشربُ بعدُ من نِتَاجِ الكَرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله)[4].

[1] الطبري، جامع البيان (م.٧) ج١ ص١٣٥.
[2] ابن تيمية، رسالة الإكليل، من مجموعة الرسائل الكبرى ٢: ١١.
[3] لوقا: ٢٢: ٣٠
[4] مرقس: ١٤: ٢٥

٣. (إذا صنعتَ غَداءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءكَ ولا إخوتَكَ ولا أقرباءَكَ ولا الجيران، لئلا يَدْعوكَ هم أيضاً بالمقابل فتكون لك مكافأةٌ، بل إذا صنعتَ ضيافةً فادعُ المساكين الجُدْعَ العُرجَ العميَ، فيكون لك الطّوبى إذ ليس لهم حتى يكافؤك لأنك تُكافَأُ في قيامة الأبرار، فلمّا سمع هذا واحدٌ من المتّكئين قال له: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله)[١].

ونحن نكتفي بإيراد ما سُقناه من ردودٍ على شبهة الرهبان الطاعنين في اقتصار (جنّة المُسلمين) على الشهوات والجوانب الحسيّة فقط، مُذكِّرين القارئ الكريم بأنّ المصادر المسيحية كافّةً لم تقدّم لأتباعها حتى الساعة دليلاً يدرء وصف (الحسيّة) عن الجنة حسبَ التصوّر المسيحي لها.

الشُّبهةُ الخامسةَ عشرة ودفعُها:

كان محمدٌ رجلاً شهوانيّاً يعشق النساء. ولقد اتَّخَذَ لنفسه تسعَ زوجاتٍ في الوقت الذي حدَّدَ لأتباعه عدد الزوجات المسموح به بأربع فقط، وهذا دليلٌ كبيرٌ على شهوانيته وانكبابه على الدنيا وملذّاتها، مما يؤكّدُ استحالة كونه نبياً طالما كانت هذه أخلاقه.

- تُعتبر هذه الفِريةُ من أكثر الافتراءات والمطاعن الرهبانية استفزازاً لمشاعر المسلمين قديماً وحديثاً. ولذلك نرى عدداً كبيراً من المؤلَّفات التي كتبها الأساتذة والعلماء والدّعاة لدحضها والردّ عليها، وبيان زيفها. مع أنّ الكتاب المقدّس يخبّرنا عن عددٍ كبيرٍ من أنبياء بني إسرائيل الذين اتّخذوا لأنفسهم العديد من الزوجات، إلا أنّ الرهبان الطاعنين لا يرون بأساً إلاَّ في تعدّد زوجات محمد ﷺ.

ولقد ارتأينا صياغة ردود علمائنا الأفاضل[٢] على هذه الفرية على شكل نقاطٍ ليَسهُلَ العرض والنقاش.

---

[1] لوقا: ١٤: ١٢ - ١٥

[2] انظر:

أ. مرسي [م. س] ص ١٩٤-٥٠١ بتصرف.

ب. الرومي [م. س] ص٣٢٨-٣٣١ بتصرف

ج. الإسلام بين الحقيقة والادعاء [م. س]، مبحث نساء الرسول.

د. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين [م. س] الشبهة ٥١ تعدد زوجات النبي. =

ونشير قبل استعراض هذه الردود إلى أنّ الله تعالى قد منحَ من الخصوصيّات لأنبيائه ورسله ما لم يمنحه لغيرهم من البشر، ومن هذه الخصوصيات على سبيل المثال لا لحصر وجوب التهجد والقيام بحقه ﷺ، ومواصلة الصيام، والزواج بأكثر من أربعِ زوجاتٍ. ولَعَلَّ دَافِعَ الكثيرين من الطاعنين لإنكار ذلك هو إخضاعهم لما سبق ذكره لمقاييس الحياة المعاصرة في القرن الحادي والعشرين وهو أمرٌ من الخطأ بمكان!!.

إنّ العقل الغربي المعاصر يَقْبَلُ أن يكون للرجل زوجةٌ واحدةٌ تربطه بها علاقة شرعيةٌ وقانونيةٌ. كما يقبلُ هذا العقل أن يكون لهذا الرجل عشيقاتٌ عديداتٌ، ولكنَّ هذا العقل الغربيَّ المعاصِرَ لا يقبل أن يكون للنبي محمد ﷺ زوجات عديدات!! عجباً لهؤلاء كيف يحكمون!!!.

ولعلَّ بيانَ الحكمة من زواج رسول الله ﷺ من كلِّ واحدة من أمّهات المؤمنين يكون خيرَ طريقٍ ليفهم من خلاله هؤلاء الطاعنون لماذا تزوَّجَ محمدٌ ﷺ تسع نساء.

١. حين بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البِكْرِ" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مُجرّدِ المتعة. وإنما تزوَّج إمرأةً تكبره بحوالي خمسةَ عشرَ عاماً، ثم إنّها ليست بكراً بل هي ثيِّبٌ، ولها أولادٌ كبارٌ عمرُ أحدهم يقترب من العشرين؛ تلكم هي السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وفوق هذا كلَّه فمشهورٌ أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها- من خلال مباشرته لتجارتها- من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ.

وبعد زواجه منها دامت عشرتُه بها طيلة حياتها، ولم يتزوَّجْ عليها حتى مضتْ عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها-رضي الله عنها- زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعاً إلاّ

= هـ. السّقار (م.س) المطلب الثالث، تعدد زوجات النبي ﷺ

و. عبد الرؤوف، حسام الدين صبري، الضياء المبين في الرد على المضلّلين، ج١ شبهة تعدد زوجات النبي.

ز. الراسي، زيادة بن يحيى، البحث الصريح في أيّما هو الدين الصحيح، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ص١٢٥-١٣٠. بتصرف، ط١، ٢٠٠٣، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

ح. هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٢٥٧-٢٦٥ بتصرف، من منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، ط١، ٢٠٠٨.

إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية" القبطية. وقد بقي يذكرها بالخير ويعدِّدُ مآثرها والثناء عليها بعد وفاتها حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

٢. كان رحيل السيدة خديجة - رضي الله عنها - مثيراً لأحزانٍ كُبرى في بيت النبي ﷺ وفي محيطِ الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقادِ منْ يرعى شؤونه وشؤون أولاده، ثم رأوا فقدانه ﷺ عمه أبي طالبٍ، نصيره وظهيره وسُمّي العام الذي رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عامَ الحُزن.

في هذا المناخ، مناخ الحزن والوحدة وافتقاد مَنْ يرعى شئون الرسول وشئون أولاده، تزوَّجَ رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها. وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ سودة هذه كانت زوجةً للسكران بن عمرو وتُوفِّيَ عنها زوجها بمكة فلما حَلّت تزوجها الرسول ﷺ وكانت أولَ امرأةٍ تزوجها ﷺ بعد خديجة.

وعَجِبَ المجتمعُ المكيُّ لهذا الزواج لأن "سودة" كانت كبيرةً في السنِّ لم تكن ذات جمالٍ ولا حسبٍ ولا تصلُحُ أن تكون خلفاً لأم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول ﷺ بها جميلةً وضيئةً وحسيبةً تطمحُ إليها الأنظار، ولكنها - رضي الله عنها - كانت مؤمنةً هاجرت الهجرة الأولى مع مَن فروا بدينهم إلى الحبشة وقد قبل الرسولُ زواجَها حمايةً لها وجبراً لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتها من الحبشة. وليس الزواج بها شعارَ شهوةٍ للرسول ولكنه كان جبراً لخاطر امرأةٍ مؤمنةٍ خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفّي زوجُها وتركها امرأةً تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

٣. بعد سودة - رضي الله عنها - تزوَّج الحبيب المصطفى عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - وسنفردُ لزواجه بها - رضي الله عنها - مساحةً خاصةً في الصّفحات القادمة بإذنه تعالى.

٤. أمّا عن حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - فقد تزوجها الحبيب المصطفى جبراً لخاطرها وإكراماً لها ولوالدها الفاروق - رضي الله عنه - وأرضاه. وذلك بعد أن توفِّيَ عنها زوجها خُنيسُ بن حذافة السهميّ، وهو صحابيٌ جليلٌ من أصحاب الهجرتين - إلى

الحبشة ثم إلى المدينة ـ ذلك بعد جراحٍ أصابتهُ في غزوة أحدٍ حيث فارق الحياة وأصبحت حفصةُ بنتُ عمر بن الخطاب أرملةً وهي شابَّةٌ.

وكان ترمُّلها مثارَ ألمٍ دائمٍ لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يُحزِنه أن يرى جمال ابنته وحيويَّتَها تخبو يوماً بعد يومٍ. فعرض الزواج بها على أبي بكر الصديق الذي التزم الصمت، ومن بعده عثمان بن عفان، الذي رفض ذلك، حتى خطبها وتزوَّجها مَن هو خيرٌ منهما ﷺ.

٥. تَزَوَّجَ رسولُ الله ﷺ أمَّ سلمة بنت زاد الركب، وهي من المهاجرين الأوَّلين إلى الحبشة وكان زوجها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أولَ مَن هاجرَ إلى المدينة من أصحاب محمد ﷺ. وقد جاءت إلى بيت النبي ﷺ كزوجةٍ بعد وفاة زينب بنت خزيمة الهلالية بزمنٍ غير قصير. وهي سليلةُ بيتٍ كريمٍ، فأبوها أحدُ أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحدٌ في سفرٍ إلا كفاه زاده. وزوجها الذي ماتَ عنها صحابيٌّ من بني مخزوم ابن عمّة المصطفى ﷺ وأخوه من الرضاعة. وكانت هي وزوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتها إلى المدينة معاً.

٦. تزوَّجَ النبيُّ ﷺ بعد ذلك زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ وسَنُفْرِدُ لها في الصفحات القادمة مساحةً خاصةً للحديث عن زواجها هذا، بإذنه تعالى.

٧. تزوَّجَ النبيُّ ﷺ بعد ذلك جويريّة بنت الحارث الخزاعيّة، قد كانت ـ رضي الله عنها ـ مِمَّنْ وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود، فكاتَبَها مَنْ وقعت في أسره (ثابت بن قيس) على مالٍ فلم يُعْجبها ذلك، وذهبت إلى رسول الله ﷺ أملاً فيما هو خيرٌ من ذلك، فكان لها ما أَمِلَتْهُ حيثُ عَرَضَ عليها الحبيبُ المصطفى أن يقضيَ عنها المال الذي كاتبَها عليه مَنْ أَسَرَها مِن المسلمين وتَزَوَّجَها ﷺ. فلمَّا ذاعَ الخبرُ أطلقَ المسلمون كلَّ مَن وقع في أسرهم من بني المصطلق إكراماً لهذه المرأة الفاضلةِ واحتراماً للحبيب المصطفى الذي غدا أسرى بني المصطلق بمثابة أصهاره، فكان أن دخلَ معظمُ هؤلاء الأسرى الطلقاء في الإسلام، فأيُّ خيرٍ وأيُّ شرفٍ كان أعظم لجويرية وقومها مما حدث؟؟

٨. تَزَوَّجَ النبي ﷺ من صفية بنت حُيي التي وقعتْ في أسر (دحية الكلبيّ) بعد غزوة الخندق. فأعتَقَها من الأَسْرِ وحرَّرَها. وقد أسلمتْ وحَسُنَ إسلامها، رضي الله عنها. وأيُّ شرفٍ كان لصفيّة ـ رضي الله عنها ـ أعظمَ من دخولها بيت النبي عوضاً عن بقائها

في الأسر والذلِّ والهوان؟؟ خصوصاً إذا ما تذكّرنا أنها كانت بنتَ واحدٍ من أشهر زعماء القبائل اليهودية وأكثرهم عداوةً لرسول الله ﷺ ألا وهو حيي بن أخطب.

٩. تزوَّجَ النبي ﷺ رملة بنت أبي سفيان إنقاذاً لها من محنةٍ خطيرةٍ وإخراجاً لها من ظرفٍ قاسٍ عزَّ مثيلُه وعزَّ مثيلُ رجلٍ أنقذها منه. فقد كانت زوجاً لعبيد الله بن جحش، وخرجا معاً مهاجِرَينِ بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروفٌ فإنَّ الحبشة في عهد النجاشيّ كانت المهجرَ الآمنَ للفارّين بدينهم من المسلمين، حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم. لقد تعرَّضتْ رملةُ ـ رضي الله عنها ـ لمحنةٍ قاسيةٍ لم يتعرّض لمثلها أحدٌ من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أنّ زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلنَ ارتداده عن الإسلام ودخولَهُ في النصرانية. وما أصعبَ وأدقّ حالَ امرأةٍ في محنةٍ مُضاعَفةٍ! محنتها في زوجها الذي ارتدَّ وخَانَ، ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقتهُ مُغَاضِبةً إيّاهُ في مكةَ منذ دخلتْ في دين الله. وفوق هاتين المحنتين كانت محنةُ الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن. ثم كانت محنة حملِها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رُزِقَتْ بها مِن بعدُ وأسمتها "حبيبة".

لقد كانت خِطبتهُ ﷺ لرملة (أم حبيبة) موقفاً يذكره التاريخ بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ، يُعَبِّرُ بكلِّ وضوحٍ عن الجانب الإنسانيِّ البارز في شخصّيته عليه الصلاة والسلام.

١٠. تَزَوَّجَ النبيُّ ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، وقد كانت آخِرَ أمهات المؤمنين، رضوان الله عليهنّ جميعاً. توفّيَ عنها زوجها أبو رهمٍ بن عبد العزّى العامريّ؛ فانتهت ولايةُ أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زَوَّجها رسول الله ﷺ؛ حيث بنى بها الرسولُ في "سرف" قُربَ التنعيم على مقربةٍ من مكة، حيث يكون بدء الإحرام للمُعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها.

وقيل: إنه لمّا جاءها الخاطبُ بالبشرى قفزتْ من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ. وقيل: إنها هي التي وهبتْ نفسها للنبيّ والتي نزل فيها قوله تعالى: "

وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ " (١).

ويُستفاد مما سبق انتفاء فريةِ الشّهوانيّة عن الحبيب المصطفى ﷺ. كيف لا؟ وهو الذي اشتهرَ بالعفّة، والاستقامة والأمانة في قريشٍ كلِّها حتى قبل أن يكونَ نبياً ﷺ. كما يُستفاد كذلك أنَّ كلّ المبررات التي سيقت لزيجاته ـ عليه السلام ـ كانت منطقيّةً معقولةً مقبولةً عادت بالخير على الزوجات اللواتي كان معظمهنّ من الأرامل ـ رضي الله عنهنَّ ـ كما عادت بعض هذه الزيجات بالخير على أقوامِ زوجاته ـ رضوان الله عليهنَّ ـ.

وإضافةً لما سبق فقد قوّت هذه الزيجات روابط رسول الله ﷺ بصفته رئيساً للدولة الإسلامية مع الكثير من القبائل العربيّة وغير العربية التي تشرَّفت بمصاهرته ـ عليه السلام ـ وكان في ذلك أيضاً تأليفُ قلوب هؤلاء للإسلام، وفي ذلك أيضاً تعليمٌ لرجال هذه الأمّة أن يعدلوا بين زوجاتهم وإعالة مَنْ لا مُعيلَ لها من النساء الضعيفات والأرامل.

وفي نهاية حديثنا عن الفوائد التي توضّحت في تعداد وكثرة زوجاته عليه الصلاة والسلام، نرى الحاجّة شديدةً ومُلِحّةً لتذكير الرهبان الطاعنين بنصوص الكتاب المقدّس التي بين أيديهم والتي يُبَجِّلونها ويُعَظِّمونها، فهي أكبر شاهدٍ على اتخاذ رسل بني إسرائيل وأنبيائهم وملوكهم لزوجاتٍ عديداتٍ وسراري أكثر عدداً. ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

أولاً: "وأَحبَّ الملكُ سليمانُ نساءً غريبةً كثيرةً مع بنت فرعون: موآبياتٍ وعمُّونياتٍ وأدومياتٍ وصَيدونياتٍ وحثّياتٍ من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: "لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم". فالتصق سليمانُ بهولاء بالمحبَّةِ. وكانت له سبعُ مئةٍ من النساء السَّيِّدات، وثلاثُ مئةٍ من السراري، فأمالت نساؤه قلبَه"(٢).

---

(1) سورة الأحزاب: الآية ٥٠.

(2) سفر الملوك الأول: ١١: ١ – ٣.

ثانياً: "وأحبَّ رَحبعامُ مَعكةَ بنت أبشالومَ أكثرَ من جميع نسائه وسراريه، لأنه اتَّخَذَ ثماني عشرة امرأةً وستّين سُرّيّةً، وَوَلَدَ ثمانيةً وعشرين ابناً وستّين ابنةً"[1].

ثالثاً: واخذ داود أيضاً سَرَاري ونساءً من أورشليم بعد مجيئه من حَبرون، فَوُلِدَ أيضاً لداود بنون وبناتٌ"[2].

رابعاً: كان للملك داود (على ذمّة العهد القديم) العديد من السّراري، كان من أبرزهن (ميكال ابنة شاول وأبيجال أرملة نابال وأخينوعيم اليزرعيليّة ومعكة ابنة تلماي ملك جشور وأبيطال وعجلة وحجيث وبثشبع أرملة أوريا الحثيّ وأبيشج الشونميّة)[3].

الشُّبهةُ السادسةَ عشرةَ ودَفْعُها:

مِمّا يُثبتُ شهوانيّة محمدٍ وعشقه للنساء أنّه لمّا رأى زوجة ابنه بالتبنّي زيد بن حارثة، وكان اسمها زينب، أَعْجَبَتْهُ وأثَّرَ فيه جمالُها وحُسْنُها. ووقعتْ في قلبه وأخذ يقول (سُبحان مُقلِّبِ القلوب). ثمَّ أمر زوجها زيداً بتطليقها وقام محمدٌ بالزواج منها، حتّى أنّ القرآن الذي جاء به محمدٌ قد ذكر رغبة محمدٍ بهذه الزوجة فقال: **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى﴾**[4]. وقد سَجَّلَتْ كتبُ التفسير لدى المسلمين هذه الواقعة وأثبتَتْها.

- من الواضح تماماً أنّ الرهبان الطاعنين يقرأون نصوص وآيات القرآن. ومن الواضح كذلك أنهم لا يفهمونهاولا يدركون مقاصدها ولا حتّى التفسير الصحيح لها. وهم إن أرادوا تفسيرها وفهمَ مقصودِها فإنّما يرجعون إلى تفسيراتٍ شاذّةٍ تقوم على رواياتٍ ضعيفةٍ لرُبَّما يجدون فيها ما يُشفي صدورهم ويحقق مرادهم.

---

[1] أخبار الأيام الثاني: ١١: ٢١.
[2] صموئيل الثاني: ٨: ١٣.
[3] انظر سفر صموئيل الأول ١٨: ٢٠ – ٢٧ و٢٥: ٤٢ و٢٥: ٤٣ وسفر صموئيل الثاني: ٣: ٢ – ٥ و١١: ٢٧ وسفر الملوك الأول ١: ١ – ٤.
[4] سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

وهذا تماماً ما قاموا به عندما بنوا هذه التهمة والشبهة المُتَهالكة. وحتى لا يطول الكلام فمن المستَحْسَنِ أن نأتيَ بالآيات القرآنية الكريمة التي ذكروها في هذه الشّبهة، وأن نأتي بعد ذلك بتفسيرها الصحيح المُعتَمَدِ. وهذه الآيات هي قوله تعالى في سور الأحزاب: " **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا "(١)**

وخلاصة تفسير ما ورد في هذه الآيات الكريمة ما يلي(٢):

إنّ زينب بنت جحش هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، وقد رُبِّيَتْ بعينه وعنايته، وأنها كانت، لذلك، منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى وإنّه كان يعرفُها ويعرف أهي ذاتُ مفاتن أم ليست كذلك قبل أن تتزوج زيداً. وإنه شَهِدَها في نموّها تحبو من

(1) سورة الأحزاب: الآيات ٣٧ – ٤٠.

(2) انظر:

أ. هيكل [م. س] ص ٢٦٢ – ٢٦٥ بتصرف واختصار.

ب. الخالدي [م. س] ٦٦٨، ٦٦٩.

ج. ابن كثير [م. س]، ج٣، ص ٤٩٩، ٥٠٠، بتصرّف.

د. القرطبي [م. س]، ج ١٤، ص ١٩٠ – ١٩٣، بتصرّف.

هـ. مرسي [م. س]، ص ٥١١ – ٥١٧، بتصرّف.

و. حقائق الإسلام [م. س]، الشبهة ٥١ تعدد زوجات النبي، بتصرّف.

الطفولة إلى الصِّبا وإلى الشباب، وهو الذي خطبها لزيدٍ مولاه. إذا عرفنا ذلك كلّه تداعت أمام ناظرينا كل تلك الخيالات والأقاصيص من أنه مرَّ ببيت زيدٍ ولم يكن فيه، فرأى زينبَ فبهره حسنُها وقال: سبحانُ مَقلِّبِ القلوب! أو أنه لمّا فتح باب زيدٍ عبث الهواءُ بالسّتار الذي على غرفة زينب، فألفاها في قميصها ممدّدةً فانقلبَ قلبهُ لجأةً ونسي سودة وعائشة وحفصة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة وخديجة! ولو أنَّ شيئاً مِن حبّها علق بقلبه لَخطبها لنفسه بدل أن يخطبها لزيدٍ ... إنّ محمداً ﷺ خطب ابنة عَمّته زينب لزيدٍ؛ فأبى أخوها عبد الله بن جحش أن تكون أخته وهي قرشيَّةٌ هاشميةٌ، وهي فوق ذلك ابنة عمة الرسول، تحتَ عبدٍ رِقٍّ اشترته خديجة ثم أعتقه محمد ﷺ، ورأى في ذلك على زينب عاراً كبيراً. وكان ذلك عاراً عند العرب كبيراً؛ فلم تكن بناتُ الأشراف الشريفات ليتزوَّجن من مَوَالٍ وإن اعْتِقُوا. لكنّ محمداً يريد أن تزول مثل هذه الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبيَّةِ وحدها، وأن يُدرك الناسُ جميعاً أن لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ إلا بالتقوى. ولما أصرَّ محمدٌ ﷺ على أن تقبل زينبُ وأخوها عبد الله بن جحشٍ زيداً زوجاً لها نزل قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا**"[1].

لم يبق أمام عبد الله واخته زينب بعد نزول هذه الآية إلا الإذعان؛ فقالا: رضينا يا رسول الله. وبنى زيدٌ بزينب بعد أن ساق النبيُّ إليها عنه مهرها. فلمَّا سارت زينب إلى زوجها لم يَسْلَسْ له قِيادُها ولا لانَ إباؤها، بل جعلت تؤذي زيداً وتفخر عليه بنسبها وبأنها لم يَجْرِ عليها رِقٌّ. واشتكى زيدٌ إلى النبي غيرَ مرةٍ من سوء معاملتها إياه، واستأذنه غيرَ مرةٍ في تطليقها، فكان النبي يجيبه: "أمسك عليك زوجك واتق الله". لكن زيداً لم يُطق معاشرة زينب وإباءها عليه طويلاً فطلَّقها.

وكأنَّ الشارع الحكيم قد أراد أن يُبطِلَ ما كانت تدينُ به العرب من التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابها، ومن إعطاء الدعيِّ جميع حقوق الابن، ومن إجرائهم عليه

[1] سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

أحكامه حتى في الميراث وحُرمَةِ النسب فنزل قوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ "[1] ومعنى هذا أنه يجوز للمُدّعي أن يتزوَّج مِمَّنْ كانت زوجاً لِمَن ادّعاه. ويجوز للمتبنّي أن يتزوج ممن كانت زوجاً لمتَبَنَّاهُ. ولكن كيف السبيل إلى تنفيذ هذا؟ ومَنْ مِنَ العرب يستطيعه وينقض به تقاليد الأجيال السالفة جميعاً؟ إنَّ محمداً ﷺ نفسه، على قوّةِ عزيمته وعميقِ إدراكه لحكمَةِ الله في أمره، قد وجد في نفسه الغضاضة في تنفيذ هذا الحكم بأن يتزوَّجَ زينب بعد تطليق زيدٍ إياها. ودار بخاطره ما يمكن أن يقول الناس في خرقهِ لهذه العادة القديمة المتأصِّلة في نفوس العرب؛ وذلك ما يريده تعالى في قوله: "وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ "[2] ... لكنّ محمداً كان القدوة في كلّ ما أَمَرَ الله به وما ألقى عليه أن يبلِّغه للناس؛ فلا يخشى ما يقول الناس في تزوّجه من زوجة زيدٍ مولاه، فخشية الناس ليست شيئاً إلى جانب خشية الله بتنفيذ أمره، وليتزوج من زينب ليكون قدوةً فيما أبطل الشارعُ الحكيمُ من الحقوق المقرَّرَةِ للتبنيّ، والادّعاء، وفي ذلك قوله تعالى: " فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا"[3].

هذه روايةُ التاريخ الصحيح في أمر زينب بنت جحشٍ وزواج محمد ﷺ منها. فهي ابنة عمّته يراها ويعرف مبلغ جمالها قبل أن تتزوج زيداً، وهو الذي خطبها لزيدٍ، رضي الله عنه وعنها.

ونختم توضحينا لقصّة زواجه ﷺ من زينب بنت جحشٍ ـ رضي الله عنها ـ بالتذكير أنّ الروايات التي استند عليها الرهبان الطاعنون في تفسيرهم للآيات القرآنية الكريمة التي

(1) سورة الأحزاب: الآية ٤.
(2) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.
(3) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

ذكرت هذه القصّةَ إنما هي رواياتٌ ضعيفةٌ مردودةٌ لا تصلح للاحتجاج بها بحالٍ من الأحوال، حتّى ولو كثرت في بعض كتب التفسير. وقد علّق الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ بعد تفسيره للآيات الكريمة السابقة بالقول: "هذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المُفَسِّرين والعلماء الراسخين، كالزهريّ والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. فأمّا ما رُوِيَ أن النبي ﷺ هوى زينبَ امرأة زيدٍ وُرَّبما أطلق بعض المُجَّانِ لفَظ "عشق" فهذا إنما صدر عن جاهلٍ بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مُستَخِفٍّ بحرمته"[1]. ولعلّ قول القرطبي هذا لا يقع بعيداً عن تعليق ابن كثيرٍ ـ رحمه الله ـ على الآيات السابقة نفسها بقوله "ذكر ابن أبي حاتم والطبري ها هنا آثاراً عن بعض السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحببنا أن نضرب عنها صَفْحاً لعدم صحّتها فلا نوردها"[2].

الشَّبهةُ السابعةَ عشرةَ ودفعُها:

كان محمدٌ يمارسُ أعمالاً تدلُّ على شذوذه وبعده عن أخلاق الأنبياء الحميدة، والدليلُ على ذلك زواجه من الطّفلة عائشة، التي كانت تبلغ من العمر تسعَ سنواتٍ فقط.

- تُعتَبَرُ هذه الفرية والشُّبهةُ أقبحَ وأقذرَ ما أثاره الطّاعنون حول شخصهِ الكريم ﷺ. وكانت هذه الشُّبهةُ قد تصدّرتْ في وقتٍ غير بعيدٍ من الأعوام الماضية عناوين بعض الصّحف والمواقع الإلكترونية، فمن قائلٍ (الرسول محمد يُعاشر طفلةً) إلى قائلٍ (نبيٌّ يتزوّجُ فتاةً صغيرةَ السنّ) إلى قائلٍ (محمدٌ كان يتحّرشُ بالأطفال) إلى قائلٍ (محمدٌ يمارس شذوذه مع طفلةٍ في السادسة)، حاشاه ﷺ.

وقد أطلَّ علينا الكثيرُ من القساوسة، عبر شاشات محطّات التلفزة الفضائية، يناقشون هذا الموضوع بتوسُّعٍ مقصودٍ في أكثر من حلقتين وثلاثٍ، من حلقات البرامج المتلفزة!!

---

[1] القرطبي [م. س]، ج١٤، ص ١٩١.

[2] ابن كثير [م. س]، ج٣، ص ٤٩٩.

ما من شكٍّ أنّ السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ الصّدّيق ـ رضي اللهُ عنها ـ كانت من أكبر وأكثر الشخصيّات التي تعرّضت للهجوم والتشهير في تاريخ الإسلام كلِّه. ولكنّ الذي نراهُ في هذه الشّبهة شيءٌ مختلِفٌ تماماً؛ حيث نرى الرهبان الطّاعنين يُنَصِّبون أنفسهم محامين للدفاع عن حقوقها التي هضمها محمدٌ ﷺ حين حرمها من طفولتها، كما يزعمون، واتّخذها زوجةً له. كيف لا والرهبان الطاعنون هؤلاء يعرفون مصلحة السّيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أكثر من نفسها ويعلمون الذي يناسبُها أكثر من أبيها وأُمِّها وإخوانها وأقاربها وعشيرتها الأقربين كلّهم!!!.

ونشيرُ قبيل البدء في الردِّ على هذه الشّبهة وتفنيدها إلى الجهود المباركة الطيّبة التي بذلها علماء الأمّة وأساتذتنا وزملاؤنا من طلبة العلم الشرعي في الذبِّ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن حبيبنا المصطفى ﷺ وتصدّيهم المبارك لتوضيح مشروعية هذا الزواج وفوائده وآثاره[1].

حينما تُوفِّيتْ السيدة خديجة زوجة النبيّ ﷺ، مكّث الحبيبُ فترةً من الزمن عاكفاً عن الزواج. ولكنّ حاجة البيت كانت تدعو لوجود امرأةٍ لتربية الأولاد الذين أنجبهم ﷺ من السيدة خديجة، فقد أنجب منها كلَّ أولاده عدا إبراهيم. فأقبلت عليه خولة بنت حكيم تَعْرِضُ عليه أن يتزوج، فسألها الحبيبُ ﷺ أيّ النساء تقصد ... حتّى أتمت الخاطبة زواجه ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وبعدها بفترةٍ كان زواجُه من عائشة بنت أبي بكر الصديق.

وقبل أن يتقدم لها النبيُّ ﷺ كانت السيدة عائشةُ مخطوبةً لجبير بن المطعم بن عديّ، وهذا يعني أنّها وإن كانت بنتَ تسع سنين إلاّ أنها كانت تصلحُ للزواج وقتَها من حيثُ

---

[1] انظر:

أ. عبد الرؤوف [م. س]، ج١، شبهة الرسول يعاشر طفلة.

ب. مرسي [م. س]، ص ٥٠٤ – ٥١٠ بتصرف واختصار.

ج. حقائق الإسلام [م. س]، الرّد على شبهة تعدّد زوجات النبي، بتصرّف واختصار.

د. الهّواري، محمد عبد العزيز، شبهة زواج النبيّ ﷺ من عائشة وهي صغيرة السنّ. مقالة منشورة بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٧م على موقع لواء الشريعة الإلكتروني www.shareah.com.

هـ. زناتي [م. س] ١٥٥ – ١٥٧، بتصرف،حرف الفاء، شبهة الرسول كان يتحرّش بالأطفال، ردّ الشيخ السيّد وفا على تصريحات القس جيري فاينز التي ذكر فيها أن الرسول ﷺ كان يتحرش بالأطفال.

البُنيةُ، علماً بأنّ ساكني البلاد الحارة ينمون أسرع ويبلغون أسرعَ من ساكني البلاد الباردة. ولأنَّها لو لم تكن كذلك لما قامت خولة بن حكيم - رضي الله عنها - بخطبتها لرسولنا الكريم.

لقد نقل لنا التاريخُ حوادث كثيرةً ثبتَ من خلالها أنَّ زواجَ الرجل بمن هي أصغر منه سِنَّاً، حتى ولو بفارقٍ كبيرٍ، أمرٌ مألوف. ومن ذلك ما يلي:

١. تُثبِتُ الموسوعة الكاثوليكيّة أنَّ مريم أمَّ الربِّ يسوع، بحسب إيمان الرهبان الطاعنين، كانت مخطوبةً ليوسف النجار، وكان عمرها اثنتي عشرةَ سنةً وكانت حاملاً بيسوع آنذاك، وكان عمر يوسف النجار تسعاً وثمانين سنةً، أي أنه يكبرها بنحو سبعٍ وسبعين سنةً ... وهذا الكلام موثَّقٌ في الموسوعة الكاثوليكية.ويستطيع القارئ الكريم أن يرجعَ لهذين الموقعين ليتأكد من صحّة نقلنا لهذه المعلومة:

- http://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm

"a respectable man to espouse Mary, then tweleve to fourteen years of age, Joseph, who was at the time nirety years old".

- http://www.cin.org/users/james/files/key2mary.htm

"Virgin Mary Delivers jesus Pbuh@ the age of 12".

وهنا نتساءل: هل كانت مريم، أم الرب يسوع بحسب إيمانهم، طفلةً أم امرأةً لما كانت حُبلى بيسوع ومخطوبةً ليوسف النجار؟!

٢. زواج جدّ النبي ﷺ عبد المطلب وزواج ابنه عبد الله، حيثُ ثبتَ أنّ آمنة بن وهب أُمَّ رسول الله ﷺ كانت في حجر عَمِّها أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأنّ عبد المطلب بن هاشم جاء بابنه عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ فتزوَّجَ عبدُ الله آمنةَ بن وهب وتزوَّجَ عبدُ المطلب هالةَ بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم حمزة بن عبد المطلب في مجلسٍ واحد، وكان قريبَ السن من رسول الله ﷺ وأخاه من

الرضاعة. إذاً فقد تزوَّج عبد المطلب فتاةً وابنهُ تزوَّج أخرى في مثل عمرها وهي ابنة عمها[1].

٣. تزوَّجَ عمرُ الخطاب ابنة عليّ بن أبي طالب (أم كلثوم)، علماً بأنه كان أكبر سناً من أبيها في ذلك الوقت. بل وعَرَضَ الفاروقُ عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يتزوج ابنته السيدة حفصة وكانت شابةً في ريعان شبابها بعد وفاة زوجها.

كلنا يعلم أنَّ الآباء والأجداد من عصورٍ مُتقاربةٍ كانوا يتزوّجون مبكراً أيْ في أعمارٍ مُبّكرةٍ ذلك لأن أجسامهم كانت تختلف كثيراً عن أجسامنا من حيث الحجم، وأجدادهم كانوا أضخم منهم جسماً. ومعروف أنَّ الإنسان كلما مرت به العصورُ تقزَّمَ، أي تضاءل حجمه. فلم العجبُ إذاً إذا كانت جدّاتنا وأمّهاتنا يتزوجن وهنّ بناتُ الإحدى عشرةَ سنةً أن تتزوج السيدة عائشة قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنةٍ وهي ابنة تسع سنين؟؟

لمّا تَزَوَّجَ رسولنا الكريم ﷺ السيدة عائشة لم يُنجب منها، وكانت البكرَ الوحيد التي تزوجّها ﷺ من بين زوجاته. وكان من فوائد زواجه عليه السلام بزوجةٍ صغيرة السنّ أنّ النساء بحاجةٍ إلى مَن يعلمهنّ خاصةً إذا كان الأمر ذا مشقةٍ أن يُتَنَاولَ بين رجلٍ وامرأةٍ، فكانت أمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ مَنْ قامت بهذا الدَّورُ فهي فتاةٌ صغيرة في السنّ، يسهل عليها الحفظُ والفهم والتلقّي، وأيضاً لا تتحرَّجُ النساءُ منها. وقد كانت أكثرَ النساء روايةً للحديث عنه ﷺ، وحتى بعد وفاته ظلّت تُعَلِّمُ النساء أمور دينهم، وكانت وقتها ابنةَ الثامنة عشرةَ من عمرها رضي الله عنها.

وللمدافعين عن حقوق هذه الطفلة عائشة، رضي الله عنها، من الرهبان الطاعنين نقول: إنْ فَرَضْنا جدلاً أن الرسول ﷺ تزوّج عائشة وهي صغيرةٌ رغماً عنها وبالإجبار لها ولوالديها، فإنَّ الله تعالى أمرَ رسوله الكريم ﷺ في فترةٍ لاحقةٍ بأنْ يُخيِّرَ نساءه بين أن يفارقهنّ فيذهبنَ إلى غيره مِمَّنْ يحصلُ لهنَّ عنده الحياةُ الدنيا وزينتُها وبين الصّبر على ما عنده ﷺ من الفقر وضيق الحال، فلماذا لم تختر مفارقته لو كانت مُجبَرَةً على الزواج منه؟؟

---

[1] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المُستدرَك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج٣، ص ٢١٢، ط١، ١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

ولمّا بدأ النبيُ ﷺ بتخيير زوجاته بدأ بعائشة - رضي الله عنها - وأرضاها، قالت عائشة: "لما أُمِرَ رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: إنّي ذاكرٌ لكِ أمراً، فلا عليكِ أن تعجلي حتّى تستأمري أبويك، قالت: وقد عَلِمَ أنّ أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثمّ قال: إنّ اللهَ جلَّ ثناؤه قال: "يا أيها النبيُّ قل لأزواجكَ إن كنتُنَّ تُرِدنَ الحياة الدنيا وزينتها" إلى "أجراً عظيماً" قالت: فقلتُ: ففي أيِّ هذا أستأمرُ أبويَّ؟ فإنّي أُريدُ اللهَ ورسولَهَ والدّار الآخرةَ، قالت: ثمَّ فعلَ أزواجُ النبيِّ مثلَ ما فعلتُ"[1].

إنّ زواج النبي ﷺ بالسّيدة عائشة - رضي الله عنها - شاهدٌ حيٌّ على الزواج الناجح الذي لا يمنعه فارقُ العمر، والذي نرى فيه بكُلِّ جلاءٍ ووضوحٍ تأثير الزوج المسلم في شخصيّة واهتمامات وتوجّهات الزوجة المسلمة، فقد كانت عائشة لَمَّا أراد الحبيبُ ﷺ الزواج بها تلعبُ في أرجوحةٍ هي وصواحب لها، ولمّا مات عنها ﷺ بعد تسع سنواتٍ من مكوثه عندها كانت خيرَ مَن يُعلِّمُ المسلمين ويُفتيهم في دين الله تعالى، وروت عنه ما يزيدُ على الألفي حديث، واحتلت المرتبة الثانية فيمن روى أكثرَ عن النبي ﷺ.

لقد صنعَ رسولُ الله ﷺ من عائشة مدرسةً قائمةً بذاتها تُعلِّمُ وتؤسِّسُ وتقوم بنشر الدّين الإسلامي وتفقيه الناس بأحكامه، فكانت في نتاجها العلميّ الشرعيّ ومُخرجَاتِه أفضلَ مئةَ مرّةٍ من الكثير من المعاهد والكليّات الشرعيّة في القرن الحادي والعشرين. قال فيها الإمام الزُهري: "لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علمُ عائشة أفضل". وقال فيها عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقهَ الناس، وأعلمَ الناس، وأحسنَ الناس رأياً في العامة". وقال فيها أبو موسى الأشعري: "ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً" وقال فيها مسروق: "رأيت مشيخةَ أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض". وقال فيها عروة بن الزبير: "ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا بشعرٍ من عائشة"[2].

---

(1) صحيح البخاري [م. س]، كاب التفسير، باب (وإن كُنتنّ تُردنَ الله ورسوله ....)، ج٨، ص ٦٠٩، ٦١٠.

(2) مرسي [م. س]، ص ٥٠٧ نقلاً عن "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" للزركشي.

ولو كان زواج النبي ﷺ من عائشة التي تصغُره سنّاً خارجاً عن المألوف أو مَطْعَناً أو مُستَمْسَكاً عليه أو قادحاً في سلوكه لكان مشركو قريشٍ الذين يتربّصون به أولى الناس بمهاجمته لفعله هذا، وتقليب الناس عليه، ولصَنعوا له الفضائح ولحاكوا حوله إشاعات الشهوانيّة والاعتداء على الصغار وسوء السلوك والتصّرف. لكنّ أيّاً من هذا لم يكن. لماذا؟ لأنّ ذلك كان الزواج عرفاً سائداً معمولاً به بين الناس في ذلك الزمان.

لقد كان من الجدير بالرهبان الطاعنين أن يأخذوا بعين الاعتبار أنّ مقاييس القرن العشرين والحادي والعشرين تختلفُ تماماً عن مقاييس القرون الوسطى وأن يأخذوا بعين الاعتبار اختلاف العصور والبيئات والطِّباع والقوانين والأعراف والتقاليد واختلاف البُنى الجسديّة والنفسيّة، قبل أن يقولوا في رسول ﷺ ما قالوا.

ثمَّ أين هم الرهبان الطّاعنون من الدّفاع عن حقوق عشرات الأطفال الذين اعتدى عليهم رهبان وقساوسة الكنائس في الغرب المسيحي؟؟ ألا فليدرَؤوا، إن استطاعوا، عن أبناء وبنات زمانهم هذا عوضاً عن الانشغال بزواجٍ تمَّ قبل ما يزيدُ على الألف وثلاثمائة عامٍ، وليقدّموا للعالم المسيحي الغربيّ حلولاً لمشكلاته التي يتخّبط فيها بدلاً من الاشتغال بزواج محمدٍ ﷺ في بيئةٍ وعصرٍ ودينٍ لا شأنَ لهم به مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ. ولنقف قليلاً مع قارئنا الكريم عند صفحاتٍ قليلةٍ من ملفّ الكنيسة الغربية والشذوذ والاعتداء على الأطفال، لِيعلَمَ كلُّ مَن غابت عنه الحقائقُ مَن هم الذين يتحرّشون بالأطفال ويُمارسون الشذود.

أولاً: حَمَلَ البابا بنديكتوس السادس عشر بقوّةٍ مساء الأربعاء في واشنطن على الإباحية والعنف اللذين يُفسدان أخلاق المجتمع الأمريكي. بعدما أقرَّ الثلاثاء بشعور الكنيسة الكاثوليكية بـ "الخزي" جراء فضائح الكهنة الضّالعين في اعتداءاتٍ وتحرّشات جنسيّةٍ بأطفالٍ في الولايات المتحدة. وبعد الصلاة مع الأساقفة الأمريكيين في مركز "الحبل بلا دَنَس" الوطني في واشنطن تطرّقَ البابا إلى الفضيحة الكبيرة حول ضلوع كهنةٍ في اعتداءاتٍ وتحرشاتٍ جنسية على أطفال كُشِفَ عنها في عام ٢٠٠٢م معتبراً أنها "مصدر خزي" و"آلام كبيرة" للكنيسة جمعاء. وأقرَّ بأنّ القضية "أُدِيرت بطريقةٍ سَيِّئةٍ" ودعا إلى "التعاطف مع الضحايا والاهتمام بهم"[1].

---

[1] جريدة الرأي الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٨م.

ثانياً: بثَّت شبكتا BBC البريطانية، وقناة "راي ٢" الإيطالية مؤخَّراً عدداً من الحلقات التلفزيونية، تناولت ممارساتِ بعض القساوسة والكرادلة والبطاركة داخل الكنائس، وكشفت النقاب عن آلاف الشكاوى التي وردت إلى "مجمع العقيدة والإيمان" بالفاتيكان. وفي سياقٍ مُتّصلٍ كشفت مجلة "بانوراما" الإيطالية أنه بسبب تلك الممارسات اللاأخلاقية أُحِيلَ مئاتُ الكرادلة والقساوسة إلى المحاكمات القضائية، التي بلغت أكثرَ من عشر محاكمات منذ عام ٢٠٠١م.

وأضاف التحقيق الذي نُشِرَ يوم الجمعة ١ يونيو ٢٠٠٧م في مجلة "بانوراما" حول حالات الاعتداء على الأطفال من قِبَلِ رجال الدين: "رغم الشكاوى الكثيرة إلى "مجمع عقيدة الإيمان"، التي تجاوز عددها بضعة آلاف، إلاَّ أنَّ الهيئة المذكورة التي كان يرأسها (البابا الحالي) (بنديكت السادس عشر) أخفت تلك الحقائق وتَستَّرَتْ عليها، فلم تتم إحالةُ أكثر مِن عددٍ هزيل من المتَّهمين إلى القضاء"[١].

"ونشر التحقيقُ رسالةً ظّلت قيدَ الكتمان ممهورةً بتوقيع الكاردينال "جوزف راتسنغر" (بابا الفاتيكان الحالي) موجَّهةً إلى كافة الهيئات الكنسية في العالم "ضرورة إبقاء هذه القضية ضمن الأسرار البابوية". وحسب التحقيق المذكور فإن رسالة "راتسنغر" المؤرَّخة في ٢٠٠١/٥/١٧م لا علاقة لها البتة بالشريط، الذي أنتجته وبثَّته محطة BBC حول حالات الاعتداءات الجنسية على الأطفال من جانب الكنيسة، والذي أعادت بثه لأولِّ مرّةٍ القناةُ الثانيةُ بالتلفزيون الإيطالي مساء الجمعة ١ يونيو ٢٠٠٧م.

ويتضمَّنُ التحقيقُ لائحةً بالقُضاة الكَنَسِيين المُكَلَّفين بمعالجة قضايا الاعتداء الجنسي، وقائمةً بالمؤسسات الإيطالية التي تستقبلُ الكهنة الذين يرتكبون هذه الجرائم لإعادة تأهيلهم.

وقد انتقد الفاتيكان بشدة بثَّ قناة (رأي ٢) الحكومية الإيطالية للشريط الوثائقي الذي أنتجته هيئة الإذاعة البريطانية BBC ووصف الناطقُ باسم الفاتيكان الأب "فيديريكو لومباردي"، في حديثٍ لراديو الفاتيكان ... الشريطَ الوثائقيَ بأنه "سرد أحداثاً درامية ضمن إطارٍ مغلوطٍ ومنحازٍ"[٢].

---

[1] مجلة المجتمع، العدد ١٧٥٧، بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٣م.

[2] مجلة المجتمع، العدد ١٧٥٧، بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٣م.

ثالثاً: حثَّ الواعظُ الشخصيّ للبابا بنيدكتوس السادس عشر، رئيس الكنيسة الكاثوليكية العالمية على إعلان يومٍ للصوم والتوبة عن الجرائم الجنسية التي استهدفت أطفالاً على أيدي رجال دين كاثوليك. وقد جاءت الدعوةُ في عظةٍ قبل عيد الميلاد استمع إليها الحبرُ الأعظم ومسؤولون في الكنيسة الكاثوليكية. يُذكُر أنَّ الكنيسة تعرّضت لهزةٍ بسبب سلسلةٍ من الفضائح تتعلق بإساءاتٍ جنسيةٍ للأطفال في السنوات الأخيرة، خاصّةً في أمريكا الشمالية وايرلندا.

والواعظ البابوي الأب رانييرو كانتالاميسا، هو الوحيد المخول بتوجيه العظة للبابا.

وفي عظته للبابا، قال الأب كانتالاميسا إنه يتعيَّنُ أن تُعلِنَ الكنيسةُ يوماً للصوم والاعتكاف، للتعبير بشكلٍ علنيٍّ عن التوبة أمام الله والتضامن مع الضحايا.

وقال إنَّ الوقت قد جاء لنصرخ أمام الله من أجل الفضيحة التي أَلَمَّتْ بالأخوة الصغار.

ولم يصدر ردُّ فعلٍ عامٍّ من البابا، ولكنه قال مؤخراً إنه يتعيَّنُ على الكنيسة اتخاذ كافة الخطوات اللازمة للحيلولة دون وقوع المزيد من حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال من جانب القساوسة[1].

رابعاً: حكمتْ هيئةُ محلَّفين في ولاية كاليفورنيا الأميركية يوم الأربعاء بدفع ما يقرب من مليوني دولار لشقيقين تعرَّضا لانتهاكاتٍ جنسيةٍ مِن قَبِلِ قسٍّ كاثوليكي منذ ربع قرن.

والحكم ضّد أبرشية أوكلاند الكاثوليكية هو الثاني الذي يصدر في الأسابيع القليلة الماضية في منطقة سان فرانسيسكو اعتماداً على إجراءٍ تشريعيٍّ أقرَّتهُ كاليفورنيا يرفع مؤقتاً قانون التقادم عن مطالب التعويضات ضد القساوسة.

وفي القضية الأخيرة قال روبرت تاتشر "٣٤ عاماً" وشقيقه توم "٣٣ عاماً": إنَّ القسَّ روبرت بونسيرولي أساءَ معاملتهم عندما كانا طفلين يخدمان في الكنيسة في انتيوك

---

[1] مجلة العرب الإلكترونية بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٦م على موقعها www.arabmag.blogspot.com.

شرق سان فرانسيسكو. وقال محامي الأخوين تاتشر: إنَّ الكنيسة كانت تعرفُ أنّ بونسيرولي يُسيء معاملة الأطفال ولكنها لم تُحَرِّكْ ساكناً.

وقال الأب مارك ويزنر المُتَحَدِّثُ باسم ابرشيه أوكلاند: "قطعاً يستحق روبرت وتوم تاتشر مقابلاً نقدياً لما تحمّلاه".

وقال: إنّ المسؤولين في كنيسة اوكلاند يتمنّون التوصل إلى تسويةٍ في ٤٠ أو ٥٠ قضيةِ انتهاكاتٍ قام بها قساوسة. وطالب محامٍ عن الأخوين تاتشر هيئة المحلَّفين يوم الثلاثاء بتعويضٍ قيمته ٢٧ مليون دولار. واستُبْعِدَ بونيسرلي من صفوف القساوسة وهو يعيش في فلوريدا.

وفي قضيةٍ أخرى الشهر الماضي قضت هيئةُ محلَّفين بدفع ٤٣٧ ألف دولار مقابل أضرارٍ لحقت بضحيةٍ تعرَّض لانتهاكاتٍ جنسيةٍ قام بها قسّ آخر في سبعينات القرن الماضي بعد الكشف عن أن أبرشيَّةَ كبير الأساقفة في سان فرانسيسكو كانت على علمٍ بالانتهاك.

وقالت دراسةٌ تمّت بتكليفٍ من الكنيسة نُشرت العام الماضي إنّ ما يقرب من ١١ ألف شخصٍ اتَّهموا قساوسةً بانتهاكاتٍ جنسيةٍ ضدَّ الأطفال منذ عام ١٩٥٠م إلى عام ٢٠٠٢م[١].

خامساً: وصل بابا الفاتيكان إلى سيدني استعداداً للمشاركة في الأيام العالمية الثالثة والعشرين للشباب، وسط مطالباتٍ بضرورة أن يُقدم اعتذاراً رسمياً عن الفضائح الجنسية التي هزت الكنيسة الكاثوليكية في أستراليا. وتزامن ذلك مع مطالبة تجمُّعٍ يُعرَفُ باسم "ضحايا الاعتداءات الجنسية في الكنائس" بضرورة أن يقدّم بنديكتُ السادس عشر اعتذاراً رسمياً إلى الضحايا وذويهم لما تعرَّضُوا له من اعتداءاتٍ جنسيةٍ على يد رجال دينٍ ينتمون للكنيسة الكاثوليكية في البلاد. وكان البابا أعرب ـ في تصريحٍ إعلاميٍّ على متن الطائرة التي أَقَلَّتْهُ إلى أستراليا ـ عن عزمه الأسفَ لما

---

[١] جريدة "الرأي" الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٥م.

تعرَّض له بعضُ الأشخاص على يد أشخاصٍ ينتمون للكنيسة، وهو ما اعتبره تجمّعُ أسرِ وذوي الضحايا أقلَّ بكثيرٍ مما تطالب به[1].

سادساً: كشف تقريرٌ جديدٌ أنَّ أكثرَ من مائة كاهنٍ في الكنيسة الكاثوليكية في "دبلن" على الأقل متورّطون خلال الـ ٦٦ عاماً الأخيرة بالاعتداء الجنسيّ على أكثر من ٣٥٠ طفلاً.

وقال تقرير أصدرته مطرانيةُ دبلن: إنَّ أكثر من مائة كاهنٍ تورّطوا منذ عام ١٩٤٠م في سوء معاملة الأيتام والاعتداء الجنسي على الأطفال، وهذا ما وُصِفَ بأنه أخطرُ اعترافٍ في الكنيسة الكاثوليكية بدبلن حتى اليوم. وقدمت المطرانيةُ التقريرَ للجنة التحقيق القضائية.

ويقول رئيس الأساقفة ديرموند مارتن، في تصريح لـ "الغارديان" البريطانية، إنَّ الكنيسة ستبيع ممتلكاتها لكي تدفع تعويضاتٍ مُعتبِرَاً أنّ هذه الخطوة هي تضحيةٌ من الكنيسة تكفيراً عن أخطاء الماضي. وأشار إلى أنَّ ما جرى خلال السنوات الماضية في هذه الكنيسة كان صعباً جداً بالنسبة له مشيراً إلى أنّ معظم الكهنة لم يتورَّطوا في هذه الأعمال. وقد تمّ الكشفُ عن قضيةٍ مشابهةٍ في أبرشية بوسطن منذ ٣ سنوات. وأشار مارتن، الذي يرأسُ المطرانية منذ عام ٢٠٠٣م، إلى أنّ إجراءاتٍ تم اتخاذها ضدَّ اثنين وثلاثين كاهناً في دبلن، وتمَّتْ مراجعةُ ملفاتٍ شخصيةٍ لـ ٢٨٠٠ كاهن بين عامي ١٩٤٠م و٢٠٠٦م وتم الادّعاءُ على واحدٍ وتسعين كاهناً فيما تحول الشكوك حول أحدَ عشرَ كاهناً. وأشارت "الغارديان" إلى أنَّ إيرلندا، البلد الكاثوليكي، اهتزت بعد الفضائح الجنسية في الكنيسة خلال العقد المنصرم حيث تورَّطَ الكهنةُ في سوء معاملة الأيتام والاعتداء الجنسي على الأطفال. وفي أواخر العام الماضي كشف تحقيق أُجرِيَ على نطاقٍ ضّيقٍ في مقاطعة ويكشفورد وجود أكثر من مائة ادِّعَاءٍ بالتحرّش ضد واحدٍ وعشرين راهباً[2].

سابعاً: اعترف القس تيد هاجارد مستشار البيت الأبيض، وأحدُ أشهر الزعماء المسيحيين الإنجيليين الأمريكيين بممارسته الشذوذ الجنسيّ، وهو الاتهام الذي أنكره مسبقاً،

---

[1] قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٢٠٠٨/٧/١٣م، على موقعها الإلكتروني www.aljazeera.net.

[2] قناة العربية الأخبارية، في موقعها الإلكتروني www.alarabiya. net.

وتسبب في تنحيته عن منصبه كزعيمٍ للاتحاد الوطني للإنجيليين والذي يبلغ عدد أتباعه نحو ٣٠ مليون أمريكي. وقال هاجارد في خطابٍ تلاه القسّ "لاري ستوكستيل" الذي خلفه في قيادة كنيسة "الحياة الجديدة" بولاية كلورادو يوم الأحد ٢٠٠٦/١١/١٥م أمام ثمانية آلاف شخص: "أنا مُخادِعٌ وكاذِبٌ".

وقد ظلَّ القسُ البارز المعروف بمعارضته العلنية البارزة لزواج الشواذ ينفي الاتهاماتِ المنسوبةَ إليه من تعاطي المخدرات وممارسته الشذوذ الجنسيِّ مع المدلِّكِ الخاصِّ به مايك جونز، إلا أنَّ ذلك لم يمنع هيئة المراقبين التابعة للكنيسة من القول: "لقد أثبتَتْ تحقيقاتنا وتصريحات القس هاجارد أنه متورطٌ لا محالة في ممارسة الشذوذ".

الفضيحة تَفَجَّرَتْ عندما صَرّحَ جونز (٤٩ عاماً) بأنه مارس الجنس مع القس هاجارد، مقابل أجرٍ ماليٍّ كلَّ شهرٍ تقريباً، خلال السنوات الثلاث الماضية، وأنهما كانا يتعاطيان المخدرات قبيل اقترافهما الفحشاء!. وأوضح جونز أنه أقدم على الإعلان عن العلاقة مع هاجارد، إثرَ التصويت الذي جرى مؤخراً في ولاية كولورادو وسبع ولايات أخرى، حول منع الزواج المثلي أو السماح به. وقال: "لقد أغاظني أن يُلقي شخصٌ بالمواعظ ضد زواج المثليين (خلال الجدل الإعلامي الذي سبق عملية التصويت)، ثم يذهب ليمارس المِثليَّةَ من خلف الستار"[1].

ثامناً: اعترف الفاتيكان بصحّةِ تقارير صحيفةٍ تحدَّثتْ عن انتهاكاتٍ أخلاقيّةٍ في صفوف الكنيسة، وقالت إنَّ قساوسةً ورجالَ دينٍ كباراً أرغموا راهباتٍ على ممارسة الجنس معهم. وتعرّضتْ بعضُ الراهبات للاغتصاب وأُجبِرَتْ أخرياتُ على الإجهاض.

وقال الفاتيكان في بيان له إنَّ القضية محدودةٌ ومتعلقةٌ بمنطقةٍ جغرافيةٍ محدودةٍ، لكنه لم يشر إلى هذه المنطقة الجغرافية، وكانت التقارير أكّدت أن هذه الانتهاكات موجودةٌ في ثلاثة وعشرين بلداً من بينها الولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والفلبين والهند وإيرلندا وإيطاليا نفسها. وقد أعدت التقرير الذي تحدث عن حالاتٍ مُحدَّدةٍ بالأسماء وحالاتٍ تورّط أصحابُها

---

(١) للاستماع للاعتراف كاملاً (افتح ملف Ted Haggard's Downfall على موقع video.google.com ولقراءة التفاصيل مكتوبة راجع موقع www.islamonline.net بتاريخ ٢٠٠٦/١١/٦م. تقرير محمد حامد.

راهبةٌ وطبيبةٌ تُدعى ماروا أودونوهو، وقدمت الراهبة تقريرها إلى رئيس مجمع الفاتيكان للأوامر الدينية الكاردينال مارتينز سومالو في فبراير / شباط عام ١٩٩٥م.

وقد أمر الكاردينال آنذاك بإنشاء فريق عملٍ من المجمع لدراسة المشكلة مع أودونوهو والتي كانت تعمل مُنَسِّقةَ الإيدز في منظمة (كافود) وهي منظمة دينية تابعة لطائفة الروم الكاثوليك تتخذ من لندن مقراً لها.

واشارت أودونوهو إلى أدلّةٍ واضحة على اتهاماتها، وقالت إنه في إحدى الحالات أجبرَ قسيسٌ راهبةً على الإجهاض مما أدَّى إلى موتها، ثم قامَ بنفسه بعمل قُدَّاسٍ لها.

وبشأن أفريقيا قال تقريرها إنَّ الراهبات لا يستطعن هناك رفض أوامر القساوسة بهذا الشأن، وأكدتْ أنّ عدداً من القساوسة هناك مارسوا الجنس مع الراهبات خوفاً من إصابتهم بالإيدز إذا "مارسوه مع العاهرات". وتُرْغَمُ الراهبات على تناول حبوبٍ لمنع الحمل، لكنها قالت: إنَّ مؤسسةً دينيةً اكتشفت وجودَ عشرين حالةِ حملٍ دُفعةً واحدةً بين راهباتها العاملات هناك.

وأشار التقريرُ إلى أنَّ الأسقف المحليَّ لإحدى المناطق طرد رئيسةَ ديرٍ عندما اشتكت له من أنَّ تسعاً وعشرين راهبةً من راهبات الدير حُبالى بعد أن أُرْغِمْنَ على ممارسة الجنس مع القساوسة[١].

تاسعاً: وفي نهاية حديثنا عن هذا الموضوع فإننا نحيلُ القارى الكريم إلى عدد مجلة التايم الأمريكية المنشور بتاريخ ٢٠٠٢/٥/١م ليقرأ فيه الملف المؤلم الطويل الذي نشرته الكاتبة جوانا ماكجيري، والذي جاء فيه:

بعدما كثرت وتزايدت الاتهاماتُ بالاعتداءات الجنسيَّةِ التي يرتكبها الرهبانُ الكاثوليك وبعد التستُّرِ الرسميِّ عليها، طالب الرومان الكاثوليك الغاضبون قادتَهم ورؤساءَهم بإصلاح الدين المسيحي [يقصد المسيحيين]. فالصدمة هي أنَّ حالاتٍ كثيرةً من هذا القبيل

---

[١] قناة الجزيرة الفضائية، بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢١م في موقعها الإلكتروني www.aljazeera.net.

انتشرت كفيروسٍ قاتلٍ في نظر الرأي العام. فالأمر لم يعد يقتصر على بوسطن بل تَعَدّاهُ إلى لوس أنجلوس وسانت لويس ومينوستا وفيلادلفيا وبالم بيتش وفلوريدا وواشنطن وبورتلاند وماين وبرايدج بورت وكنكتيكت. والمريعُ في كل هذه الحالات ليس تفرّدها بهذه القضية بل في الشَّبَهِ المُرعِبِ بينها. فقد تنوعت وتعددت الاتهامات الموجهة للرهبان الكاثوليك بالاعتداء الجنسي على الأطفال واتهامات للكنيسة التستر عليها سواءٌ القضايا التي تورَّط فيها الأب دان أوليفر أو روكو أو بريت.

الشبهةُ الثامنة عشرة ودفْعُها:

لمّا عجز الرهبان الطاعنون وكلُّ مَن شايَعهم عن الإتيان ولو بجزءٍ من كتابٍ يصلحُ لأن يُعارِضَ القرآن الكريم، ولمّا سَلَّمَ الكثيرون من خبراء اللغة ونقد النصوص الأدبيّة ومِن فلاسفة الغرب المسيحيين الغربيين بأنّ هذا القرآن لا يمكنُ أن يكون من وضع محمدٍّ ﷺ فقد نسبوا مصدرَ هذا القرآن إلى الجنّ والشياطين. وزعموا أنَّ الشّيطان هو الذي كان يوحي إلى محمدٍ هذا الكتابَ ليُفسِدَ على الناس دينهم ويصدَّهُم عن الدخول في المسيحيّة.

ولم يعجز هؤلاء الطاعنون عن إيجاد مُستنَدٍ لإثبات صحّة ادِّعائهم، فاحتجّوا بقصّة الغرانيق التي ساقّها المفسِّرُ الطبريُّ في (جامع البيان) كسببٍ لنزول قوله تعالى: " **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ**"[1].

وقد ساق الطبريُ رواياتٍ متعدّدةً لقصّة الغرانيق، تعدّدت فيها الأسماء والأحداث،كما أنّه ساق هذه القصّة كذلك في (تاريخ الأمم والملوك). ويُمكننا بعد قراءة كلِّ ما

[1] سورة الحج: الآية ٥٢.

كتبه في (جامع البيان وفي تاريخ الأمم والملوك) أن نستخلص مُختصَرَاً مفيداً للقصّة، حتى نقوم بعد ذلك بمناقشتها سنداً ومتناً. وتالياً ملخَّصُها[1]:

إنّ رسول الله قد آلمه انفضاضُ قومه عنه وصدودهم عن دعوته، وكان من شدّة حُبِّهِ لهم،أحرصَ الناس على هدايتهم لدين الله، فتمنّى أن يأتيه من الله ما يقرِّبُ بينه وبينهم. وفي يومٍ جاءه "الأسود بن المطلب" و"الوليد بن المغيرة" و"أمية بن خلف" و"العاص بن وائل"، وهم من زعماء قريشٍ وأسيادها وقالوا له: يا محمدُ هلمَّ فلنعبدْ ما تعبدُ، وتعبدْ ما عبدنا فنشتَرِكُ نحنُ وأنتَ في الأمر. يا محمدُ إنّما يجالسك الفقراءُ والمساكينُ وضعفاءُ الناس فلو ذكرتَ آلهتنا بخيرٍ لجالسناك، فإنّ الناس يأتونك من الآفاق.

وقال أبو الوليد وكان كبيرَهم: قد عرفنا أنَّ الله يُحيي ويُميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكنّ آلهتنا تلك تشفعُ لنا عنده، فإنْ جعلتَ لها نصيباً فنحن معك.

وهكذا كانوا يَعرِضُون على الرسول صفقةً، أنْ يؤمنوا بالله وبالرسالة، مقابل أن يظلّوا على توسّلهم بالأصنام. فجاء ردُّ الرسول عليهم وحياً في سورة "الكافرون"، حيث يقول في جوابهم: " **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ "[2].**

على أنّ الرسول بقي يراوده الأمل في أنْ يراهم مُصَدّقين له وكان يقول في نفسه: ليته ينزلُ في ذلك أمرٌ يقرّبنا من قريش.

وذاتَ يومٍ وبينما كان رسول الله يتلو القرآن عند الكعبة ويقرأ سورة "النجم" فلمّا بلغ قوله تعالى: "**أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ "[3].** أجرى

(1) للوقوف على تفاصيل القصّة كاملةً انظر الطبري، جامع البيان [م. س]، ج١٧، ص ١٣١ – ١٣٣. والغرانيق جمع غرنوق وهو طائرٌ أبيض من الطيور التي تعيش قرب الماء. وكُنِّيَ بذلك الشاب الأبيض الناعم، وكان المشركون يزعمون أنّ الأصنام تقرّبهم من الله وتشفع لهم فشُبِّهَتْ بالطيور التي تعلو وترتفع.

(2) سورة الكافرون: الآيات ١-٣.

(3) سورة النجم: الآيتان ١٩، ٢٠.

الشيطانُ على لسانه الجملتين التاليتين: "تلك الغرانيق العُلىَ، منها الشفاعة ترتجى). وفي روايةٍ أخرى (منها الشفاعة تُرتَضى).

فلما سمِعَ كفارُ قريشٍ ذلك فرحوا وسرَّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتَهم، وقَرأَ محمدٌ ما بعدها من آياتٍ، ولمّا بلغ آية السجدة فيها وختم السورة، سَجَدَ هو ومَنْ حضرَ من المسلمين والمشركين إلاّ الوليد بن المغيرة لكِبَرٍ في سنه، فأخذه بيده من البطحاء فسجدَ عليها.

وفَرِحَ المشركون، وارتفعت نداءاتُهم يقولون: لقد ذكرَ محمدٌ آلهتنا بخير. ولمّا كان كلُّ حيٍ من العرب له وثنُه، وكانت له تلبيتهُ الخاصّةُ حول الكعبة، أصبحت تلبيةُ اللات والعُزَّى ومناة هي كما أجراها الشيطان (أرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الكبرى، تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة تُرتَجى).

وانتشر نبأُ هذه المُصَالَحة وعمَّ بين الناس، وهلّلت قريشٌ في الرّكبان أنَّ التقاربَ قد حدث بينها وبين رسول الله في مكّة. حتى بلغ خبرُ السجدة المهاجرين في الحبشة من أصحاب رسول الله، وقيل لهم أسلمتْ قريشٌ، فقرَّرَ رجال منهم العودة إلى مكة.

فلمَّا أمسى أتاه جبريلُ، عليه السلام، فعرضَ عليه السورة، فلمّا بلغ الجملتين اللتين ألقى بهما الشيطانُ عليه قال جبريل: ما جئتُكَ بهاتين!! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به من الله عزّ وجلّ، وقلتَ ما لم يَقُلْ لكَ، فقال رسولُ الله: افتريتُ على الله وقلتُ ما لم يَقُلْ، فأوحى الله إليه " **وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا** "[1].

فما زال رسول الله مغموماً مكروباً، يلوم نفسه أنه افترى على الله الكذب، [وحاشاه أن يفعل ذلك] حتى نزلتْ عليه الآية الكريمة: " **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن**

[1] سورة الإسراء: الآيتان ٧٣، ٧٤.

رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[1]. تعزّيه وتهوّنُ عليه الأمر، وتبلّغه أنّ ذلك أمرٌ شاعَ في الأنبياء قبله، فلم يكن قبله نبيٌ ولا رسولٌ تمنّى كما تمنّى، ولا أَحَبَّ كما أَحَبَّ، إلا والشيطانُ قد ألقى في أمنيته، وأجرى على لسانه آياتٍ مثلها، فنسخ اللهُ ما ألقى الشيطان ثم أحكم آياته. فذهب عن رسول الله الحزنُ.

وقالت قريشٌ: ندمَ محمدٌ على ما ذكر من منزلةِ آلهتنا عند الله فغيّر ذلك وجاء بغيره، فازدادوا شراً على ما كانوا عليه ...

لا شكَّ أنَّ هذه القصّة من الخُطورة بمكانٍ، وقد وجب التصدّي لها وتفنيدها وفحصها سنداً ومتناً. ولا يكفي لصحّة الاحتجاج بها مُجَرَّدُ ورودها في تفسير الطبريّ ـ يرحمه الله ـ ففي تفسيره الكثير الكثير من الروايات التي رَدَّها العلماء ولم يقبلوا الاحتجاج بها وذلك لوجودِ علّةٍ أو ضعفٍ أو انقطاعٍ أو إرسالٍ في أسانيدها.

ومن الممكن حصر أسباب ردّ قصّة الغرانيق فيما يلي[2]:

أولاً: مخالفتها الصريحة الواضحة لنصوص القرآن الكريم، التالية:

---

[1] سورة الحج: الآية ٥٢.

[2] انظر:

أ. الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصّة الغرانيق ص ٢٤ – ٢٦ بتصرف واختصار، ط١، ١٩٥٢، المكتب الإسلامي، دمشق.

ب. الخالدي [م. س]، ص ٦٦٤ – ٦٦٦ بتصرف.

ج. مرسي [م. س]، ص ٢٠ – ٢٥ بتصرف.

د. الشريف، عبد الرحيم، إفتراء وردّ: مصدر القرآن الكريم هي الشياطين، بحث منشور في موقع شبكة الحقيقة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٣م على الموقع الإلكتروني للشبكة www.trutheye.com.

هـ. الأزهري، إسماعيل شعبان، قصّة الغرانيق في الميزان، بحث منشور في موقع الشبكة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢م على الموقع الإلكتروني للشبكة www.islamweb.net.

و. حقائق الإسلام [م. س] الشبهة ٦٢، الشيطان يوحي إلى محمد ﷺ والردّ عليها.

١. قال تعالى في سورة الحاقة: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ "[1].

٢. وفي سورة يونس: " قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ "[2].

٣. وفي سورة الإسراء: " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا "[3]. فكلمة "كاد" تفيدُ أنَّ الأمر لم يحصل.

٤. وفيها قوله: " وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا "[4].
فكلمةُ "لولا" تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدلَّ على أنَّ ذلك الركون لم يحصل.

٥. وفي سورة الفرقان: " كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ "[5].

٦. وفي سورة الشعراء نصٌّ قاطعٌ ينفي ذلك بتاتاً: " وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ "[6].

ثانياً: مخالفتها للعقل السليم الذي يفهم الإسلام فهماً صحيحاً. وتوضيح ذلك ما يلي:

---

(1) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ – ٤٦.
(2) سورة يونس: الآية: ١٥
(3) سورة الإسراء: الآية ٧٣.
(4) سورة الإسراء: الآية ٧٤.
(5) سورة الفرقان: الآية ٣٢.
(6) سورة الشعراء: الآيتان ٢١٠، ٢١١.

١. إن النبي ﷺ لم يحترم الأصنام في الجاهلية، ولم يُعرفْ عنه أنه تقرَّبَ إلى صنمٍ قط، وقد كسرَ النبيُ ﷺ في فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً، فكيف يوقِّرُها وهو رسولٌ مِن الله سبحانه وتعالى؟ وكيف يتركه رَبُّهُ سبحانه وتعالى يسجد للأصنام بحسب هذه القصة الموضوعة؟! فهو مَنْ يأمرُ ﷺ بطمس الأصنام، وتغيير معالمها!!.
٢. لو جَوَّزْنَا ذلك لارتفعَ الأمانُ عن شرعه، ولجوَّزنا في كلِّ الشرائع أن تكون كذلك.
٣. ليس من المعقول أن يعترفَ النبيُّ بشفاعة الغرانيق وهو يدعو إلى عبادة الله تعالى ويحارب الأصنام. ولو كان الشيطان له سلطانٌ عليه لدرجةِ أنه يُملي عليه ويحرِّكُ لسانَه بالكُفر، لكان أُلعوبةً له، ليس في هذه القصة فقط، بل في غيرها أيضاً. والنبيُّ معصومٌ من الشياطين بداهةً.
٤. إنّ الاعتراف بشفاعةِ الأصنام كفرٌ مُخرِجٌ من المِلّة!!.

ثالثاً: قصة الغرانيق مردودةٌ ومطعونٌ في سندها عند المحدّثين والمحقّقين.

وبيان ذلك أنّنا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة، لألفيناها كلّها مُرْسَلةً، باستثناء حديث ابن عباس، ولكنَّ طرقه كلّها واهيةٌ شديدة الضّعف، لا تنجبرُ بها تلك المراسيلُ. فيبقى النظر في هذه المراسيل، وهي كما علمنا سبعةٌ، صحَّ إسنادُ أربعةٍ منها، وهي مرسلُ سعيد بن جبير، وأبي بكرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث، وأبي العالية، ومرسل قتادة، وهي مراسيلُ يرِدُ عليها أحدُ الاحتمالين السابقين، لأنهم من طبقةٍ واحدةٍ: فوفاة سعيد بن جبير سنة (٩٥ هـ) وابي بكر بن عبد الرحمن سنة (٩٤ هـ)، وأبي العالية ـ واسمُه رفيع مصغّراً لسنة (٩٠ هـ) وقتادة سنة بضع عشرة ومائة. والأول كوفي،والثاني مدني، والأخيران بَصْرِيّان. فجائزٌ أن يكون مصدرُهم الذي اخذوا منه هذه القصة ورووها عنه، واحداً لا غير، وهو مجهول. وجائزٌ أن يكون جمعاً، ولكنّهم ضعفاءُ جميعاً، فمع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئنَّ النفسُ لقبول حديثهم هذا، لا سِيَّمَا في مثل هذا الحَدَثِ العظيم الذي يَمَسُّ المقامَ الكريمَ، فلا جرم تتابع العلماء على إنكارها، بل التنديد ببطلانها، ولا وجه لذلك من جهة الرواية إلاّ ما ذُكِرَ. قال الفخر الرازي في تفسيره (١٩٣/٦): "روي عن محمد بن اسحق بن خُزيمة أنه سُئِلَ عن هذه القصة؟ فقال: "هذه من وضع الزنادقة"، وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: "هذه القصة غيرُ ثابتةٍ من جهة النقل" ثم أخذ يتكلَّمُ في أنَّ رواة هذه القصة مطعون فيهم. وأيضاً: فقد روى البخاري في "صحيحه" أنَّ النبي ﷺ

قرأ سورة (النجم) وسَجَدَ وسَجَدَ فيها المسلمون والمشركون، والأنس والجنُّ، وليس فيه حديث الغرانيق، ورُوي هذا الحديث من طرقٍ كثيرةٍ، وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق.
وقد تبع هؤلاءِ جماعةٌ من الأئمة العلماء رحمهم اللهُ تعالى [1].

وفي نهاية ردّنا على شبهة الشيطان كمصدرٍ للقرآن وأنّه قد يُلقى على لسان محمد ﷺ ما شاء فقد يواجهنا سؤالٌ لمعترضٍ يقول فيه: "إن كان ما ذكرتم صحيحاً فكيف تفسّرون قول القرآن: "**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ**"[2]؟؟ فهذه الآية واضحةٌ في الدلالة على قدرة الشيطان على أن يُملي لمحمدٍ والأنبياء من قبله!!!

والردّ على هذا السؤال سهلٌ ميسورٌ لكلِّ مَن أراد الفهم الصحيح لها؛ ففيها يخبرُ اللهُ رسوَلهَ ﷺ أنَّ كلَّ رسولٍ ونبيٍّ قبله كان يتمنّى ويرجو ويأملُ أنْ يؤمنَ به قومُه ويُصدِّقوه، وكان يبذلُ جهده في دعوتهم، ولكنَّ الشيطانَ كان يحاولُ تيئيسَه، ولذلك كان يُلقي في أمنيتهِ، ويُريه أنها مستحيلةٌ، وأنَّ قومه لن يؤمنوا به، فلا يُتعبُ نفسه معهم. وكان اللهُ يتداركُ رسوله برحمته، ويمنُّ عليه بالأمل، وبذلك كان ينسخُ ما يلقي الشيطانُ من وساوس، ويُحكمُ آياته، ويُبقي الرسولَ على ثقته وأملهِ وجهوده في الدعوة....

---

[1] وأسماؤهم على ترتيب وفياتهم ما يلي:
١. أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي توفي سنة (٥٤٢)، في تفسيره "أحكام القرآن".
٢. القاضي عياض بن موسى بن عياض (٥٤٤) في كتابه "الشفا في حقوق المصطفى".
٣. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (٦٠٦) في تفسيره "مفاتيح الغيب" (١٩٣/٦ – ١٩٧).
٤. محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله القرطبي في "أحكام القرآن" (٨٠/١٢ – ٨٤).
٥. محمد بن يوسف بن علي الكرماني، مِن شُرّاح "البخاري" (٧٨٦)، وقد نقل كلامه في ذلك الحافظ بن حجر في "الفتح" (٤٩٨/٨).
٦. محمود بن أحمد بدر الدين العيني (٨٥٥) في "عمدة القاري". (٤٧/٩).
٧. محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني (١٢٥٠) في "فتح القدير". (٢٤٧/٣ – ٢٤٨).
٨. السيد محمُود أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي (١٢٧٠) في "روح المعاني" (١٦٠/١٧ – ١٦٩).
٩. صديق حسن خان أبو الطيب (١٣٠٧) في تفسير "فتح البيان".
[2] سورة الحج: الآية ٥٢.

الشُّبهةُ التّاسعةَ عشرةَ ودفعُها

إنَّ القرآن الذي جاء به محمدٌ، يزعمُ أنّ محمّداً مكتوبٌ في التوراة والإنجيل. كما يزعمُ أنّ اليهود والمسيحيين من بعدهم اتّفقوا على محو اسم (محمدٍ) مِنَ الكتاب المقدَّس! فهل يُعقلُ أن يتّفقَ اليهود والمسيحيون في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه على محو اسم (محمد) من الكتاب المقدَّس، وهو غيرُ مذكورٍ فيه أصلاً؟؟

- تتركب هذه الشّبهةُ من جزأين:

أولها: القطعُ بعدم ورود نصٍّ كتابيٍّ يذكر اسمَ محمدٍ أو نبوّته.

ثانيهما: اتِّهامُ القرآن لأهل الكتاب بالتواطؤ والتآمر لمحو اسم محمّدٍ من الكتاب المقدس.

- أمّا عن الردّ على الجزء الثاني من هذه الفرية، فهوَ أنّ أساسها مبنيٌ على فهمٍ فاسدٍ؛ وهو أنّ المسلمين يعتقدون أنّ اسمَ النبيَّ ﷺ الصريحَ، وهو محمدٌ بالعربية، مذكورٌ في التوراة والإنجيل" وهذا لم يَقُلْهُ عالِمٌ من علماء المسلمين ولا أخبرَ اللهُ سبحانه به في كتابه عنهم، ولا رسولُه ولا بكَّتَهُمْ به يوماً من الدهر، ولا قاله أحدٌ من الصحابة ولا الأئمّةُ بعدهم، ولا علماء التفسير، ولا المُعتنون بأخبار الأمم وتواريخهم.

وإنْ قُدِّرَ أنه قالهُ بعضُ عوام المسلمين يقصدُ به نصرَ الرسول فقد قيل: يضرُّ الصديقُ الجاهلُ أكثرَ مما يضرُّ العدو العاقل. وإنما أُتِيَ هؤلاء مِن قلَّة فهم القرآن، وظنّوا أنّ قوله تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ" [الأعراف: ١٧٥]، دَلَّ على الاسم الخاص بالعربية في التوراة والإنجيل المخصوصين وأن ذلك لم يوجد البتة ... فالرب سبحانه: إنَّما أخبرَ عن كون رسوله مكتوباً عندهم، أي الإخبار عنه وصِفَتِهِ ومَخْرَجِه ونعتِهِ، ولم يُخْبِرْ بأنّ صريحَ اسمه العربيّ مذكورٌ عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا أبلغُ من ذكره بمجرد اسمه، فإنّ الاشتراك قد يقعُ في الاسم فلا يحصل التعريفُ والتمييزُ، ولا يشاءُ أحدٌ يُسمَّى بهذا الاسم أن يدَّعي أنه هو إلاّ فَعَلَ، إذ الحوالة إنما وقعتْ على مجرّد الاسم، وهذا لا يحصلُ به بيانٌ ولا تعريفٌ ولا هُدىً، بخلاف ذكره بِنَعته وصِفته وعلاماته ودعوته وَصِفَةِ أُمَّتِه ووقتِ مخرجهِ ونحو ذلك، فإن هذا يُعَيِّنُهُ ويميِّزه ويحصر نوعه في شخصه[1].

---

[1] ابن القيّم [م. س]، ص ٩٠، ٩١ بتصرف واختصار.

- أمّا عن الردّ على الجزء الأول من هذه الشّبهة وهو القطع بعدم ورود نصٍّ كتابيٍّ يذكر نبوّةَ محمدٍ ﷺ فقد بحَثَ علماؤنا المهتّمون بدراسة اليهودية والمسيحيّة هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً ينمُّ عن اطّلاعهم على الكتاب المقدّس ودراستهم له، وكانوا ولا يزالون يضعون بين كلِّ فترةٍ وفترةٍ كتاباً يتناول هذا الموضوع. ولعلَّ معظم عناوين أبحاثهم المتعلّقة به قد حملت عنوان (المبشِّرات) أو (البشارات) أو (التباشير). وهم يقصدون بها نصوصَ الكتاب المقدَّس التي تحدّثتْ عن أوصاف ونبوّة سيّدنا محمدٍ ﷺ.

ولعلَّ أنفع كتبهم وأكثرها دقةً، حسْبَ تقييمنا المتواضع، خمسةٌ هي:

١. الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، ويكاد هذا الكتاب يكونُ العمدةَ في هذا الموضوع؛ حيث نَهلَ اللاحقون لابن تيمية من صفحاته خيراً كثيراً وبالذات تلميذه ابن القيّم. وقد شرح ابن تيمية في هذا الكتاب اثنتين وعشرين بشارةً من بشارات الكتاب المقدّس بنبوّةِ محمدٍ ﷺ.

٢. هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية.

٣. إظهار الحق، لرحمت الله الهندي.

٤. محمدٌ في الكتاب المقدّس، لعبد الأحد داود، والذي كان يُسمّى سابقاً دافيد بنجامين كلداني، والذي كان أباً روحياً وقسّيساً لطائفة الكلدانيين.

٥. تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ﷺ، للدكتور نصر الله عبد الرحمن أبو طالب. وهذا الكتاب جهدٌ علميٌّ ضخمٌ جمعَ فيه المؤلِّف خلاصة جهود السابقين في هذا الموضوع وناقشها فقبل بعضها واستبعدَ بعضَها الآخر لضعفٍ في دلالتها، كما قال، ثم أضافَ عليها بشاراتٍ جديدةً هامّةً، مؤكِّداً أنّ كلَّ ما ضَمّنهُ في كتابه هذا إنّما هو دلالةٌ قاطعةٌ لبشارات الكتاب المُقدَّسِ على الإسلام يستحيلُ تفسيرها بغير ذلك.

لقد رصدنا في هذه الدراسة الكتبَ الخمسة السابقة رصداً متأنّياً، وقُمنا بتحليل أبرز مضامينها المتعلّقة بالبشارات الدالّة على أوصافه ونبوّته ﷺ. وكان من نتائج ذلك، أنّ نصوص الكتاب المقدّس التي استدلَّ بها علماؤنا قديماً وحديثاً متشابهةٌ جدّاً بل تكاد تكون هي عينها التي استدلَّ بها كل منهم. وكذا كان حال التفسير والتوجيه الذي قدّمه كلٌّ منهم لهذه النّصوص، ولكنْ مع فروقٍ قليلةٍ غير هامّةٍ.

وقد تفاوتت أعداد هذه البشارات عند علمائنا حتى زادت عن الخمسين عند بعضهم، مع ذِكرِهم لترجماتٍ وتفصيلاتٍ كثيرةٍ قد يُشكِلُ على الكثيرين فهمها.

ولتسهيل الأمر وتوطئته على القارئ الكريم، فإننا سنسوقُ أبرزَ وأهمَّ هذه البشارات مع شرحٍ مُختصَرٍ لها[1]:

أولاً: "جاء الربُّ مِن سِيناءَ وأشرقَ من سَعير وتلألأَ من جبل فاران".[2] وهذه البشارة متضمنةٌ النبوات الثلاث: نبوَّةَ موسى، ونبوَّةَ عيسى، ونبوَّةَ محمدٍ ﷺ؛ فمجيئه من "سيناء" وهو الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى ونبَّأَه عليه، إخبارٌ عن نبوّته. وتجلِّيهِ من ساعير هو مظهرُ المسيح من بيت المقدس، و"ساعير" قريةٌ معروفةٌ هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوّة المسيح. و"فاران" هي مكّةُ. وشبَّه سُبحانهُ نبوّةَ موسى بمجيء الصباح، ونبوّةَ المسيح بعدها بإشراقهِ وضيائه، ونبوَّةَ خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق. وقد وقعَ الأمرُ كما أَخَبرَ به؛ فإنّ الله سبحانه صَدَّعَ بنبوّةِ موسى ليلَ الكفر فأضاء فَجْرَهُ بنبوّته، وزادَ الضياء والإشراق بنبوّة المسيح، وكَمُلَ الضياءُ واستعلنَ بنبوَّةِ محمدٍ صلوات الله وسلامه عليهم.

وذِكْرُ هذه النبوّات الثلاث التي اشتملت عليها هذه البشارةُ نظيرُ ذِكرِها في أول سورة " **وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ**"[3]. فَذَكَرَ أمكنةَ هؤلاء الأنبياء وأرضَهم التي خرجوا منها و"وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ" المرادُ بهما منبتُهما وأرضُهما وهي الأرضُ المقدَّسةُ التي هي مظهر المسيح، و"وَطُورِ سِينِينَ" الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى فهو مظهرُ نبوَّته، و"وَهَـذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ" مكّةُ، حرمُ الله وأمنه التي هي مظهرُ نبوَّةَ محمدٍ

[1] انظر:
أ. ابن تيمية [م. س] ص ٢٦٦ – ٣٠٢.
ب. ابن القيم [م. س] ص ١٠٩ – ١١٧، ١٤٧ – ١٥٧، ١٧٤ – ١٨٤.
ج. الهندي [م. س] ص ٥١٩ – ٥٤٥
د. داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدّس، ترجمة فهمي شمّا، ص ٣٠ – ٣٥، ٣٦ – ٥٤.
هـ. أبو طالب، نصر الله عبد الرحمن، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ﷺ، ص ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٧١، ٣٧٢، ط٢، كتاب منشور في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنّة www.55a.net
[2] سفر التثنية: ٣٣: ٢
[3] سورة التين: الآيات ١ – ٣.

صلوات الله عليه وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظيرُ تلك الثلاثة، سواءٌ قالت اليهودُ: "فاران" هي أرض الشام وليست أرضَ الحجاز أم لم تقلْ. وليس هذا ببدْعٍ من بُهْتِهم وتحريفهم، فعندهم في التوراة: إنّ إسماعيل لمّا فارق أباه سَكَنَ في بريّة فاران. هكذا نطقت التوراة، ولفظُها "وسَكَنَ في بريّةِ فاران، وأخذت له أمُّهُ زوجةً من أرض مصر"[١].

ولا يشكُّ علماءُ أهل الكتاب أنَّ فاران مسكنٌ لآل إسماعيل، فقد تَضَمَّنَت التوراةُ نبوّةً تنزلُ بأرض فاران، وتضمَّنت نبوّةً تنزل على عظيمٍ من ولد إسماعيل، وتضمَّنتْ انتشارَ أُمَّتِهِ وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل. ولم يبقَ بعد هذا شُبهةٌ أصلاً في أنَّ هذه هي نبوّةُ محمدٍ ﷺ التي نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياءً ونوراً وملأ أتباعهُ السهل والجبل. وهنا نسألُ منكري ذلك والمكابرين: أيُّ نبوَّةٍ خرجت من الشام فاستعلَتْ استعلاءَ ضياءِ الشمس، وظهرت فوق ظهورِ النبوَّتينِ قبلها؟!.

ثانياً: "هو ذا عبدي الذي أعضُدُهُ مُختاري الذي سُرَّتْ به نفسي، وضعتُ روحي عليه، فيُخْرِجُ الحقَّ للأمم، لا يصيحُ ولا يَرفعُ ولا يُسمَعُ في الشارع صوتُه، قصبةً مرضوضةً لا يَقصِفُ وفتيلةً خامدةً لا يُطفئُ، إلى الأمان يُخْرِجُ الحقَّ، لا يكلُّ ولا ينكسرُ حتى يضع الحقّ في الأرض وتنتظرُ الجزائرُ شريعته. وهكذا يقولُ خالقُ السماوات وناشرُها، باسطُ الأرضِ ونتائجِها مُعطي الشّعبِ عليها نَسمةً والساكنين فيها روحاً، أنا الربُّ قد دعوتُكَ بالبِرِّ فأمْسِكُ بيدك وأَحَفَظُكَ وأجعلُكَ عهداً تفتح للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العميّ، لتُخْرِجَ من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظُّلمِة"[٢].

"هو ذا الأوّلياتُ قد أتت والحديثات أنا مُخبِرٌ بها، قبل أن تَنْبُتَ أعلمُكم بها، غنّوا للربِّ أغنيةً جديدةً تسبيحةً من أقصى الأرض، أيها المُنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسُكَّانُها. لِتَرْفَعِ البريةُ ومدنُها صوتَها، الدِّيارُ التي سكنها قيدارُ، لتترنَّمْ سكانُ سَالِعُ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الربَّ مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الربُّ كالجبار يخرجُ، كرجل

(١) التكوين: ٢١: ٢١.
(٢) إشعياء: ٤٢: ١ – ٧.

حُرُوبٍ يُنْهِضُ غيرتَه، يهتف ويصرُخُ ويقوى على أعدائه"[1]. "يَخْزَى خِزَياً المُتَّكِلونَ على المنحوتات القائلون للمسبوكات انتنَّ آلهتنا ..."[2].

هذا حديثٌ بَيِّنٌ عن عبد الله المُخْتَارِ الذي سَيُرْسَلُ إلى كلِّ الأمم ... الذي تنتظر الأممُ شريعتَه والنور الذي معه والذي من خلاله سيتم عهد الله مع أمم الأرض.

مُؤيّدٌ بالله محفوظٌ مِن قِبلِ الله يأتي بشريعة وتسبيحةٍ جديدةٍ ... يُفَتِّحُ بها عيون العُمي من بين الظلمات، ويُخرج بها الناسَ من حبس الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة. فتبدّدُ الظلماتِ في أرض البرية التي سكنها قيدار ابن إسماعيل (الحجاز والجزيرة العربية) ... فيعبدون الله ويُسَبِّحُونه ويرفعون أصواتهم بذكره من فوق الجبال (بما فيها جبل سلع في المدينة) ... ويقاتلون أعدءهم فَيُنْصَرون عليهم ...

ما تَمَّتْ هذه النبوءةُ إلا بظهور الإسلام من جزيرة العرب حيث سكن أبناءُ إسماعيل الذين قاموا بنشره بين أمم الأرض ... فنقلوها من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة ... وأخرجوا الحقّ والإيمان الذي طالما كان مُستضعَفاً ومُطارَداً إلى برّ الأمان والعزّة ... وكان المصطفى المختار، ﷺ، قد لُقِّب في القرآن مراراً بعبد الله، وهو الذي تَعَهَّدَ اللهُ بحفظه وعصمته من الناس وأَيَّدهُ بنصره، ووَهبَه خُلُقاً عظيماً وجعله إماماً في مكارم الأخلاق.

هذه النبوءة لا تنطبق على كورش الفارسي كما هو واضح، وإنْ كانت إصحاحاتٌ تاليةٌ تتحدثُ بعد ذلك عن شخصية كورش، إلا أنَّ المشهورَ عنه وَثَنِيَّتُهُ وعدُم إيمانه، فكيف يُنسَبُ إلى المرسَلين؟ وكورش لم ينشر النور ولا الهدى في أرض بني إسماعيل، ولا أصبح الناسُ من بعده في هذه الديار مؤمنين، ولا تنطبق هذه النبوءة من أيِّ ناحيةٍ على المسيح عليه السلام، خلافاً لزعم المسيحيين ... هذا إضافةً إلى نسبة العبودية إلى هذا الرسول، وهم يزعمون أنه هو الله أو أنه ابنهُ المساوي له في الجوهر والمقام ... ويكفي، فوقَ أنَّ هذه النبوّةَ لم تتحقق إلاّ على يدي رسول الله محمد ﷺ، يكفي بها تلك الإشارة الواضحة إلى موطن ظهور

---

[1] إشعياء: ٤٢: ٩ - ١٣

[2] إشعياء: ٤٢: ١٧

المختار وأنها الديار التي سكنها قيدار ... وقيدار هو ثاني أبناء إسماعيل كما تذكر التوراة. وقد أورد المؤرِّخون اسمه ضمن أسماء أجداد قبيلة قريش التي سكنتْ مكةَ، والتي ظهر منها رسولُ الله محمد ﷺ والسؤال ـ الذي ليس له إلاّ جوابٌ واحدٌ ـ هو متى تبدّدت الظلماتُ في الحجاز؟ ومتى آمنَ أبناء إسماعيل بالله وتركوا عبادة الأصنام إلاّ عند مجيء رسول الله محمد ﷺ؟ هذا في الوقت الذي أعلن فيه المسيح، عليه السلام، عن خصوصيّة دعوته لبني إسرائيل، وأنَّ هدفها تبشيرهم بقرب مجيء مملكة الله حتى يستقبلوها برضىً وإيمان.

ثُمَّ، مَنْ غيرُ رسول الإسلام محمد ﷺ مُؤَهَّلٌ لهذه الصفات..؟ هو المختار (مختاري) أو المصطفى والمصطفى من أسمائه وألقابه المشهورة ... هو الذي أعلنَ منذُ اللحظة الأولى في دعوته أنهُ رسولٌ لكلِّ الأمم (فيُخْرِجُ الحقَّ والعدل للأمم) .. ولم يكن ذلك لأيِّ نبيٍ قبله بما فيهم عيسى، عليه السلام، الذي نُقلتْ عنه الأناجيلُ الحاليّةُ إعلانه أنَّ دعوته خاصّةٌ ببني إسرائيل ... وهو صاحبُ اللقب "عبد الله" في الوحي ... ولم يشتهر أحدٌ بهذا اللقب أو يُعرفُ به ـ وإن كان الجميع عبيد الله ـ إلاّ رسولُ الإسلام محمد ﷺ. وهو النبيُّ الذي اشتُهِرَ بأخلاقه وكمال أدبه وإن كانت أخلاقهم جميعها لعالية ... وأُثبِتَ الثناءُ على أخلاقه في مواضعَ متعددةٍ من القرآن الكريم لتكون شاهداً لنبوّته في حياته وبعد مماته. ويكفي هنا تذكيرُ القارئ الكريم بقوله تعالى " **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** "[1]. فما كان يرفعُ صوته في الأسواق والطرقات ... كان يبني ولا يهدم ... كان يفرح ويشجّعُ على الخير حتى وإن كان ضئيلاً بل يأمرُ بالخير وعمله حتى لو كانت القيامةُ بادئةً كما في أمره بمواصلة الغرس حتّى لو قامت القيامة... ولم ييأس في دعوته ولم يكلَّ حتى انتصرَ الدِّينُ الذي جاء به وأقام دولته التي حكمتْ جزيرةَ العرب كاملةً في حياته ... ومن بعد موته انتشر الدِّينُ خارج الجزيرة وبلغ الأمصار التي كانت تنتظرُ شريعته ... "لا يكلّ ولا ينكسر حتى يَضَعَ الحقَ في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته".

ثالثاً: ١. "فقال لها [لهاجر] ملاكُ الربِّ: ارجعي إلى مولاتِكِ واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاكُ الربِّ: تكثيراً أُكَثِّرُ نسلَكِ فلا يُعدُّ مِن الكثرةِ وقال لها ملاكُ الربِّ: ها أنت حُبْلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل"[2].

---

[1] سورة القلم، الآية ٤

[2] التكوين: ١٦: ٩ – ١٣.

٢. "وأما إسماعيلُ فقد سَمِعْتُ لكِ فيه، ها أنا أباركه وأُثْمِرُهُ وأُكثِّره كثيراً جداً، إثني عشر رئيساً يلدُ، وأجعله أُمَّةً كبيرةً"[١].
٣. "قومي احملي الغُلامَ [أي إسماعيل] وشُدّي يدَكِ به لأني سأجعلهُ أمّةً عظيمةً"[٢].
٤. ونادى ملاكُ الربِّ إبراهيمَ ثانيةً من السماء، وقال بذاتي أقسمتُ يقول الربُّ إنّي من أجل أنَّكَ فعلتَ هذا الأمرَ ولم تُمسكْ ابنَكَ وحيدك أُباركَكَ مباركةً وأُكثِّرُ نسلكَ تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلُكَ بابَ أعدائه ويتبارك في نسلِكَ جميعُ أمم الأرض"[٣].

تتأكَّدُ هذه البشارة لإبراهيم في مباركة ذريّته في مواضع متعددةٍ كما نرى ... ثلاثُ مراتٍ منها خاصّةٌ بنسل إسماعيل وأخرى بنسله عامّةً ... تتكرر الثلاث الأولى مؤكدةً بأنّ أبناء إسماعيل سيكثرون، ويبارك اللهُ فيهم حتى يكونوا أمةً عظيمةً وكبيرةً ... ومعلوم بدهياً أن أبناء إسماعيل لم يكونوا سوى قبائل قليلةٍ متناحرةٍ بينها بالجزيرة العربية، ويعبد غالبيتُها الأصنام ... وقد أُهْمِلَ ذِكْرُ العرب على مدى التاريخ، وأصبحوا موضعَ احتقارٍ من اليهود من أبناء يعقوب وإسحاق ومن الأمم الأخرى ... فهم الأمةُ الوثنيّةُ الجاهلة، ولم يتحقق لأبناء إسماعيل ذِكْرٌ ولم يصيروا أُمَّةً عظيمةً غالبةً على أعدائها إلا بظهور رسول الله محمد ﷺ بينهم ... فلمّا ظهر بينهم رسولُ الله أظهرهم اللهُ بفضله على سائر الأمم فحكموا بالإسلام معظم المعمور من الأرض في الزمن الماضي، من أطراف الصين حتى إسبانيا وتوالت بعد دولةِ الرسول ﷺ دولُ الأمويين والعباسيين وغيرهم وهم من أبناء إسماعيل مباشرةً ... واستمر الحكم الإسلامي بعد ذلك في حكم العثمانيين، وهم إن لم يكونوا عرباً إسماعيليين فقد حكموا مُنتَسِبين لرسول الله ﷺ فكَأَنَّهم ولاةٌ عنه في أمّةٍ عظيمةٍ، راسخةٍ في الأرض ـ وإن ضعفت أحياناً ـ زعيمُها ومُؤَسِّسُها رسول الله ﷺ.

ولولا أنّ الإسلام حق ... وأنّ رسول الله ﷺ حَقٌّ، لما بُشِّرَ إبراهيم عليه السلام بظهور أبناء إسماعيل أُمّةً عظيمةً وكبيرةً ... فما كان الله عز وجلّ ليُبشِّرَ إبراهيم بضلال أبنائه ولكن بهدايتهم وكثرتهم على الحق والهدى.

---

[١] التكوين: ١٧: ٢٠.
[٢] التكوين: ٢١: ١٨.
[٣] التكوين: ٢٢: ١٥ – ١٨.

رابعاً: "أُقيمُ لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مِثْلَكَ، وأجعلُ كلامي في فِمهِ، فيكلّمُهُم بُكِلِّ ما أوصيه به، ويكون أنَّ الإنسان الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلَّمُ به باسمي أنا أطالبهُ[1]، وأمّا النبيُّ الذي يُطغي فيتكلَّمُ باسمي كلاماً لم أوصهِ أن يتكلَّم به، أو الذي يتكلَّمُ باسم آلهةٍ أُخرى فيموتُ ذلك النبيُّ"[2].

هذا النصُّ مما لا يمكنُ لأحدٍ منهم جحدُه وإنكارُه ولكنْ لأهل الكتاب فيه أربعةُ طرقٍ: أحدها: حملهُ على المسيح وهذه طريقة النصارى.
وأمَّا اليهود فلهم فيه ثلاثةُ طرقٍ:

أحدها: أنه على حذف أداة الاستفهام، والتقدير: أُقِيمُ لبني إسرائيلَ نبياً من إخوتهم؟ أي لا أفعلُ هذا، فهو استفهامُ إنكارٍ حُذِفَتْ منه أداة الاستفهام.

الثاني: أنه خَبَرٌ ووعد، ولكنَّ المراد به شمويل النبيّ [صموئيل]، فإنّه من بني إسرائيل، والبشارةُ إنّما وقعت بنبيٍّ من إخوتهم، وإخوةُ القومِ هم بنو أبيهم، وهم بنو إسرائيل.

الثالث: أنه نبيٌّ يبعثه الله في آخر الزمان يقيمُ به مُلْكَ اليهود ويعلو به شَأْنُهُم وهم ينتظرون إلى الآن.

والذي نراه نحنُ أنّها بشارةٌ صريحةٌ في النبيّ العربي الأميّ محمدِ بن عبد الله ﷺ لا تحتملُ غيرَه. فإنها إنما وقعت بنبيٍّ من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم. والمسيحُ من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقالَ: أُقيمُ لهم نبيّاً من أنفسهم، كما قال تعالى:

" لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ "[3].

وإخوةُ بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يُعْقَلُ في لغةِ أُمَّةٍ من الأمم أنَّ بني إسرائيل هم إخوةُ بني إسرائيل، كما أنَّ إخوةَ زيدٍ لا يدخل فيهم زيدٌ نفُسه. وأيضاً فإنه قال:

---

[1] وفي ترجمة البروتستانت (فأكون أنا المنتقم)، وفي بعض الترجمات الكاثوليكية الأُخرى (فإني أحاسبُه).
[2] التثنية: ١٨: ١٨ – ٢٠.
[3] سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

"نبياً مثلك" وهذا يَدُلُّ على أنه صاحبُ شريعةٍ عامّةٍ مثل موسى وهذا يُبْطِلُ حَمْلَهُ على شمويل [صموئيل] من هذا الوجه أيضاً، ويُبطِلُ حملَهُ على يوشع من أربعة أوجه:
أحدها: أنه من بني إسرائيل لا مِن إخوتهم.

الثاني: أنه لم يكن مثل موسى، وفي التوراة: "ولم يقم بَعْدُ نبيٌّ في إسرائيلَ مِثلُ موسى. الذي عرفه الربُّ وجهاً لوجه. وفي جميع الآيات والعجائب التي أرسلهَ الربُّ ليعمَلَها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكُلِّ أرضه"[(١)].

الثالث: أن يوشع نبيٌّ في زمن موسى، وهذا الوعدُ إنما هو بنبيٍّ يُقيمه الله بعد موسى.

وبهذه الوجوه الثلاثة يبطلُ حملُه على هارون، مع أنّ هارون توفّي قبل موسى، ونبّأهُ اللهُ مع موسى في حياته.

الرابع: إن في هذه البشارة أنّه يُنزِلُ عليه كتاباً يظهَرُ للناس مِن فيه، وهذا لم يكن لأحدٍ بعد موسى غيرِ النبي ﷺ، وهذا من علامات نبوّته التي أخبرَ بها الأنبياءُ المتقدِّمون.

خامساً: "ترنّمي أيتها العاقرُ التي لم تَلِدْ، أشيدي بالترنُّم أيتها التي لم تَمْخَضْ، لأنَّ بني المستوحِشَةِ أكثرُ من بني ذات البعل قال الربُّ. أوسعي مكانَ خيمتكِ ولتُبْسَطْ شقُقُ مساكنِك. لا تمسكي أطيلي أطنابَكِ وشَدَّدي أوتادَكِ، لأنك تمتدِّينَ إلى اليمين وإلى اليسار ويرثُ نَسلُكِ أمماً ويَعمرُ مدناً خَرِبةً، لا تخافي لأنك لا تَخْزِينَ .."[(٢)].

لا يستقيمُ المعنى هنا إلاّ بأن يكون الخطابُ موجَّهاً إلى مدينة مكة لا القدس ... فإن مكّةَ هي مدينةُ هاجر وإسماعيل .. وبنو المستوحشة التي تركها بعلُها هم بنو هاجر وإسماعيل ... وقد وُصِفَ إسماعيلُ، عليه السلام، في التوراة المعاصرة بأنه وحشيٌّ (مستوحِش). وقد ظلّتْ مكة مهجورةً مُوحِشةً من الوحي، عاقراً لا تلد أنبياء كمدينةِ القدس ... فجاءتها البشرى هنا بأنّ أبناءها سيكثرون ... وهو ما ينسجم مع البشارات السابقة

(1) التثنية: ٣٤: ١٠، ١١.
(2) اشعياء: ٥٤: ١ - ٤

والعديدة حول إكثار أبناء هاجر، وما ينسجم مع واقع الناس في الماضي والحاضر ... فسيكثر أبناء إسماعيل كما بُشِّرَ بذلك من قبل وستمتدُّ دولتهم وأُمَّتُهم إلى ما حولهم من البلاد والمدن فيعمرونها ويقيمون دولةً عالمية تنضوي تحتها الأمم (ويرث نسلُكَ أمماً) ... وهو ما تم فعلاً على أيدي أبناء إسماعيل فقط، ولم يتمَّ مثلُه على أيدي أبناء ذات البعل سارة عليها السلام.

فهذا تبشيرٌ واضحٌ بالإسلام ودولته ... إذ لم يتحقق لأبناء إسماعيل (أبناء هاجر / أبناء مكة) ذِكرٌ ولا تاريخٌ إلا بمجيء الإسلام.

سادساً: البشارات الواردة في إنجيل يوحنا بـ (البارقليط أو الفارقليط) أو (المُعَزّي)، وهي التالية:

١. "بهذا كَلَّمْتُكُمْ وأنا عندكم، وأما المُعَزّي الروحُ القدُس الذي سيرسلُه الآبُ باسمي فهو يُعَلِّمُكُم كلَّ شيءٍ ويُذَكِّرُكُم بكلِّ ما قلتُه لكم ..."[١].

٢. "وأنا أطلبُ من الآب فيُعطِيكم معزِّياً آخر ليمكُثَ معكم إلى الأبد .."[٢].

٣. "لَكِنِّي أقولُ لكم الحقَّ إنه خيرٌ لكم أن أنطلقَ، لأنَّه إنْ لم أنطلِقْ لا يأتيكُمُ المُعَزّي ولكن إنْ ذهبتُ أُرسِلُهُ لكمُ، ومتى جاء ذاك يُبَكِّتُ العالمَ علي خَطِيّةٍ وعلى بِرٍّ وعلى دينونةٍ"[٣].

٤. "ومتى جاء المُعَزّي الذي سأُرسلُهِ أنا إليكم من الآب رُوحُ الحقِّ الذي من عند الآب يَنبثِقُ فهو يشهدُ لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنَّكُم معي من الابتداء"[٤].

٥. "إنّ لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقولَ لكم، ولكنْ لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمّا متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ، لأنّه لا يتكلَّمُ من نفسِه، بل كلُّ ما يَسمعُ يتكلَّمُ به ويخبركم بأمورٍ آتيةٍ، ذاك يمجّدني، لأنّه يأخذُ ممّا لي ويخبرُكم"[٥].

ونَبّهُ قبل الشروع في تفسير المعاني المقصودة من النصوص السابقة من إنجيل يوحنا إلى أمرين هامَّينِ:

---

(1) يوحنا: ١٤: ٢٥، ٢٦.
(2) يوحنا: ١٤: ١٦.
(3) يوحنا: ١٦: ٧، ٨.
(4) يوحنا: ١٥: ٢٦، ٢٧.
(5) يوحنا: ١٦: ١٢ – ١٤.

الأمر الأول: إنّ هناك خلافاً شديداً قد وقع بين العلماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب من المسيحيين في ترجمة كلمة (Paraclytos) اليونانيّة إلى اللغة العربيّة، ففي حين ترجمها المسيحيون المعاصرون إلى لفظ (المُعَزّي) تَمَسَّك العلماء المسلمون بترجمتها إلى (الفارقليط أو البارقليط)[1]، وقد احتجّ العلماء المسلمون بأمرين، أولهما أنّ كلمة المعزّي هي ترجمةٌ لكلمة (Paracalon) التي لم ترد في الإنجيل اليونانيّ وليست ترجمةً لكلمة (Paraclytos) التي وردت بحرفيّتها في الإنجيل اليونانيّ. وثاني الأمرين اللذين احتجّ بهما العلماء المسلمون هو وجود لفظ (الفارقليط) في الأناجيل القديمة التي كانت مُستعملةً أيام الإمام الماوردي على سبيل المثال وهو متوفًّى في عام (٤٥٠ للهجرة)، وقد أورده في "أعلام النبوّة". كما كان هذا اللفظ موجوداً في الأناجيل التي كانت مُستعملةً أيام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو متوفّى في عام (٧٢٨ للهجرة)، وقد أوردَها عدّة مراتٍ في "الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح".

الأمر الثاني: لا يُنكرَ علماء المسيحيين هذه البشارةَ، ولكنّهم يستدلّون بها استدلالاً، نراه خاطئاً، على المسيح، عليه السلام، تارةً وعلى الروح القدس تارةً أخرى. بينما يستدلُ بها العلماء المسلمون على سيّدنا محمدٍ ﷺ.

ولكي لا نخوض في تفاصيل الترجمات، والاتهامات بصحّة الاستدلالات أو خطأها فيما يتعلّق بـ (البارقليط) أو (المعزّي)، فإنَّنا نرى أنّ الحلّ المناسب لهذه المشكلة هو إيراد وتحليل مواصفات هذا (البارقليط) أو (المعزّي) كما وردت في إنجيل يوحنا لنرى على أيِّ نبيٍّ أو شخصٍ تدلُّ، وذلك على النحو الآتي:

١. إنّ استخدام كلمة روح الحقّ في النصوص السابقة لا تدلُّ على الروح القدس، وذلك لما يلي:

---

[1] للتوسع، انظر:

أ. الهندي [م. س]، ص ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١.

ب. داود [م. س]، ص ٢١٦ – ٢١٨.

أ. إنّ يوحنّا نفسه الذي وردت البشاراتُ السابقة في إنجيله قد عبَّر عن معنى النبيِّ الصادقِ بكلمة (روح الحقّ) كما عبَّرَ عن معنى النبيِّ الكاذبِ بكلمة (روح الضلال)، وقد ورد ذلك في رسالته الأولى، الإصحاح الرابع عند تحذيره من اتّباع الأنبياء الكَذَبةِ فقال: "أيّها الأحبّةُ لا تصدِّقوا كلَّ روحٍ، بل امتحنوا الأرواحَ هل هي من الله؟ لأنّ أنبياءَ كَذَبةً كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله"[1]. وقال: "من هذا نعرفُ روحَ الحقِّ وروحَ الضَّلال"[2]. وواضحٌ أنَّ يوحنا يتحدث هنا عن النبيِّ الحق الذي بَشَّرَ به المسيحُ، عليه السلام، وتمييزه عن الأنبياء الكَذَبَةِ الذين حذَّرَ منهم المسيحُ عليه السلام ... ولا معنى للحديث عن تمييز روح القدس عن الأنبياء الكذبة فليس ذلك ما يريد.

ب. إنَّ الروح التي زعموا أنها زارت جماعةً منهم لم تمكُثْ معهم إلى الأبد، ولم تُبَيِّنْ للعالم ضلالَ عقيدته عن الله وعن المسيح وعن الخطيئة والبِرِّ ويومِ الدينونة، ولا تنطبق بقيةُ الصفات أعلاه عليها، ثمّ كيف وهم يؤلِّهونَها والذي بَشَّرَ به المسيحُ، عليه السلام، مِنْ بعده يُوصفُ بأنه لا ينطقُ من ذات نفسه بل مما يُوحى إليه، ثُمَّ إنها لم تُسمَّ هنا بروح القدس بل سُمِّيَتْ روحَ الحق.

٢. إنَّ محمداً ﷺ هو الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، فَمَجَّدهُ والأنبياءَ ودفع عنهم افتراءات اليهود بأنَّ منهم مَنْ عبدَ الأصنام أو ارتكبَ الفواحش أو سرقَ أو سكرَ ... ودفعَ افتراءات اليهود عن المسيح وعن أُمّهِ عليهما السلام.

٣. إنّ محمداً ﷺ هو الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، وبيَّن للناس أوجَه البِرِّ وأنذرهم يومَ الدينونة، وأخبرَ أنّ تعاليمه للناس هي الأخيرةُ من عند الله تعالى وبالتالي فهي أبديّةٌ ولن تتغيّر، ولن تُنسخَ.

٤. إنّ محمداً ﷺ هو النبيُّ الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، أُمّيّاً لا يقرأ بل يتلقّى الوحيَ سَمَاعاً ويقول للناس إنّه لا ينطقُ عن نفسه بل عن وحيٍ يُوحى من الله تعالى.

٥. إنّ محمداً ﷺ هو النبيُّ الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، وأخبرَ الناس بأحداثٍ قادمةٍ ستقعُ، ونبوءاتٍ ستتحقّقُ وقد وقعتْ وتحقّقتْ.

ونترك لرأي القارئ الكريم أن يختارَ ويقرّرَ مَنْ هو الذي تنطبق عليه الأوصاف السابقة أمحمدٌ هو أم الروح الحقّ؟؟؟ كما نتركُ لرأيه كذلك أن يتفكَّر فيما سُقناه من بشاراتٍ

---

[1] رسالة يوحنّا الرسولي: ٤: ١، ٢.

[2] رسالة يوحنا الرسولي: ٤: ٦

بنبوّته، عليه السلام، في الكتاب المقدّس ليقرِّرَ بنفسه أوردَ ذِكرهُ، عليه السلام، في الكتاب المقدّس أم لا؟؟.

الشُّبهةُ العشرون ودفْعُها

إن كانّ قرآنُ محمدٍ موحىً به من عند الله كما يزعمُ، فكيف نُسَوِّغُ وجودَ النَّسخِ فيه؟ كيف يقول اللهُ قولاً ثمَّ يرجعُ عنه وينسخُه بقولٍ آخر؟؟ وإن كان اللهُ يعلمُ الغيبَ فكيف ينسِبُ إليه محمّدٌ أقوالاً ثمّ يزعمُ أنّه غيَّرَها فيما بعد؟؟

- إنّ الذي دفع هؤلاء الرهبان الطاعنين لنحت هذه الشبهة أمران اثنان: أمّا الأوّلُ فهو تصوُّرهم أنّ النسخ يُجَوِّزُ على الله تعالى البدَاء؛ بمعنى أنّه يأمرُ بأمرٍ ثم يعودُ عنه لحكمةٍ بدت له وظهرت بعد أنْ كانت خافيةً عليه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. أمّا الأمر الثاني فهو أنّ هؤلاء الطاعنين يتوهّمون أنّ النّسخَ لم يَرِدْ في كتابهم المقدّس، وهذا أمرٌ غير صحيحٍ فقد وردت في الكتاب المقدّس آياتٌ ناسخةٌ للعديد من الأحكام في العهدين القديم والجديد، وهو ما سنذكرُ شواهده في نهاية تفنيدنا لهذه الشّبهة وردِّنا عليها.

ونقرُّ باديَ ذي بدءٍ أنَّ القرآن الكريم ذكَرَ النسخ في عدّةٍ آياتٍ نذكرُ منها قوله تعالى: **"مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ "[1]**. ومنها قوله تعالى: **" وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ "[2]**. وقد لخَّص الزرقانيُّ، يرحمه الله، الحِكَمَ الإلهيةَ في النسخ، فقال: "إنَّ الله تعالى حينَ نسخ بعضَ أحكامه ببعضٍ، ما ظَهَرَ له أمرٌ كان خافياً عليه وما نشأ له رأيٌ جديدٌ، كان يفقده مِن قبلُ، وإنّما كان سبحانه يعلمُ الناسخَ والمنسوخَ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده، بل مِن قبلِ أن يخلقَ الخَلْقَ، ويبدأ السماء، والأرض؛ إلاّ أنه ـ جلَّت حكمتُه ـ عَلِمَ أنّ الحُكمَ الأول المنسوخ منوطٌ بحكمةٍ، أو مصلحةٍ تنتهي في وقتٍ معلوم. وعَلِمَ بجانب هذا أنَّ الناسخَ

---

(1) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(2) سورة النحل: الآية ١٠١.

يجيءُ في هذا الوقت المعلوم منوطاً بحكمةٍ، ومصلحةٍ أخرى. ولا ريْبَ أنّ الحِكَمَ، والمصالحَ تختلفُ باختلاف النّاس، وتتجدَّدُ بتجدُّدِ ظروفهم، وأحوالهم، وأنّ الأحكام، وحِكَمَها، والعباد، ومصالحهم، والنواسخ، والمنسوخات كانت كلّها معلومةً له من قبل، ظاهرةً لديه لم يخفَ شيءٌ منها عليه. والجديدُ في النسخ إنما هو إظهاره تعالى ما عُلِمَ لعباده لا ظهور ذلك له"[١].

وقد ذكر صاحبُ "هدى الفرقان" كلاماً قريباً من كلام الزرقانيّ السابق في ردّه على إمكانية تجويز النسخ للبداء على الله تعالى فقال: "إنَّ نسخَ الله تعالى لحكمٍ من أحكامه، أساسُه حِكمةٌ ظاهرةٌ، ومعلومةٌ لله تعالى، ويستحيلُ أن تخفَى عليه. وغايةُ الأمرِ أنّ الله تعالى عندما ينسخُ حكماً بحُكْمٍ آخر، فإنّ الحُكمَ الناسخ يأتي بحكمةٍ غير الحِكمة التي أتى بها الحكمُ الأولُ المنسوخ. وعلى اعتبار أنّ هناك مصلحةً جديدةً للعباد اقتضتها عمليةُ النّسخ، وجاء بها الحكمُ الناسخ. فمصالحُ العباد تتجدَّدُ بتجدُّدِ الأزمان، وتختلفُ باختلاف الأشخاص، والأحوال. ولذا فإنّ النَّسْخ يعني أن هناك مصلحةً جديدةً فيأتي الله بِحُكمٍ جديدٍ يتضمَّنُها، وينسخُ به الحكمَ السابق الذي يتضمن المصلحةَ السابقة. والله تعالى أَحَاطَ بِكُلِّ شيءٍ علماً، فلا يستلزم النسخ إذن الجهلَ، أو العبثَ على الله تعالى"[٢].

ولربّما يعترضُ مُعترِضٌ فيقول: إن النَّسخَ يقتضي اجتماع الضّدَّيْنِ، وهذا مُحالٌ وتوضيح ذلك: أن الله إذا أمرَ بحكمٍ فيعني هذا أنه حَسنٌ، ومرغوبٌ فيه، وإذا نهى عنه فيعني هذا أنه خبيثٌ، وغيرُ مرغوبٍ فيه، ولذا فالأمر بالشيء، والنهي عنه معناه اجتماع الصِّفات المتضادة في الحكم الواحد، أو الفعل الواحد الذي تعلَّقَ به الأمر، والنهي.

وهذا الاعتراض مردودٌ بما يلي:

"إنَّ الحُسْنَ، والقُبحَ ليست من صفات الفعل الذاتي حتى تكون ثابتةً فيها لا تتغير؛ بل هي تابعةٌ لتعلُّق أمر الله، ونهيِهِ بالفعل. وعلى هذا يكون الفعلُ حسناً، ومرغوباً فيه ما دام مأموراً به من الله تعالى، وكذلك يكون هذا الفعل نفسُه قبيحاً، وغيرَ مرغوبٍ فيه عند الله تعالى ما دام منهياً عنه منه تعالى. والقائلون بالحسن، والقبح العقلييْن هم المعتزلة، وهم يعترفون أنَّ الحُسنَ، والقُبحَ يختلفان باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأوقات. وبهذا

[١] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص ٧٨، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٢] عناية، غازي، هُدى الفرقان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٨٧، ط١، ١٩٩٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت.

التأصيل ينتفي اجتماعُ الضّديْن؛ لأنّ الوقتَ الذي يكون فيه الفعل حسناً غيرُ الوقت الذي يكون فيه ذلك الفعل قبيحاً، فلم يجتمع الحسنُ، والقبحُ في فعلٍ واحدٍ، وفي وقت واحدٍ"[١].

لقد كان من الجدير بالرهبان الطاعنين الاطِّلاعُ على الحِكَمِ الربّانية في النسخ والتماسها وفهمها عوضاً عن تقديمها في ثوب المَنْقَصَةِ والطَّعنِ فيها. وإننا إذ نقول ما نقول فسنقفُ بهؤلاء على أبرز ما ورد في كتابهم المقدَّسِ من الناسخ والمنسوخ الذي أنكروه ورفضوا الاعتراف بوجوده فيه.

شواهد الناسخ والمنسوخ في الكتاب المقدّس

نكتفي تحت هذا العنوان بإيراد بعض الشواهد من الكتاب المقدّس التي تُثبتُ وقوع النسخ فيه[٢] وهي التالية:

أولاً: الفرضُ بصدق شهادة المسيح ابن مريم عليه السلام، ودليله: "أَجَابَ يَسُوعُ: وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ"[٣]. ثُمَّ نُسِخَ هذا الفرضُ بصدق شهادة المسيح ابن مريم عليه السلام وأنّها الآن ليستْ حقاً. ودليلهُ ما يلي: "إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً"[٤].

ثانياً: السماح بالزواج من أُختين في نفس الوقت ليعقوب، عليه السلام. ودليلهُ أنّ يعقوب قد تزّوج الأختين "ليئة وراحيل"[٥] ثُمَّ جاءَ نسخُ السَّماح بالزواج من الأختين، ودليل ذلك: "وَلاَ تَأْخُذِ امْرَأَةً عَلَى أُخْتِهَا لِلضِّرِّ لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا"[٦].

---

[١] المرجع السابق نفسه ص ١٨٨، ١٨٩.

[٢] للتوسع انظر: بحث الدكتور حبيب عبد الملك بن حبيب "الناسخ والمنسوخ بين الكتاب المقدّس والقرآن الكريم" المنشور على موقع شبكة ابن مريم الإسلامية، www.ebnmaryam.com، ضمن سلسلة مؤلفاته في مقارنة الأديان. وقد ذكر في هذا البحث ما يزيد على الثلاثين شاهداً على وقوع النسخ في الكتاب المقدّس.

[٣] يوحنّا: ٨: ١٤

[٤] يوحنّا: ٥: ٣١.

[٥] انظر سفر التكوين: ٢٩: ٢٣ – ٣٠.

[٦] اللاويين: ١٨: ١٨.

ثالثاً: السماح بالزواج من العَمَّةِ لعمرام أبي موسى عليه السلام. ودليلهُ: أثبت سفر الخروج إباحة الزواج بالعمة: "وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتهُ زَوْجَةً لَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُون ومُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً"(١). ثم جاءَ نسخُ السماح بالزواج من العمّة، ودليل ذلك: "عَوْرَةَ أخْتِ أبيكَ لا تَكْشِفْ. إنَّهَا قَرِيبَةُ أبيكَ"(٢).

رابعاً: إباحة الحلف بالله. ودليله: "الرَّبَّ إلهَكَ تَتَّقِي وَإيَّاهُ تَعْبُدُ وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ"(٣). ثم جاء نسخُ إباحة الحلف بالله، ودليله ما يلي: "أيْضاً سَمِعْتُمْ أنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ بَلْ أوْفِ لِلرَّبِّ أقْسَامَكَ. وَأمَّا أنَا فَأقُولُ لكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّة لاَ بالسَّمَاءِ لأنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ وَلاَ بالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلاَ بأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأسِكَ لأنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةٍ بَيْضَاءَ أوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّير"(٤).

خامساً: جاء الأمرُ بالقصاص في شريعة التوراة. ودليل ذلك: "وإن حصلتْ أذيّةٌ تُعطي نفساً بنَفْسس وعيناً بعينٍ وسِنّاً بِسِنٍّ ويداً بيدٍ ورِجلاً برجلٍ وكَيّاً بكيٍّ وجُرْحاً بجُرحٍ ورضّاً برضٍّ"(٥). ثمّ جاء الإنجيل ونسخَ القصاصَ. ودليلُ ذلك على لسان المسيح عليه السلام: "سمعتُم أنّه قِيلَ عينٌ بعينٍ وسِنٌّ بِسنٍّ، وأمّا أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرَّ بَلَ من لطمَك على خدِّكَ الأيمن فَحوِّل له الآخرَ أيضاً، ومن أرادَ أن يخاصمك ويأخذ ثوبكَ فاترُك له الرداء أيضاً"(٦).

سادساً: إباحة أكل كلِّ حيوانات الأرض. ودليلهُ، "كلُّ دابّةٍ حيّةٍ تكونُ لكم طعاماً كالعُشب الأخضر دفعتُ إليكم الجميع"(٧). ثمّ جاء الأمرُ بنسخ ذلك، بتحريم أكل بعضها كالخنزير على سبيل المثال، ودليل ذلك ما يلي: "والخنزيرَ لأنّهُ يشقُّ ظلفاً ويقسِمُه

(1) الخروج: ٦: ٢٠.
(2) اللاويين: ١٨: ١٢.
(3) التثنية: ٦: ١٣.
(4) متّى: ٥: ٣٣ – ٣٧.
(5) الخروج: ٢١: ٢٣ – ٢٥.
(6) متى: ٥: ٣٨ – ٤٠.
(7) التكوين: ٩: ٣

ظلفين لكنّه لا يجتَرُّ، فهو نِجِسٌ لكم، من لحمها لا تأكلوا، وجُثَّتَها لا تلمسوا، إنّها نجسةٌ لكم"[١].

سابعاً: قالت التوراة بفرض الختان على كل الذكور، "وقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَاناً وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً"[٢].

وقد اختتن يوحنا المعمدان، "وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أبيهِ زَكَرِيَّا. فَقَالَتْ أُمُّهُ: لاَ بَلْ يُسَمَّى يوحنّا"[٣].

وكذلك اختتن المسيح ابن مريم عليه السلام: "وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ"[٤].

ثم قال الإنجيل بنسخ فرض الختان حيثُ ألغاه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: "هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً! لكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوس. قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوس. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ"[٥].

ثامناً: تحدَّثَ إنجيلُ متّى عن أنّ رسالة المسيح، عليه السلام، كانت موجّهةً لبني إسرائيل فقط. ودليل ذلك "وقالَ لم أُرْسَلْ إلاّ إلى خِرافِ بيت إسرائيل الضّالَّةِ"[٦].

---

(1) اللاويين: ١١: ٧، ٨.
(2) التكوين: ١٧: ٩ – ١٣.
(3) لوقا: ١: ٥٩، ٦٠.
(4) لوقا: ٢: ٢١.
(5) رسالة بولس الخامس إلى غلاطية: ٢ – ٤.
(6) متى: ١٥: ٢٤.

ثم جاءَ إنجيل مرقس ليقرِّرَ بأنَّ المسيح لم يُرسَلْ لبني إسرائيل فقط، بل للعالمِ كلِّه. ودليل ذلك "وقال لهم: إذهبوا إلى العالمِ أجمَعَ، واكرزوا بالإنجيل"[١].

تاسعاً: سمحت التوراةُ بالزواج من الأخت، فقد ذكرتْ أنّ إبراهيم، عليه السلام، قد تزوج أخته سارة من أبيه: "وَبالْحَقِيقَةِ أيْضاً هِيَ أُخْتِي ابْنَة أَبِي غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ابْنَةَ أُمِّي فَصَارَتْ لِي زَوْجَةً"[٢].

ثمَّ جاءَ الأمْر بنسخ السماح بالزواج من الأخت، ودليلُ ذلك: "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ يَضَاجِعُ أُخْتَهُ ابْنَةَ أُمِّهِ أَوِ ابْنَةَ أَبِيهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِين"[٣].

عاشراً: أباحت التوراةُ الطلاقَ "إذا أخذَ رجلٌ امرأةً وتزوّجَ بها فإنْ لم تَجِدْ نعمةً في عينيه لأنّه وجَد فيها عيبَ شيءٍ وكَتَبَ لها كتابَ طلاقٍ ودفَعَهُ إلى يدها وأطلقَها من بيته..."[٤].

ثم جاء الإنجيل بنسخ الطَّلاق وتحريمه، ودليل ذلك ما يلي: "فالذي جَمَعُه اللهُ لا يفرِّقُه إنسانٌ. قالوا له فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلَّقُ؟ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوةِ قُلُوبِكُمْ أذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنْ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بأخْرَى يَزْنِي وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي"[٥].

حادي عشر: جاءت التوراة بحكم تقديس يوم السبت وتعظيمه وتخصيصه للعبادة، لأنّه اليوم الذي استراح فيه الربُّ بعد إتمامه لخلق السماوات والأرض كما ذكرت التوراة "فأُكمِلت السمواتُ والأرضُ وكلُّ جُندها، وفرغَ اللهُ في اليوم السّابع من عملِهِ الذي عَمِلَ، فاستراح في اليوم السّابع من جميع عمله الذي

(1) مرقس: ١٦: ١٥
(2) التكوين: ٢٠: ١٢
(3) التثنية: ٢٧: ٢٢
(4) التثنية: ٢٤: ١
(5) متى: ١٩: ٦ – ٩.

عَمِلَ، وباركَ اللهُ اليومَ السابعَ وقدَّسهُ لأنّه فيه استراحَ من جميع عَملِهِ الذي عَمِلَ اللهُ خالقاً"[١].

ثُمَّ جاء الإنجيلُ لينسخَ تقديسَ السبت ويستبدِلَهُ بتقديس وتعظيم يوم الأحد وجعله للعبادة. حيث يذكر الإنجيلُ أنّ السبب في ذلك راجعٌ لكون الأحد اليوم الذي قام فيه المسيحُ من قبره بعد الصَّلب ولكونه كذلك اليوم الذي كان فيه الرسل (تلاميذ المسيح) يجتمعون للعبادة أيام الكنيسة الأولى. وهنا نشيرُ إلى أنّ لفظ الأحد لم يُذكر في الإنجيل ولكنّ الذي ذُكِرَ هو الإشارة إليه بـ "اليوم الأوّل من الأسبوع"[٢]. كما جاء التعبيرُ عنه في رؤيا يوحنا بـ "يوم الربّ"[٣].

يُعتبَرُ ما سبق إيراده من شواهدَ أدلّةً قاطعةً على ورود الناسخ والمنسوخ في كتاب الرّهبان الطّاعنين المُقَدَّس. ولكن يبدو أنّ هؤلاء لا يقرؤون كتابهم حقَّ القراءة. وهذا صحيحٌ؛ فهم مُنشغِلون بقراءة كتابنا العزيز في محاولةٍ يائسةٍ منهم لإثبات بشرّيته ووقوع التناقض والاختلاف فيه، فعجباً لهم، عجباً!!!.

الشّبهةُ الحادية والعشرون ودَفْعُها

إنّ القرآن الذي جاء به محمدٌ مليءٌ بالتناقضات. وفيه آياتٌ تعارضُ وتناقضُ في مضمونها آياتٍ أُخريات. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

الآية	الآية التي تعارضها وتناقضُها
لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ	وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ
لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ	مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

---

[1] التكوين: ٢: ١ – ٣.
[2] انظر:
أ. لوقا: ٢٤: ١ – ٧.
ب. أعمال الرسل: ٢٠: ٧.
[3] رؤيا يوحنّا: ١: ١٠.

- مما لا شكّ فيه أنّ هذه الشبهة مُلتصقةٌ تمام الالتصاق بما سبقها من شبهة الناسخ والمنسوخ. وقد حرصنا على إيرادها وذِكرِ المُرَاد منها، والله أعلم بمراده، وذلك توضيحاً للقارئ الكريم، لئلا يقع في قلبه ما يرجوا الرهبانُ الطَّاعنون أن يقعَ، وإنّا لموردوها مع توثيقها وتخريجها، حيث حرص الرهبان على إيرادها دون توثيقٍ كما حرصوا على اقتطاعها وإخراجها من السِّياق الذي وردت فيه لِيُوهموا الناسَ بوقوع التعارض والتناقض فيها.

أمّا الآية الأولى فقد وردت في سياق قوله تعالى: **"أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ "[1].**

ومعنى قوله تعالى "لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ" "أيْ أنّ هذا الوعد بالبُشرى لعباد الله الصالحين في الدنيا والآخرة لا يُبَدَّلُ ولا يُخْلَفُ ولا يُغَيَّرُ، بل هو مُثْبَتٌ لا محالة، ذلك هو الفوز العظيم. فلا تبديل لأقوال الله تعالى ولا إخلافَ لمواعيده سُبحانه، كقوله تعالى: "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ"، وذلك إشارةٌ إلى كونهم من المُبَشَّرِين في الدَّارين فلا خُلْفَ لوعده سُبحانه"[2].

وقيلَ في تفسيرها كذلك: لا تبديلَ لأخباره أيْ لا يَنسخُها بشيءٍ ولا تكون إلاّ كما قال[3].

أمّا قوله تعالى **" وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ "[4].** فهو يَتَحَدَّثُ

---

(1) سورة يونس، الآيات ٦٢ – ٦٤.

(2) انظر: ابن كثير [م. س] ج٢، ص ٤٣٩، الزمخشري [م. س]، ج٢، ص ٣٥٧، بتصرف.

(3) القرطبي [م. س]، المجلد الرابع، ج ٧ – ٨، ص ٣٥٩.

(4) سورة النحل، الآية ١٠١.

عن الناسخ والمنسوخ، والذي تقدّم القولُ فيه، ونُشيرُ هنا إلى أنّ "النسخ لا يكون إلاّ في الأحكام، أمّا العقائدُ فلأنّها حقائقُ صحيحةٌ لا تقبلُ التغييرَ والتبديلَ فبدهيٌ ألّا يتعلّقَ بها نسخ ... ولا نسخَ لمدلولات الأخبار المَحْضَةِ لأنّ نسخها يؤدّي إلى كذب الشارع في أحد خبريه الناسخ والمنسوخ، وهو مُحَالٌ عقلاً ونقلاً"[1]. وإنّه من الواضح تماماً أنّ الآية الأولى كانت تتحدث عن إخبار الله أنّ وعدَ عباده المصّالحين بالبشرى والتثبيت في الدنيا والآخرة وهو إخبارٌ لا يُخْلَفُ ولا يطاله النسخُ.

أمّا قوله تعالى: " **وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا "[2]** فيعني أنه "لا مُغَيِّرَ ولا مُحَرِّفَ ولا مُزِيل لكلمات الله تعالى ولا يقدرُ أحدٌ على تبديلها وتغييرها، إنّما يقدرُ على ذلك هو وحده " وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ"[3].

وقال القرطبيُّ: قيلَ هو مِن تمام قصّة أصحاب الكهف: أيْ اتَّبِع القرآن فلا مُبَدِّلَ لكلمات الله ولا خُلفَ فيما أخبر به من قصّة أصحاب الكهف[4]. وقال الطبريُّ: لا مُغَيِّرَ لما أَوعدَ بكلماته التي أنزلها عليك أهلَ معاصيه والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناهُ إليك"[5].

ونُشيرُ هنا إلى أنّ بعض التفاسير المعاصرة لِ (كلماته) أو (كلمات الله) قد جاءت بمعنى سنن الله وقوانينه في الكون. وعلى ذلك يكون معنى (كلمات الله) أو (كلماته) "آيات الله تعالى في الكون والسنن والقوانين التي وضعها اللهُ له فهي لا تتغيّرُ ولا تتبدّل"[6].

---

[1] الزرقاني [م. س]، ص ١٠٧، ١٠٨ بتصرف.
[2] سورة الكهف، الآية ٢٧
[3] انظر: ابن كثير [م. س] ج٣، ص ٨٤ والزمخشري [م. س]، ج٢، ص ٧١٦.
[4] القرطبي [م. س] المجلد ٥، ج ٩ - ١٠، ص ٣٨٩.
[5] الطبري، جامع البيان [م. س]، ج ١٥، ص ١٥٤.
[6] انظر كتاب (كشف كذب اللئيم حول الإسلام العظيم) المنشور بتاريخ ١٤٢٥/٤/٥ هـ في موقع ملتقى أهل الحديث www.ahelalhadeeth.com من غير اسم مؤلف.

ومن المعاصرين مَن فسّرها بـ "قضاء الله الذي يقضيه في شؤون الكائنات"[١]. ولا تعارض بين الآية السابقة من سورة الكهف (لا مبدِّلَ لكلماته) وبين قوله تعالى في سورة البقرة " مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ "[٢] لأنّ الآية الأولى تقول باستحالة أن يَقدِرَ أحدٌ على تغيير أو تبديل أو تحريف كلام الله، بينما الثانية تتحدّث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن، والذي هو من اختصاص الله تعالى وحده ولا يقدرُ على نسخه أو تبديله أحدٌ سواه. وأنّه لا يكون إلاّ لِحِكَمٍ وفوائدَ سبقَ لنا ذكرُها وتعدادها في ردّنا على الشُّبهة السابقة.

أما قوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ "[٣]، فلا ندري كيف فهم الرهبانُ الطّاعنون تعارضه وتناقضه مع قول الله تعالى: " يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ "[٤]؟!

فالآية الأولى صريحةٌ في الدلالة على حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التغيير والتحريف والتبديل، والآية الثانية تتحدّث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن والذي هو من اختصاص الله تعالى وحده، بل وهي تدلُّ على أنّ النسخ الذي يُحدثه الله تعالى لبعض آياته في القرآن الكريم معلومٌ مُقدَّرٌ عنده في اللوح المحفوظ (أم الكتاب) قبل خلقه تعالى للخلق.

قال قتادة وابن زيدٍ وسعيد جُبَير: يمحو اللهُ ما يشاء من الفرائض والنوافل فينسخُه ويُبَدِّلُه ويُثبِتُ ما يشاء فلا ينسخه، وجُملةُ الناسخ والمنسوخ عنده في أمِّ الكتاب"[٥].

وإن كان الرهبان الطاعنون يتوهّمون ويزعمون وجود تناقضاتٍ وتحريفاتٍ في القرآن الكريم فإنّهم مطالَبون بالإجابة عن السؤالين التاليين:

---

[1] المرجع السابق نفسه.
[2] سورة البقرة، الآية ١٠٦.
[3] سورة الحجر، الآية ٩.
[4] سورة الرعد، الآية ٣٩.
[5] القرطبي [م. س] المجلد ج ٩ – ١٠، ص ٣٣١.

السؤال الأول: كيف نوفِّقُ بين نسخ الإنجيل لكثيرٍ من أحكام وتشريعات التوراة وبين قول المسيح عليه السلام "لا تظنّوا أنّي جئتُ لأنقُضَ الناموس أو الأنبياءَ. ما جئتُ لأَنقُضَ بل لأكمِّلَ. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ، لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يكون الكُلُّ"[1]؟؟

فإنّ الذي نراه أن النسخَ الذي أحدثه الإنجيل على الكثير من أحكام وتشريعات التوراة إنّما هو نقضٌ وتبديلٌ وتغييرٌ وليس تكميلاً!!.

السؤال الثاني: ما تعليقُ الرهبان الطاعنين، يا تُرى، على نشر الهيئة الكهنوتية في الكنيسة الكاثوليكية لوثيقة "هِبَة الكتاب المقدَّس"، التي ذكرت أنّ بعضَ أجزاء الكتاب المقدّس غيرُ صحيحةٍ وأنّ علينا ألاَّ نتوقَّعَ العثورَ على كلامٍ علميٍ دقيقٍ وإحكامٍ تاريخيٍ بالغِ الدّقّةِ أو تامٍّ في الكتاب المقدّس!!

"أوردت صحيفة "التايمز" البريطانية، في عددها الصادر الأربعاء ٢٠٠٥/١٠/٥، أنَّ الأساقفة ذكروا في وثيقتهم المُسَمّاة "هبة الكتاب المقدس"، "يجب علينا ألاّ نتوقَّع العثور على كلامٍ علميٍ دقيقٍ وإحكامٍ تاريخيٍ بالغ الدقة أو تامٍّ في الكتاب المقدس".

ويتزامن تقديمُ هذه الوثيقة مع النهوض المستمر لليمين المسيحي وخاصّةً في الولايات المتحدة الأمريكية. ويطلب بعضُ المسيحيين التأويلَ الحرفيَّ لقصَّة الخلق في سفر التكوين التي يتمُّ تعليمها مع نظرية النشوء والتَطُّورِ لـ "داروين"، معتقدين أنها نظريةٌ جديرةٌ بالتصديق حول كيفية نشوء العالم. وفصول سفر التكوين الـ ١١ التي تروي قصّتين متناقضتين حول الخلق، هي من بين القصص التي يصرُّ الأساقفة الكاثوليك على أنها لا يمكن أن تكون "تاريخيةً".

وتضيف الصحيفة إنَّ الوثيقة تسرد موقف الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن السابع عشر عندما أدانت غاليليو واعتبرته "مُهَرْطِقا" لسخريته من اعتقادٍ كان سائداً آنذاك حول

(1) متى: ٥: ١٧، ١٨.

الوحي الإلهي للكتاب المقدس، وذلك بدفاعه عن وجهة نظر كوبرنيكوس حول النظام الشمسي.

ويرى الأساقفة أنَّ الاطّلاع على الكتابِ المقدَّسِ يجب أن يكون في ضوء معرفة أنه ـ أي الكتاب المقدس ـ كلمة الله التي تم التعبير عنها في لُغةٍ بشريةٍ.

ويقولون إنّ الكنيسة يجب أن تُقَدِّمَ الكتابَ المقدَّسَ عبر طرقٍ مناسبةٍ للزمن المتغير وطرق ذكية للناس الذي يعيشون في هذا العصر.

ويتابعون: "الكتاب المقدس فيه فقراتٌ صحيحةٌ تتحدَّثُ عن تخليص الإنسان ... لكن يجب علينا ألاَّ نتوقع دقةً كاملةً في الكتاب المقدس في مسائلَ دنيويةٍ أخرى".

وفي نفس السياق، يرفضُ الأساقفةُ في وثيقتهم نبوءات سفر الرؤيا، آخرِ كتابٍ في الإنجيل المسيحي، والذي يصف كتابةُ قيامةَ المسيح وموت البهيمة. ويعلِّقُ الأساقفة: إنَّ هذه اللغة الرمزية يجب أن تُحترمَ لما هي عليه ولكن ليس لكي يتم تأويلها بشكلٍ حرفيٍّ، كما يجب ألا نتوقعَ اكتشافَ تفاصيل في هذا الكتاب حول نهاية العالم".

وتختم صحيفة "التايمز" أن الأساقفة يذكرون في وثيقتهم أيضاً أنَّ الناسَ يتطلَّعون اليوم نحو الأشياء القابلة للتصديق والصحيحة والتي تكون جديرةً بالاهتمام"[1]!!!

الشُّبهةُ الثانية والعشرون ودَفْعُها

هاجم الرهبانُ الطاعنون عقيدةَ المسلمين في موضوع الجبر والاختيار، وكانوا في هجومهم هذا فريقين اثنين:

أما الفريق الأول: فقال بأن المسلمين جبريّون يعتقدون بعدم حرّية الإرادة البشريّة ويفرضون قَسْراً على التصرّفات البشريّة بسبب المعرفة الإلهية المُسبقة

---

[1] قناة العربية الإخبارية، ٢٠٠٥/١٠/٥، في موقعها الإلكتروني www.alarabiya.net.

وبسبب النظام الإلهي، وهم يعتقدون بأنّ لكلِّ إنسانٍ قَدَرَهُ المكتوبَ على جبينه.

وأمّا الفريق الثاني: فَوَجَّهَ نقداً للإسلام في هذه القضيّة بحجّة أنّ محمداً نفسه كان غيرَ حاسمٍ في الإجابة عن سؤال (هل الإنسان حرٌّ أم مُجبرٌ في تصّرفاته؟) وأنَّ القرآن نفسَه فيه آياتٌ تتحدّث عن الجبر وأخرى تتحدّث عن الاختيار، وأنّ علماء الإسلام لم يتّفقوا على رأيٍ واحدٍ في هذه المسألة.

- أمّا عن عدم اتفاق علماء المسلمين على رأيٍ واحدٍ في هذه المسألة فهو كلامٌ باطلٌ مردودٌ. لأنّ الذين كانوا يقولون بأنّ الإنسان مجبورٌ في أفعاله وأنّه لا خيار ولا قدرة له وأنّه كالريشة في مهبّ الريح، فهؤلاءِ نفرٌ قليلٌ ظهروا في التاريخ الإسلاميّ ثم ماتوا ومات معهم مُعتَقَدُهم وكان من هؤلاء الجعد بن درهم والجهمُ بن صفوان، وبعض المعتزلة. أمّا بقيةُ علماء الإسلام من أهل السنّة والجماعة فمتّفقون على أن الإنسان، فيما هو محاسبٌ عليه ومُجازىً به في الدنيا والآخرة، مُخَيَّرٌ قد أعطاهُ اللهُ عقلاً وأعطاه مشيئةً وإرادةً يتصرّفُ بها، فإنْ فعلَ الخيرَ نال الثوابَ والأجرَ من الله تعالى، وإذا فعل الشرَّ استحقَّ العقابَ من الله تعالى. ولا شكّ أنَّ أهل السُّنّة والجماعة هم السواد الأعظم والأغلبية الساحقة من أبناء الإسلام. ولمّا كانت هذه الدراسة غيرَ مختصةٍ بدراسة موضوع الجبر والاختيار فإننا سنكتفي، لردّ شبهة الرهبان ومطعنهم في الموضوع، بإيراد إيجازٍ يُلَخِّصُ موقفَ ومُعتقَدَ أهل السّنّة والجماعة في موضوع الجبر والاختيار، على النحو التالي[1]:

أ. لا خالقَ غيرُ الله، فأفعال العباد التي صاروا بها مُطيعينَ وعُصاةً، يخلقهُا الله تعالى، فالحقُّ سبحانه منفردٌ بخلق المخلوقات.

ب. أفعال الناس كلُّها لا تقعُ بغير مشية الله وقدرته، فالأدلة كلُّها تدلُّ على عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأشياء والأفعال.

[1] الخطيب، محمد أحمد، الفرق الإسلامية، ص ٧١، ٧٢، بتصرف واختصار، ط١، ١٩٩٦، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن.

ج. والإنسانُ، مع ذلك، غيرُ مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأنها ليست لا إرادية، وأنّ أفعال الإنسان، وإن كان اللهُ هو الذي خلقها، إلاّ أنّ الإنسان هو الذي فَعَلَها حقيقةً، وأنه اختارها وأرادها حقيقةً، وأنَّ نسبةَ أفعاله إليه نسبةٌ حقيقيّةٌ وليست مجازاً، ولذا بما أنَّ البشرّ فاعلون لأفعالهم حقيقةً، فإنّهم يستوجبون عليها المدحَ أو الذمَّ.

وباختصارٍ فإنَّ أفعال الناس لا يخلقها الناسُ، بل هي من خلق الله تعالى، وفعلِ الإنسان وكَسْبِه.

د. كونُ الله سبحانه وتعالى خالقاً لأفعال العباد، لا يعني أنَّ فعل العبد هو نفسُ فعلِ الله، ففعلُ العبد يخلقه الله، ويفعله العبد، ويكسب آثارَهُ العبدُ، سواء كانت هذه الآثار والنتائج، نفعاً أو ضرراً.

وقد بيّن اللهُ تعالى أنه قد خلقَ كلَّ شيء، قال تعالى: **"ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ "(١)**.

وقال تعالى: **"كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ"(٢)**. إنّ الله سبحانه وتعالى قد خصَّ الإنسانَ بطبيعةٍ خاصّةٍ، فقد خلق له قدرةً وإرادةً حُرّةً مُخْتارةً، تختار ما تريدُ من الأفعال دون إكراهٍ ولا إجبارٍ، وهذا واضح في قوله تعالى: **" وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ"(٣)** وفي قوله عز وجل **" إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا"(٤)** وفي قوله تعالى: **"وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا"(٥)**. وبناءً على ذلك فالإنسانُ يشاءُ ويريد ويفعل ويعمل ويصنع ويكسب، والله عزَّ وجلَّ بعد أن منحَ الإنسانَ الحريةَ والاختيارَ سَهَّلَ له السبيل إلى ما يختارُ أيّاً كان اختياره، فلا يحملهُ عليه كرهاً ولا يجبره، ولكنه يُسَهِّلُ له سلوك ما يختار من سبيلٍ. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: **" فأما من أعطى واتقى * فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ**

---

(1) سورة الرعد، الآية ١٦.

(2) سورة النساء، الآية ٧٨.

(3) سورة البلد، الآية ١٠.

(4) الإنسان، الآية ٣.

(5) سورة الشمس، الآيتان ٧، ٨.

﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ "[1] ويقول تعالى: " فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ "[2].

وأمثالُ هذه الآيات كثيرٌ جداً في القرآن، ويُلاحَظُ في الآيات كلِّها أنَّ العبد هو الذي يبدأ باختيار السبيل الأقوم، فتكون حينئذٍ هداية الله بفتح باب الخير له، أو باختياره طريق الشر ويتبع ذلك الإضلالُ مِن الله لمن بادر الضلال.

وخلاصةُ القول، إنَّ الجبرَ لا يكون مُطلَقاً، وإنَّ الاختيار، لا يجوز أن يكونَ مُطلقاً، بل الحقُّ التوسُّطُ بين هذين الرأيين، وذلك أن أفعال الإنسان ليست اختياريةً تماماً ولا اضطراريةً تماماً.

- أمّا بالنسبة لردّنا على الرهبان الطاعنين الذين يتّهمون الإسلام بالجبرية فنقول[3]:

أولاً: إن الله الذي خلق الكون وقَدَّرَ سُنَنَهُ وأجرى حوادثه وفق تلك السنن التي قَدَّرها، عالِمٌ به وبحوادثه قبل وقوعها، وهو الذي خلق الإنسان، وخلق له إرادةً حُرَّةً وهو عالِمٌ به وبما سيختار. وعِلمُ الله هذا السابق لوقوع الحوادث، ومن جملتها أفعال البشر، لا يقتضي حَمْلَ الناس وإكراههم على تنفيذ مُقْتَضَى علْمِهِ. ولنضرب مثلاً من البشر أنفسهم على سبيل التقريب ـ ولله المثل الأعلى ـ فلو أنَّ مُعَلِّماً عرفَ مِن مجرى حياة تلاميذه خلال السنة كلها: صفاتهم، عاداتهم، ومواهبهم، لتمكَّنَ قبلَ الامتحان من أن يعرفَ إلى حدٍّ كبيرٍ الناجحَ والراسبَ، فهل نجاحُ أيِّ طالبٍ أو رسوبُه كما قال المعلم، كان إجبارياً لأنَّ المعلم علم بذلك؟؟

ثانياً: إذا كان ما يجري في الكون من حوادث، وما يفعله البشر كذلك من أفعالٍ ضمنَ مشيئة الله وتحقيقاً لقوانين أو خِطَطٍ أو سُنَنٍ قَدَّرَها لها، فلا ينتج عن ذلك وقوفُ الإنسان

(1) سورة الليل، الآيات ٥ - ١٠

(2) سورة الصف، الآية ٥.

(3) الخطيب [م. س]، ص ٧٦، ٧٧، بتصرف واختصار.

أمامها موقفَ الموافق لها والراضي عنها كُلِّها، لأنَّ مِن تلك التقديرات الإلهية: إرادة الإنسان، ومن الأوامر الإلهية الموجَّهة إلى الإنسان، أن يتولى تغيير أحوال وأوضاع واقعةٍ أي (مُقَدَّرِهِ).

فالقرآن الكريم يأمرُ الإنسان بمحاربة الكفر والظلم ... ومعنى ذلك أنَّ بعض ما يجري في الكون من الأقدار نفسها ينبغي مكافحته، وهذه المحاربة نفسها من القدر، فقد جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهد خلافته قاصداً دخول الشام، فوجد الطاعونَ منتشراً فيها، فلم يدخل، فقال أبو عبيدةَ، رضي الله عنه: أتفرُّ مِن قدرِ الله؟! قال: أفَرُّ من قدِرِ إلى قدر الله؟! وهكذا يخطئُ مَنْ يظنُّ أنَّ الإسلام يطلب من الإنسان أن يقبل الواقع مُطَلقاً وأيّاً كان ذلك الواقع، وتسقط حجَّةُ مَنْ يقول كذلك بقبول الواقع، لأنه قدرٌ إلهي، فَمِنَ القدَرِ ما أُمِرْنَا أن نقاومه بَقَدَرٍ مثلِهِ، فَعَمَلُنَا جزءٌ من القَدَرِ.

ثالثاً: القولُ بالجبر منافٍ للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب، فلو صحَّ الجبرُ لبطلت الشرائعُ، وبطل الأمرُ والنهي، ويلزم من بطلانِ ذلك بطلانُ الثواب والعقاب.

أمّا بالنسبة لاعتراض الرهبان الطّاعنين على ذكر القرآن للجبر في آياتٍ وللاختيار في آياتٍ أُخرى، فنقول: "لو أنّ القرآن الكريم صَرَّح بأنّ الإنسان مسلوبُ الاختيار دائماً لما كان هناك معنىً للمسؤولية، ولو سقطت المسؤوليةُ لسقطَ الجزاءُ على الأعمال، فلا يكون هناك فَرقٌ بين المُحسنِ والمُسيء. ولو صَرَّحَ بأنَّ له الاختيار المُطلَقَ في أفعاله، حتى أنّه يقدرُ على كلِّ ما يريد، لكان في هذا ما يُشبه أن يكونَ مُشَارَكَةً لله في خلقه ... فَوقف القرآنُ فيها عند هذا الحدِّ، وعبرَّ عنها بآياتٍ، تدلُّ في مجموعها على أنَّ للإنسان اختياراً بمقدار ما يُصَحِّحُ مسؤوليَّتهُ، لا اختياراً مُطلَقاً يجعله يخرج عن حدوده البشرية، ولا جبراً مطلقاً يسلب عنه المسؤوليّة"[1].

---

[1] الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية، ص ٣٧، ٣٨، بتصرف، ط٢، ١٩٨٥، مكتبة الانجلو، القاهرة.

الشّبهةُ الثّالثةُ والعشرون ودفْعُها

في مواصلةٍ منه لنهج الضّغط والتضييق على غير المسلمين الذين يسكنون في البلاد الإسلامية شَرَعَ محمدٌ مبدأ الجزية عقاباً لِكُلِّ مَنْ رفَضَ اعتناق الإسلام من اليهود والمسيحيّين!!

- يبدو أنَّ الرهبان الطّاعنين في حيرةٍ من أمرهم؛ فتارةً يقولون: إنّ محمداً قد أَجبرَ اليهود والمسحيّين الذين يعيشون في البلاد الإسلامية على اعتناق الإسلام بالقوّة والإكراه.وتارةً يقولون: إنّه قد فرضَ عليهم الجزية عقاباً لهم لأنّهم رفضوا الدخول في الإسلام!!.

ومن الواضح تماماً مدى التناقض بين هاتين الفِرْيتين، وقد تقدّم سابقاً الردُّ على أولاهما، ونذكر تالياً الردّ على أُخراهما:

إنَّ الذي فَرضَ الجزية هو الله تبارك وتعالى، وقد جاء الأمرُ بها في سورة التوبة في قوله تعالى: " قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ "(١).

وتكاد تفاسير القرآن الكريم التي رجعنا إليها تُجمِعُ على أنّ معنى "وهم صاغِرون" أي أَذِلاَّءُ مقهورون خاضعون لأحكام الإسلام. وليس هناك مجالٌ لتقديم تفسيرٍ جديدٍ يُخالِفُ التفاسيرَ السابقةَ من أجل التقرُّبِ من غير المسلمين وتطييب خاطرهم بتفسيرٍ أكثر ليونةً يرضون عنه ويقبلون به، لأنّ تفسيراً كهذا سيكون مُنافياً للحكمة التي لأجلها شرعَ اللهُ تعالى الجزية على أهل الكتاب. وهنا نلحظُ اختلافاً بين بعض العلماء حول تعليل دفع أهل الكتاب للجزية على النحو التالي:

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

١. يرى صاحب الأحكام السلطانية[١]، أنّه يجبُ على وليّ الأمر المسلم أن يضعَ الجزية على رقاب مَن دَخلَ في الذّمةِ مِن أهل الكتاب لِيقرّوا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حَقّانِ: أحدُهما الكفُّ عنهم، والثاني: الحمايةُ لهم ليكونوا بالكفّ آمنين وبالحماية محروسين.
٢. يرى الإمام الشافعي أنها "وجبت بدلاً عن الدم وسُكنى الدار"[٢]. أي بدلاً عن عصمة دمائهم من القتل وبدلاً عن سُكناهم لدار الإسلام.
٣. يرى المالكيةُ أنّها وجبت بدلاً عن القتل بسبب الكُفر[٣].

والذي نختاره مِمّا سبق ذِكره وإيرادُه قولَ الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو منسجمٌ مع الآية الكرية الواردة في الموضوع (وهم صاغرون)، "فالصوابُ في الآية أنّ الصَّغَار هو التزامهم لجريان أحكام المِلَّةِ عليهم وإعطاءُ الجزية، فإنّ التزام ذلك هو الصَّغار"[٤].

ولا يُجانبُ الصّواب أن نقول: إنّ الإسلام أجبرَ أهل الكتاب الذين يعيشون في دياره على دفعِ الجزيةِ مقابلَ تأمينه لسكنهم بأمانٍ وحمايته لهم ومنع أيِّ إنسانٍ من التعرُّض لهم أو الإساءة لهم، ومقابل ماذا؟ مقابل مردودٍ ماليٍّ صغيرٍ جدّاً "قدّره الشافعي، رحمه الله، بأربعةِ دنانير في السّنة على الكتابي الغنيّ وبدينارٍ واحدٍ فقط في السنّة على الفقير المعتملِ منهم، وقدّره أصحابُ مالك بأربعة دنانير على أهل الذهب لا يُزادُ عليها. فإن كان منهم ضعيفٌ خُفِّفَ عنه بقدر ما يراهُ الإمام المسلم"[٥]. وذلك رَاجعٌ لعدم تحديد مقدارها شرعاً.

وقد تقدّم معنا أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وضعَ الجزيةَ عن فقيرٍ من أهل الكتاب لا يقدرُ على دفعها وأنّه أعطاهُ من صدقات بيت المال. ويُفهم من هذا أنّ الجزية تسقطُ عَمَّنْ عَجِزَ عن دفعها من أهل الكتاب، "ولا يُكَلَّفُ أغنياءُ أهل الكتاب دفعها عن فقرائهم"[٦]. ومن المفيد هنا التنبيه على أنّ الإسلام لم يفرض الجزيةَ على كُلٍّ فئات أهل الكتاب "فالذي دلَّ عليه القرآنُ أنَّ الجزيةَ تُؤخذُ من الرجال المقاتِلين؛ لأنه تعالى قال: "قَاتِلُوا الَّذِينَ" إلى قوله ـ "حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" فيقتضي ذلك وجوبَها على مَنُ يقاتل.ويدلّ على أنه

[١] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، ص ١٨٢، ١٨٣، ط١، ١٩٨٥، دار الكتب العلميّة، بيروت.
[٢] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، ج١، ص ١١٨، ط١، ١٩٩٧، دار ابن حزم، بيروت.
[٣] القرطبي [م. س]، ج٨، ص ١١٣.
[٤] ابن قيم الجوزية [م. س]، ص ١٢١.
[٥] ابن قيم الجوزية [م. س]، ص ١٢٣.
[٦] القرطبي [م. س]، ج٨، ص ١١٥.

ليس على العبد وإن كان مقاتِلاً؛ لأنه لا مال له. وهذا إجماعٌ من العلماء على أنَّ الجزية إنما تُوضَعُ على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يُقاتِلون دون النساء والذرّية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني[1].

كما أنّه من المفيد التنبيه هنا إلى أنّ أهل الجزية إذا دفعوها فإنّه لا يجوزُ أن يُؤْخَذَ بعدها شيءٌ من ثِمَارِهم ولا تجارتِهم ولا زروعِهم.

ولعلَّ قصرَ دفع الجزية على الرجال القادرين على القتال وحملِ السلاح يعود لرغبة الشارع الحكيم في إشعار هذه الفئة من أهل الكتاب بهيبة السُّلطان المسلم وباستمراريّة خضوع هذه الفئة لأحكامه وسلطاته. ولو كان المقصود من الجزية، كما يزعم الرهبان الطّاعنون، الإمعان في إهانة وإذلال أهل الكتاب واستمرارية الضغط عليهم لفَرَضَ الإسلامُ الجزيةَ عليهم جميعاً رجالاً ونساءً وأولاداً وبناتٍ وشيوخاً ... ولفرضَ عليهم أداءَ مبالغَ ماليةٍ ضخمةٍ ترهقهم في الدَّفع والسَّداد وتجبرهم على الهجرة إلى ديارٍ غيرِ ديار الإسلام. ثُمَّ لماذا يتجاهل ويتناسى الرهبان الطاعنون حقَّ الحكومات والدّول في فرض رسومٍ ومطالبَ ماليةٍ على رعاياها دون استثناء، فالرعايا المسلمون يدفعون الزكاة والرعايا غير المسلمين يدفعون الجزية.

ولعلَّ مقارنةً سريعةً بين الجزية والزكاة لكفيلةٌ بتذكيرنا بأنّ قيمة الجزية التي يدفعها غير المسلم مرّةً في السّنة لهي أقلُّ بكثيرٍ من قيمة الزكاة التي يدفعها المسلم في السّنة، ويكون (الذميُّ) مُتمتِّعاً مقابل ذلك بالأمان والطمأنينة على نفسه وأهله وبيته وذريّته، ومُمارساً لعقائده وشعائره في دور عبادته وفي بيته بسقفٍ من الحريّةِ لم تعرف البشريةُ مثيلاً له في غير ظلِّ الإسلام. إننا نقول هذا الكلام ونحن نرى ما نراه من ظلمٍ واضطهادٍ وأذىً يلحق بالمسلمين الذين يعيشون في ديار الحضارة المسيحية الغربيّة من منعٍ للحجاب في بعض تلك الدول، ومن منعٍ لمآذن المساجد في بعضها الآخر، ومن حملاتٍ تشهيريّةٍ يتعرّضون لها وهم الحبيب المصطفى ﷺ، هذا إضافةً لما تمارسه دول وحكومات الغرب (المُتَحَضِّرِ) بحقّهم من تمييزٍ في المعاملات وفي الوظائف العامّة، لا لشيءٍ إلا لأنّهم مُسلمون لا يدينون دينَ الدولة المسيحية التي يعيشون في كنفها سواءً في أوروبا أو في أمريكا.

---

[1] المرجع السابق نفسه، ج٨، ص ١١٢.

ينزعج الرهبان من كلمة (الجزية) ومن كلمة (صاغرون) وهم يتعامون تماماً عمّا تمارسه حكومات بلادهم من إذلالٍ وقهرٍ لشعوب العالم الإسلامي صباحَ مساء حتى جَعَلَتْهُمْ صاغرين حتى وهم في عقر دارهم!! ينزعجون من دينار ذهبٍ كان المسيحي يدفعه للدولة الإسلامية مرّةً واحدةً في السنّة ويتناسون المبالغ الضخمة والشروط والكفالات المالية المُرْهِقةَ التي يدفعها المسلمُ عندما يسعى للحصول على تأشيرة زيارةٍ أو عملٍ في بلاد الغرب المسيحي!!!.

بقي أن نضع بين أيدي القارئ الكريم معلومةً مفادها أنّ مفهوم (الجزية) غيرُ جديدٍ على الرهبان الطّاعنين فهم يعرفونه حقَّ المعرفة؛ إذ وَرَدَ في كتابهم المقدّس بعهديه القديم والجديد. فنحنُ نقرأ في العهد الجديد أنّ بولس الرسول قد حثّ أتباعه على دفعها وعدمَ التعرُّضِ للسلطان، وكذلك فعلَ المسيح، عليه السلام، عن محاولة اليهود لإيقاع الفتنة بينه وبين حكومة القيصر الروماني آنذاك. والدليل ما يلي:

أولاً: "فاعطوا الجميع حقوقهم: الجزيةَ لمن له الجزيةُ، الجبايةَ لمن له الجبايةُ. والخوفَ لمن له الخوف. والإكرامَ لمن له الإكرام"[(1)].

ثانياً: "أيجوزُ لنا أن نُعطيَ جزيةً لقيصرَ أم لا؟ فشعرَ بمكرهم وقال لهم: لماذ تُجَرِّبُونني؟ أروني ديناراً. لمن الصورةُ والكتابة؟" فأجابوا وقالوا: "لقيصر" فقال لهم: "أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله" فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمةٍ قُدَّامَ الشّعبِ، وتعجبوا من جوابه وسكتوا"[(2)].

وقد وردَ في العهد القديم أنّ يعقوب، عليه السلام، قد أخذَ الجزية، كما وردَ أنّ يوسف عليه السلام قد دفعها والدليل على ما يلي:

أولاً: "وكانَ لمَّا تشدَّدَ إسرائيلُ أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً"[(3)].

---

(1) رومية: ١٣: ٧

(2) لوقا: ٢٠: ٢٢ – ٢٦.

(3) القضاة: ١: ٢٨

ثانياً: "فعزم الأَمُوريون على السَّكنِ في جبل حارس في أيلّونَ وفي شعلبيّم. وقويت يدُ بيتِ يوسف فكانوا تحت الجزية"[1].

الشُّبهةُ الرّابعةُ والعشرون ودَفْعُها

إنَّ القرآن الذي جاء به محمدٌ لا يتَّفقُ مع العقل في الكثيرِ من أحكامه وتشريعاته. وقد قام محمدٌ بفرض نصوص كتابه هذا على أتباعه، وأَوجبَ عليهم الالتزامَ بما جاء فيه وتنفيذه دونَ أن يسمحَ لهم بالتفكير في مضامينه أو مناقشتها.

ولا زال التزامُ المسلمين بهذا الكتاب عائقاً أمام تقدُّمِهم العلميّ وتطوّرهم، حتى عصرنا هذا.

- إنّ هذه التُّهمةَ والفريةِ ساقطةٌ من عدَّة وجوهٍ، هي التالية:

أولاً: إنّ القرآن الكريم في إقامته لأدلّة وجود الخالق سبحانه وتعالى، أَمرَ الإنسانَ أوَّلَ ما أمره بإعمال النظر العقليّ في خلق الكون وموجوداته وما فيه من مخلوقاتٍ ليكون ذلك سبيلاً للاهتداء إلى وجود الله تعالى، ومن ثمّ ليكون سبيلاً للاهتداء إلى وحدانية الله عزّ وجلّ.

كما أنّ منهج القرآن في إثبات كلِّ قضايا الإيمان وأركانه يدعو العقل البشريّ إلى النظر والتأمُّل في مظاهر عظمة الله، عن طريق التفكير في كونه الواسع. والإنسانُ بحكم تفكيره القاصر لابدَّ له من الاستعانة بما ذكره القرآن الكريم عن تلك القضايا. ومن خلال النظر في الكون والنفس الإنسانية نتبيَّنُ أنه لا بُدَّ لكلِّ حادثٍ من مُحدِثٍ واستحالة أن يتمَّ هذا الخلق بلا خالق، قال الله تعالى: " **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ "[2].**

---

[1] القضاة: ١: ٣٥، ٣٦.

[2] سورة الطُّور، الآيتان ٣٥، ٣٦.

ثانياً: إنّ معرفة الله تعالى يجبُ أن تكون معرفةً يقينيّةً لا تحصُلُ بالتقليد. قال تعالى: " فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ "[1]. ولذلك رفضَ القرآنُ الكريم التقليدَ في العقيدة وعدّه مانعاً للعقل البشري من التفكير. وأثنى اللهُ تعالى الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسَنه ويذرون ما هو غير حَسَنٍ "فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ "[2]. كما ندَّدَ القرآنُ الكريم بالمقلِّدين الذين لا يُفكِّرون إلا بعقول غيرهم " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ "[3].

ثالثاً: إنَّ القرآن الكريم هو مصدُر العقلانية المؤمنةِ، والباعثُ عليها، والدّاعي لاستخدام العقل والتفكُّرِ والتدُّبرِ في آيات الله المنظورة والمسطورة جميعاً ... وآياتُ القرآن التي تحضُّ على العقل والتعقُّلِ تبلغُ تسعاً وأربعين آيةً ... والآياتُ التي تتحدث عن "اللُّبِّ" - بمعنى عقلِ وجوهرِ الإنسان - هي ستَّ عشرةَ آيةً. كما يتحدثُ القرآن عن "النُّهى" - بمعنى العقل - في آيتين ... وعن الفكرِ والتفكُّرِ في ثمانيةَ عشرَ موضعاً ... وعن الفقه والتفقُّهِ - بمعنى العقل والتعقُّل - في عشرين موضعاً ... وعن "التدبُّرِ" في أربعة آيات ... وعن "الاعتبار" في سبع آيات ... وعن "الحكمة" في تسعَ عشرةَ آيةً .. وعن "القلب" كأداةٍ للفقه والعقل - في مائةٍ واثنين وثلاثين موضعاً ... ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغُ في القرآن أكثرَ من ثمانمائة آيةٍ ... فالقرآن الكريم هو الدّاعي للتعقُّل والتدبُّرِ والتفقّه والتعلّم ... والعقل الإنساني هو أداة فقه الشرع، وشرطُ ومناطُ التديُّنِ بهذا الشرع الإلهي ... ولذلك لا أثَرَ للشرع بدون العقل، كما

(1) سورة محمد، الآية ١٩.
(2) سورة الزمر، الآيتان ١٧، ١٨.
(3) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

أنه لا غنىَ للعقل عن الشرع، وخاصّةً فيما لا يستقلُّ العقلُ بإدراكه من أمورِ الغيب وأحكام الدين[1].

رابعاً: أمّا بالنسبة لعلاقة القرآن بالعلم فنُذكّر الرهبان الطاعنين بما يلي:

١. تَمَيَّزَ الإسلام بكونه الدِّين الوحيد الذي جعل طلبَ العلم فريضةً على أتباعه. وقد كان أولَ ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: " **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ**"[2].

٢. ومِمّا يدلُّ على مكانة العلم في الإسلام، أنَّ الله تعالى أقسم به وبأدواته في القرآن الكريم، فقال الله تعالى: "**نٓ‌ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ**"[3]. فقد ابتدأت السورةُ بأحد الأحرف المُستَعمَلة في الكتابة، ثم أقسمَ اللهُ تعالى بالقلم الذي تُكتبُ به العلومُ والمعارف، وفي هذا تنبيهٌ من الله تعالى للخلق على ما أنعمَ به عليهم من تعليم الكتابة التي تُنال بها العلوم. ثم أقسمَ اللهُ تعالى بما يسطره الناس أي ما يكتبونه، وهذا قَسَمٌ بالعلم، وفي ذلك كلِّه دلالةٌ على منزلة العلم وأهله[4].

٣. الأمر بالاستزادة من العلم، فقد أمرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهَ محمداً ﷺ، بطلب المزيد من العلم بقوله تعالى: "**وَقُل رَّبِّ زِدۡنِى عِلۡمًا**"[5]. وإذا كان هذا الأمر للنبي ﷺ وهو ذو منزلةٍ عاليةٍ علماً وفضلاً وكرامةً فإن المسلمين مدعوون لذلك لأنَّ خطابَ النبيِّ خطابٌ لأمّته[6].

---

[1] حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين [م. س]، الرد على الشبهة رقم ٦٣ حول تناقض القرآن مع العقل.
[2] سورة العلق، الآيات ١ – ٥.
[3] سورة القلم، الآية ١.
[4] الصوا، علي، وآخرون [م. س] ص ٣٦.
[5] سورة طه، الآية ١١٤.
[6] الصوا علي، وآخرون، العلوم الإسلامية، ص ٣٦، ط٣، منشورات وزارة التربية والتعليم، الأردن.

٤. أكَّدَ القرآن الكريم على أنّ العلم سببٌ مباشرٌ لرفعة العلماء وأنّه بالعلم يعلو قَدرُ الإنسان وتعلو منزلته، قال تعالى: " **يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** "[١].

ولا نأتي بجديدٍ ولا نذيعُ سِرّاً إذا قلنا: إنّ القرآن الكريم قد قرّر الكثير من الحقائق العلمية التي لم يقدر العلم على إثبات صحّتها إلاّ مؤخَّراً[٢]. إنّ الرهبان الطاعنين لمطالَبون أن يأتونا ولو بمثالٍ واحدٍ من القرآن الكريم يناقضُ حقيقةً علميةً ثابتةً.

وبعد أن طوينا صفحة الحديث عن منزلة العقل والعلم في القرآن الكريم نرى من المناسب أن نفتح الصفحةَ ذاتها في الكتاب المقدّس لنرى مدى انسجامه مع العقل وتوافقه مع العلم ولنرى موقع العلماء من سطوره.

أولاً: يذكر العهدُ القديمُ من الكتاب المقدَّسِ أنّ الحيّة هي التي أغرت المرأة (حواء عليها السلام) لتأكل من الشجرة التي أوصى الربُّ آدم وحوّاءَ ألّاّ يأكُلا منها، فكانت النتيجةُ أن غَضِبَ اللهُ على الحيّة ولعنها وكتبَ عليها أن تسعى على بطنها زاحفةً وأن تأكل التراب طيلة حياتها!! وكذلك فقد حكمَ على المرأة عقاباً لها التعبَ والوجعَ عند الحمل وعند الولادة!!! "فقال الربُّ إلاه للحيّة لأنّك فعلتِ هذا ملعونةٌ أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البريّة، على بطنِك تسعين وتراباً تأكلين كلَّ أيام حياتك ... وقال للمرأة تكثيراً أُكَثِّرُ أتعابَ حَبَلِكِ بالوجع تلدين أولاداً"[٣].

ثانياً: يذكر العهد القديم من الكتاب المقدّس أنّ فترة النَّفَاس التي تقضيها المرأة بعد الولادة لتطهُرَ تكون أربعين يوماً إن كان مولودها ذكراً. بينما تمتدُّ هذه الفترة لتكون ثمانين يوماً إن كان مولودها أنثى!! "إذا حبلت امرأةٌ وولَدَت ذكراً تكون نجسه سبعة أيام ... ثم

---

[١] سورة المجادلة، الآية ١١.
[٢] انظر كتاب موريس بوكاي (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم).
[٣] التكوين: ٣: ١٤ – ١٦.

تُقيمُ ثلاثةً وثلاثين يوماً في دم تطهيرها ... وإن وَلَدت أنثى تكون نجسةً أسبوعين ... ثُمَّ تُقيمُ ستّةً وستّين يوماً في دم تطهيرها"[1].

ثالثاً: تتجلّى تناقضات العهد القديم مع العقل في أبرز صورها في سفر التكوين، والذي هو أولُ أسفار التوراة؛ ففي هذا السِّفر تبرز لدينا روايتان متناقضتان عن قضيّة الخلق وترتيبِ خلق المخلوقات في كلِّ واحدٍ من أيام الأسبوع، "كما يبرز لدينا تناقضٌ واضحٌ في الروايتين اللتين ذَكَرَتا موضوعَ الطُّوفان حيث أنّ إحداهما تذكر أنَّ سبب الطوفان هو ماءُ المطر، بينما تذكر الرواية الأخرى أنَّ سبب الطوفان مزدوجٌ؛ أيْ مِنْ ماء المطر ومن ينابيع الأرض. وبينما تذكر روايةٌ أنّ مدّة الطوفان أربعون يوماً تذكر نصوصٌ أخرى أنّ مدّة الطوفان كانت مائةً وخمسين يوماً"[2].

وممَّا يجدر ذكره هنا أنَّ كبار رهبان وعلماء المسيحيّة قد تصدُّوا للدفاع عن وجود التناقضات والأمور المنافية للعقل في الكتاب المقدّس بقولهم: إنّ ذلك يعود لضعف عقول الناس وعدم فهمهم له. وفي هذا يقول القديس أوغسطين "فعندما ألتقي في هذه الكتب بدعوى تبدو مناقضةً للحقيقة فإنّني عندئذٍ لا أشكُّ في أن نصَّ نُسختي لا يحتوي على خطأٍ أو أنّ المترجِمَ لم يترجم النصَّ الأصليّ بشكلٍ صحيحٍ أو أنّ مقدرتي على الفهم تتَّسمُ بالضَّعف"[3].

رابعاً: المسيحيون متّفقون على أن المسيح، عليه السلام، هو الذي ألهم كُتّابَ الأناجيل الأربعة (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا) القيامَ بكتابتها، ويُفهَمُ من ذلك وبكلِّ تأكيدٍ، استحالة وجود تناقضٍ أو تعارضٍ بينها وبين بعضها البعض، وذلك لأنها إلهامٌ من المسيح الربِّ. وهنا نُذَكِّرُ الرهبان الطاعنين في القرآن الكريم والزّاعمين وجود التناقض بين آياته ووجود التعارض بينه وبين العقل بما يلي[4]:

---

[1] اللاويين: ١٢: ١ – ٥.
[2] بوكاي موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٤٤ فما فوق بتصرف، ط١، ١٩٧٨، دار الكندي، لبنان.
[3] المرجع السابق نفسه ص ٤٨.
[4] بوكاي [م. س] ص ٩٤، ٩٥.

١. إنّ الفصح[١] في الأناجيل الثلاثة مختلفٌ زمنياً مع عشاء المسيح الأخير مع الرسل، عنه في الإنجيل الرابع، فبينما يضعُ يوحنّا العشاءَ السريَّ "قبل عيد الفصح" يضعه الثلاثة الآخرون أثناء الفصح نفسه. ويُستنتَجُ من هذا اختلافٌ صريحٌ مع الحقيقة. ولا يمكن قبول هذه الواقعة بسبب وضع عيد الفصح المُعَيَّنِ بالنسبة إليه. وعندما نعلم أهمية الفصح في الطقوس الدينية اليهودية وأهميّة عشاء المسيح الوداعيّ مع تلاميذه، فكيف يُتَصَوَّرُ أن تفقد الذاكرةُ مركز أحدهما بالنسبة إلى الآخر في الرواية المنقولة فيما بعد من الإنجيليين!!.
٢. تختلف روايات "الآلام"[٢] بصورةٍ عامّةٍ فيما بين الإنجيليّين وبخاصّةٍ بين الأناجيل الثلاثة الأوائل وإنجيل يوحنا. ويشغل العشاءُ الأخيرُ للمسيح والآلامُ في إنجيل يوحنا حَيِّزاً كبيراً يكاد يكون ضعفَيْ الحَيِّزِ الذي عند مرقس ولوقا. وطولُ نَصِّهِ أكبرُ من الذي عند متى بمرّةٍ ونصفِ المرَّة. هذا ويروي يوحنا أيضاً خطاباً طويلاً جداً من المسيح إلى تلاميذه، يملأ من إنجيله أربعةَ فصولٍ أعطى فيه تلاميذَهُ الذين يوّدعهم آخرَ توجيهاته، ووصيته الروحيَّةَ، بينما لا نجدُ لذلك أيَّ أثرٍ في الأناجيل الأخرى. بل على العكس فإنّ متى ولوقا ومرقس، يروون صلاةَ المسيح في حديقة الزيتون التي لا يتكلَّمُ عنها يوحنا أبداً!!
٣. إنّ الحدثَ الأهم الذي يصدم قارئ قصّةِ الآلام في إنجيل يوحنا، هو أنه لا يَتَعَّرضُ لأيِّ ذكرٍ لتأسيس سر "الأفخارستيا"[٣] خلال عشاء المسيح الأخير مع الرسل!!

وما من مسيحيٍ لا يعرف صورة "العشاء السري"؛ حيث كان المسيح يجلسُ للمرَّةِ الأخيرة، إلى المائدة وسط الرسل. وقد أبرزَ أعاظمُ الرسّامين في هذا الاجتماع الأخير وبالقرب من عيسى يوحنا الذي جرت العادةُ على اعتباره كاتب الإنجيل المعروف باسمه.

ويوحنا الرسول، مهما كان مُدهِشاً هذا للكثيرين، ليس مُعتبرَاً في نظر أكثرية الاختصاصيّين كاتبَ الإنجيل الرابع الذي لم يذكر تأسيس الإفخارستيا. وهذا التقديس للخبز وللخمر اللذينِ يستحيلان جسدَ المسيح ودمَهُ هو العمل الطقسيُّ الأساسيُّ للمسيحيّة، يتكلم عنه الانجيليّون الثلاثة الآخرون كما ذكرنا آنفاً وإن كان بعباراتٍ مُختلِفةٍ. أمَّا يُوحنَّا فلا يذكر عنه أيّة كلمةٍ!!.

[1] الفصح: اسم عبريٌ معناه عبور،وهو أول الأعياد السنوية الثلاثة، وهو يعرف أيضاً بعيد الفطير.
[2] اشارة إلى آلام المسيح ابتداءً من ألمه في بُستان جشيماني وانتهاءً بموته على الصليب كما يعتقد المسيحيون.
[3] الإفخارستيا أو سر التناول أو العشاء الرباني، هو أحد الأسرار السبعة المقدّسة في الكنيسة الكاثوليكية، وهو تذكير بالعشاء الذي تناوله المسيح بصحبة تلاميذه عشيّة آلامه.

٤. إنّ يوحنا هو الإنجيليُّ الوحيد الذي نقل في نهاية عشاء المسيح السريِّ وقبلَ توقيفه واقعة الأحاديث الختامية مع الرسل التي خُتِمَتْ بخطابٍ طويلٍ جداً خصّصَ له أربعةَ فصولٍ من إنجيله، لا نجدُ أيّةَ صلةٍ بها في الأناجيل الأخرى. ومع ذلك فإنَّ هذه الفصول تعالج عند يوحنا مسائلَ أوليَّةً في رؤى المستقبل ذاتَ أهميةٍ أساسيةٍ معروضةٍ بأسلوبٍ فخمٍ وإطارٍ عظيمٍ يتميز بهما هذا المشهد الوداعيُّ بين المعلم وتلاميذه.

وكيف يمكننا تفسيرُ انعدامِ الوجود المطلَقِ لرواية الوداع المؤثِّرةِ التي تحتوي وصية المسيح الروحية لدى متى ومرقس ولوقا؟؟

٥. لم يذكر يوحنّا ومتّى قصّةَ صعودِ عيسى، عليه السلام، إلى السماء وجلوسه عن يمين أبيه، بينما ذكرها كلٌّ من مرقس ولوقا!!.

٦. كيف يمكنُ التوفيق بين اعتزازِ المسيح، عليه السلام، ببطرس وثقته العالية به وترشيحه ليكون رأساً للكنيسة، وأمرِه له ببنائها حين قال "أنت بطرس، وعلى هذه الصّخرة أبني كنيستي، وقوّاتُ الجحيم لن تقدر عليها، وأُعطيكَ مفاتيح ملكوت السماوات"[١].

نقول كيف نوفّق بين هذا القول للمسيح، عليه السلام، وبين توبيخ المسيح لبطرس لمّا حاول أن يُبعِدَهُ عن طريق الصّلب وقوله له: "إذهب عنّي يا شيطان"[٢]!! هذا عدا عن إخبار المسيح، عليه السلام، أنَّ بطرسَ سَيُنكِرُه ثلاثَ مرّاتٍ ويحلفُ بأنّه لا يعرفه[٣].

٧. بماذا نعلِّلُ فقدان النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة؟ وبماذا نُعَلِّلُ الخلافَ حول اللغة التي كُتِبَ بها كلٌّ منها؟ وبماذا نُعَلِّلُ عدمَ معرفة المترجِمِ الحقيقيِّ لكلِّ واحدٍ منها؟ وبماذا نُعَلِّلُ الاختلافات التي بين الأناجيل في ذكر نسب المسيح، عليه السلام؟؟؟

- أمّا بالنسبة لاتّهام الرهبان الطاعنين القرآن الكريم بأنّه السبب الذي يعوق التطوّر والتقدُّمَ العلميّ للمسلمين، فقد كان حَرِيّاً بهؤلاء أن يتذكّروا أنّ النهضة العلمية والتطوُّرَ الذي

---

(1) متّى ١٦: ١٨، ١٩.
(2) متى ١٦: ٢٣.
(3) انظر متى: ٢٦

عَرَفَتْهُ القارةُ الأوروبية لم يقُمْ إلا بعد أن أزاحت الكنيسةَ عن طريقها وعزلَتْها عن التدخُّل في كل نواحي الحياة.

وكان حرّياً بهم أن يراجعوا صفحات تاريخهم الملطّخة بدماء العلماء الأبرياء الذين لم يكن لهم ذنبٌ سوى أنّهم وضعوا نظرياتٍ علميّةً هامّةً خالفت في مضمونها بعضَ كلمات الكتاب المقدَّس، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ وشهيرةٌ، ومنها:

أولاً: قامت مجموعةٌ من رهبان الكنيسة المسيحية في عام ٤١٥ للميلاد بقتل "هيباثيا" ابنة "نيون السَّكَندريّ" الذي كان مُديراً لمكتبة الإسكندرية. وقد كانت "هيباثيا" آخرَ أكبرِ عالمة رياضياتٍ وفلسفةٍ في مدرسة الاسكندرية آنذاك. وقد تمَّتْ عملية القتل بناءً على توجيهاتٍ وأوامرَ مِن أُسْقُفِ الإسكندرية "سيريل" الذي جَعَلَتْهُ الكنيسةُ البابوية قدّيساً فيما بعد!!! "وبعد إعدامها بلا محاكمةٍ، قام الجُناةُ بسحب جُثَّتِها داخل الكاتدرائية وتولَّى الرهبانُ تقطيعَ جسدها. وكانت حُجّةُ المسيحيين في النيل منها أنها كانت مُدَرِّسَةَ رياضياتٍ بارعةً وتُمَثِّلُ تهديداً ضد انتشار المسيحية بسبب تعليمها العلوم وفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويُمَثِّلُ مقتلُها نقطةَ تحولٍ كبرى إذا غادر العديدُ من العلماء مدينة الإسكندرية مُتَّجِهين إلى الهند أو فارس ولم تعد الإسكندرية تمثل مركزَ الإشعاع العلميَّ في العصر القديم"[١].

ثانياً: جاء العالِمُ "كوبر نيكوس" بنظريته التي تقول بأنَّ الشمسَ هي مركز الكون وليس الأرض، وإنّ الأرض والكواكب الأخرى تدور حول الشمس بسرعةٍ. فإذا نظرنا إلى السماء فتصَّورنا أنّ الأجرام السماوية تتحركُ، فما ذلك إلا نتيجةً لدوران الأرض في الاتجاه المعاكس. وظَلَّتْ نظرية "كوبرنيكوس" ناقصةً، ولكنَّ عالم الفيزياء الألماني "يوهانز كيبلر" تمكّن من توفير الأدلة الحسابية على صِحَّتِها، ثم قام الفلكي "جاليليو جاليلي"، بإجراء اختبارٍ علميٍّ تجريبيٍّ لتلك "الفرضية" عن طريق رصد الكواكب "بالتليسكوب". "وقد لاقت نظرية "كوبر نيكوس" مُحَارَبةً شديدةً من قِبَلِ رجال الكنيسة، لأنَّ فيها، كما يقولون، مخالفةً لما جاء في الكتب المقدسة، ومن ذلك ما كتبه "فروماندوس"، وهو أحد رجال الدِّينِ، في مقالته التي سمّاها "أرسطارخس" حيثُ

---

[١] ريبوني، إنريكو، الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة" ترجمة د. زينب عبد العزيز، ص ٦٩، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي، مصر.

بدأ أولَ صفحةٍ منها بلعنة "كوبرنيكوس" ثم أعلَنَ "أن التنزيل يقاوم "كوبر نيكوس وأنصاره"[1].

ومن أجل أن يُبرهنَ على فساد نظرية "كوبر نيكوس" وأنها ضربٌ من ضروب الكفر والإلحاد، رجعَ إلى النصوص المقدَّسة التي تتحدَّثُ عن شروق الشمس وغروبها وثبات الأرض، حيث استندَ على نصٍّ من التوراة جاء فيه، أنَّ الأرض ثابتةٌ إلى الأبد، "ما الفائدة للإنسان من كلِّ تعبه الذي يتبعهُ تحت الشمس، دورٌ يمضي ودورٌ يجيء، والأرض قائمةٌ إلى الأبد، والشمس تشرق والشمسُ تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تُشرق"[2].

ثالثاً: جاء العالم "جيوردانو برونو" بفرضيّةٍ علميّةٍ وصفَ من خلالها الكون بأنه "لا نهائي" كما تَضَمَّنتْ فرضيتهُ معلوماتٍ أخرى منها على سبيل المثال (أنّ هنالك أشكالاً من الحياة خارج الكرة الأرضية) مِمّا أثار غضبَ رجال الكنيسة الذين كانوا يعتقدون بأن الأرض مُنبسِطَةٌ، وبناءً على ذلك فقد وجَّهت الكنيسةُ تهمة (الهرطقة) إلى "جيوردانو برونو" وقامت بمحاكمته لمدّةٍ قاربت الثماني سنوات "تمَّ خلالها انتزاعُ الاعترافات من "برونو" عن طريق التعذيب وحُكِمَ على "جيوردانو برونو" بالموت لأنه "مُتَعنِّتٌ مُصِرٌّ على هرطقته" ... وكان قد جاهد ليشرح أنّ أفكاره ليست خطأً، دون جدوى. وتم حرقُه حيّاً في "كامبو دي فيوري" وقد كمَّموه قبل أن يأخذوه إلى المَحْرَقَةِ لتفادي أن تتسبّبَ عباراته في قلقلة معتقدات الجمهور الذي حضر لمشاهدة المَحْرَقة. وقد تَمَّ إضفاءُ رُتْبَةِ "كبير علماء الكنيسة" عام ١٩٣٠م على "الكاردينال بلّلارمين" الذي تولّى إدانة "برونو" رسميا..."[3].

رابعاً: كما ذكرنا في النقطة الثانية أنّ العالم (جاليليو جاليلي)، وهو أحدُ علماء الفلك الأكثر شهرةً في تاريخ إيطاليا قد تمكّن من إجراء اختباراتٍ علميةٍ تجريبيةٍ أثبت من خلالها صحّة نظرية "كوبر نيكوس"، وذلك عن طريق رصده للكواكب باستخدام "التليسكوب". وأثبتَ دوران الأرض حول الشمس على خلاف الاعتقاد الكنسيِّ القائم على أنَّ الأرض ثابتةٌ لا تتحرك، وأنّها مركز الكون، كما استطاع

---

[1] وايت، آندروديكسون، بين العلم والدّين، ترجمة إسماعيل مظهر، ص ٧٣، ط١، ١٩٣٠، دار العصور، مصر.
[2] سفر الجامعة : ١: ٣ – ٥.
[3] ريبوني [م. س]، ص ١٠٠.

هذا العالِمُ الفذُّ المُبدِعُ أن يُثبتَ أنَّ هنالك كواكبَ سيّارةً تدور حولها، وأنَّ عددها يزيد عن سبعة كواكب على خلاف الاعتقاد الكنسيِّ السائد آنذاك والذي كان يحصرها في سبعة كواكب فقط. فثارت ثائرة الكنيسة وأعلنت هرطقةَ وكفرَ وإلحادَ هذا العالم مُستندةً إلى أنَّ أقواله تخالف ما ورد في الكتاب المقدس. وتم تحويل (جاليليو) إلى محكمة التفتيش في روما.

"وأجبرته لجنةُ المحكمة على الرجوع في رأيه بأن عرضتْ عليه أولاً وسائل التعذيب المستخدَمَةَ إذا ما أصرَّ على رأيه ... وكانت أعمالُ "جاليليو" قد أُدينت ووُضعت في كشف الممنوعات منذ عام ١٦١٦م[١]. وقد أمضى بقية حياته معتقَلاً في منزله إذ أنَّ شهرته العالمية قد سمحتْ له بتفادي العواقب الوخيمة، فكانت عمليّةُ اعتقاله في منزله هي الوسيلة الوحيدة لتفادي عمليات التعذيب الرسمية التي تمارسها اللجنة .."[٢] خصوصاً بعد أن صدر الحكم عن محكمة التفتيش بسجنه وتعذيبه بشدّةٍ مما اضطرّهُ للتراجع عن نظرياته العملية [التي أثبت العلمُ صحَّتها تماماً] وأعلن أمام البابا "أربان الثامن" تراجعه وتوبتَهُ عمَّا قاله. وقال في إعلانه هذا: "أنا غاليليو، وفي السبعين من عمري، سجينٌ جاثٍ على ركبتيَّ، وبحضور فخامتِكَ، وأمامي الكتاب المقدس، الذي ألمسُه الآن بيدي أُعْلِنُ أنّي لا أشايع، بل ألعنُ وأحتقر خطأَ القول وهرطقةَ الاعتقاد بأنَّ الأرض تدور"[٣].

ولرّبما يسألُ سائلٌ عن الدّافع الذي كان يؤدّي بالكنيسة ورجالها إلى فعل ما فَعلوه بعلماء من أمثال (جاليليلو وهيباثيا) وآخرين؟؟ والجواب على ذلك: أنّ رجال الكنيسة كانوا يعتقدون بأنّ الكتاب المقدَّس يتضمَّنُ كلَّ أنواع العلوم التي يحتاجها الناسُ، سواءٌ أكانت علوم دينٍ أو علوم دُنيا "وأنَّ أساس كلِّ علمٍ، عندهم، هو الكتاب المقدّس وتقاليدُ الكنيسة وأنَّ الله لم يقصُرْ تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدِّينِ فقط بل علَّمنا بالوحي كلَّ ما أراد أنْ نعلَمه من الكون، فالكتاب المقدّس يحتوي من المعرفة على المقدار الذي قُدِّر للبشر أن ينالوه، فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض، وما فيها، وتاريخ الأمم ممّا يجب تسليمُه مهما

---

(١) قامت اللجنة الخاصة بالحكر على الفكر التابعة للكنيسة بإصدار (الإندكس) أو قائمة الكتب التي يُمنع نشرها وتداولها وكان من ضمنها كتب (كوبر نيكوس) و(جاليلو).

(٢) ريبوني [م. س] ص ١٠٣.

(٣) وايت [م. س]، ص ٧٩، ٨٠.

عارضَ العقلَ أو خالفَ شاهِدَ الحسِّ، فعلى الناس أن يُؤمنوا به أولاً، ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه"[١].

ولأنّ الأوروبيين أعلمُ بشؤون بلادهم وأعلمُ بتاريخهم وأخبرُ بالجراحات والأذى الذي سبّبته لهم الكنيسةُ فقد رفضت أكبرُ جامعةٍ إيطاليةٍ استقبال بابا الفاتيكان بنديكتيوس السادس عشر عندما همَّ بزيارتها وتعرّضت شخصيّتهُ للاستهزاء والسّخرية، فما كان منه إلاّ أن تراجع عن زيارته لهذه الجامعة، وهي جامعة (الأسابينتسا) جامعة روما الأولى.

"وكلُّ ما استطاع البابا أن يفعله هو التراجع عن زيارة الجامعة، وسط سُخريةِ وتهكُّمِ أهل العلم التجريبيِّ والفيزياء والأجيال الجديدة من الطلبة. حيث قال رئيس قسم الفيزياء في جامعة روما الأولى "جان كارلو رووكو"، وهو القسم الذي تَزَّعَم أساتذتُه وطلبتُه الاحتجاجات على الزيارة المُلْغَاة لبابا الفاتيكان، في حديثٍ مع قناة "سكاي تي جي ٢٤" الإخبارية الإيطالية: "تاريخ الصراع بين الفيزياء والكنيسة قديمٌ جداً ولا يزال قائماً حتى الآن" ... وأضاف: "لا نريد العودة إلى تاريخ وجغرافية الكنيسة ... لقد تجاوزنا القرون الوسطى حيث كانت الكنيسة تفرض تاريخاً وجغرافيةً مغلوطين عن تاريخ الكون وشكل الكرة الأرضة"[٢].

"وفي خضمِّ الجدل الدائر حول الزيارة المُلغاةِ لبابا الفاتيكان لجامعة روما الأولى (لاسابينتسا) بمناسبة افتتاح السنة الأكاديمية، قالت وزيرة التجارة الخارجية والسياسات الأوروبية "إيما بونينو": "لا أحدَ يريد أن يُكَمِّمَ البابا أو يمنعه من الكلام ... إنَّ ما نشهده يومياً يدعو للقلق، فالوحيد الذي يتكلَّمُ صباحَ مساءَ هو البابا وأتباعه بالخزعبلات الكاثوليكية"، وأضافت: "أيُّ شخصٍ يُفَكِّرُ بشكلٍ مُختلفٍ، أو يتولَّى المسؤولية استجابةً لحاجات المواطنين الإيطاليين من أيِّ دينٍ كانوا، يجدُ نفسه في نهاية المطاف بلا صوتٍ، إنَّ البابا يريدُ من الأصوات الأخرى أن تخرس".

وكان الفاتيكان قد حاول عبثاً دحض الشائعات التي سرت حول إلغاء الزيارة، وأكَّدت الدائرةُ الصحافيةُ للفاتيكان أنَّ البابا بنديكت السادس عشر سيزور جامعة روما

(1) عبده، محمد، الإسلام والنصرانيّة مع العلم والمدنيّة، ص ٢٧، ط٣، ١٣٤١ هـ، مطبعة المنار، مصر.
(2) مجلة المجتمع، العدد ١٧٨٨، بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٩.

الأولى (لاسابينتسا) يوم الخميس ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٨م، وقال الأب "تشيرو بينيديتيني" نائب مدير الدائرة الصحفية: "سيقوم البابا بالزيارة وليس هناك أيُّ تغييرٍ سيطرأ عليها".

وقد أعلن الفاتيكان إلغاء زيارة البابا إلى حرم جامعة روما الأولى، وأصدرت الدارُ الصحافية في الفاتيكان بياناً رسمياً جاء فيه: نظراً للوقائع التي شهدتها الأيام الماضية فيما يتعلق بزيارة الأب الأقدس إلى جامعة روما الأولى للدراسات (لاسابينتسا) بدعوةٍ من رئيسها فقد اعْتُبِرَ أنَّ مِن الملائم إرجاء الزيارة" وختم بالقول: "وسيقوم الأب الأقدس بإرسال كلمته على أية حال"[١].

ونشيرُ هنا إلى أن إلغاء زيارة البابا إلى جامعة روما الأولى بعد إصدار أكثر من ستِّين أستاذاً في الجامعة نفسها نداءً اعتبروا فيه زيارة رأس الفاتيكان إلى جامعةٍ علميةٍ أمراً "غير لائق"، بينما أعلن تجمُّعٌ طلابيٌّ واسعُ النطاق في الجامعة أسبوعاً لـ "مناهضة الإكليروس".

"وكان من ردود أفعال الكنيسة ما أطلق عليها رئيس أساقفة روما الكاردينال "كاميللو رويني" دعوةً لكل المؤمنين لحضور "صلاة الملاك" الأحد ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٨م في ساحة كنيسة القديس بطرس، لإظهار تلاحمهم وتأييدهم للبابا "بنديكت السادس عشر". وقال في بيانٍ صادرٍ عن الكاردينال: إنه "تابع خطوةً بخطوةٍ بالتعاون مع أعضاء وهيئات الكرسي الرسولي الأحداث المؤسفة التي أرغمت الأبَ الأقدسَ على إلغاء زيارته لجامعة روما الأولى، والتي دُعي إليها منذ وقت طويل" ... وتابعَ: "وفي هذه الظروف المحْزنة والمؤَثِّرةِ على المدينة بأكملها، تُعَبِّرُ كنيسةُ روما عن قربها من أسقفها البابا وترفع صوتها مُعلنةً حُبَّها وثقتها وتقديرها وامتنانها له ولمكانته التي تحتل قلوب سكانها..

وكان الرد سريعاً وحاسماً من أساتذة وطلبة الجامعة على حَمْلةِ الفاتيكان ضدهم: لم نحرق أحداً. ونِسبةُ الغلط إلى المخالفين وإلى حدِّ الهرطقةِ وما يترتَّبُ عليها أمرٌ معروفٌ ومعهودٌ في تاريخ الكنيسة"[٢].

---

[1] المرجع السابق نفسه.

[2] المرجع السابق نفسه.

وفي ختام ردّنا على فرية وشبهة عدم اتّفاق القرآن مع العقل، نذكّرُ الرهبان الطاعنين بقول الراهب مارتن لوثر مؤسِّسِ المذهب البروتستانتي: أنتَ لا تستطيعُ أن تقبلَ كُلاً مِن الإنجيل والعقل، فأحدُهما يجبُ أن يُفسحَ الطريق للآخر ... "إنَّ كلَّ آيات عقيدتنا المسيحية التي كشفَ لنا اللهُ عنها في كلمتهِ أمامَ العقل مستحيلةٌ تماماً ومنافيةٌ للمعقول وزائفةٌ. فإذاً كيف يعتقدُ ذلك الأحمق الصغير الماكر[1] أنّ هناك شيئاً يمكنُ أنْ يكونَ أكثرَ مجافاةً للعقل واستحالةً من أنَّ المسيح يُعطينا جسده لنأكله ودمه لنشربه في العشاء الأخير؟ ... أو أنَّ المسيحَ إبنَ الله حملتْ به مريمُ العذراء وولدته ثم غدا رجلاً يتعذَّبُ ثم يموتُ مِيتةً مُخْجِلةً على الصليب؟ ... إنَّ العقل هو أكبرُ عدوٍّ للإيمان"[2].

الشُّبهةُ الخامسة والعشرون ودَفْعُها

يزعمُ محمدٌ أنّ الله يصلّي عليه!! وكيف لعقلٍ أن يَتَخَيَّلَ قيامَ الربّ بأداء الصَّلاة على واحدٍ من الذين خلقهم؟؟

- إنّ ممّا توهّمتهُ عقولُ الرهبان الطّاعنين أنّ الله تعالى يُصلّي على محمدٍ ﷺ بهيئة الصّلاة المعروفة الظّاهرة في صلوات المسلمين!!.

وفي هذا التوهُّم دلالةٌ واضحةٌ على ضحالة فهمهم للإسلام وسوء تصوّرهم له. وتوضيحُ صلاة الله تعالى على حبيبه المصطفى هو التالي:

وردت صلاة الله تعالى على رسولنا الكريم ﷺ في قوله تعالى: " **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا**"[3]. وينقل لنا الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، في صحيحه تفسير ذلك، فيقول:

[1] يقصد البابا
[2] ديورانت، [م. س]، الكتاب الثالث والعشرين، ص ٥٦ بتصرُّف.
[3] سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

"قال أبو العالية: صلاةُ الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدُّعاءُ. قال ابن عبّاس: يُصلُّونَ: يُبَرِّكُون. أي يدعون له بالبركة"[1].

هذا عن تفسير معنى صلاة الله على النبيّ ﷺ. أمّا عن معنى صلاة المؤمنين على النبي ﷺ فيوضِّحُها الحديث الشريف التالي: روى البخاري عن سعيد بن يحيى قال: حَدَّثنا أبي حَدَّثنا مِسعرٌ عن الحَكَمِ عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه: "قيل: يا رسولَ الله، أمَّا السَلامُ عليكَ فقد عرفناه، فكيف الصّلاةُ عليك؟ قال: قولوا: اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ، اللهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركتَ على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ"[2].

الشُّبهةُ السادسة والعشرون ودفعُها

كان محمدٌ يُغَيِّرُ خِطَطه حسبَ الظروف التي يُوجَدُ فيها. فعندما كان ضعيفاً في مكّة قدَّم الإسلام على أنّه دينٌ عربيٌّ، ولمّا اشتدَّ عودُه وقَوِيَ جيشه بعد الهجرة إلى المدينة جَعَلَ محمدٌ الإسلام ديناً عالميّاً.

- تشتمل هذه الفريةُ على مَطعنين هاميّن خطيرين؛ أولهما: مطعنٌ في أخلاق الرسول الكريم ﷺ واتّهامه بالمصلحيّة والافتقار إلى وجود المبدأ. وثانيهما: مطعنٌ في الإسلام، وذلك بوصفه رسالةً خاصّةً بالعرب وحدهم.

وهذا الكلام مُتَهَالِكٌ وساقطٌ من عدّة وجوهٍ أبرزها ما يلي:

١. لن نُجَاريَ أولئك الذين يقولون بالتدرُّجِ في إعلان الإسلام على عالميَّته فهذا الأمرُ قد صرَّحتْ به الكثيرُ من الآيات المكيّة التي نزلت قبل الهجرة إلى المدينة (واشتداد عود مُحَمّدٍ على حدِّ قول الرهبان الطاعنين) ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر.

أ. " تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا "[3].

[1] صحيح البخاري [م. س]، كتاب التفسير، باب "إن الله وملائكته يصلّون على النبي ...".

[2] المرجع السابق نفسه.

[3] سورة الفرقان، الآية ١.

ب. " وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ "[1].

ج. " هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ "[2].

ويفهم من هذه الآيات أنَّ القرآن الكريم كان واضحاً وصريحاً في الإعلان عن عالميّة الدعوة التي يقدّمها للبشرية وأنّها ليست خاصّةً بقومٍ ولا بأهل بلدٍ مُعَيَّنةٍ.

٢. ليس من الصواب الاستدلال على أنّ محمداً بُعثَ للعرب فقط بدليل أنّه كان يتحَّدثُ اللغةَ العربيةَ، فإنّ الحكمة من إرسال الرسل عموماً بألسنةِ أقوامهم لِيكونَ ذلك أبلغَ في الفهم بينه وبينهم، حتّى تقوم الحُجَّةُ ويحصلَ البلاغُ وحتّى يكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم.

٣. "لو صَّح أنْ نقول: إنّ كونَ القرآنِ عربيّاً وتَحدُّثَ محمدٍ بالعربية دليلٌ على أنّه مرسلٌ للعرب فقط وأنَّ رسالته خاصّةٌ بهم، لَلَزِمَ من ذلك بأنّ المسيحيين مخطؤون في اتّباعهم لأحكام التوراة لأنّها نزلت بغير لسانهم"![3].

٤. "ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول دعوتَه العلنيَّةَ بإنذار عشيرته الأقربين، إذ أنَّ مكّةَ بلدٌ توغّلَتْ في الرُّوح القَبَليةُ، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يُعينُ على نصرته وتأييده وحمايته، كما أنّ القيام بالدعوة في مكة لابدَّ أن يكون له أثرٌ خاصٌّ، لِمَا لهذا البلد من مركزٍ دينيٍّ خطيرٍ، فَجَلْبُها إلى حظيرة الإسلام لابدَّ وأن يكون له وقعٌ كبيرٌ على بقية القبائل ... على أنّ هذا لا يعني أنّ رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودةً بقريش، لأنَّ الإسلام كما يتجلّى من القرآن اتخذَ الدعوةَ في قريشٍ خطوةً أُولى لتحقيق رسالته العالمية، والواقع أنّ كثيراً من الآيات المكيّة كانت تنصُّ على أنَّ القرآن **"وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ"[4]** الأمر الذي يدل على أنَّ فكرةَ الدعوة العالمية كانت قائمةً منذ هذا الوقت المُبَكِّرِ"[5].

---

[1] سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

[2] سورة إبراهيم، الآية ٥٢.

[3] الرومي [م. س]، ج١، ص ٣١٦.

[4] سورة القلم، الآية ٥٢.

[5] العمري [م، س]، ج١، ص ١٤٣، نقلاً عن "دراسة في السيرة" ص ٢٢ لعماد الدين خليل.

٥. إنّ الدعوة التي جاءت خاصّةً بقومٍ بعينهم ليست دعوةَ الإسلام، بل هي دعوة المسيح، عليه السلام، ويشهدُ لذلك قوله تعالى: **"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ "**[١]، كما يشهدُ لذلك قول المسيح، عليه السلام، "لم أُرسَلْ إلاّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضّالّةِ"[٢]. ولكنَّ الذين جاؤوا من بعده أحدثوا أمراً غير هذا، وارتأوا نشرَ دعوة المسيح خارج حدود بني إسرائيل فأصبحت الآية "اذهبوا إلى العالمِ أجمعَ واكرزوا بالإنجيل للخليقة كُلِّها"[٣].

ويمكننا من خلال ذلك أن نقول وبكلِّ صراحةٍ: إنّ المسيح، عليه السلام، قدّم دعوته في ثوبٍ خاصٍّ ببني إسرائيل. ولمّا اشتدّ عودُ دعوتهِ وكَثُرَ عددُ أتباعها والمتعاطفين معها جعل منها هؤلاء ديناً عالميّاً.

ولرُبّما يسأل سائلٌ فيقول: لماذا جاهدَ محمدٌ في المدينة بالقتال والسّيف، ولم يفعل ذلك في مكّة؟ أليس هذا تغييراً للخطط وافتقاراً للمبدأ؟؟ والردُّ على هذا السؤال سهلٌ وميسورٌ ولا يختلفُ عمّا ذكرناه في النقاط الخمس السابقة؛ فتغييرُ الخِطَطِ يجب أن يُفْهَم في إطار الحكمة الإلهية في التدرُّج في التشريع، حيث كان من الطبيعي أن يتصرّف الرسولُ ﷺ في العهد المكيّ وتحت ضغط المشركين على خلافِ تَصَرُّفِه في العهد المدنيّ، الذي تأسّست فيه الدولة الإسلامية وبرز فيه المجتمع المسلم بكلّ ما يشتمل عليه من معاملاتٍ وتصرُّفاتٍ وعمليات تفاعلٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ وثقافيٍ وأخلاقيٍّ.

كانت تلك أبرز الشّبهات والمطاعن والافتراءات التي أثارها رهبان الكنيسة الغربيّة حول الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى ﷺ. وحقيقةُ الأمر أنّ المطاعن والشُّبهات أكثرُ من ذلك عدداً، ولكنَّ اختيارنا وَقَعَ على أبرزها وأخطرها، وذلك لما لها من شهرةٍ وتداولٍ عبر العصور والأزمنة، ولِمَا لبعضها من تأثيرٍ في نفوس بعض العوام من المسلمين. مع التذكير بأنّ هذه الشّبهات قد أثارها الرهبان الكاثوليك وغيرهم من البروتستانت والآرثوذكس.

---

[1] سورة الصف، الآية ٦.
[2] متى: ١٥: ٢٤
[3] مرقص: ١٦: ١٥.

وكُنّا قد عمدنا إلى دمج بعضها ببعضٍ وذلك لتقاربها وتداخُلِها في المضمون والمحتوى.

ونسألُ الله تعالى أن نكون قد وُفِّقنا في عرضها ونقدها ونقضها، مُبدين الاستعداد الكامل لقبول كلِّ إضافةٍ قد تطرأُ عليها أو تلحقُ بها، فنهاية هذا البحث وهذه الدراسة لا تعني أبداً توقُّفَنا عن الدراسة والبحث.

وختاماً، نذكّرُ القاريء الكريم، إن رغب في الاستزادة، بالرجوع إلى ما خطّهُ علماؤنا الأفاضل قديماً وحديثاً، جزاهم الله خيراً، في كتبهم ومؤلَّفاتهم وبالذات تلك التي أوردناها في المبحث الأخير من هذه الدراسة.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة المتواضعة إلى مجموعةٍ من النتائج كان من أبرزها ما يلي:

أولاً: إنّ نشأة الاستشراق كانت دينيّةَ الدافع، وكانت الكنيسةُ الكاثوليكيّة ورهبانها المحرِّكَ والدّاعم له، وذلك في واحدٍ من فصول حربها المُعلَنة ضدَّ الإسلام والمُسلمين؛ تلكمُ هي الحربُ الإعلاميّة التضليليّة التي اختارتها الكنيسة ولجأ إليها رجالاتها بعد العجز المُبين لهم ولجيوشهم الصليبيّة أمام الآلة العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى.

ثانياً: كانت البداية الحقيقيّة للاستشراق على المستوى الفرديّ في الغرب على يد الراهب الكاثوليكي الفرنسي جربردي أولياك الذي انتُخِبَ لاحقاً حبراً أعظم لكنيسة روما وحمل لقب سلفستر الثاني في العام ٩٩٩م. كان هذا الراهب أولَ المشتغلين بعلوم الشَّرق.

ثالثاً: كانت البداية الرسمية للاستشراق في المجمع الكنسيّ المُنْعَقِدِ في فينّا بين عامي ١٣١١ و١٣١٢ للميلاد والذي نصَّ قانونُه رقم (١١) على تدريس اللغات الشرقية في أكبر خمس جامعاتٍ أوروبيةٍ آنذاك، كما نصَّ على تخصيص مدرِّسَين كاثوليكيين لكلِّ واحدةٍ من هذه الجامعات الكبرى ليقوما بتدريس اللغة العربية.

رابعاً: يُعتبَرُ بطرس المبجَّلُ رئيس ديركلوني أوَّلَ مَن وضعَ ترجمةً لاتينيةً للقرآن وكلَّف بذلك فريقَ عملٍ مكوّناً من الراهبين روبرت الكيتوني ومساعده هرمان دلماتا، وقد تقصَّد فيها التشويه والتحريف والمغالطة. ولعلَّ ما نراه فاجعةً وطامّةً كبرى فيما يتعلقُ بهذه الترجمة، إضافةً لمضمونها وأهدافها، هو أنّها ظلّت طوال خمسة قرونٍ الأكثرَ استعمالاً وعليها تقومُ أقدم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولنديّة. ولم تجرِ إزاحة ترجمة القرآن اللاتينيّة لروبرت الكيتوني بسبب ترجمة الإيطالي لودفيكو مرّاتشي إزاحةً نهائيّةً إلاّ في عام ١٦٩٨م إذ كانت هذه أفضلَ وأكثرَ دقّةً بما لا يُقاس.

خامساً: اتَّخَذَ الاستشراقُ الدينيُّ لنفسه ثياباً وقنواتٍ جديدةً يصل من خلالها إلى الذهنيّة الغربيّة ليكرِّسَ مِنْ خلالها الصورة المؤلمة السابقة التي رسمها عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ. وقد تطلب الواقع المعاصر وجود هذه القنوات الجديدة بعد أن ضعفَ سلطانُ الكنيسة في النفوس، وبعد أن تحرّرَ الغربُ من مركزيّتها وسلطتها واتخذ

العلمانية درباً وحيداً للنهضة والتقدّم. وهذه القنوات كثيرةٌ متعدّدةٌ أبرزها قناتان؛ أولاهما القناة الأكاديميّة الجامعيّة وثانيهما قناة وسائل الاتصال والإعلام.

سادساً: كان الاستشراق وبكل مدلولاته ومضامينه محنةً ملوّثةً، لأنها قامت من بدايتها على قلب الحقائق وتشويه الوقائع واستخدام كلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ لمحاربة القرآن الكريم والحبيب المصطفى ﷺ وللقضاء على كلِّ ما جاء به هذا الإسلام العظيم.

ثامناً: إنّ الجهود المسيحية المتعلِّقَةَ بالتأليف الجدليّ اللاهوتيّ الطاعن في الإسلام ونبوّته ﷺ، التي بدأت في العصور الوسطى توالت واستمرَّتْ حتى وصلت يومنا هذا مع زياداتٍ عليها تتعلّق بالمضمون والشكل ووسائل الاتصال.

تاسعاً: حظيت الأندلسُ بنصيب الأسد من كتابات العلماء المسلمين الذين جادلوا النصارى وأفحموهم وردّوا على تساؤلاتهم أو شُبهاتهم وأباطيلهم. وهذا لا يعني انحصار الجهود في الأرض الأندلسية وحدها، فقد نهضت الشام هي الأخرى لتأخذ نصيبها من هذه الجهود، كذلك نهض علماء أرض الحجاز وأرض الكنانة ليقوموا بواجبهم في هذا الموضوع. ولكنَّ الأندلس تبقى صاحبة الأسبقيّة والألمعيّة في هذا الشأن، وذلك راجعٌ لوقوعها على الحدود المباشرة مع القارة الأوروبية المسيحية، كما أنّه راجعٌ إلى ترؤس الكنيسة الإسبانية ورهبانها للحرب العقدية والفكرية ضدّ الإسلام وذلك بعد وقوع إسبانيا في ظل الفتح الإسلامي آنذاك.

عاشراً: عاشت الأندلسُ سنواتٍ طويلةً من الجدل الديني بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان السماوية، وبالذات أتباع الكنيسة الكاثوليكية من الرهبان والقساوسة الذين أخذوا على عاتقهم إعلان الحرب العقدية والفكرية ضد الإسلام، وذلك من خلال ما خطُّوه في أديرتهم من مؤلفاتٍ كثيرةِ العدد اشتركت كلُّها في قاسمٍ واحدٍ هو تكذيب كلِّ ما جاء به محمدٌ من القرآن والعقائد والشرائع. وكانت مؤلفات الرهبان هذه، في كثيرٍ من الأحيان، تُكتَبُ في الخفاء وتُحفظُ في الأديرة أو مكتبات الكنائس في ظلّ الحرية الكبيرة التي منحتها الدولةُ الإسلامية لغير المسلمين آنذاك.

حادي عشر: لا مجال للشكِّ في تقدُّم الإسلام في الغرب وتراجع المسيحيّة الكاثوليكيّة التي يزداد على مدار الساعة عددُ المعتنقين من أبنائها للإسلام ازدياداً كبيراً متنامياً، ولعلّ هذا الازدياد يُعتبرُ المفتاح الرئيسي لفهمنا لما سبق من تعليقاتٍ وحملاتٍ ومحارباتٍ يتعرّض لها الإسلام بين الحين والآخر، نعم لقد عاد الإسلام ليتألق من جديدٍ وليكون سبباً في إثارة قلقهم ومخاوفهم، هذه المخاوف التي عبّر عنها الكاردينال

"جان لوي توران" مسؤول الفاتيكان المعنيّ بشؤون العلاقات مع الأديان الأخرى حين قال: إنّ العالم مهووسُ بالإسلام ... لا نريد أن يتنامى الانطباع بأنّ الأديان ذات وضعٍ طبقيٍّ، أو أنَّ هناك ديناً أفضل من آخر ... إن الإسلام مهمٌّ للغاية، ولكن هناك أيضاً دياناتٌ آسيويةٌ عظيمةٌ أخرى، والإسلام دين واحدُ... بالفعل إن الناس مهووسون بالإسلام.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

١. أحمد ديدات ومايكل هارت، محمد ﷺ أعظم عظماء العالم، ترجمة علي الجوهري، ط١، ٢٠٠٠، مكتبة القرآن، القاهرة.

٢. آرمسترونج، كارين، الحرب المقدّسة، الحملات الصليبيّة وأثرها على العالم اليوم، ترجمة سامي العكعكي، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي.

٣. آرمسترونج، كارين، سيرة النبي محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، ط١، ١٩٨٩، دار الكتاب العربي، القاهرة.

٤. الآرو، عبد الرزاق عبد المجيد، مصادر النصرانية دراسةً ونقداً، ج٢، ط١، ٢٠٠٧، دار التوحيد للنشر، الرياض.

٥. آل معمر، عبد العزيز بن حمد، منحة القريب المجيب في الردّ على عبّاد الصليب، ط١، ١٩٧٨، دار ثقيف للنشر، الطائف.

٦. الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصّة الغرانيق ط١، ١٩٥٢، المكتب الإسلامي، دمشق.

٧. الألوسي، نعمان بن محمود، الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ط١، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت.

٨. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه، دون رقم طبعة، ٢٠٠٤، دار الحديث، القاهرة.

٩. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط١، ١٩٨٤، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠. البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط٣، مكتبة وهبة.

١١. بوكاي موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة نخبة من الدعاة، ط١، ١٩٧٨، دار الكندي، لبنان.

١٢. الترّمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع، تحقيق عادل مرشد، ط١، ٢٠٠١، دار الأعلام، الأردن.

١٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بّدل دين المسيح، تحقيق وتقديم محمد حسن إسماعيل، ط١، ٢٠٠٣، المكتبة العلميّة، بيروت.

١٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق الأستاذ / الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٥. الجبري، عبد المتعال، السيرة النبويّة وأوهام المستشرقين، ط١، ١٩٨٨، مكتبة وهبة، مصر.
١٦. الجزيري عبد الرحمن، أدلّة اليقين في الردّ على كتاب ميزان الحقّ وغيره من مطاعن المبشّرين المسيحيين في الإسلام، ط١، ١٩٣٤، مطبعة الإرشاد، مصر.
١٧. الجليند، محمد السيّد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخيّة موجزة، ط١، ١٩٩١، دار قباء، القاهرة.
١٨. جورافسكي، إليكسي، الإسلام والمسيحيّة من التنافس والتّصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، ط١، ٢٠٠٥، دار الفكر، بيروت.
١٩. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المُستدرَك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. حبشي، حسن، الحرب الصليبيّة الأولى، ط١، ١٩٥٨، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢١. حبيب عبد الملك بن حبيب، الناسخ والمنسوخ بين الكتاب المقدّس والقرآن الكريم، بحث منشور في موقع شبكة ابن مريم الإسلامية، النسخة الإلكترونية.
٢٢. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المقدمة ط ١، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق.
٢٣. الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي ط١، ١٩٧٥، من منشورات الشركة التونسيّة لفنون الرسم، تونس.
٢٤. الخطيب، محمد أحمد، الفرق الإسلامية، ط١، ١٩٩٦، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن.
٢٥. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، سنن الدارمي، تحقيق د. مصطفى البغا، ط١، ١٩٩١، دار القلم، دمشق.
٢٦. داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدّس، ترجمة فهمي شمّا، من منشورات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٩٨٥، قطر.
٢٧. ديورانت، ول، قصّة الحضارة، الكتاب الخامس، ترجمة عبد الحميد يونس، طبعة الإدارة الثقافية وبجامعة الدول العربيّة.

٢٨. الراسي، زيادة بن يحيى، البحث الصريح في أيّما هو الدين الصحيح، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، ٢٠٠٣، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٢٩. رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العُظمى، ج١، بتصرف، مطبعة دار الفنون، تاريخ النشر مجهول.
٣٠. الرومي، سليمان بن عبد الله بن صالح، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبيّة ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الرشد، الرياض.
٣١. ريبوني، إنريكو، الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة" ترجمة د. زينب عبد العزيز، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي، مصر.
٣٢. زاربوف، ميخائيل، الصليبيّون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، ط١، ١٩٦٨، دار التقدّم، موسكو.
٣٣. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤. الزعبي، سلافة فاروق، صورة العرب في الإعلام الأمريكي، ط١، ٢٠٠٦، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن.
٣٥. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة.
٣٦. زقزوق، محمود حمدي، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشكّكين، من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامي. النسخة الإلكترونية.
٣٧. الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٨. زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام والردّ عليها، النسخة الإلكترونية.
٣٩. السّجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق عادل مرشد وسليم عامر، ط١، ٢٠٠٣، دار الأعلام، عمان.
٤٠. سعيد، إدوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط١، ١٩٨١، من منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.
٤١. السقار، منقذ بن محمود، شبهات النصارى حول الإسلام، بحث منشور في صفحة المؤلّف في موقع صيد الفوائد الإلكتروني.

٤٢. سوذرن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيّد، بتصرف ط١، ١٩٨٤، من منشورات معهد الإنماء العربي، لبنان.
٤٣. السّيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدرُّ المنثور في التفسير المأثور، ط١، ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت.
٤٤. الشرقاوي، محمد عبد الله، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها. ط١، ١٩٨٦، مكتبة دار الصّحوة، القاهرة.
٤٥. الصّوا، علي محمد وآخرون، العلوم الإسلامية، ط٣، منشورات وزارة التربية والتعليم، الأردن.
٤٦. أبو طالب، نصر الله عبد الرحمن، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ﷺ، ط٢، كتاب منشور على موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنّة www.55a.net
٤٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، ط٢، ١٩٦٧، دار سويدان للنشر، بيروت.
٤٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، دار المعرفة، بيروت.
٤٩. العبادي، زياد سليم، بحث غير منشور بعنوان (خبر بحيرا الراهب في ميزان النقد الحديث).
٥٠. عبد الرؤوف، حسام الدين صبري، الضياء المبين في الرد على المضلِّين، ج١ شبهة تعدد زوجات النبي، النسخة الإلكترونية.
٥١. عبد العزيز زينب، محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام، ط ١، ١٩٩٣، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
٥٢. عبد المحسن، عبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، بحث من بحوث ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه المنشورة في موقع المفكرة الدّعوية الإلكتروني.
٥٣. عبده، محمد، الإسلام والنصرانيّة مع العلم والمدنيّة، ط٣، ١٣٤١ هـ، مطبعة المنار، مصر.
٥٤. عربي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط١، ١٩٩١، من منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.

٥٥. العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دون رقم طبعة، ٢٠٠٤، دار الحديث، القاهرة.
٥٦. عسكر، عبد الله بن إبراهيم، الجدل الديني في الأندلس، دراسة مطولة نشرها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٣.
٥٧. عقيقي، نجيب، المستشرقون، الجزء ١٢، ط٣، ١٩٦٤، دار المعارف، القاهرة.
٥٨. عمارة، محمد، الفاتيكان والإسلام، أهي حماقة أم عداء له تاريخ، ٢٩، ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
٥٩. عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ط٢، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
٦٠. العمري، أكرم ضياء، السيرة النبويّة الصحيحة، ط٧، ٢٠٠٧، مكتبة العبيكان، الرياض.
٦١. عناية، غازي، هُدى الفرقان في علوم القرآن، ج٢، ط١، ١٩٩٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت.
٦٢. عودة، علي بن محمد، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيّه محمد، بحث منشور في موقع نصرة رسول الله، النسخة الإلكترونية.
٦٣. عوض، إبراهيم، عصمة القرآن وجهالات المبشّرين، ط١، ٢٠٠٥، مكتبة الزهراء، القاهرة، النسخة الإلكترونية.
٦٤. عوض، إبراهيم، مصدر القرآن دراسة لشبهات المستشرقين والمبشّرين حول الوحي المحمديَ، ط٨، ١٩٩٧، مكتبة الزهراء، القاهرة، النسخة الإلكترونية.
٦٥. الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية، ط٢، ١٩٨٥، مكتبة الانجلو، القاهرة.
٦٦. الفرا، محمد علي، الإسلام والغرب مواجهةٌ أم حوار، ط١، ٢٠٠٢، دار مجدلاوي للنشر، الأردن.
٦٧. فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربيّة والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، ١٩٩٦، دار قتيبة، دمشق.
٦٨. القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ط١، ١٩٢٧، المطبعة السلفيّة، القاهرة.

٦٩. القرافي، أحمد بن أدريس، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور بكر زكي عوض، ص ٤٧، ط١، ١٩٨٦، الناشر [المحقق]، القاهرة.
٧٠. القرآن الكريم.
٧١. القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، المكتبة العلمية، بيروت.
٧٢. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، ط١، ١٩٩٧، دار ابن حزم، بيروت.
٧٣. ابن قيم الجوزيّة، شمس الدين محمد بن ابي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عصام الحرستاني، ط١، ١٩٩٤، المكتبة الثقافية، بيروت.
٧٤. الكتاب المقدس، ط٨، ١٩٦٩، منشورات دار المشرق، بيروت.
٧٥. الكتاب المقدس، دون رقم طبعة، ١٩٦٠، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
٧٦. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط١، ١٩٨٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٧. كونزلن، جوتفرايد، مأزق المسيحيّة والعلمانيّة في أوروبا، تجربة المانية، ط١، ١٩٩٩، دار نهضة مصر، القاهرة.
٧٨. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، واختصار ط٢، ١٩٥٦، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.
٧٩. لويس، برنارد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح، ط٢، ٢٠٠٠، دار السّاقي، بيروت.
٨٠. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، ١٨٣، ط١، ١٩٨٥، دار الكتب العلميّة، بيروت.
٨١. المحص، عبد الجواد، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة، ط١، ٢٠٠٠، الدار المصرية، مصر.
٨٢. مرسي، أكرم حسن، ردّ السّهام عن خير الأنام محمّدٍ عليه الصلاة والسلام، النسخة الإلكترونية.
٨٣. مسير، محمد سيد أحمد، المدخل لدراسة الأديان، ط١، ٢٠٠١، دار الندى، مصر.

٨٤. مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق والاتجاهات الفكريّة في التاريخ الإسلامي، ط١، ١٩٩٥ من منشورات مؤسسة الملك فهد الوطنية.
٨٥. المطعني، عبد العظيم إبراهيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ط١، ١٩٨٧، دار الوفاء، السعودية.
٨٦. الملا، جاسم ناصر عبد الرزاق، الإسلام والغرب دراسات في نقد الاستشراق، ط١، ٢٠٠٤، دار المناهج، عمّان.
٨٧. النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دون رقم طبعة ودون سنة طبع، طبعة مكتبة الإيمان، مصر.
٨٨. هاغمان، لودفيغ، المسيحيّة ضدّ الإسلام حوار انتهى إلى الاخفاق، ترجمة محمد جديد، ط٢، ٢٠٠٥، قدمس للنشر، سوريا.
٨٩. الهندي، محمد رحمت الله الكيرانوي، إظهار الحق، ط١، ١٩٨٣، طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر.
٩٠. هيكل، محمد حسين، حياة محمد، من منشورات وزارة الثقافة الأردنية، ط١، ٢٠٠٨، عمّان.
٩١. وايت، آندروديكسون، بين العلم والدِّين، ترجمة إسماعيل مظهر، ط١، ١٩٣٠، دار العصور، مصر.

ثانياً: مراجع شبكة الإنترنت

١. إسماعيل شعبان الأزهري، قصّة الغرانيق في الميزان، بحث منشور في موقع الشبكة الإسلامية الإلكتروني www.islamweb.net بتاريخ ٢/١/٢٠٠٩.
٢. البابا بولس الثاني، الدستور الرسولي، Pastor Bonus، موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.
٣. البابا بولس السادس، الإرادة الرسولية infructibus multis، موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.
٤. البابا يوحنا بولس الثاني، لا تخافوا من وسائل الإعلام، رسالة منشورة في الموقع الإلكتروني للقديسة تيريزا www.terezia.org بتاريخ ٢٤/١/٢٠٠٥.
٥. الحسن السّرات، عرض كتاب "الإنترنت والدِّين" لجان فرانسوا مايير، مقالة منشورة في موقع www.aljazeera.net.

٦. راغب السّرجاني، عدم دموية الحروب النبويّة، دراسة منشورة في موقع المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته www.mercyprophet.org.
٧. زينب عبد العزيز، أفيقوا أيها المسلمون، مقالة منشورة في موقعها الإلكتروني www.dr-abdelaziz.com.
٨. زينب عبد العزيز، مقالة بعنوان (ردّ الفاتيكان على خطاب الـ ١٣٨ مقالة تحليلية) منشورة في موقع وكالة الأخبار الإسلامية (نبأ) www.islamicnews.net بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٠.
٩. طوني خضرة، الكنيسة والإعلام، أيّ علاقةٍ، أيُّ دورٍ؟ دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني للاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة www.ucipliban.org.
١٠. عبد الرحيم الشريف، افتراءٌ وردّ: مصدر القرآن الكريم هي الشياطين، بحث منشور في موقع شبكة الحقيقة الإسلامية الإلكتروني www.trutheye.com بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٣.
١١. عبد الله أبو حفص النقبي، هل القرآن هو كلام محمد؟ مقالة منشورة في موقع www.maktobblog.com بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٧.
١٢. عصام بن أحمد، هل مارس رشدي الجنس مع ملكة بريطانيا؟ مقالة منشورة في موقع www.dedaatwordpress.com.
١٣. عقيل عبد الله الإزرقي، تكريم الغرب لرشدي مكافأة له أم احتقار للمسلمين؟ مقالة منشورة في موقع شبكة النبأ المعلوماتيّة www.annabaa.org بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٥.
١٤. علي بن محمد عودة، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيّه محمدٍ، دراسة منشورة في موقع نصرة رسول الله www.nosra.islammemo.com.
١٥. مازن المطبقاني، حقيقة نهاية الاستشراق. دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنوَّرة لدراسات وبحوث الاستشراق www.madinacenter.con.
١٦. مجمع الفقه الإسلامي، القرار رقم ١٥٤ (١٧٧/٣) بشأن موقف الإسلام من الغلوّ والتطرّف والإرهاب. منشورٌ في الموقع الإلكتروني للمجمع www.fiahacademy.org.
١٧. مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، بيانٌ من مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ردّاً على اتهامات البابا، البيان منشور في موقع المجمع www.amjaonline.com.

١٨. محمد حمادي الفقير التمسماني، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبَلَ المستشرقين ودوافعها وخطرها. دراسة منشورة في موقع شبكة التفسير والدراسات القرآنيّة www.tafsir.org.
١٩. محمد عبد العزيز الهواري، شبهة زواج النبي ﷺ من عائشة وهي صغيرة السنّ، مقالة منشورة في موقع www.shareah.com بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٧.
٢٠. ناديا سعد، أحمد ديدات فارس الدّعوة وقاهر المنصّرين. دراسة منشورة في موقع www.bnyaan.net وموقع www.defensearab.com.
٢١. يوسف عبد الرحمن، الردّ على شبهة أنّ النبيّ تلقّى القرآن عن ورقة بن نوفل، مقالة منشورة في موقع www.alhakeah.com بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٤.